

المعروف

تاريخ الأندلس

وهي لادن البون

المعروف

المسعودي

٣٤٤ أو ٣٤٦ - ٩٥٧

من هو ؟

هو أبو الحسين علي بن الحسين المسعودي المعتزلي الشافعي ، من ذرية عبد الله ابن مسعود ، مؤرخ ، رحالة جواية ولد ببغداد وفيها نشأ وترعرع ، مال منذ حداثة إلى السفر وطلب الرحلة فجاب فلسطين وبلاد فارس وطوف في أرجاء ارمينية وضواحي بلاد القاف والهند وبحر الهين ومدغشقر وزنجبار وعمان . مر بانطاكية عام ٩٤٣ وبدمشق بعد ذلك بسنتين . صرف سنواته العشر الأخيرة متنقلاً بين سوريا ومصر ومات في القسطنطينية سنة ٩٥٦ .

ومع أنه لم يصلنا سوى قسم ضئيل من آثاره التاريخية والادبية الضخمة ، ففي الباقي منها الدليل ، مع ذلك ، على سعة علمه وتنوع معلوماته ، وهو علم ومعلومات تم له جمعها ليس فقط من الكتب التي وقع عليها ، بل أيضاً من الأسفار والرحلات التي قام بها تقريباً إلى جميع أنحاء آسيا وقسم من افريقية الشرقية ، وبجارتها . فاسمعه يقول : « فسيري في الآفاق سرى الشمس في الإشراق ، كما قال الشاعر :

تيمم أقطار البلاد فتارة

لدى شرقها الأقصى وطوراً إلى الغرب

سرى الشمس لا ينفك تقذفة النوى

إلى أفق ناء يقصر بالركب (١)

قضى سنواته الأخيرة متنقلاً بين سوريا ومصر إذ لم يكن له دار إقامة

(١) راجع صفحة ١٥ من طبعتنا هذه وصفحة ٥ من طبعة باريس لباربيه ده مينار .

خاصة ، وأمضى أيامه في تحرير مؤلفاته التاريخية ، ولا سيما كتابه : « اخبار الزمان » الذي يقع في ٣٠ مجلداً ، فقدت كلها باستثناء مجلد واحد يوجد في مكتبة فيينا الأهلية والذي اختصره في كتاب آخر يدعوه : « الكتاب الاوسط » ، وهما كتابان كثيراً ما نوه بذكرهما في تضاعيف « مروج » . وقد حدا به الى هذا النهج : « محبة احتذاء الشاكلة التي قصدها العلماء وقفها الحكماء ، وأن يبقى للعالم ذكراً محموداً وعلماً منظوماً ممتداً ، كما يقول هو نفسه .

لقبه فون كريمير^(١) بـ « هيرودوتس العرب » وهو تشبيه تصح فيه المشابهة والمحاكاة ، أفلم يلقبه ابن خلدون بـ : « إمام المؤرخين . وهو تشبيه يمكن مقارنته ، وبحق ، بأبي التاريخ الاغريقي . فآثره أوسع بكثير من الأثر الذي خلفه لنا زميله اليوناني في القرن الخامس ق . م . إلا ان المؤرخ اليوناني أكثر فناً في كتابته للتاريخ وانصع منهجية ، فكلاهما جاش صدره بحب المعرفة ، والدأب الموصول على جمعها وحشدها . كذلك جمع بينهما رحابة صدر واسع واستعداد كلي لتسجيل كل الخوارق والمعائب التي استبذت بخاطرهما ، دون تحيز او تحزب لأي جانب ؛ فالعمل الذي قام به المسعودي هو وضع تاريخ عام شامل للانسانية ، منذ بدء الخليقة حتى عام ٩٤٧ . فالقلم يعجز عن ذكر ووصف الموضوعات التي عاجلها واللاحق بالاستطرادات التي سترسل وراءها ، فكانت للمؤلف لذة وهزة شعورية ، كما كانت للقارئ داعياً للبرم والسأم . وهذا ما حدا بالمؤرخ المشهور فازيليف لأن يكتب قائلاً : « ان كتب المسعودي لما يقرأه المسلمون والاوروبيون على السواء ، لما فيها من متعة ورواء . ولذا استحق بان يلقب بـ « هيرودوتس العرب » ، وهو اللقب الذي اطلقه عليه كريمير^(٢) .

(١) ثقافة الشرق ٢ : ٤٢٣ .

(٢) في كتابه « العرب والروم » ص ٢٨٣ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة الناشر

إيماناً بالرسالة التي اخذنا على عاتقنا تحقيقها ، منذ أول تأسيس دار الأندلس وهي الاسهام بأوسع نطاقه في احياء التراث العربي القديم ، والسعي في انعاش الحركة الثقافية عن طريق نشر الكتب المفيدة ، وما لقيناه من تشجيع وتقدير من مختلف المؤسسات ، نتقدم اليوم بمجهود يضيف الى تلك السلسلة الطويلة حلقة من أوسع الحلقات وأهمها في تاريخ العرب بل في تاريخ العالم وهو كتاب (مروج الذهب) للمسعودي .

والمسعودي كاتب موسوعي كبير يعتبر من أكثر المؤلفين ثقافة ، واطلاعاً واحاطة بمختلف العلوم في عصره ، وكتابه (مروج الذهب) من أهم المصادر التي يعتمدها المؤرخون في سرد الحوادث والاعخبار ، ثم هو بعد ذلك معين لا ينضب لدرس الاحوال الاجتماعية ، وتصوير الحياة التي يستعرضها ، لذلك كان مروج الذهب من أهم الكتب والمصادر التي لا يمكن ان تستغني عنه مكتبة صغيرة خاصة ، فكيف بالمكتبات المهمة العامة ، ومن المؤسف ان تكون الطبعات السابقة غير مستوفية للشروط المطلوبة في اخراج هذا الكتاب لا من حيث الاخطاء وحدها ، وإنما من حيث الفهارس العلمية وجلاء البحوث وتعيين مواطن كل موضوع ، لذلك فقد اقدمنا على اخراج مروج الذهب إخراجاً جديداً وضمننا إليه الفهارس العلمية المتنوعة التي دققها ووضعها خصيصاً لنا العلامة الجليل الأستاذ يوسف اسعد داغر .

وقد اعتمدنا في نشرنا لهذا الكتاب الطبعة الفرنسية العربية للمستشرق الفرنسي باريه ده مينار، والطبعة المصرية للاستاذ محمد محي الدين عبد الحميد، ونسخة خطية خاصة، ونحن فخورون بأننا قد وفرنا للقراء بمملنا هذا كثيراً من المشقة في وضع الفهارس العلمية، وسهلنا الكثير من التحقيق الذي خلت منه النسخ الثلاث التي اعتمدناها في طبع هذا الكتاب الجليل.

وسرور (دار الأندلس ببيروت) هو أنها اذ تضع لبنة أخرى في صرح الثقافة العربية الخالصة من طريق احياء التراث القديم، وكل رجائها ان يكون التوفيق حليفها في المستقبل كما حالفها في الماضي.

حسين عاصي
صاحب دار الاندلس للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

مؤلفاته

ذكر المسعودي بياناً موجزاً لمؤلفاته ، وذلك في مقدمة كتابه : « التنبيه والاشراف » ، في الصفحة ٢ وما يليها من طبعة ده غويه De Goez كما وضع مثل هذه القائمة الكونت سلفستر ده ساس واعتمدها بارييه دي مينار Marbier De Meynard في التعليقات التي وضعها على كتاب « مروج الذهب » وافرد لها المجلد ٩ من طبعته ، وذلك في الصفحة ٣٠٢ وما إليها .

خبر الزمان ومن اباده الحدائق . كتاب يقع في نحو ٣٠ مجلداً ليس منه الآن سوى جزء واحد موجود في خزانة فيينا الأهلية - وقد اختصره وسمى المختصر « الكتاب الأوسط » ، ثم اجمل ما بسط واختار من مطولاته ما وسعه الاختيار في كتاب « مروج الذهب » الذي انتهى من كتابته في جمادى الاولى ٣٣٢ (١٤٧) واعاد النظر فيه عام ٣٤٥ / ٩٥٦

طبع هذا الكتاب في ٩ اجزاء ، في باريس سنة ١٨٦١ - ١٨٧١ بهمة الاستاذين بارييه دي مينار وده كورتيل ، طبعته المطبعة الأهلية في باريس وأعد له بين ١٨٦٩ / ١٨٨٧ فهرس عام .

طبع هذا الكتاب في ٤ اجزاء في القاهرة سنة ١٩٤٨ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

كذلك طبع « مروج الذهب » بهامش تاريخ الكامل ، لانه الاثير ، من الجزء الاول الى العاشر ، مصر ١٣٠٣ ، وبهامش « نفح الطيب » ، لاحد المقرئ ١٣٠٢ و ١٣٠٤ وطبع لوحده في بولاق سنة ١٨٨٣ كتاب القضايا والتجارب .

ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور .

كتاب الرسائل والاستذكار لما مر في سالف الاعصار .

كتاب التاريخ في اخبار الامم من العرب والمعجم .

كتاب خزائن الملك وصر العالمين .

كتاب المقالات في اصول الديانات .

كتاب التنبيه والاشراف ، نشره ده غويه في ليدن ، سنة ١٨٩٤ ، كما
نشره مترجماً الى الفرنسية ، المستشرق كارا ده فو Carra De Vau بعنوان
Le Livre De L'Avertissement & Révision ، سنة ١٨٩٧ .

كتاب الاستبصار ، في الامامة .

السياحة المدنية ، في السياسة والاجتماع .

اخبار الخوارج .

البيان في اسماء الائمة - الابانة عن اصول الديانة - المسائل والعلل في

المذاهب والملل سر الحياة .

وقد جاء المسعودي على ذكر بعضها في تضاعيف « مروج الذهب » وكثيراً

ما نوه بكتابه « اخبار الزمان » و « الكتاب الاوسط » .

و « مروج الذهب » عبارة عن دراسة تاريخية وجغرافية معاً . فهو ليس

تاريخاً متصل الحلقات بعضه ببعض . ولكن عبارة عن مجموعة حوادث

واخبار ، مبني على ما رآه من البلاد ، اثناء رحلاته الخاصة وصل في سرد

الحوادث التاريخية الى سنة ٣٣٢ هـ ، وهي التي الف فيها كتابه « مروج الذهب »

جمع فيه من الحقائق التاريخية والجغرافية - بالرغم مما تخلله من اوهام - ما

لم يسبقه اليه احد .

مصادر ومراجع

أولا بالعربية ١ - الأصول القديمة

- الفهرست لابن النديم : ١٥٤
معجم الادباء ، لياقوت : ٥ : ١٤٧
قوات الوفيات لابن شاعر الكندي : ٢ : ٤٥
روضات الجنات للخوانساري ٣٧٩ - ٣٨٢
تذكرة الحفاظ للذهبي : ٣ : ٧٥
طبقات الشافعية للسبكي : ٢ : ٣٠٧
لسان الميزان ، لابن حجر العسقلاني : ٤ : ٢٢٤
كتاب الرجال ، للنجاشي : ١٧٨
كشف الظنون ، لحاجي خليفة « في أماكن مختلفة »
النجوم الزاهرة ، لابي المحاسن يوسف بن تغري
بردي : ٣ : ٣١٥
ابو علي منتهى المقال : ٢١٢
مختصر الدول الاسلامية : ١ : ١٦٧
كتب حديثة تناولته بالبحث
جرجي زيدان - تاريخ آداب اللغة العربية ،
٢ : ٣١٣
جرجي كنعان : ٤٣٧
الزركلي - الاعلام ، طبعة ١ : ٦٦
طبعة ٢ ، مجلد ٥ : ٨٧
البغدادي - ايضاح المكنون : ١ : ١٨٣
هدية العارفين : ١ : ٦٧٩
- علي ابراهيم الحسن - استخدام المصادر وطرق
البحث : ٨٥
محسن الامين العاملي - اعيان الشيعة : ٤١ :
١٩٨ - ٢١٣
آغا بزرك الطهراني - الذريعة الى مؤلفات
الشيعة : ٣ : ٣٤٧
علي مبارك - الخطط الجديدة : ١٥ : ٣٧
ميرزا محمد - نهج المقال : ٢٣١
المامقاني - تنقيح المقال : ٢ : ٢٨٢
داود الجلي - مخطوطات الموصل : ١٢٢
عباس قمي - فوائد الرضوية : ١ : ٢٧٧
عمر رضا كحالة - معجم المؤلفين : ٧ : ٨٠ - ٨١
سركيس - معجم المطبوعات ، عمود : ١٧٤٣
مقالات المجلات العربية
علي ادم - الثقافة ، ١٢ ، عدد ٦٠٩ ص
٦ - ٩
عبد الوهاب حومد - الحديث : ١٤ : ١٩٢ -
١٩٦
عيسى اسكندر الملوغ - النعمة : ١ : ٧٦ -
٨١ و ١٠٩ - ١١١
المشرق ، مجلة - المسعودي وكتابه اخبار
الزمان : ١٢ : ٦٣٧

ثانياً

En Langues Européennes

- K. Brockelmann - G. A. L., Vol. I : 141 - 143.
Quatremère, ds. J. A., Série III, Vol. VIII, p 3 - 31.
Nicholson - Literary History of the Arabs, 2d Edition, p. 350 - 54.
Encyclopedia of Islam, Vol. III. p. 403 (par Brockelmann)
Encyclopedia Britanica, Edition 1963 ; Vol. 15 : p, 44
Mingana Catalogue of Arabic Manuscripts, 381, 382.
De Slane - Catalogue des Manuscrits Arabes, I : 283, 284.
Ahlwardt - Verzeichniss der arabischen handschriften, IX : 38- 42
Islamic Culture, XXVIII : 275 - 286 ; 509 - 525.

يوسف اسعد داغر

بيروت في ٢٢/٨/١٩٦٥

مقدمة الطبعة الفرنسية

نشر المستشرق الفرنسي باريه دي مينار ، لحساب الجمعية الآسيوية للفرنسية في باريس « مروج الذهب » للمسعودي ، في ٩ مجلدات استمر العمل على نشرها من سنة ١٨٦١ - ١٨٧١ فجمع في صفحة واحدة النص العربي وترجمته الى الفرنسية . وقد وطأ الناشر لطبعته هذه بمقدمة طويلة جاءت بحثاً دقيقاً حول المسعودي و « مروج الذهب » والطريقة التي انتهجها في تحقيق الاصل والجد الذي بذله في هذا السبيل . وقد رأينا ان تثبت هذه المقدمة مترجمة الى العربية ، في مقدمة طبعتنا هذه ، فعمدنا بهذه المهمة الى احد كبار الموثقين في العالم العربي اليوم ومن كبار علماء البليوغرافيا فيه ، هو الاستاذ يوسف اسعد داغر ، الذي قام بالمهمة خير قيام .

في الوقت الذي نقدم فيه لجمهرة العلماء المجلد الأول من « مروج الذهب » للمسعودي لا بد من ان تأتي على ذكر العوامل والظروف التي تضافرت معاً فادت الى نشر هذا الكتاب . ففي عام ١٨٥٢ ، بينما كان المكلفون بتحقيق رحلة ابن بطوطة ونشرها يعملون بنشاط وحماس على اعداد طبعة علمية لها تكون فاتحة لسلسلة من المؤلفين الشرقيين تعمل الجمعية الآسيوية الفرنسية على تأمينها ، راح السيد ديرمبورغ ، الذي عهد اليه بمهمة تحقيق « مروج الذهب » واعداده للنشر ، يبذل جهوداً طيبة لاخراج هذا العمل الى حيز الوجود ، وما كادت تنتهي السنة التالية حتى كان الثلث الاول من المجلد الاول يجد طريقه للطبعة . وقد كرّس الاستاذ ديرمبورغ لعمله العلمي في تحقيق هذا الكتاب ، الفراغ الذي تركه له عمله الجاهد في فهرسة مخطوطات المكتبة الامبراطورية (الاهلية) ، اذ كان استطاع ان ينسخ نصف الكتاب المذكور ، ويقوم بتصويب القراءات المختلفة في النسخ التي عول على اعتمادها

عندما أرغمته واجبات طارئة للتخلي عن مهمة أعدت لها خير اعداد ويطيب لنا ونحن نستكمل العمل الذي قام به ان نمحضه هنا جزيل الشكر للعمل المجيد الذي قام به وللمواد الغزيرة التي توفر على جمعها وتحقيقها في هذا المضمار ، وللاستعداد الطيب الذي أكده لنا لتأمين استمرار هذه المؤازرة الثمينة . الا ان التعديلات التي كان لا بد من الأخذ بها عند كل تبدل في هيئة تحقيق كتاب يُعدّ للنشر ، عادت على العمل بالتمهل وخففت من سرعة الانجاز فتأخر تقريبا سنتين . ورغبة منا في تفادي تكبيد الجمعية الآسيوية نفقات جديدة ، لمضطررنا ان نعد توجمة جديدة ازاء الترجمة التي تمت من قبل للنص الاصلي محاولين جهدا ان نتخطى ، دون التفريط بالوقت ، الصعوبات والعراقيل التي اعترضت عملنا . فاذا بدت في ترجمتنا ، بعض الفقرات وكأنها مهتصرة ، واذا كانت بعض النصوص العربية لم تنقل بالدقة والضبط المرتجيين ، فعلى القارىء الكريم أن يأخذ بعين الاعتبار هذه الصعوبات العديدة التي واجهتنا والتي نرغب مخلصين ألا تعمق سير للعمل المطرد في المستقبل .

وقد قررنا أن نخص المجلد الاخير من هذا الكتاب ، بالفهارس العامة وغير ذلك من التحقيقات الخاصة بالمسعودي ، ومؤلفاته وآثاره الادبية . والقصد من وراء الخروج على العرف المتبع باثبات هذه المعلومات والفوائد في مقدمة الكتاب ، هو ليس تفادي العراقيل وتذليل بعض المصاعب العارضة فحسب ، بل أيضا الرغبة الثابتة في أن لا نترك شيئا للصدفة والاتفاق في عملية تحقيق هذا الكتاب خدمته بالنقد العلمي البناء ، وهو كتاب له مكانه المرموق ، ومحلته البارز بين انجازات العرب العلمية . فحياة الارتحال والاسفار والضرب في آفاق الارض شرقا وغربا التي عاشها المسعودي ، وما تكشف عنه من زخم ونشاط عارم ، وما تنزى به شق قلمه من هنات وهفوات وسقطات ، وبعبارة اخرى فيها الكثير من النصفة والعدل ، أخذه بالكثير من الاساطير والخرافات التي راجت في ذلك العصر ، فجمع على صعيد واحد ، وحشر في صفحة واحدة الكثير من المعلومات الدقيقة الى جانب الكثير من الخرافات والترهات والاساطير التي لا أساس لها ولا كفاء ،

وكلاها معطيات يجب درسها ونخلها وتمحيصها ، تخللت هذا الكتاب الذي يحمل اسمه . ولكي نستونق من هذه المعلومات ومن صحة الأشياء والقضايا الجانبية التي يثيرها موضوع بمثل هذا الاتساع وبحث بمثل هذا الشمول ، كان من الناقل ومن العبث معاً أن نعتمد كتاب السير من المؤلفين العرب الذين جاؤوا بعد المسعودي أو ساروا على نهجه واحتذوا حذوه . فاذا كان تنوع معلوماته ووفرتها الناجمة عن مطالعته ورحلاته العديدة وأسفاره المديدة جعل لهذا الكتاب أهمية كبرى بين كتب التاريخ ، فالتدقيق في هذه المواد التي أثبتتها فوضعها تحت متناولنا ، والتبسط في هذا كله استطراداً ، يخرج بنا بعيداً عن حدود هذه المقدمة . ولذا كان لا بد لنا من أن نختاط للأمر ونأخذ له عدته ، مستعينين على ذلك كله بوسائل التحقيق والتمحيص في كل ما يساعد على النهوض ببحث على مثل هذا النحو من الشمول والتعقيد . وعندما نقطع منذ الآن ، على أنفسنا عهداً بأن نعرض ، في بحث قائم بذاته ، على القارئ الكريم ، النتائج النهائية الدقيقة التي لا بد من أن ننهي إليها ، لا نجعل قط الصعوبات التي ستعرض عملنا ، كما لا تخفى علينا دقة المطلب الذي نضطلع بهمة جلوه وتوضيحه . فلنقتصر الآن على بعض لمحات خاطفة حول حياة المسعودي ، ولنتبين الخصائص التي تطبع كتابه هذا وتفرّد المواد العلمية التي يضعها تحت تصرفنا .

حول المسعودي وحياته : ينتمي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي إلى أسرة حجازية ، جدها الأول مسعود ، أحد معاصري النبي العربي . رأى النور في بغداد ، في أواخر القرن الثالث الهجري . مال منذ حداثة إلى السفر ، فزار عام ٣٠٠/٩١٢ ملتان ومدينة المنصورة . وبعد ذلك بنحو ثلاث سنوات حملته رحلاته إلى بلاد فارس وكرمان ، وجاء الهند وأقام تباعاً في مدينة كمبالي وسيمور ٣٠٤/٩١٦ ، ومر في المدة ذاتها بجزيرة سرنديب (سيلان) ثم ركب البحر باتجاه كمبالو ومدغشكر ، ومنها اتجه نحو عمان . ويستدل من فقرة غامضة وردت في مروج الذهب ، انه قام بجولات في طليزيا حتى بلغ مشارف الصين وجاب بحر الصين . وما من

شك قط انه كان يعرف معرفة خبير ، شطآن بحر قزوين وما اليه من اصقاع في الجنوب ، كما جاب الساحل الشرقي للبحر الأحمر أو القلزم . فها أن قضى أجمل سني حياته في التجوال بين البلدان البعيدة ، عاد الى ديار الاسلام لينصرف إلى تدوين ما أمكن له جمعه من معلومات وفوائد لا تحصى خلال اسفاره الطويلة . فهو نفسه يخبرنا انه قضى فترة في بلدة طبرية فلسطين ، وذلك سنة ٩٢٦/٣١٤ ، ومنها انتقل الى انطاكية ، في سوريا الشمالية ، كما انه جاء البصرة عام ٩٤٣/٣٣٢ ، وهي السنة التي انصرف فيها لوضع كتابه : « مروج الذهب » . وقد اضطر لأسباب نجعلها الى مفارقة العراق فقضى السنوات العشر التالية متنقلاً بين الشام ومصر . وفي سنة ٩٦٥/٣٤٤ نراه في مدينة القسطنطينية أو القاهرة القديمة ، وفيها وضع كتابه الأخير « التنبيه والاشراف » وفي القسطنطينية توفي ، في السنة التالية ، كما يؤكد أبو المحاسن . فقد ذكر لنا المسعودي في مقدمة كتابه : « مروج الذهب » اسماء المؤلفات التي وضعها . فاذا ما قارنا هذه الكتب ببعض فقرات وردت في كتابه : « التنبيه » نجد ان عدد الكتب التي وضعها بلغ ٢٣ كتاباً في شتى الموضوعات ، بعضها يتألف ، كما في « اخبار الزمان عن الأمم الماضية والملوك الدائرة » ، وكتاب الآخر المعروف « بالكتاب الأوسط » من ٢٠ - ٣٠ جزءاً . فأمام هذا القدر الضخم من الكتب التي وضعها ، وهذا الحشد الحاشد من المعلومات الثمينة التي جمعها في مدى حياة قصيرة شغلت منها الرحلات ، القسم الأكبر ، يعتري النفس شعور بالشك في هذا القدر ، فنرى مع سلفستردى ساسي ، ان عدداً كبيراً من هذه الكتب لم تكن مؤلفات مستقلة قائمة بذاتها ، بل فصول مختلفة لكتاب واحد . ومع ذلك ، فبقطع النظر عن التمييز الذي وضعه المؤلف نفسه بين هذه المؤلفات وكتابه الآخر : « مروج الذهب » ، ليس من الصعب علينا قط أن نجد في هذه العصور الذهبية التي ازدهر فيها الأدب العربي ، أمثلة كثيرة على هذا الخصب في الانتاج الضخم ، كالبخاري مثلاً ، وابن الأثير ، ومحمد البستي . فاذا ما اعتمدنا على كتاب « مروج الذهب » ، وكتاب « التنبيه والاشراف » ، هما الكتابان الوحيدان اللذان

عرفتها أوروبا^(١) نرى ان صاحبنا كان ينتج بسرعة هائلة ، كما يدلنا على ذلك انشاؤه المنقطع المخلخل ، وترداده الكثير للأشياء ذاتها ، والمتناقضات التي يقع فيها أو يذهب اليها ، وكلها أمور تتم عن السرعة والتعجيل وعدم التأني ، فلدت كثرة المادة وتراكمها تزعجه وتضايقه ، كما يظهر انه لم يكن لديه متسع كاف من الوقت للنخل والغريبة والاختيار من بين هذه الكنوز التي جمعها واخترنتها حافظة شديدة الأسر . فهو يتمتع بمخيلة واسعة تستعرض دفعة واحدة ، موضوعات متعددة: التاريخ والجغرافيا وأجناس البشر وعروقتهم ودولهم وملوكهم ، والأديان والعلوم والفنون ، والتقاليد والاعراف والمرويات البشرية والأقاصيص الشعبية . فقد اقتبس كثيراً وحفظ كثيراً ، وهو حريص كل الحرص ان يُطَّلِع قارئه على كل ما يعرف او ما بلغه خبره من علم وتجربة ، أو ما بلغه من علم وفن وخبر . يجري بهض التنسيب والتبويب في مواده الا انه ليس له نهج سوي في سرده وتأليفه . وفن الانتقال من موضوع الى آخر ، هذا الفن الدقيق والصعب المأخذ ، لا يكون عنده أي حرج . فبعد ان نراه ، في الفصل السادس عشر من « مروج الذهب » يطوف بقارئه على بحار العالم ويقطع معه مفاوز التبت وصحارى خراسان ، يهبط به فجأة في الأندلس ليحمله من جديد الى الهند ، ويختم هذه المسيرة يمنة ويسرة ، باستطرادات مملّة حول الطب والطبابة في الهند ، فيسرد لنا أشياء ويورد لنا أخباراً وروايات توقع المترجم والمعرّب في ألم مُعْرَق ، وتجعل القارئ على غير استعداد للحلم أو التسامح .

حول قيمة « مروج الذهب » : لنبادر للقول انه اذا ما أردنا أن نقيّم كتاب « مروج الذهب » تقييماً صحيحاً علينا ان نلاحظ جيداً بأن المسعودي جعل بين مؤلفاته العديدة ، أهمية خاصة لهذا الكتاب . ليس ما يسيء الى

(١) عن التشرق ده كريم De Kremer ، عام ١٨٤١ ، في مدينة حلب بلذات ، ط نسخة قديمة بين منها المستشرق Rodiger انها المجلد الأول من كتاب : « اخبار الزمان » للمسعودي - راجع في خبر ذلك المجلة الآسيوية الالمانية ، المجلد الخامس ، صفحة ٤٢٩ .

نشر هذا الجزء بتحقيق عبداه الصاوي - القاهرة ، ١٩٣٨ ، ص م-ع-٢٥٦ (المترجم)

اسم كاتب مشهور معروف بضخامة انتاجه ، وينتقص من شهرته ، مثل حكم متعجل على اثره عامة من خلال الحكم على بعض هذا الأثر أو على جزء منه . فكتاب « النبيه والاشراف » الذي رأى فيه كريمة أنشودة أتم ، ليس بالفعل سوى مختصر وجيز ، جامد جاف ، اذ انه مرد يمل لا مرح فيه ولا حياة ، لأسماء ومسميات وتواريخ تنفر العين من قراءتها نفورها من كشف أو فهرس تراصفت فيه الأسماء وتذالت بسام . ولكن اذا ما قارناه بـ « مروج الذهب » وعارضنا هذا بذاك ، اكتسب الأول قيمة لم تكن لتوقعها له . فالحوادث التي تخفيها الظلال لا تلبث ان تبرز بوضوح ، والصور الناصلة تأخذ بالحركة وتمور بالحياة ، فتنتظ للعين أشياء وأشياء كانت رميمياً ، فجاءت المقارنة المزدوجة تنفض عنها الجلود والحفوت وتبعثها حية متحركة . والشيء الذي لا مرأه فيه هو ان كتاب « مروج الذهب » يفيد ، هو الآخر ، فائدة كبرى لو امكنت معارضته ومقارنته بأثر آخر من نوعه لو لم يبخل الزمن بالعناصر التي تنهض بكل مقارنة ولا تستقيم بدونها أية معارضة . والمعروف أن كتاب « التاريخ في أخبار الأمم من العرب والعجم » و « الكتاب الوسط » الذي اوجز فيه كتابه الأول ووضع ذيلاً له وتتمة ، هو خير نموذج للثقافة والعلم اللذين استبحرا في القرن الرابع الهجري من تاريخ العالم الاسلامي . الا ان ضخامة هذين الأثرين واتساع مطلبها ورحابة مداها ، جعل من تضعيفها بالنسخ والتكثير عملية شاقة مبهظة حتى في عهد المؤلف . فرأى من الضرورة له ومن المنفعة للجميع ان يلخصها ويختصر ما فيها من دقق المعلومات والفوائد ، في كتاب واحد يقصره على القضايا العامة بشيء من التبسط والاستطراد ، فيه اشباع لفضول القارئ العادي ، دون ان يعفي العالم والباحث المتقضي من الرجوع الى مطولاته الأخرى ، اذا ما رغب في التزايد والتوسع والاستبحار وهذه الخاطرة أو الفكرة بالذات هي التي أوحى اليه بوضع كتابه : « مروج الذهب » وأخذ بتنفيذها بكل حمة ونشاط ، عام ٣٣٢ ، وهو تاريخ يحلو له ان يردده ويكثر من الاشارة اليه والتنويه به ، في كل مناسبة ، بشيء من الرضى والزهو ، اذ لم يمتج لأكثر من سنة واحدة لوضع هذا الكتاب في نسخته أو صررته الأولى ، وهي

النسخة التي وصلتنا منه . وقد رحّب الملاء العلمي بهذا الكتاب واستقبله بالرضى وراحت النسخ منه تترى بسرعة أضرت كثيراً بصحة الكتاب وسلامة إصالته ، اذ نرى المؤلف قبل بضع سنوات من وفاته يعد طبعة أو نسخة جديدة ، منقحة ، مزيدة من « مروج الذهب » ، كاد يتضاعف معها حجم الكتاب الأول . غير أن النسخة الأولى كانت غزت ، بالرغم مما تسرب اليها من هفوات وهنات ، وقلب وبدل ، مكتبات العصر من عامة وخاصة ، بأعداد كثيرة ، وكان القارئ العادي أكثر ارتياحاً لها من المؤلف نفسه ، فأستمر الناس يتناقلونها ويتداولونها ، دون الثانية التي كانت أوسع وأدق وأصح ، وهي النسخة التي اعتمدها الكتاب والمؤرخون الذين جاؤوا بعد المسعودي وعولوا عليها .

كوّن الملاء العلمي في أوروبا ، رأياً عالياً حول المسعودي ، منذ القرن الثامن عشر ورفعه الى مرتبة سامقة . ومن نافـل السعي وبطلانه ان يجند الراء اليوم للدفاع عن المسعودي لدرء التهم التي يرميها به [المستشرق الالماني] رابكه . فالملاحظات التي يبديها مؤلف : « مقدمة ابن خلدون » ، ترتكز على أمور صحيحة ، تنحصر في أغلاط وهنات وسقطات تتعلق بتفاصيل عامة . ومن العدل والانصاف ان نقر هنا بأن ابن خلدون هو أعمق تفكيراً وأبعد مداءلاً في استدلالاته التاريخية وأحكامه الصائبة فهو يستمد الكثير من « دلائلنا » التي يضربها لنا في مباحثه ونظراته الفلسفية ، من المسعودي نفسه : « إمام الكتاب والباحثين » ، وهي العبارة بالذات التي يستعملها ابن خلدون^(١) .

(١) وضع رينان دراسة مسهبه قارن فيها بين الرحالة والمؤرخ العربي المسعودي وبين الرحالة الجغرافي والمؤرخ اليوناني بوزانياس (القرن الثاني للميلاد) لما بينهما من صلة وقربى في النهج والمساق ، ختمها بامور واحكام من الصير التسليم بها . فالرحالة اليوناني هو فنان وشاعر يجي ويعيش ويتحمس للاساطير اليونانية ، والخرافات المروية كما انه معجب بماثر اليونان . فالكتاب الذي وضعه بعنوان « رحلة في اليونان » لا يتعدى مداها حدود بلاده الأم ، بينما الرحالة والجغرافي المسلم المسعودي ، هو مؤلف موسوعي ، أقل حماسة من الأول الا أنه أكثر فضولاً علمياً واطلاعاً ، فاخذ من العالم المعروف في عهده مجالاً لنشاطه ورحلانه . فبوزانياس .الذي يلقيه ←

عرف الغرب كثيراً من النقول والقطوف المأخوذة من « مروج الذهب » ، جعلت لصاحبها شهرة واسعة في الغرب ، قبل ان ينهض مستشرق انكليزي معروف ، هو الدكتور لويس سبرنجر Sprenger ويتولى ترجمتها لحساب لجنة الترجمات في لندن . فالجلد الأول الذي صدر منها عام ١٨٥١ ، يضم الفصول السبعة عشر الأولى من « مروج الذهب » مرفقة بشروح وتعليقات وافرة . ففي مقدمة مستفيضة تمجّ باللمسات الدقيقة والنظرات الصائبة وتمتاز بالاصالة والعمق ، يعرب الكاتب عن الضرورة المطلقة ووجوب التعويل على دراسة الشرق ، للكشف عن أصل الانسانية وعن مراحل التطور التي مر بها . وفي سبيل هذا المطلب المروم حاول الدكتور سبرنجر ان يجمع لمشروع الترجمة التي قام بها ، ولهذه السلسلة من المباحث بعدها لهذه الغاية ، أدق المعلومات وأوثقها يستمدّها من هذه الكنوز المذخورة من المخطوطات العربية المكثّسة في مكاتب الغرب . فقد سبق له ان قام ، في هذا السبيل وهياً للنشر مئات القطوف والمنتقيات ، فاذا بهذه الحركة تتوقف فجأة بانتقاله الى الهند ، وينقطع بالتالي تحقيق الأمانى التي عقدت على هذه المحاولة البكر . ان تحقيق المنهاج الذي رسمه المترجم الانكليزي المشهور يقتضي له ، ولا شك ، مدى حياة بطولها مهما امتدت ، حتى لو بذلت جميع الجهود التي خططت لها الجمعية الآسيوية .

إن إعداد نص بالدقة اللازمة لتأمين إصالته وتوثيقه بمعارضته بنسخ أخرى من المخطوطة وتزويدها بترجمة دقيقة ، امينة على نسبة ما تسمح به كفاءة اللغة وقدرتها على الاداء ، كل هذا وما اليه يكون الرسالة التي عهد بها الينا والتي سنبدل في سبيل تحقيقها كل عزيز ومرتخص ، وكل جهد وعناء . ومع أنه قلما توجد نصوص تقتضي من الشروح والتعليق ما اقتضانا نص

→ سكاليجر Scaliger ويصفه بأنه « Graecorum omnium mendacivissimus » . يهزه ان يبرز امامنا، شاهد عيان لكثير من هذه الخوارق التي يروها . فما من احد يشك او يرتاب بسلامة طوية المسعودي . فذكرياته المتزاحمة تجعله يتبه ويضل ، الا انه لا يذهب فريسة خياله الجامع . فان كان يبدو عليه أحياناً سفسطانياً في الحالة الأولى ، فهو في الثانية ذو فضول ساذج ، الا انه مخلص كل الاخلاص ، على كل حال .

مخطوطة « مروج الذهب » التي اعتمدها ، فقد نهجنا في ذلك نهج من تقدمنا في هذا المضمار عندما أخذ يعد للنشر رحلة ابن بطوطة ، ولم نشر في الحواشي الا الى ما كان لا مندوحة من ذكره من اختلاف القراءات بين النسخة والاخرى .

فباستثناء بعض الفروق التي لا بد من التنويه بها والاشارة اليها أو بعض الغلطات الواضحة التي لم يكن بد من الاستدراك عليها ، كانت طريقتنا أن وضعنا بين عاقتين ، التصويبات التي رأينا ادخالها على النص المترجم . فاذا كانت ترجمتنا تختلف ، في بعض الاحيان ، اختلافاً بيناً عن الترجمة الانكليزية فلم نقطع بالشكل المثبت إلا بعد علم وتدقيق ، وبعد أن نكون . أشبعنا الفروق العارضة في النسخ التي بين يدينا ، درساً وتمحيصاً . والملاحظة ذاتها تطبق مجذافيرها على القطوف التي وضعت لها ترجمات من قبل ، لاسيما الفصل الخاص منها بالهند الذي تم نشره مترجماً الى الانكليزية على يد مستر جلد مايستر Gildemeister^(١) وغير ذلك من المقتطفات الاخرى التي اتى على ذكرها وبيانها مسيورينو^(٢) . فقد عهدنا الى هذه المنشورات العلمية واعتمدها لما هي عليه من ضبط ودقة ، مقدرين عالياً ما لها من فضل وما قدمته لنا من خدمة سابقة .

النسخ التي حققناها ، واننا نختم هذه الملاحظات والاستدراكات العامة بكلمة عابرة حول النسخ التي اعتمدها في عملية تأصيل النص وتوثيقه .

بين مخطوطات « مروج الذهب » الثلاث الموجودة في المكتبة الامبراطورية [الاهلية] . بباريس مخطوطة واحدة كاملة ، وبدون اغلاط تقريباً ، هي المخطوطة التي تحمل الرقم ٧١٤ في ملحق فهرس المخطوطات الذي وضعه مسيو

(١) وذلك في كتابه المنون *Scriptorum Arabum de rebus indicis loci et opuscula* - Bonn , 1838 , 1er fascicule .

(٢) اجات عن الهند مأخوذة من رحلات العرب والعجم الى الهند والصين *Mémoires sur l'Inde , Relations de voyages faits par les Arabes et les Perses dans l'Inde et la Chine* .

رينو ، وهي التي نشر اليها هنا بحرف (A) . وقد جيء بها من القسطنطينية ، منذ نحو ٣٠ سنة وهي تتألف من جزئين بقطع (in - 12) ، يضم الجزء الاول منها ٤٧٣ ورقة ، والثاني ٣٥٩ ورقة . والمخطوطة المذكورة بخط ناسخين مختلفين . فمن الورقة ٢٧٢ من الجزء الاول ، وكل الجزء الثاني مما بقلم خطاط او ناسخ افريقي يدعى محمد بن احمد البندري ، الذي انتهى من نسخ الكتاب عام ١١٢٠ هـ / ١٧٠٨ ، وهذه المخطوطة هي ، بلا منازع ، احسن واكمل نسخ مخطوطات مروج الذهب في مكاتب أوروبا جمعاء ، فتكاد لا تجد فيها نقصاً ما ، وكتابة اسماء الاعلام هي اقل تشويهاً ومسغاً منها في اية مخطوطة اخرى ولذا اعتمدها فكانت النسخة الاولى او النسخة الام التي عولنا عليها .

اما المخطوطة الثانية ، وهي نسخة (B) فهي التي تحمل رقم ٥٩٨ من المجموعة القديمة للمخطوطات (Ancien Fonds) . فهي من الحجم او القطع الكبير (in - folio) وتتألف من ١٣٧ ورقة . وقد تمت كتابتها في مدينة صغد من اعمال فلسطين ، عام ٩٧٤ هـ / ١٥٦٦ للميلاد ، على يد خطاط يدعى ابراهيم ابو اليمن ، وخطها جميل انما غير مضبوط ، وهي مخرومة بنقصها قسم من المقدمة ، كما أن النص فيها ينتهي بالفصل ٣٥ .

أما المخطوطة الثالثة فتحمل رقم ٥٧٩ من مجموعة المخطوطات القديمة والتي رمزنا اليها بحرف (C) . فهي تتألف من ثلاثة اجزاء من قطع الربع (in - 4) . أغلاطها جسيمة ونواقصها عديدة تشوها ونجعلها قليلة النفع والجدوى .

وقد رمزنا بحرف (D) الى مخطوط رابع هو ملك الجمعية الآسيوية في باريس ، وهي نسخة كاملة تتألف من ٣١٢ ورقة من القطع الكبير (in - folio) تم الفراغ من نسخها في شهر رجب عام ٥٩١ هـ / ١١٩٤ على يد هبة الله بن محمد بن علي بن حسن القرشي . ووضع هذه النسخة لا ينهض قط بالثقة التي يمكن ان نوليها اياها لِقِدَم تاريخها . فقد أدخل عليها من

القلب والابدال في النص ما يذهب بالمعنى ، كما أن نظام الترقيم والتنقيط وعدم ضبط اسماء الاعلام واسقاط الحركات والشكل يجعل قراءة النص صعباً للغاية، فلم نلجأ اليها الا نادراً وبكل تحفظ، ولم نعد اليها الا عندما كان الأمر يتعلق بخراسان والهند . وهي تحمل في هوامشها الجانبية تعليقات وتصويبات بيد كاتب فارسي، افدنا منها احياناً . وقد تم شراء هذه المخطوطة منذ بضع سنوات في مدينة بناريس، من اعمال الهند على يد السيد ليز Lees الذي كان مزماً ان ينشرها كاملة . ولا يسعنا هنا الا ان ننوه عالياً بكرم واريحية هذا الفاضل الذي ليس فقط عدل عن نشر هذه المخطوطة لما اطلع على عزمنا على نشر « مروج الذهب » فحسب، بل انه تنازل لنا عن النسخة التي يملكها .

وبفضل عناية السادة امناء مكتبة ليدن ، تمكن الاستاذ ديرمبرغ مز، الحصون على مخطوطتين ، تحملان في فهرس دوزي الرقم ٥٣٧ و ٢٨٢ ، وعارضها بدقة مع النسخ التي تملكها المكتبة الامبراطورية في باريس . والاستاذ سبرنجر الذي استعان في ترجمته للكتاب بالنسخة ٥٣٧ ، يرى فيها ادق واضبط مخطوطة وقعت بين يديه ، الا انها مخرومة ، مع الاسف ، ولا تضم سوى الفصول الاولى ٣٧، غير ان مقارنة هذه المخطوطة بالمخطوطة (A) مكننا من الوصول الى ادق القراءات . والمخطوطة رقم ٢٨٢ التي يبدو خطها ونسخها اقل عناية من الاخرى ، ساعدتنا كثيراً على الجزم بصدد عدد من النصوص التي اشد حولها التردد . وقد اشرنا الى المخطوطة رقم ٥٧٣ بحرف (L) كما رمزنا الى المخطوطة رقم ٢٨٢ بحرف (Lr) .

ولنذكر هنا اخيراً قطوفاً من مخطوطة افريقية قام بنسخها طالب الحساب مسيو شربونو Cherbonneau استاذ اللغة العربية في مدينة قسطنطين من اعمال الجزائر الى الشرق منها، تلافى السيد ديفرييري فوضعها تحت تصرفنا . وهذه النسخة التي تضم نحواً من مائة ورقة من قطع الربع ، تبتدىء بالفصل الخامس ، وهو الخاص بالهند وتقف عند البدء بوصف مصر . فالخط جميل معتمى به ، الا انه من المؤسف جداً ألا تكون هذه الفصول سوى مختارات

غير كاملة ، تطول او تقصر ، اذ ان المخطوطة الأم او النسخة الاصلية التي أخذت منها هذه المقتطفات تبدو قديمة جيدة الحفظ (١) .

فاذا ما اخذ القارئ الكريم بعين النظر كثرة الموضوعات التي عالجا المؤلف وتنوعها وسقم النصوص التي بين ايدينا والتي عولنا عليها واعتمدنا اليها في ضبط النص وتأصيله ، لا يسهه الا ان يتجاوز عن هذه الهفوات والسقطات التي ذهب اليها المحقق في هذا العمل الشاق الطويل النفس ، الذي اخذ به في عملية اعداد هذه النسخة للنشر . ونحن نرحب بكل نقد بناء يصحح أو يسدد من مساويء هذه الطبعة أو يزيد لها تأصيلاً فيجعلها معتمدة لدى الملاء العلمي ، وبذلك تم على الوجه الاكمل الرسالة التي عهدت بها اليها الجمعية الاسلامية .

المرجم

يوسف اسعد داغر

(١) هنالك نسخ مخطوطة من « مروج الذهب » غير التي جيء على وصفها هنا . منها نسخة في المكتبة الامبروزيانية ، في ميلانو ، تجد التعريف بها وبارصافها في المجلة الايطالية R. S. O مجلد ١٧ : ٩٧ ، ونسخة أخرى ، في مكتبة القرويين ، في فاس ، تحت رقم ١٢٩٨ كما جاء الدكتور دارد جلي ، في كتابه : « مخطوطات الموصل » على وصف مخطوطتين ، الأولى في ص ١٢٢ تحت رقم ٢٢ والثانية في ص ١٧٣ ، رقم ٣٢ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله أهل الحمد ، ومُستوجب الثناء والمجد ، وصلى الله على سيدنا
محمد خاتم النبيين ، وعلى آله الطاهرين ، وسلم تسليماً إلى يوم الدين .

باب ذكر جوامع أغراض هذا الكتاب

أما بعد ، فإننا صَنَّفْنَا كتابنا في أخبار الزمان^(١) ، وقدَّمنا القول
فيه في هيئة الأرض ، ومدُنْها ، وعجائبها ، وبحارها ، وأغوارها ،
وجبالها ، وأنهارها ، وبدائع معادنها ، وأصناف مَنَاهلها ، وأخبار
غِيَاضِها ، وجزائر البحار ، والبُحَيْرَاتِ الضَّخْمَاتِ ، وأخبار الأبنية
المُعَظَّمَةِ ، والمساكن المشرَّفة ، وذكر شأن المبدأ ، وأصل النسل ،
وتبَّأين الأوطان ، وما كان نهراً فصار بحراً ، وما كان بحراً
فصار برّاً ، وما كان برّاً فصار بحراً ، على مرور الأيام ، وكرُّور
الدهور ، وعلَّة ذلك ، وسببه الفلكي والطبيعي ، وانقسام الأقاليم
بخواص الكواكب ، ومعاطف الأوتاد ، ومقادير النواحي والآفاق ،
وتبَّأين الناس في التاريخ القديم ، واختلافهم في بدئته وأوليته ، من
الهند وأصناف الملَّحدين ، وما ورد في ذلك عن الشرعيين ، وما
نطقت به الكتب وورد على الدِّيَّانِيَّينَ .

(١) للؤلؤ كتابان وهذا الكتاب هو مختصر لهما .

ثم أتبعنا ذلك بأخبار الملوك الغابرة ، والأمم الدائرة ، والقرون الخالية ، والطوائف البائدة على مرّ سيرهم ، في تغير أوقاتهم وتضيق أعصارهم ، من الملوك والفراعنة العادية والأكامرة واليونانية ، وما ظهر من حكمهم ومقائل فلاسفتهم وأخبار ملوكهم ، وأخبار العناصر ، إلى ما في تضايف ذلك من أخبار الأنبياء والرسل والأقبياء ، إلى أن أفضى الله بكرامته وشرف برسالته محمداً نبيه صلى الله عليه وسلم ، فذكرنا مولده ، ومنشأه ؛ وبعثته ، وهجرته ، ومعازيه ، ومراياه ، إلى أوان وفاته ، واتصال الخلافة ، واتساق المملكة بزمان زمن ؛ ومقاتل من ظهر من الطالبين ، إلى الوقت الذي شرعنا فيه في تصنيف كتابنا هذا من خلافة المتقي لله أمير المؤمنين ، وهي سنة اثنتين وثلاثين وثلثائة .

ثم أتبعناه بكتابنا الأوسط في الأخبار على التاريخ وما اندرج في السنين الماضية ، من لدن البدء إلى الوقت الذي عنده انتهى كتابنا الأعظم وما تلاه من الكتاب الأوسط .

ورأينا إيجاز ما بسطناه ، واختصار ما وسطناه ، في كتاب لطيف نودعه لجمع ما في ذينك الكتابين مما ضمناهما ، وغير ذلك من أنواع العلوم ، وأخبار الأمم الماضية ، والأعصار الخالية ، بما لم يتقدم ذكره فيها .

على أنا نعتذر من تقصير إن كان ، وتنتصل من إغفال إن عرّض ؛ لما قد شاب خواطرنا ، وغمر قلوبنا ، من تقاذف الأسفار وقطع القفار ، قارة على متن البحر ، وقارة على ظهر البر ، مستعينين بدائع الأمم بالمشاهدة ، عارفين خواص الأقاليم بالمعاينة ، كقطننا بلاد السند والزنج والصنف والصين والزابج ، وتقعنا الشرق والغرب ، قارة بأقصى خراسان ، وقارة بوسائط إرميلية

وأذربيجان والران والبيلقان، وطوراً بالعراق، وطوراً بالشام: فسَيري في الآفاق، سَرى الشمس في الاشراق، كما قال بعضهم:

تَيَمَّمْ أَقْطَارَ الْبِيْلَادِ ؛ فَتَارَةً
لَدَى شَرْقِيهَا الْأَقْصَى وَطَوْرًا إِلَى الْغَرْبِ
سُورَى الشَّمْسِ ، لَا يَنْفَكُ تَقْذِيفُهُ النَّوَى
إِلَى أَفْقٍ نَاهٍ يُقْصَرُ بِالرَّكْبِ

قال المصنف: ثم مفاوضتنا أصناف الملوك على تباير أخلاقهم، وتباين مهمهم، وتباعد ديارهم، وأخذنا بمسلك مسلك من مواقفهم، على أن العلم قد بادت آثاره، وطمس مناره، وكثر فيه العناء، وقلّ الفهلاء؛ فلا تُعَيْن إلا مُمَوِّها جاهلا، ومتعاطيا ناقصا، قد قنع بالظنون، وعمي عن اليقين، لم ترَ الاشتغال بهذا الضرب من العلوم والتفرغ لهذا الفن من الآداب، حتى صنفنا كتبنا من ضروب المقالات، وأنواع الديانات، ككتاب «الابانة عن أصول الديانة»، وكتاب «المقالات في أصول الديانات»، وكتاب «سر الحياة»، وكتاب «نظم الأدلة»، في أصول الملة، وما اشتمل عليه من أصول الفتوى وقوانين الأحكام: كتيقن القياس، والاجتهاد في الأحكام، ووقع الرأي والاستحسان، ومعرفة الناسخ من المنسوخ، وكيفية الاجماع وماهيته، ومعرفة الخاص والعام، والأوامر والنواهي، والحظر والإباحة، وما أتت به الأخبار من الاستفاضة والآحاد، وأفعال النبي صلى الله عليه وسلم، وما ألحق بذلك من أصول الفتوى، ومناظرة أنباء الخصوم فيما تازعوننا فيه، وموافقتهم في شيء منه، وكتاب «الاستبصار في الإمامة ووصف أقاويل الناس في ذلك من أصحاب النص والاختيار، وحجاج كل فريق منهم»، وكتاب «الصفوة

في الإمامة ، وما احتواه ذلك ، مع سائر كتبنا في ضروب علم الظواهر والبواطن والجلي والخبفي والدائر والوافر ، وإيقاظنا على ما يرتقبه المرتقبون ، ويتوقعه المحدثون ، وما ذكروه من نور يلعب في الأرض وينبسط في الجذب والخصب ، وما في عقب الملاحم الكائنة ، الظاهر أنباؤها المتجلّي أوائلها ، إلى سائر كتبنا في السياسة ، كالسياسة المدنية وأجزاء المدينة ومثلها الطبيعية ، وانقسام أجزاء الملة والإبانة عن المواد ، وكيفية تركيب العوالم ، والأجسام السماوية ، وما هو محسوس وغير محسوس ، من الكثيف واللطيف ، وما قال أهل النخعة في ذلك .

الباعث له على التأليف

وكان ما دعاني إلى تأليف كتابي هذا في التاريخ ، وأخبار العالم ، وما مضى في أكناف الزمان من أخبار الأنبياء والملوك وسيرها والأمم ومساكنها محبة احتذاء الشاكلة التي قصدتها العلماء ، وقفاها الحكماء ، وأن يبقى للعالم ذكراً محموداً ، وعلماً منظوماً عتيداً ، فإننا وجدنا مُصنّفي الكتب في ذلك مُجيداً ومُقَصِّراً ، ومسهباً ومختصراً ، ووجدنا الأخبار زائدة مع زيادة الأيام ، حادثة مع حدوث الأزمان ، وربما غاب البارِع منها على الفطن الذكي ، ولكل واحد قِسطٌ يخصه بمقدار عنايته ، ولكل إقليم عجائب يقتصر على علمها أهله ، وليس من لزم جهة وطنه وقنع بما تُنمي إليه من الأخبار عن إقامه كمن قسّم عمره على قطع الأقطار ، ووزّع أيامه بين تقاضات الأسفار ، واستخراج كل دقيق من معدنه ، وإثارة كل نفيس من مكنونه .

وقد ألفت الناس كتباً في التاريخ والأخبار بمن سلف وخلف ،

فأصاب البعض وأخطأ البعض ، وكل قد اجتهد بفاية إمكانه ، وأظهر
مكتون جوهر فطنته : كوثب بن منب ، وأبي مخنف لوط
ابن يحيى العامري ومحمد بن إسحاق ، والواقدي ، وابن الكلبي ، وأبي
عبيدة مضر بن المثني ، وأبي العباس الهمداني ، والهيثم بن عدي
الطائي ، والشرقي بن القطامي ، وحاتم الراوية ، والأصمعي ، وسهل
ابن هرون ، وعبدالله بن المقفع ، واليزيدي ، ومحمد بن عبدالله العتبي ،
الأموي ، وأبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري ، والنضر بن شمائل ،
وعبدالله بن عائشة ، وأبي عبيد القاسم بن سلام ، وعلي بن محمد
الدائفي ، ودماذ بن رفيع بن سلمة ، ومحمد بن سلام الجعفي ، وأبي
عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وأبي زيد عمر بن شبة النميري ،
والزرق الأنصاري ، وأبي السائب الخزومي ، وعلي بن محمد بن سليمان
النوفلي ، والزبير بن بكتار ، والانجيلي ، والرياشي ، وابن عابد ،
وعمارة بن وسيمة المصري ، وعيسى بن طيبة المصري ، وعبد الرحمن
ابن عبدالله بن عبد الحكم المصري ، وأبي حسان الزياتي ، ومحمد بن
موسى الخوارزمي ، وأبي جعفر محمد بن أبي السري ، ومحمد بن
الهيثم بن شبابة الخراساني صاحب كتاب الدولة ، وإسحق بن إبراهيم
الموصللي صاحب كتاب الأغاني وغيره من الكتب ، والخليل بن الهيثم
الهرتمي صاحب كتاب الحيل والمكاييد في الحروب ربه ، ومحمد بن
يزيد المبرد الأزدي ، ومحمد بن سليمان المنقري الجوهري ، ومحمد بن
زكريا الغلابي المصري المصنف للكتاب المترجم بكتاب الأجواد وغيره ،
وابن ابي الدنيا مؤدب المكتفي بالله ، وأحمد بن محمد الخزاعي
المعروف بالحاقاني الانطاكي ، وعبدالله بن محمد بن محفوظ البلوي
الأنصاري صاحب أبي يزيد عمارة بن زيد المدني ، وأحمد بن محمد
ابن خالد البرقي الكاتب صاحب التبيان ، وأحمد بن أبي طاهر صاحب

الكتاب المعروف بأخبار بغداد وغيره ، وابن الوشاء ، وعلي بن مجاهد صاحب الكتاب المعروف بأخبار الأمويين وغيره ، ومحمد بن صالح بن النطاح صاحب كتاب الدولة العباسية وغيره ، ويوسف بن إبراهيم صاحب أخبار إبراهيم بن المهدي وغيرها ، ومحمد بن الحارث الثعلبي صاحب الكتاب المعروف بأخلاق الملوك المؤلف للفتح بن خاقان وغيره ، وأبي سعيد السكري صاحب كتاب أبيات العرب ، وعبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة ، فإنه كان إماماً في التأليف متبرعاً في ملاحاة التصنيف ، أتبعه من يُعتمد ، وأخذ منه ، ووطيء على عقبه ، وقفنا أثره . وإذا أردت أن تعلم صحة ذلك فانظر الى كتابه الكبير في التاريخ فإنه أجمع هذه الكتب جداً ، وأبرعها نظماً ، وأكثرها علماً ، وأحوى لأخبار الأمم وملوكها وسيرها من الأعاجم وغيرها ، ومن كتبه النفيسة كتابه في المسالك والممالك وغير ذلك مما إذا طلبته وجدته ، وإذا تفقدته حمدته ، وكتاب التاريخ من المولد الى الوفاة ، ومن كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم من الخلفاء إلى خلافة المعتضد بالله ، وما كان من الاحداث والكوائن في أيامهم وأخبارهم ، تأليف محمد بن علي الحسيني العلوي الدينوري ، وكتاب التاريخ لأحمد بن يحيى البلاذري ، وكتابه أيضاً في البلدان وفتوحها من دعوه من جره النبي صلى الله عليه وسلم وما فتح في أيامه وعلى يد الخلفاء بعده ، وما كان من الأخبار في ذلك ، ووصف البلدان في الشرق والغرب والشمال والجنوب ، ولا نعلم في فتوح البلدان أحسن منه ، وكتاب داود بن الجراح في التاريخ الجامع لكثير من أخبار الفرس وغيرها من الأمم ، وهو جد الوزير علي بن عيسى بن داود بن الجراح ، وكتاب التاريخ الجامع لفنون من الأخبار والكوائن في الأعصار قبل الاسلام وبعده ، تأليف أبي عبد الله محمد بن الحسين

131597

ابن سوار المعروف بابن اخت عيسى بن فرخان شاه ، بلغ في تصنيفه الى سنة عشرين وثلثمائة ، وتاريخ أبي عيسى بن المنجم على ما انبأت به التوراة وغير ذلك من أخبار الأنبياء والملوك ، وكتاب التاريخ ، وأخبار الأمويين ومناقبهم ، وذكر فضائلهم ، وما أتوا به عن غيرهم ، وما أحدثوه من السير في أيامهم ، تأليف أبي عبد الرحمن خالد بن هشام الأموي ، وكتاب القاضي أبي بشر الدؤلبي في التاريخ ، والكتاب الشريف تأليف أبي بكر محمد بن خلف بن وكيع القاضي في التاريخ وغيره من الأخبار ، وكتاب السير والأخبار لمحمد بن خالد الهاشمي ، وكتاب التاريخ والسير لأبي إسحاق بن سليمان الهاشمي ، وكتاب سير الخلفاء لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي صاحب كتاب المنصوري في الطب وغيره ، فأما عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري فمن كثرت كتبه واتسع تصنيفه ، ككتابه المترجم بكتاب المعارف وغيره من مصنفاته .

ثناؤه على أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

وأما تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري الزاهي على المؤلفات ، والزائد على الكتب المصنفات ، فقد جمع أنواع الأخبار ، وحوى فنون الآثار ، واشتمل على صنوف العلم ، وهو كتاب زكتر فائدته ، وتنفع عائدته ، وكيف لا يكون كذلك؟! ومؤلفه فقيه عصره ، وناسك دهره ، إليه انتهت علوم فقهاء الأمصار ، وحملة السنن والآثار ، وكذلك تاريخ أبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الواسطي النحوي الملقب بـ **بِنْفَطَوِيْنِه** فحشو من ملاحه كتب الخاصة ، مملوء من فوائد السادة ، وكان أحسن أهل عصره تأليفاً ، وأملحهم تصنيفاً وكذلك ملك محمد بن يحيى الصولي في كتابه المترجم بكتاب

الأوراق في أخبار الخلفاء من بني العباس وبني أمية ، وشعرائهم ووزرائهم ، فإنه ذكر غرائب لم تقع لغيره ، وأشياء تفرّد بها لأنه شاهدها بنفسه . وكان محظوظاً من العلم ، ممدوداً من المعرفة مرزوقاً من التصنيف وحسن التأليف ، وكذلك كتاب الوزراء وأخبارهم لأبي الحسن علي بن الحسن المعروف بابن الماشطة ؛ فإنه بلغ في تصنيفه إلى آخر أيام الرازي بالله .

ثناؤه على قدامة

وكذلك أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب ؛ فإنه كان حسن التأليف ، بارع التصنيف ، موجزاً للألفاظ ، مقرباً للعاني ، وإذا أردت علم ذلك فانظر في كتابه في الأخبار المعروف بكتاب زهر الربيع ؛ وأشرف على كتابه المترجم بكتاب الخراج ؛ فانك تشاهد بها حقيقة ما قد ذكرنا ، وصدق ما وصّفنا ، وما صنّفه أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي الفقيه في كتابه في الأخبار الذي يعارض فيه كتاب الروضة للمبرد ولقبه بالباهر ، وكتاب إبراهيم ابن ماهويه الفارسي الذي عارض فيه المبرد في كتابه الملقب بالكامل وكتاب إبراهيم بن موسى الواسطي الكاتب في أخبار الوزراء الذي عارض فيه كتاب محمد بن داود بن الجراح في الوزراء ، وكتاب علي بن الفتح الكاتب المعروف بالمطوق في أخبار عدة من وزراء المقتدر بالله ، وكتاب زهرة الميون وجلاء القلوب تأليف المصري ، وكتاب التاريخ تأليف عبد الرحمن بن عبد الرازق المعروف بالجوزجاني السدي ، وكتاب التاريخ وأخبار الموصل تأليف أبي ذكرة الموصلي ، وكتاب التاريخ تأليف أحمد بن يعقوب المصري في أخبار العباسيين وغيرهم ، وكتاب التاريخ في أخبار الخلفاء من بني العباس وغيرهم

لعبد الله بن الحسين بن سعد الكاتب ، وكتاب محمد بن يزيد بن أبي الأزهري في التاريخ وغيره ، وكتابه المترجم بكتاب المهرج والأحداث .

نقد المؤلف لثابت بن قرة الحراني

وَرَأَيْتَ سِنَانَ بْنَ ثَابِتِ بْنِ قُرَّةَ الْحَرَّانِيَّ - حِينَ انْتَعَلَ مَا لَيْسَ مِنْ صِنَاعَتِهِ ، وَاسْتَنْهَجَ مَا لَيْسَ مِنْ طَرِيقَتِهِ - قَدْ أَلْفَا كِتَابًا جَعَلَهُ رِسَالَةً إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ مِنَ الْكُتَّابِ ، وَاسْتَفْتَحَهُ بِجَوَامِعٍ مِنَ الْكَلَامِ فِي أَخْلَاقِ النَّفْسِ وَأَقْسَامِهَا مِنَ النَّاطِقَةِ وَالغَضْبِيَّةِ وَالشَّهْوَانِيَّةِ ، وَذَكَرَ لُتَمًا مِنَ السِّيَاسَاتِ الْمَدِينِيَّةِ بِمَا ذَكَرَهُ أَفْلَاطُونُ فِي كِتَابِهِ فِي السِّيَاسَةِ الْمَدِينِيَّةِ ، وَهُوَ عَشْرُ مَقَالَاتٍ ، وَلَمَّا بِمَا يَجِبُ عَلَى الْمُلُوكِ وَالْوُزَرَاءِ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَخْبَارٍ يَزْعَمُ أَنَّهَا صَحَّتْ عِنْدَهُ وَلَمْ يَشَاهِدْهَا وَوَصَلَ ذَلِكَ بِأَخْبَارِ الْمُعْتَضِدِ بِاللَّهِ ، وَذَكَرَ صَحْبَتَهُ إِيَّاهُ ، وَأَيَّامَهُ السَّالِفَةَ مَعَهُ ، ثُمَّ تَرَقَّى إِلَى خَلِيفَةِ خَلِيفَةٍ فِي التَّصْنِيفِ ، مُضَادَّةً لِرِسْمِ الْأَخْبَارِ وَالتَّوَارِيخِ وَخُرُوجًا عَنْ جَمَلَةِ أَهْلِ التَّأْلِيفِ ، وَهُوَ وَإِنْ أَحْسَنَ فِيهِ ، وَلَمْ يَخْرُجْهُ عَنْ مَعَانِيهِ ، فَإِنَّمَا عَيْبُهُ أَنَّهُ خَرَجَ عَنْ مَرَكِزِ صِنَاعَتِهِ ، وَتَكَلَّفَ مَا لَيْسَ مِنْ مِهْنَتِهِ ، وَلَوْ أَقْبَلَ عَلَى عِلْمِهِ الَّذِي انْفَرَدَ بِهِ مِنْ عِلْمِ إِقْلِيدِسَ وَالْمَقْطَعَاتِ وَالْمَجَسْطِيِّ وَالْمَدُورَاتِ ، وَلَوْ اسْتَفْتَحَ آرَاءَ سِقْرَاطِ وَأَفْلَاطُونِ وَارِسْطَاطَالِيْسَ ، فَأَخْبَرَ عَنِ الْأَشْيَاءِ الْفَلَكيَّةِ ، وَالآثَارِ الْعُلُويَّةِ ، وَالْمَزَاجَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ ، وَالنَّسَبِ وَالتَّأْلِيفَاتِ ، وَالنَّتَائِجِ وَالْمَقْدِمَاتِ ، وَالصَّنَائِعِ الْمُرَكَّبَاتِ ، وَمَعْرِفَةِ الطَّبِيعِيَّاتِ : مِنَ الْإِلَهِيَّاتِ ، وَالْجَوَاهِرِ وَالْهَيْئَاتِ ، وَمَقَادِيرِ الْأَشْكَالِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْفَلَسْفَةِ - لَكَانَ قَدْ سَلِمَ بِمَا تَكَلَّفَهُ ، وَأَتَى بِمَا هُوَ أَلِيقٌ بِصِنْعَتِهِ ، وَلَكِنَّ الْعَارِفَ بِقُدْرِهِ مُعْزِزٌ ، وَالْعَالِمُ بِمَوَاضِعِ الْخَلَّةِ مَفْقُودٌ ، وَقَدْ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُتَفَعِّعِ : مَنْ وَضَعَ كِتَابًا فَقَدْ اسْتَهْدَفَ ، فَإِنْ أَجَادَ فَقَدْ اسْتَشْرَفَ ،

وان أساء فقد استقذف .

قال ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي : ولم نذكر من كتب التواريخ والاعخبار والسير والآثار إلا ما اشتهر مصنفوها ، وعرف مؤلفوها ولم تتعرض لذكر كتب تواريخ أصحاب الأحاديث في معرفة أسماء الرجال وأعصارهم وطبقاتهم ؛ إذ كان ذلك كله أكثر من أن تأتي على ذكره في هذا الكتاب ، إذ كنا قد أتينا على جميع تسمية أهل الأعصار من حملة الآثار ، ونقلة السير والأخبار ، وطبقات أهل العلم من عصر الصحابة ، ثم من تلامم من التابعين ، وأهل كل عصر على اختلاف أنواعهم ، وتنازعهم في آرائهم : من فقهاء الأمصار وغيرهم من أهل الآراء والنحل والمذاهب والجدل ، إلى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، في كتابنا المترجم بكتاب أخبار الزمان ، وفي الكتاب الأوسط .

ع

تعداد فوائد هذا الكتاب

وقد وسمت كتابي هذا بكتاب « مروج الذهب » ومعادن الجوهر ، ؛ لنفاسة ما حوآه ، وعظم خطر ما استولى عليه : من طوابع بوارع ما تضمنته كتبنا السالفة في معناه ، وُغرر مؤلفاتنا في مغزاه ، وجعلته تحفة للأشراف من الملوك وأهل الدرايات ؛ لما قد ضمنته من جمل ما تدعو الحاجة اليه ، وتنازع النفوس إلى علمه من دراية ما سلف وغبر في الزمان ، وجعلته مُنَبِّها على أغراض ما سلف من كتبنا ، ومشملاً على جوامع يحسن بالأديب العاقل معرفتها ، ولا يُعذر في التغافل عنها . ولم نترك نوعاً من العلوم ، ولا فناً من الأخبار ، ولا طريقة من الآثار ، إلا أوردناه في هذا الكتاب مفصلاً ، أو ذكرناه بجملاً ، أو أشرنا اليه بضرب من الاشارات ، أو لوحنا اليه بفحوى

من العبارات .

المؤلف ينهى عن التصرف في الكتاب

فمن حرف شيئاً من معناه ، أو أزال ركناً من مبناه ، أو طمس واضحة من معالجه ، أو لبس شاهدة من تراجمه ، أو غيره ، أو بدله ، أو أشانه (١) ، أو اختصره ، أو نسب إلى غيرنا ، أو أضافه إلى سوانا ، فوفاه من غضب الله وسرعة نقمه وفوادح بلاياه ما يَمْجَزُ عنه صبره ، ويحار له فكره ، وجعله الله مُثَلَّةً للعالمين ، وعبرة للمعتبرين ، وآية للمتوسمين ، وسلبه الله ما أعطاه ، وحال بينه وبين ما أنعم به عليه : من قوة ونعمة مُبْدِعُ السموات والأرض ، من أي الملل كان والآراء ، انه على كل شيء قدير .

وقد جعلت هذا التخويف في أول كتابي هذا وآخره ، ليكون رادعاً لمن ميته هوى ، أو غلبه شقاء ، فليراقب الله ربه ، وليحاذر مُنْقَلَبَهُ ، فالمدّة يسيرة ، والمسافة قصيرة ، والى الله المصير .

وهذا حين نبدأ يجمل ما استودعناه هذا الكتاب من الأبواب وما حوى كل باب منها من أنواع الأخبار ، وبالله التوفيق .

(١) أشانه : أفسده .

الباب الثاني

ذكر ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الأبواب

أبواب الكتاب

قد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ذكرنا لأغراضه ، فلنذكر الآن جملاً من كمية أبوابه على حسب مراتبها فيه ، واستحقاقها منه ، لكي يقرب تناولها على مريدها .

فأول ذلك ذكر المبدأ وشأن الخليقة وذرة البرية من آدم إلى إبراهيم عليها الصلاة والسلام .

ذكر قصة إبراهيم عليه السلام ومن تلا عصره من الأنبياء والملوك من بني إسرائيل .

ذكر ملك أرخبعم بن سليمان بن داود ، ومن تلا عصره من ملوك بني إسرائيل وجمل من أخبار الأنبياء والملوك من بني إسرائيل .

ذكر أهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم .
ذكر جمل من أخبار الهند وأربابها ومدد ممالكها وسيرها وآرائها في عبادتها .

ذكر الأرض والبحار ، ومبادئ الأنهار والجبال ، والأقاليم السبعة وما والاها من الكواكب وغير ذلك .

ذكر جمل من الأخبار عن انتقال البحار ، وجمل من أخبار الأنهار الكبار .

ذكر الأخبار عن البحر الحبشي ، وما قيل في مقداره وتشعبه وحنجانه .

ذكر تنازع الناس في المدّة والنجزر ، وجومع ما قيل في ذلك .
ذكر البحر الرومي ، ووَصَف ما قيل في طوله وعرضه وأبتدائه
وآنتهائه .

ذكر بحر نيطنس ، وبحر مايطس ، وخليج القسطنطينية .
ذكر بحر الباب والأبواب والخزر وجرجان ، وجملة من الأخبار
عن ترتيب جميع البحار .

ذكر ملوك الصين والترك ، وتفرق ولد عامور ، وأخبار الصين
وملوكتهم ، وجوامع من سيرهم وسياساتهم وغير ذلك .
ذكر جل من الأخبار عن البحار ، وما فيها وما حولها من
العجائب والأمم ومراتب الملوك ، وغير ذلك .

ذكر جبل القبيج ، وأخبار الأمم من اللان والسيرير والخزر ،
وأنواع من الترك والبلغر ، وأخبار الباب والأبواب ، ومن حولهم من
الملوك والأمم .

ذكر ملوك السريانيين .

ذكر ملوك الموصل ونيّنوّي ، وهم الصوريون .

ذكر ملوك بابل من النبط وغيرهم ، وهم الكلدانيون .

ذكر ملوك الفرس الأولى وسيرها ، وجوامع من أخبارها

ذكر ملوك الطوائف الأشعانيين ، وهم بين الفرس الأولى والثانية

ذكر أنساب فارس ، وما قاله الناس في ذلك .

ذكر ملوك الساسانية ، وهم الفرس الثانية ، وسيرهم ، وجوامع

من أخبارهم .

ذكر ملوك اليونانيين وأخبارهم ، وما قال الناس في بدء أنسابهم .

ذكر جوامع من أخبار حرب الإسكندر بأرض الهند .

ذكر ملوك اليونانيين بعد الإسكندر .

ذكر الروم وما للناس في بدء أنسابهم ، واعدد ملوكهم ،
وتاريخ سنيهم ، وجوامع من سيرهم .

ذكر ملوك الروم المنتصرة ، وهم ملوك القسطنطينية ، ولمع مما
كان في أعصارهم .

ذكر ملوك الروم بعد ظهور الإسلام إلى أرمنوس ، وهو الملك
في سنة اثنتين وثلاثين وثلثائة .

ذكر مصر ، ونيلها ، وأخبارها ، وبنائها ، وعجائبها ، وأخبار
ملوكها .

ذكر اخبار الإسكندرية وبنائها وملوكها وعجائبها ، وما لحق بهذا الباب .
ذكر السودان ، وأنسابهم ، واختلاف أجناسهم وأنواعهم ،
وتباينهم في ديارهم ، وأخبار ملوكهم .

ذكر الضغالة ، ومساكنهم ، وأخبار ملوكهم ، وتفرق أجناسهم .
ذكر الإفرنجية والجلالقة وملوكها ، وجوامع من أخبارها وسيرها
وحروبها مع أهل الأندلس .

ذكر النوكبرد وملوكها ، والأخبار عن مساكنها .
ذكر عاد وملوكها ، ولتمع من أخبارها ، وما قيل في طول
أعمارهم .

ذكر ثمود وملوكها ، وصالح نبيها عليه السلام ، ولمع من أخبارها .
ذكر مكة وأخبارها ، وبناء البيت ، ومن تداوله من جرهم
وغيرهم ، وما لحق بهذا الباب .

ذكر جوامع من الأخبار في وصف الأرض والبلدان ، وحنين النفوس
إلى الأوطان .

ذكر تنازع الناس في المعنى الذي من أجله سمي اليمن يمناً ،
والشام شاماً ، والمراق ، والحجاز .

ذكر اليمن وأنسابها ، وما قاله الناس في ذلك .
 ذكر اليمن وملوكها من التبابعة وغيرها ، وسيرها ومقادير سنيها .
 ذكر ملوك الحيرة من اليمن وغيرهم وأخبارهم .
 ذكر ملوك الشام من اليمن من غسان وغيرهم ، وما كان من أخبارهم .

ذكر البوادي من العرب ، وغيرهم من الأمم ، وعِلَّةُ سُكْنَاهَا
 البدو ، وأكراد الجبال ، وأنسابهم ، وجُمَلُ من أخبارهم ، وغير ذلك
 مما اتصل بهذا الباب .

ذكر دِيانات العرب ، وآرائها في الجاهلية ، وتفرقتها في البلاد ،
 وأخبار أصحاب الفيل ، وأمر الأحابيش ، وغيرهم ، وعبد المطلب ،
 وغير ذلك مما يلحق بهذا الباب .

ذكر ما ذهب إليه العرب في النفوس والهَامِ والصَّفَرِ . وأخبارها
 في ذلك .

ذكر أقاويل العرب في التَّغْوِيلِ والغيلان ، وما قاله غيرهم من
 الناس في ذلك وغير ذلك مما لحق بهذا الباب واتصل بهذه المعاني .
 ذكر أقاويل الناس في الهواتف والجان ، من العرب وغيرهم ممن
 أثبت ذلك ونفاه .

ذكر ما ذهب إليه العرب من القِيَافَةِ والمِيَافَةِ والزَّجْرِ والسَّانِحِ
 والبارح ، وغير ذلك .

ذكر الكَهَانَةِ وصفتها ، وما قاله الناس في ذلك من أخبارها ،
 وحد الناطقة وغيرها من النفوس ، وما قيل فيما يراه النائم ، وما
 اتصل بهذا الباب .

ذكر جمل من أخبار الكهان ، وسيل العَرِمِ بأرض سبأ ومأرب
 وتفرق الأزْدِ في البلدان وسكنام في البلاد .

ذكر سني العرب والمعجم ، وشهورها ، وما اتفق منها وما اختلف .
ذكر شهور القبط والسريانيين ، والخلاف في اسمائها ، وجل من
التاريخ ، وغير ذلك مما اتصل بهذا المعنى .
ذكر شهور السريانيين ، ووصف موافقتها لشهور الروم ، وعدد أيام
السنة ومعرفة الأنواء .

ذكر شهور الفرس ، وما اتصل بذلك .
ذكر أيام الفرس ، وما اتصل بذلك .
ذكر سني العرب ، وشهورها ، وتسمية أيامها ولياليها .
ذكر قول العرب في ليالي الشهور القمرية ، وغير ذلك مما اتصل
بهذا المعنى .

ذكر القول في تأثير النيرين في هذا العالم ، وجل مما قيل في
ذلك مما اتصل بهذا الباب .
ذكر أرباع العالم والطبائع والأهوية ، وما خص به كل جزء
منه ، من الشرقي والغربي واليميني والجنوبي ، وغير ذلك من سلطات
الكواكب

ذكر البيوت المعظمة ، والهياكل المشرفة ، وبيوت النيران
والأصنام ، وعبادات الهند ، وذكر الكواكب ، وغير ذلك من
عجائب العالم .

ذكر البيوت المعظمة عند اليونانيين ووصفها .
ذكر البيوت المعظمة عند الصقالية ووصفها .
ذكر البيوت المعظمة عند أوائل الروم ووصفها .
ذكر بيوت معظمة وهياكل مشرفة للصابئة من الحرائيين ،
وغيرها ، وما فيها من العجائب والأخبار وغيرها .

ذكر الأخبار عن بيوت النيران، وكيفية بنائها، وأخبار الجوس فيها، وما لحق ببنائها.

ذكر جامع تاريخ العالم من بدئه إلى مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وما اتصل بهذا الباب من العلوم.

ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم، ونسبه، وغير ذلك مما لحق بهذا الباب.

ذكر مبعثه عليه الصلاة والسلام، وما كان في ذلك إلى هجرته صلى الله عليه وسلم.

ذكر هجرته، وجوامع مما كان في أيامه إلى وفاته صلى الله عليه وسلم.

ذكر الأخبار من أمور وأحوال كان - سولده إلى حين وفاته صلى الله عليه وسلم.

ذكر بدىء به عليه الصلاة والسلام من الكلام، مما لم يحفظ قبله عن حد من الأنام.

ذكر حادثة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ونسبه، ولمع من أخباره وسيره.

ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ونسبه، ولمع من أمثاله وسيره.

ذكر خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ونسبه، ولمع من أخباره وسيره.

ذكر خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ونسبه، ولمع من أخباره وسيره. ونسب إخوته وأخواته.

ذكر الأخبار عن يوم الجمل وبدنه ، وما كان فيه من الحروب ،
وغير ذلك .

ذكر جوامع مما كان بين أهل العراق وأهل الشام بصفتين .
ذكر الحكمين ، وبدء التحكيم .

ذكر حروبه رضي الله عنه مع أهل النهروان ، وهم الشراة ،
والمحق بهذا الباب .

ذكر مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

ذكر لمع من كلامه ، وزهده ، وما لحق بهذا المعنى من أخباره .
ذكر خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولمع
من أخباره وسيره .

ذكر أيام معاوية بن أبي سفيان ، ولمع من أخباره وسيره ،
ونوادير من بعض أخباره .

ذكر جمل من أخلاق معاوية وسياسته ، وطرف من عيون أخباره .
ذكر الصعابة ومدحهم ، وعلي بن أبي طالب والعباس رضي الله
عنهم ، وفضلهم .

ذكر أيام يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .

ذكر مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنها ، ومن
قتل من أهل بيته وشيعته .

ذكر أسماء ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

ذكر لمع من أخبار يزيد بن معاوية وسيره ، ونوادير من بعض
أفعاله ، وما كان منه في الحرّة وغيرها .

ذكر أيام معاوية بن يزيد ، ومروان بن الحكم ، والمختار بن أبي
عبيد ، وعبد الله بن الزبير ، ولمع من أخبارهم وسيرهم ، وبعض ما
كان في أيامهم .

ذكر أيام عبد الملك بن مروان ، ولمع من أخباره وسيره ،
والحجاج بن يوسف ، وأفعاله ، ونوادير من أخباره .
ذكر لمع من أخبار الحجاج بن يوسف وخطبته ، وما كان منه
في بعض أفعاله .

ذكر أيام الوليد بن عبد الملك ، ولمع من أخباره وسيره وما
كان من الحجاج في أيامه .

ذكر أيام سليمان بن عبد الملك ، ولمع من أخباره وسيره .
ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم رضي الله
عنه ، ولمع من أخباره وسيره وزهده .

ذكر أيام يزيد بن عبد الملك ، ولمع من أخباره وسيره .
ذكر أيام هشام بن عبد الملك ، ولمع من أخباره وسيره .
ذكر أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ولمع من أخباره وسيره .
ذكر أيام يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وإبراهيم بن الوليد بن
عبد الملك ، ولمع من أخبارهما .

ذكر السبب في العصبية بين اليمانية والنزارية ، وما ولد ذلك
على بني أمية من الفتنة .

ذكر أيام مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، وحروبه ، ومقتله .
ذكر مقدار المدة من الزمان ، وما ملكت فيه بنو أمية من الأعوام .
ذكر الدولة العباسية ولمع من أخبار مروان ، ومقتله وجوامع من
حروبه وسيره .

ذكر خلافة السفاح ، وجمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان في أيامه .
ذكر خلافة أبي جعفر المنصور ، وجمل من أخباره وسيره ، ولمع
مما كان في أيامه .

ذكر خلافة المهدي ، وجمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان في أيامه .

- ذكر خلافة الهادي ، وجمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة الرشيد ، وجمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان في أيامه .
 ذكر البرامكة وأخبارهم ، وما كان منهم في أيامهم .
 ذكر خلافة الأمين ، وجمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المأمون ، وجمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المعتصم ، وجمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة الواثق ، وجمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المتوكل ، وجمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المنتصر ، وجمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المستعين ، وجمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المعز ، وجمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المهدي ، وجمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المعتمد ، وجمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المعتضد ، وجمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المكتفي ، وجمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المقتدر ، وجمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة القاهر ، وجمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة الراضي ، وجمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان في أيامه .
 ذكر خلافة المتقي لله ، وجمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان
 في أيامه .
 ذكر خلافة المستكفي ، وجمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان
 في أيامه .
 ذكر خلافة المطيع ، وجمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان
 قد جرى في أيامه .

ذكر جامع التاريخ الثاني : من الهجرة الى هذا الوقت ، وهو جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، وقد انتهينا فيه الى الفراغ من هذا الكتاب .

ذكر مَنْ حج بالناس من أول الاسلام الى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ، وهو آخر الكتاب .

ذكر جبل ألقابهم وما ورد عن ذوي الدراية في أعدادهم .

قال المسعودي : فهذه جوامع ما حوى هذا الكتاب من الأبواب ، على أنه ، قد يأتي في كل باب مما ذكرناه من أنواع العلوم وفنون الأخبار والآثار ما لم تأت عليه تراجم الأبواب ، وهو مرتب على حسب ما قدمناه من أبوابه على تفصيل منا لتاريخ الخلفاء ومقادير أعمارهم بأبواب تُفردُها عن سيرهم وأخبارهم ، ثم نعقب بعد ذلك بالغرر من أخبارهم ، والعيون من سيرهم ، والجوامع مما كان في أعصارهم وأخبار وزرائهم ، وما جرى من انواع العلوم في مجالسهم ، مُلَوِّحين بذلك إلى ما سلف من تصنيفنا ، وتقدم من تأليفنا في هذه المعاني والفنون .

وعدد ما اجتمع من جميع ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الأبواب مائة باب واثنان وثلاثون بابا ، أولها ذكر جميع أغراض هذا الكتاب ، والثاني ذكر ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الأبواب وآخرها ذكر مَنْ حج بالناس من أول الإسلام إلى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة وذكر جبل ألقابهم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وما نوفيقي إلا بالله

الباب الثالث

ذكر المبدأ وشأن الخليقة

وَذَرَّةَ الْبَرِّيَّةِ

اتفق أهل العلم جميعاً من أهل الإسلام أن الله عز وجل خلق الأشياء على غير مثال، وابتدعها من غير أصل، ثم روي عن ابن عباس وغيره أن أول ما خلق الله عز وجل الماء، وكان عرشه عليه، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دُخَانًا، فارتفع الدخان فوق الماء فسماه سماء، ثم أَيْبَسَ الماء فجعله أرضاً واحدة. ثم فَتَقَهَا فجعلها سَبْعَ أَرْضِينَ، في يومين الأحد والاثنين، وخلق الأرض على حُوتٍ، والحوت هو الذي ذكره الله سبحانه في القرآن في قوله تعالى: (ن والقلم وما يسطرون) والحوت في الماء، والماء على الصِّفَا، والصِّفَا على ظهر ملك، والملك على صخرة، والصخرة على الريح، وهي الصخرة التي ذكرها الله تعالى في القرآن -سكاية عن قول لقمان لابنه: (يا بُنَيَّ إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتك في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله، إن الله لطيف خبير) فاضطرب الحوت فتزلزلت الأرض، فأرسي الله عليها الجبال فَقَرَّتْ الأرض، وذلك قوله تعالى: والقى

في الأرض رَوَاسِيَّ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) وخلق الجبال فيها ، وخلق
أَقْوَاتَ أَهْلِهَا ، وسخرها وما ينبغي لها ، في يومين في يوم الثلاثاء
والأربعاء ، وذلك قوله تعالى : (قل أنتم لتكفرون بالذي خلق
الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ، ذلك رب العالمين ، وجعل فيها
رواسي من فوقها وبَارَكْ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ
سِوَاهِ اللَّيَالِي ، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض
ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين) فكان ذلك الدخان من
نَفَسِ الْمَاءِ حِينَ تَنَفَسَ فَجَعَلَهَا سَمَاءً وَاحِدَةً ، ثم فَتَقَّهَا فَجَعَلَهَا
سَبْعاً فِي يَوْمَيْنِ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ ، وإنما سُمِّيَ الْجُمُعَةُ لِأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ
فِيهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، ثم قال : (وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا)
يقول : خلق في كل سماء خلقها من الملائكة والبحار وجبال السُّرَدِ ،
وان سماء الدنيا من زمردة خضراء ، والسماء الثانية من فضة بيضاء ،
والسماء الثالثة من ياقوتة حمراء ، والسماء الرابعة من درة بيضاء ،
والسماء الخامسة من ذهب أحمر ، والسماء السادسة من ياقوتة صفراء ،
والسماء السابعة من نور ، قد طبقها الله بملائكة قيام على رِجْلٍ
وَاحِدَةٍ تَعْظِيماً لِلَّهِ لِقُرْبِهِمْ مِنْهُ قَدْ خَرَقَتْ أَرْجُلُهُمُ الْأَرْضَ السَّابِعَةَ
وَاسْتَقَرَّتْ أَقْدَامُهُمْ عَلَى مَسِيرَةِ خَمْسِينَ عَامًا تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ ،
وَرَوْوَسَهُمْ تَحْتَ الْعَرْشِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَبْلُغَ الْعَرْشَ ، وهم يقولون : لا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ، فهم على ذلك منذ خلقوا إلى أن
تقوم الساعة ، وتحت العرش بحر تنزل منه أرزاق الحيوان يوحى
الله تعالى إليه فَيُمَطِّرُ مَا شَاءَ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ ، حتى ينتهي إلى
موضع يقال له الأبرم ، فيوحي الله إلى الريح فتحمله إلى السحاب
فتغربه ، وتحت سماء الدنيا بحر من ماء يطفح فيه من الدواب مثل
ما في بحور الأرض مستمسك بالقدرة ، وان الله تعالى أسكن ظهر

الأرض - لما فرغ من خلقها -- الجن ، قبل آدم ، فجعلهم من مارج من نار ، وإبليس فيهم ، فنهاهم الله ان يسفكوا دم البهائم ، وان يظهروا المعصية بينهم ، فسفكوا وعدا بعضهم على بعض ، فلما رآهم إبليس لا يقلعون عن ذلك سأل الله تعالى أن يرفعه إلى السماء فصار مع الملائكة يعبد الله أشد عبادة ، وأرسل الله إلى الجن - وهم حزب إبليس - قبلا من الملائكة فطردوهم إلى جزائر البحار وقتلوا من شاء الله منهم ، وجعل الله إبليس على سماء الدنيا خازنا ، فوق في صدره كبر .

ثم شاء الله عز وجل أن يخلق آدم فقال الله للملائكة : (إني جاعل في الأرض خليفة) فقالوا : ربنا وما يكون ذلك الخليفة ؟ قال تكون له ذرية ، ويُفْسِدُونَ في الأرض ، ويتحاسدون ، ويقتل بعضهم بعضا ، فقالوا : ربنا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال : إني أعلم ما لا تعلمون) .

ثم بعث الله جبريل إلى الأرض ليأتيه بطين منها ، فقالت له الأرض : إني أعوذ بالله منك أن تنقصني !! فرجع ولم يأخذ منها شيئا وقال : يا رب ، إنها عاذت بك ثم بعث الله ميكائيل فقالت له مثل ذلك ، فرجع ولم يأخذ منها شيئا . فبعث الله ملك الموت فعادت بالله منه ، فقال : وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ الأمر ، فأخذ من تربة سوداء وحمراء وبيضاء ؛ فلذلك خرج بنو آدم مختلفين في الألوان ، وسمى آدمَ لأنه خرج من أديم الأرض ، وقيل غير ذلك . ووكل الله ملك الموت بالموت ، وجبَّله الله تعالى ، وتركه حتى صار طينا لازبا يلزق بعضه ببعض ، أربعين سنة ، ثم تركه حتى أنتن وتغير أربعين سنة ، وذلك قوله تعالى : (من حمل مَسْنُونًا) أي : متغير منتن ، ثم صورَه وتركه بلا روح من اتصال كالفخار

حق أتى عليه مائة وعشرون سنة ، وقيل : أربعون سنة ، وهو قوله تعالى : (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) فكانت الملائكة تمرُّ به فيفزعون منه ، وكان أشدهم فزعاً إبليس ، كان يمر به فيضربه برجله فيظهر له صوت كظهوره من الفخار وتكون له صلصلة ، وذلك قوله تعالى : (من صلصال كالفخار) وقد قيل : ان الصلصال غير ما ذكرناه ، وكان إبليس يدخل من فيه ويخرج من دبره ، ويقول : لأمر ما خلقت ، فلما أراد الله تعالى أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة : اسجدوا لآدم ، فسجدوا إلا إبليس (أبى واستكبر) وقال : يا رب (أنا خير منه ، خلقتني من نار وخلقته من طين) والنار أشرف من الطين ، وانا الذي كنت مستخلفاً في الأرض ، وانا الملبس بالريش والموشح بالنور ، والمتوج بالكرامة ، وانا الذي عبدتك في سمائك وأرضك ، فقال الله تعالى : (فاخرج منها فإنك رجيم ، وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين) فسأل الله المهلة إلى يوم يُبعثون ، فأنظره الله إلى يوم الوقت المعلوم ، وذهب على إبليس المعنى الذي له ومن أجله أمرَ لآدم بالسجود : فمن الناس من رأى أن آدم كان محراباً للأمورين بالسجود والمقصود بذلك الخالق عز وجل ، وموافقة الامر والطاعة له على سبيل البلوى والاختبار والمحنة الواقعة بالمكلفين ، ومنهم من رأى غير ذلك ، ثم نفخ الله تعالى في آدم من روحه ؛ فكان كلما دخل في بعضه الروح يذهب ليجلس فقال الله تعالى : (وكان الانسان عجولاً) ولما تابَعَ فيه الروح عَطِسَ ، فقال الله له : قل الحمد لله ، يرحمك الله يا آدم

قال المسعودي : وما ذكرناه من الأخبار في مبدأ الخليقة هو ما جاءت به الشريعة ، ونقله الخلف عن السلف ، والباقي عن الماضي ، نافعبر عنهم على حسب ما نقل إلينا من ألفاظهم ووجدناه في

كتبهم ، مع شهادة الدلائل بحدوث العالم واتضحها بكونه ، ولم
تعرهن لوصف قول من وافق ذلك وانقاد اليه من أهل الملل
القائلين بالحدوث . ولا الرد على من سوام من خالف ذلك وقال
بالقدم ؛ لذكرنا ذلك فيما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا ، وقد
ذكرنا في مواضع كثيرة من كتابنا هذا جملاً من علوم النظر
والبراهين والجدل تتعلق بكثير من الآراء والنحل وذلك على طريق
الخير .

وروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال :
إن الله حين شاء تقدير الخليفة وذرة البرية وإبداع المبدعات نصب
الخلق في صور كاهبَاء قبل تحوير الأرض ورفع السماء ، وهو في
انفراد ملكوته وتوحد جبروته فأفاح نوراً من نوره فلمع ، ونزع قبساً
من ضيائه فسطع ، ثم اجتمع النور في وسط تلك الصور الخفية
فوافق ذلك صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال الله عز
من قائل : أنت المختار المنتخب ، وعندك مستودع نوري
وكنوز هدايتي ، من أجلك أسطح البطحاء ، وأمرج الماء ، وأرفع
السماء ، وأجعل الثواب والعقاب والجنة والنار ، وأنصب أهل بيتك
للهداية ، وأوتيهم من مكنون علمي ما لا يشكل عليهم دقيق ولا
يُغيبهم خفي ، وأجعلهم حجتي على بريتي ، والمنبئين على قدرتي
ووحدانيتي ، ثم أخذ الله الشهادة عليهم بالربوبية والإخلاص
وبالوحدانية فبعد أخذ ما أخذ من ذلك شاب ببصائر الخلق انتخاب
محمد وآله ، وأراهم أن الهداية معه والنور له والإمامة في آله ؛
تقدماً لسنة العدل ، وليكون الإعذار متقدماً ، ثم أخفى الله الخليفة
في غيبه ، وغيبها في مكنون علمه ، ثم نصب العوامل وبسط
الزمان ، ومرج الماء ، وأثار الزبد ، وأهاج الدخان ، فطفأ عرشه

على الماء ، فسطح الأرضَ على ظهر الماء ، وأخرج من الماء دخاناً
 فجعله السماء ، ثم استجلبها الى الطاعة فأذعنتا بالاستجابة ، ثم أنشأ
 الله الملائكة من أنوار أبدعها ، وأرواح اخترعها ، وقرنَ بتوحيده
 نبوةَ محمد صلى الله عليه وسلم فشهرت في السماء قبل بعثته في الأرض ،
 فلما خلق الله آدم أبانَ فضله للملائكة ، وأراهم ما خصه به من
 سابق العلم من حيث عرفه عند استنبائه إياه أسماء الأشياء ،
 فجعل الله آدم محراباً وكعبة وباباً وقبلة أسجد إليها الأبرار
 والروحانيين الأنوار ، ثم نبه آدم على مستودعه ، وكشف له عن خطر
 ما ائتمنه عليه ، بعدما سماه إماماً عند الملائكة ، فكان حظ آدم
 من الخير ما أراه من مستودع نورنا ، ولم يزل الله تعالى ينجبأ النور تحت
 الزمان إلى أن فضل محمداً صلى الله عليه وسلم في ظاهر الفترات ،
 فدعى الناس ظاهراً وباطناً ، وندبهم سرّاً وإعلاناً ، واستدعى عليه
 السلام التنبيه على العهد الذي قدّمه إلى الذرّة قبل النسل ؛ فمن
 وافقه وقبس من مصباح النور المقدم اهتدى الى سره ، واستبان
 واضح أمره ، ومن أبلسته الغفلة استحق السخط ، ثم انتقل النور الى
 غرائزنا ، ولمع في أمتنا ، فنحن أنوار السماء وأنوار الأرض ، فبنا
 النجاة ، ومنا مكنون العلم ، وإلينا مصير الأمور ، وبمهدينا تنقطع
 الحجج ، خاتمة الأئمة ، ومنقذ الأمة ، وغاية النور ، ومصدر الأمور ،
 فنحن أفضل المخلوقين ، وأشرف الموحدين ، وحجج رب العالمين ؛ فليهنأ
 بالنعمة من تمسك بولايتنا ، وقبض على عروفتنا ، فهذا ما روي عن
 أبي عبد الله جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن
 الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أمير المؤمنين علي بن أبي
 طالب كرم الله وجهه ، ولم نتعرض لكثير من أسانيد هذه الأخبار
 وطرقها ؛ لأننا قد أتينا على جميع ذكرها واتصالها في النقل بن

ذكرناها عنه وعزّوناها إليه فيما سلف من كتبنا خوف الإكثار والتطويل في هذا الكتاب .

وأما ما وجد في التوراة فهو أن الله تعالى ابتداء الخلق في يوم الاثنين ، وكان انتهاء الفراغ يوم السبت ، فاتخذ اليهود لذلك يوم السبت عيداً ، وزعم أهل الإنجيل أن المسيح عليه السلام قام من قبره يوم الأحد ، فاتخذوا ذلك اليوم عيداً .

أما ما ذهب إليه الجمهور من أهل الفقه والآثار فهو أن الابتداء كان يوم الأحد والفراغ يوم الجمعة ، وفيه نُفِخَ في آدم الروح ، وهو اليوم السادس من نيسان ، ثم خلقت حواء من آدم ، وأسكننا الجنة ثلاث ساعات مضت منه ، فكثنا ثلاث ساعات ، وهو ربيع يوم بمائتي سنة وخمسين سنة من أعوام الدنيا ، وأهبط الله آدم بسرنديب ، وحواء بجُدّة ، وإبليس ببيسان ، والحية بأصبهان ، فهبط آدم بالهند على جزيرة سرنديب على جبل الراهون وعليه الورق الذي خصّفه من ورق الجنة ، فبئس ، فذرت الرّيح فانتثر في بلاد الهند ، فيقال والله أعلم : إن علة كون الطيب بأرض الهند من ذلك الورق ، وقيل غير ذلك ، ولذلك خصت أرض الهند بالعود والقرنفل والأفاويه والمسك وسائر الطيب ، وكذلك الجبل ، لمعت عليه اليواقيت وكان منه الماس ، وفي جزائر بحره السنبادج ، وفي قعره مغائص اللؤلؤ ، وإن آدم لما أهبط من الجنة أخرج منها ومعه صرة من الخنطة وثلاثون قضيباً من شجرات الجنة مودعة أصناف الثمار : منها عشرة مما له قشّر ، وهي : الجوز ، واللوز ، والجلوز ، وهو البندق ، والفتق ، والخشخاش ، والشاهبلوط ، والرانج ، والرمان ، والموز ، والبلوط ، ومنها عشرة ذات نوى ، وهي : الخوخ ، والمشمش ، والإجاص ، والرطب ، والغبيراء ، والنبق ، والزعرور ، والعتاب ، والمقل ، والشاهلوج وهذا إسم

فارسي وتفسيره ملك الإجاص ومنها عشرة مما لا قشر لها ولا حجاب دون مطعمها ولا نوى داخلها ، وهي : التفاح ، والسفرجل ، والعنب والكمثرى ، والتين ، والتوت ، والتمر ، والقثاء ، والخيار ، والخروب ، ويقال : إن آدم لما أهبط من الجنة هو وحواء هبطا متفارقين ؛ فتعارفا بالموضع الذي يسمى عَرَفَةَ ، وبتعارفها فيه سمى بهذه التسمية ، وقيل غير ذلك ، وإن آدم عليه السلام تآقَ الى الى حواء ففشيها فاشتملت على ذكر وأنثى فسمى الذكر قايِنَ والأنثى لويذاء ، ثم عاود الغشيان فاشتملت حواء أيضاً على ذكر وأنثى فسمى الذكر هابيل والأنثى أقليمياء ، وقد تنوزع في اسم الولد الاول منها : فذهب الأكثر من أهل الكتاب وغيرهم أن اسمه قايِنَ على ما ذكرنا ، ومنهم من رأى أن اسمه قابيل وهو قول فريق من الناس ، والأغلب ما قدمناه ، وقد ذكر علي بن الجهم في قصيدته في بدء الخلق والذرة ذلك فقال :

واقْتِنِيَا ابْنِ فِمْي قَايِنَا وَعَايِنَا مِنْ نَسْتِهِ مَا عَايِنَا
فَشِبَّ هَابِيلُ وَشَبَّ قَايِنُ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا تَبَايُنُ
وَذَكَرَ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنَّ آدَمَ زَوَّجَ أُخْتِ هَابِيلَ لِقَايِنَ ، وَاخْتِ
قَايِنَ لِهَابِيلَ ، وَفَرَّقَ فِي النِّكَاحِ بَيْنَ الْبَطْنَيْنِ ، وَهَذِهِ كَانَتْ سَنَةَ
آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامِ احْتِيَاطًا لِأَقْصَى مَا يُمْكِنُهُ فِي ذَوِي الْمَحَارِمِ لِمَوْضِعِ
الْاضْطِرَارِ وَعَجْزِ النَّسْلِ عَنِ التَّبَايُنِ وَالْإِغْتِرَابِ . وَقَدْ زَعَمَتِ الْجُوسُ
أَنَّ آدَمَ لَمْ يَخَالَفْ فِي النِّكَاحِ بَيْنَ الْبَطْنَيْنِ وَلَمْ يَتَحَرَّ الْمَخَالَفَةَ ، وَلَهُمْ
فِي هَذَا الْمَعْنَى سِرٌّ يَدَّعُونَ فِيهِ الْفَضْلَ فِي صَلَاحِ الْحَالِ بِتَرْوِيحِ الْأَخِ
مِنْ أُخْتِهِ وَالْأُمِّ مِنْ ابْنِهَا ، وَقَدْ آتَيْنَا بِهِ فِي الْفَنِّ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ
كِتَابِنَا الْمَوْسُومِ بِـ « أَخْبَارِ الزَّمَانِ ، وَمَنْ أَبَادَهُ الْحَدَثَانِ ، مِنْ الْأُمَمِ
الْمَاضِيَةِ ، وَالْأَجْيَالِ الْخَالِيَةِ ، وَالْمَمَالِكِ الدَّائِرَةِ ، وَإِنَّ هَابِيلَ وَقَايِنَ قَرَبًا

قرباناً فَتَحَرَّى هابيل أجود غنمه وأجود طعامه فقربه ، وتحرى قايين شر ماله وقربه ، فكان من أمرهما ما قد حكاه الله تعالى في كتابه العزيز من قتل قايين هابيل ، ويقال : إنه اغتاله في برية قاع ، ويقال : إن ذلك كان ببلاد دمشق من أرض الشام وكان قتله شديداً بحجر ، فيقال : إن الوحوش هنالك استوحشت من الإنسان ، وذلك أنه بدأ فبلغ الغرض بالشر والقتل ، فلما قتله تحير في توريته ، وحمله يطوف به الأرض ، فبعث الله غراباً إلى غراب فقتله ودفنه ، فأسف قايين ثم قال ما حكاه القرآن عنه : (يا ويلتنا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي) فدفنه عند ذلك ، فلما علم آدم بذلك حزن وجزع وارثاع وهلع .

قال المسعودي : وقد استفاض في الناس شعري عَزُونَهُ إلى آدم ، أنه قال حين حزن على ولده وأسف على فقدته ، وهو :

تغيرت البلادُ ومَنْ عليها فوجهُ الأرضِ مُغْبَرٌ قبيح
تغير كلُّ ذي لونٍ وطعمٍ وقلُّ بشاشةِ الوجهِ الصبيح^(١)
وَبَدَلْ أَهْلُهَا خَطَا وَأَثَلَا بِجَنَاتٍ مِنْ الْفَرْدُوسِ فِيح
وجاورنا عدوٌّ ليس ينسى كعينٍ لا يموت فنستريح
وقَتَلَ قايِنُ هابيلَ ظلماً فوا أسنا على الوجه المليح
فمالي لا أجود بسكِّبِ دمعٍ وهابيلُ تضمه الضريح
أرى طولَ الحياةِ عليَّ غمًّا وما أنا من حياتي مستريح

(١) من الناس من يروي هذا البيت بنصب بشاشة من غير تنوين ورفع الوجه الصبيح على أنه فاعل قل ، وذلك ليس الشعر من الأقواء ، وهو اختلاف حركة الروي . ومنهم من يرفع بشاشة على الفاعلية ويضيفها إلى ما بعدها فيكون في البيت اقواء ، والخطب يسير ؛ فان هذا الشعر مصنوع قد تكلف صانعه فيه هذا ليدل فيما ظن على أنه متقدم العهد حتى ليرقى إلى آدم أبي البشر . وهو ما لا نكاد نصدقه أصلاً .

ووجدت في عدة من كتب التواريخ والسير والأنساب ان آدم لما نطق بهذا
الشعر أجابه إبليس من حيث يسمع صوته ولا يرى شخصه ، وهو يقول :

تَنَحَّ عَنْ الْبِلَادِ وَسَاكِنِيهَا فَقَدْ فِي الْأَرْضِ ضَاقَ بِكَ الْفَسِيحُ
وَكُنْتَ وَزَوْجَكَ الْحَوَاءُ فِيهَا أَدَمُ مِنْ أَدَى الدُّنْيَا مَرِيحُ
فَمَا زَالَتْ مُكَايِدِي وَمَكْرِي إِلَى أَنْ فَاتَكَ الثَّمَنُ الرَّبِيحُ
فَلَوْلَا رَحْمَةُ الرَّحْمَنِ أَضْحَتْ بِكَفِّكَ مِنْ جِنَانِ الْخَلْدِ رِيحُ

ووجدت أن آدم عليه السلام سمع صوتاً ولا يرى شخصاً وهو يقول بيتاً
آخر مفرداً دون ما ذكرنا من هذا الشعر ، وهو هذا البيت :

أبا هابيلَ قد قتلنا جميعاً وصارَ الحيُّ بالبيتِ الذبيحِ

فلما سمع آدم ذلك ازداد حزناً وجزعاً على الماضي والباقي ، وعلم
أن القاتل مقتول ؛ فأوحى الله إليه إني مخرج منك نوري الذي به
السلوك في القنّوات الطاهرة والأرومات الشريفة ، وأباهي به الأنوار ،
وأجعله خاتم الأنبياء ، وأجعل آله خيار الأئمة الخلفاء ، وأختم
الزمان بمدتهم ، وأغص الأرض بدعوتهم ، وأنشرها بشيعتهم ، فشمّر
وتطهر ، وقُدّس ، وسبّح ، واغشّ زوجتك على طهارة منها فإن
وديمقي تنتقل منكما إلى الولد الكائن منكما .

حواء تحمل بشيث :

فواقع آدم حواءَ فحملت لوقتها ، وأشرق جبينها ، وتلألأ النور
في مخايلها ، ولمع من محاجرها ، حتى إذا انتهى حملها وضعت نَسَمَةً
كأسر ما يكون من الذُّكران ، وأتمهم وقاراً ، وأحسنهم صورة ،
وأكملهم هيئة ، وأعد لهم خلقاً ، مجللاً بالنور والهيبة ، موشحاً بالجلالة
والأهبة ، فانتقل النور من حواءِ إليه حتى لمع في أسارير جبهته
وبسّقَ في عُجْرَةِ طلعته ، فسماه آدم شيثاً ، وقيل شيث هبة الله ،

حتى إذا ترعرع وأبغعَ، وكمل وامتبصر أوعز إليه آدم وصيته ،
وعرفه محل ما استودعه . وأعلمه أنه حجة الله بعده ، وخليفته في
الأرض ، والمسؤدي حق الله الى أوصيائه ، وأنه ثاني انتقال الذرة
الطاهرة ، والجرثومة الزاهرة .

وصية آدم لثيث ثم وفاته :

ثم إن آدم حين أدى الوصية إلى ثيث احتقَبَهَا ، واحتفظ
بمكنونها ، وأتت وفاة آدم عليه السلام ، وقرب انتقاله ، فتوفي يوم
الجمعة لست خَلَوْنَ من نيسان ، في الساعة التي كان فيها خلقه ،
وكان عمره عليه السلام تسعمائة سنة وثلاثين سنة ، وكان قد وصى
ابنه شيثاً عليه السلام على ولده ، ويقال : إن آدم مات عن أربعين
ألفاً من ولده وولد ولده .

وتنازع الناس في قبره : فمنهم من زعم ان قبره بمِيفَ في
مسجد الخيف ، ومنهم من رأى أنه في كهف في جبل أبي قبيس ،
وقيل غير ذلك ، والله أعلم بحقيقة الحال .

حكم ثيث بن آدم :

وإن شيثاً حكم في الناس ، واستشرع صحف أبيه وما أنزل
عليه في خاصته من الأسفار والاشراع ، وإن شيثاً واقع امرأته
فحملت بأنوش ، فانتقل النور إليها ، حتى اذا وضعت لآح النور عليه ،
فلما بلغ الوصاة أوعز اليه شيث في شأن الوديعه وعرفه شأنها وأنها
شرفهم وكرمهم وأوعز إليه ان ينبه ولده على حقيقة هذا الشرف
وكبر محله ، وأن ينبهوا أولادهم عليه ، ويجعل ذلك فيهم وصية
منتقلة ما دام النسل .

فكانت الوصية جارية تنتقل من قرن الى قرن ، إلى أن أدى
الله النور الى عبد المطلب وولده عبد الله أبي رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، وهذا موضع تنازع بين الناس من أهل الملة ، ممن قال بالنص وغيرهم من أصحاب الاختيار ، والقائلون بالنص هم الأباضية أهل الإمامة من شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه والظاهرين من ولده الذين زعموا أن الله لم يُخلِ عصراً من الأعصار من قائم بحق الله : إما أنبياء ، وإما أوصياء منصوص على أسمائهم وأعيانهم من الله ورسوله ، وأصحاب الاختيار هم فقهاء الأمصار والمعتزلة وفرق من الخوارج والمرجئة وكثير من أصحاب الحديث والعموم وفرق من الزيدية ، فزعم هؤلاء أن الله ورسوله فوض إلى الأمة أن تختار رجلاً منها فتنصبه لها اماماً ، وإن بعض الأعصار قد يخلو من حجة الله ، وهو الإمام المعصوم عند الشيعة ، وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب لمعاً من إيضاح ما وصفنا من أقاويل المتنازعين وتباين المختلفين .

أنوش بن شيث ولود وإن أنوش قد لبث في الأرض يعمرها ، وقد قيل - والله أعلم - إن شيئاً أصل النسل من آدم دون سائر ولده ، وقيل غير ذلك ، وكانت وفاة شيث وقد مضت له تسعمائة سنة واثنتا عشرة سنة ، وفي زمن أنوش قُتِلَ قايْنُ ابن آدم قاتل أخيه هابيل ، ولقته خبر عجيب قد أوردناه في « أخبار الزمان » ، وفي الكتاب الأوسط ، وكانت وفاة أنوش لثلاث خلون من تشرين الأول ، فكانت مدته تسعمائة سنة وستين سنة ، وكان قد ولد له قينان ، ولاح النور في جبينه ، وأخذ عليه العهد ، فعمر البلاد حتى مات ، فكانت مدته تسعمائة سنة وعشرين سنة ، وقد قيل : إن موته كان في تموز بعد

مروج الذهب (٤)

ما ولد له مهلائيل ، فكانت مدة مهلائيل ثمانمائة سنة ، وقد ولد له لود والنور متوارث والعهد مأخوذ والحق قائم ، ويقال : إن كثيراً من الملاهي أحدثت في أيامه ، أحدثها ولد قايين قاتل أخيه ، ولولد قايين مع ولد لود حروب وقصص قد أتينا على ذكرها في كتابنا ، أخبار الزمان ، ووقع التعارب بين ولد شيث وبين غيرهم من ولد قايين ، فنوع من الهند ممن يقر بآدم ينتسبون إلى هذا الشعب من ولد قايين ، وأكثر هذا النوع بأرض قهار من أرض الهند ، وإلى بلدهم أضيف العود القهاري ؛ فكانت حياة لود سبعمائة سنة واثنتين وثلاثين سنة ، وكانت وفاته في آذار .

أخنوخ : وقام بعده ولده أخنوخ ، وهو إدريس النبي صلى الله عليه وسلم ، والصابئة تزعم أنه هو هرمس ، ومعنى هرمس عطار ، وهو الذي أخبر الله عز وجل في كتابه أنه رفعه مكاناً علياً ، وكانت حياته في الأرض ثلاثمائة سنة ، وقيل أكثر من ذلك ، وهو أول من درّز الدروز ، وخاط بالإبرة ، وأنزل عليه ثلاثون صحيفة ، وكان قد نزل قبل ذلك على آدم إحدى وعشرون صحيفة ، وأنزل على شيث تسع وعشرون صحيفة فيها تهليل وتسبيح .

متوشلح : وقام بعده متوشلح بن أخنوخ ، فعمر البلاد والنور في جبينه ، وولد له أولاد ، وقد تكلم الناس في كثير من ولده ، وإن البلغر والروس والصقالبة من ولده ، وكانت حياته تسعمائة سنة وستين سنة ، ومات في أيلول .

وقام بعده ملك ، وكانت في أيامه كوائن واختلاط في النسل ، وتوفي ، وكانت حياته سبعمائة سنة وتسعين سنة .

نوح : وقام بعده نوح بن ملك عليه السلام ، وقد كثر الفساد في

الأرض ؛ فاشتدَّت دِيَاجِي الظلم ، فقام في الأرض داعياً إلى الله ، فأبَوْا إلا طغياناً وكفراً ، فدعا الله عليهم ، فأوحى الله إليه أن اصنع الفلك ، فلما فرغ من السفينة أتاه جبريل عليه السلام بتابوت آدم فيه رَمْتُهُ ، وكان ركوبهم في السفينة يوم الجمعة لتسع عشرة ليلة خلت من آذار ، فأقام نوح ومن معه في السفينة على ظهر الماء وقد غرق جميع الأرض خَمْسَةَ أَشْهُرٍ ، ثم أمر الله تعالى الأرض أن تبتلع الماء والسماء أن تُقْلِعَ ، واستوت السفينة على الجودي ، والجودي جبل ببلاد باسوري ، وجزيرة ابن عمر ببلاد الموصل ، وبينه وبين دجلة ثمانية فراسخ ، وموضعُ جُنُوحِ السفينة على رأس هذا الجبل إلى هذه الغاية .

وذكر أن بعض الأرض لم يُسْرِعِ إلى بَلْعِ الماء ، ومنها ما أسرع إلى بَلْعِهِ عندما أمرت ، فما أطاع كان ماؤه عذبا إذا احتفر ، وما تأخر عن القبول أعقبها الله بماءٍ مِلْحٍ ، إذا احتفر ، وسباحٍ ، وملاحات ، ورمال ، وما تخلف من الماء الذي امتنعت الأرض من بلعه انحدر إلى قعور مواضع من الأرض ، فمن ذلك البحار ، وهي بقية الماء الذي عصت أرضه أهلك به أمم ، وسنذكر بعد هذا الموضوع من كتابنا هذا أخبار البحار ووصفها .

ونزل نوح من السفينة ومعه أولاده الثلاثة ، وهم : سام ، وحام ، ويافث ، وَكَنَاتُهُ ^(١) الثلاث أزواج أولاده ، وأربعون رجلاً ، وأربعون امرأة ، وصاروا إلى سفح الجبل ؛ فابتنوا هنالك مدينة وسموها ثمانين ، وهو اسمها إلى وقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، ودثرت عقب هؤلاء الثمانين نفساً ، وجعل الله نسل الخليفة

(١) الكنات : جمع كنة - بفتح الكاف وتشديد النون - وتجمع أيضاً على كنان ، على غير قياس ، وقد ورد في بعض الاصول : كناته ، والكنة : امرأة الابن .

من نوح من الثلاثة من ولده ، وقد أخبر الله عز وجل بذلك بقوله :
(وجعلنا ذريته هم الباقين) والله أعلم بهذا التأويل .

والمختلف عنه من ولده الذي قال له : (يا بني اركب معنا)
هو يلم .

وقسم نوح الأرض بين أولاده أقساماً ، وخص كل واحد بموضع ،
ودعا على ولده حام لأمر كان منه مع أبيه قد اشتهر ، فقال : ملعون
حام ، عبد عنيد ، يكون لإخوته ، ثم قال : مبارك سام ، ويكثر الله
يافت ، ويحل يافت في مسكن سام .

ووجدت في التوراة أن نوحاً عاش بعد الطوفان ثلاثمائة سنة
وخمسين سنة ؛ فجميع عمر نوح تسعمائة وخمسون سنة ، وقد قيل
غير ذلك .

مساكن حام بن نوح : فانطلق حام واتبعه ولده ، فنزلوا مساكنهم في
البر والبحر على حسب ما تذكره بعد هذا الموضع من هذا الكتاب ،
وسنذكر تفرق النسل في الأرض ومساكنهم فيها من ولد يافت وسام وحام .

مساكن سام : فأما سام فسكن وسط الأرض من بلاد الحرم إلى
حزرموت إلى عمان إلى عالج ، فمن ولده إرم بن سام ، وإرفخشذ بن
سام بن نوح .

إرم بن سام : ومن ولد إرم بن سام عاد بن عوص بن إرم بن سام ،
وكانوا ينزلون الأحقاف من الرمل ، فأرسل إليهم هود .

ثمود بن سام ، وثمود بن عابر بن إرم بن سام ، وكانوا ينزلون الحجر
بين الشام والحجاز فأرسل الله إليهم أخاهم صالحاً ، وكان من أمرهم
مع صالح ما قد اتضح أمره ، واشتهر خبره ، وسنذكر بعد هذا

الجزء الاول : ذكر المبدأ وشأن الطبيعة

الموضع من هذا الكتاب لها من أخباره وأخبار غيره من الأنبياء عليهم السلام .

طسم وجديس وعمليق ، وطسّم وجديس ابنا لاوذ بن إرم ، وكانوا ينزلون اليمامة والبحرين ، وأخوهم عمليق بن لاوذ بن إرم ، نزل بعضهم الحرم ، وبعضهم الشام ، ومنهم العماليق ، تفرقوا في البلاد ، وأخوهم أميم بن لاوذ نزل أرض فارس ، وسنذكر في باب تنازع الناس في أنساب الفرس من هذا الكتاب من ألقى كيومرت بأميم ، وقيل : إن أميا نزل أرض وبار وهي التي غلبت عليها الجن على ما زعم الاخباريون من العرب .

ونزل بنو عييل بن عوص أخي عاد بن عوص مدينة الرسول عليه السلام .

ماش بن ارم وأولاده : وولد سام بن نوح ماش بن إرم بن سام ونزل بابل على شاطئ الفرات فولد نمرود بن ماش ، وهو الذي بنى الصرح ببابل ، وجسراً جسراً ببابل على شاطئ الفرات ، وملك خمسمائة سنة ، وهو ملك النبط ، وفي زمانه فرق الله الألسن : فجعل في ولد سام تسعة عشر لساناً ، وفي ولد حام سبعة عشر لساناً ، وفي ولد يافث ستة وثلاثين لساناً ، وتشعبت بعد ذلك اللغات وتفرقت الألسن ، وسنذكر هذا في موضعه الذي يوجد في كتابنا هذا ، وتفرق الناس في البلاد ، وما قالوا في ذلك من الأشعار عند تفرقهم في البلاد بأرض بابل ، ويقال : إن فالغ هو الذي قسم الأرض بين الأمم ، ولذلك سمي فالغ ، وهو فالح : أي قاسم .

فالغ بن شالخ وأولاده : وولد إرفخشذ بن سام بن نوح شالخ ، فولد شالخ فالغ بن شالخ الذي قسم الأرض وهو جد إبراهيم عليه السلام ، وعابر بن شالخ ، وابنه قحطان بن عابر ، وابنه يعرُب ابن قحطان ، وهو أول من حيَّاه ولده تحية الملك « أَنْعِمُ صَبَاحاً » و « أَبَيْتَ اللَّعْنَ » وقيل : إن غيره حَيَّيَ بهذه التحية من ملوك الحيرة ، وقحطَان أبو اليمن كلها على حسب ما يذكر إن شاء الله تعالى في باب تنازع الناس في أنساب اليمن من هذا الكتاب ، وهو أول من تكلم بالعربية لإعرابه عن المعاني وإبانته عنها ، ويقطن ابن عابر بن شالخ هو أبو جرم ، وجرم بنو عم يعرب ، وكانت جُرْمُ من سكن اليمن وتكلموا بالعربية ، ثم نزلوا بمكة فكانوا بها ، على حد ما نوردته من أخبارهم ، وقطورا بنو عم لهم ، ثم أسكنها الله إسماعيل عليه السلام ، ونكح في جرم ؛ فهم أحوال ولده .

٤

وذكر أهل الكتاب أن ملك بن سام بن نوح حي ؛ لأن الله عز وجل أوحى إلى سام : إن الذي وكلته يجسد آدم أبقيته إلى آخر الأبد ، وذلك أن سام بن نوح دفن تابوت آدم في وسط الأرض ووكل لمكا بقبره ، وكانت وفاة سام يوم الجمعة ، وذلك في أيلول ، وكان عمره إلى أن قبضه الله عز وجل ستمائة سنة .

إرفخشذ بن سام : وكان القيم بعد سام في الأرض ولده إرفخشذ ، وكان عمره إلى أن قبضه الله عز وجل أربعمائة سنة وخمسة وستين سنة . وكانت وفاته في نيسان .

شالخ بن إرفخشذ : ولما قبض الله إرفخشذ قام بعده ولده شالخ

الجزء الاول : ذكر المبدأ وشأن الخليقة ..

ابن إرفخشذ ، وكان عمره إلى أن قبضه الله عز وجل أربعمئة سنة وثلاثين سنة .

عابر بن صالح : ولما قبض الله صالح قام بعده ولده عابر ؛ فعمر البلاد ، وكانت في أيامه كوائن وتنازع في مواضع من الأرض ، وكان عمره إلى أن قبضه الله عز وجل إليه ثلاثمئة سنة وأربعين سنة .

فالغ بن عابر : ولما قبض الله عابر قام بعده ولده فالغ على نهج مَنْ سَلَفَ من آبائه ، وكان عمره إلى أن قبضه الله عز وجل مائتي سنة وثلاثين سنة ، وقد قدمنا ذكره في هذا الكتاب فيما سلف وما كان بأرض بابل عند تَبَلُّبِ الألسن .

رعو بن فالغ : ولما قبض الله فالغ قام بعده ولده رعو بن فالغ وقيل : إن في زمنه كان مولد نمرود الجبار ، وكان عمره إلى أن قبضه الله مائتي سنة ، وكانت وفاته في نيسان .

ساروغ بن رعو : ولما قبض الله رعو قام بعده ساروغ بن رعو ، وقيل : إنه في أيامه ظهرت عبادة الأصنام والصُّور ، لضروب من العلل أحدثت في الأرض وشبه ذلك ، وكان عمره إلى أن قبضه الله إليه مائتي سنة وثلاثين سنة .

ناحور بن ساروغ : ولما قبض الله ساروغ قام بعده ناحور بن ساروغ مقتدياً بمن سلف من آبائه وحدث في أيامه رَجْفٌ وزلازل لم تعهد فيما سلف من الأيام قبله ، وأحدثت في أيامه ضروب من المهن والآلات ، وكانت في أيامه حروب وتحزيب الأحزاب من الهند وغيرها ، وكان عمره إلى أن قبضه الله إليه مائة سنة وستاً

وأربعين سنة .

تزوج بن ناحور : ولما قبض الله ناحور قام بعده ولده تارح ، وهو آزر أبو إبراهيم الخليل ، وفي عصره كان نمروذ بن كنعان ، وفي أيام نمروذ حدثت في الأرض عبادة النيران والأنوار ، وجعل لها مراتب في العبادات ، وكان في الأرض هرج عظيم من حروب وإحداث كور وبمالك بالشرق والغرب ، وغير ذلك ، وظهر القول بأحكام النجوم وصورت الأفلاك ، وعملت لها الآلات ، وقرب فهم ذلك إلى قلوب الناس ، فنظر أصحاب النجوم إلى طالع السنة التي ولد فيها إبراهيم عليه السلام وماذا يوجب ، فأخبروا النمروذ أن مولوداً يولد يُسَفِّه أحلامهم ، ويزيل عبادتهم ، فأمر النمروذ بقتل الولدان ، وأخفى إبراهيم عليه السلام في مغارة ، ومات آزر ، وهو تارح ، وكان عمره إلى أن قبضه الله عز وجل مائتين وستين سنة ، والله الموفق للصواب .

ذكر قصة إبراهيم عليه السلام ، ومَنْ تلا عصره

من الأنبياء والملوك ، من بني إسرائيل وغيرهم

ولما نشأ إبراهيم عليه السلام ، وخرج من المغارة التي كان بها ، وتأمل آفاق الأرض والعالم ، وما فيه من دلائل الحدوث والتأثير ، نظر إلى الزهرة وإشراقها فقال : هذا ربي ، فلما رأى القمر أنور منها قال : هذا ربي ، فلما رأى الشمس أبهى مما رأى قال : هذا ربي هذا أكبر ، وقد تنازع الناس في قول إبراهيم « هذا ربي » فمنهم مَنْ رأى أن ذلك كان منه على طريق الاستدلال والاستخبار ومنهم من رأى أن ذلك كان منه قبل البلوغ وحال التكليف ، ومنهم مَنْ

رأى غير ذلك ، فأناه جبريل فعلمه دينه ، واصطفاه الله نبياً وخليلاً . وكان قد أوتي رُشدَه من قبل ، ومن أوتي رشده فقد عصم من الخطأ والزلل وعبادة غير الواحد الصمد ، فعاب إبراهيم عليه السلام على قومه ما رأى من عبادتهم واتخاذهم المهورفات آلهة لهم ، فلما كثر عليهم ذم إبراهيم لآلهتهم ، واستفاض ذلك فيهم اتخذ النمرودة النار وألقاه فيها ، فجعلها الله برّداً وسلاماً ، وخذت النار في سائر بقاع الأرض في ذلك اليوم .

مولد اسماعيل بن إبراهيم ، وولد لإبراهيم إسماعيل عليها السلام ، وذلك بعد أن مضى من عمره ست وثمانون سنة أو سبع وثمانون سنة وقيل : تسعون سنة ؛ من هاجرَ جارية كانت لسارة ، وكانت سارة أول من آمن بإبراهيم عليه السلام ، وهي ابنة بتواييل بن ناحور ، وهي ابنة عم إبراهيم ، وقد قيل غير هذا مما سنورده بعد هذا الموضع ، وآمن به لوط بن هاران بن تارح بن ناحور ، وهو ابن أخي إبراهيم عليه السلام .

أصحاب المؤتفكة ، وأرسل الله لوطاً إلى المدائن الخمس ، وهي : سدوم ، وعمورا ، وأدموتا ، وصاعورا ، وصابورا ، وإن قوم لوط هم أصحاب المؤتفكة ، وهذا الاسم مشتق من الإفك ، وهو الكذب على رأي من ذهب إلى الاشتقاق ، وقد ذكرهم الله في كتابه بقوله : (والمؤتفكة أهوى) وهذه بلاد بين تخوم الشام والحجاز مما يلي الأردن وبلاد فلسطين ، إلا أن ذلك في حيز الشام ، وهي مبقاة إلى وقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة خراباً لا أحد بها والحجارة المسومة موجودة فيها يراها الناس الشفار سواداء برّاقة ، فأقام فيهم لوط بضماً وعشرين سنة يدعوهم إلى الله فلم يؤمنوا ، فأخذهم العذاب على حسب ما أخبر الله من شأنهم .

ولما ولد إسماعيل لإبراهيم من هاجر غارت سارة فحمل إبراهيم إسماعيل ، وهاجرَ الى مكة فأسكنها بها ، وذلك قوله عز وجل " يخبر عن إبراهيم : (رب إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم) فأجاب الله دعوته ، وآنس وحشتهم ، يجرهم والعماليق ، وجعل أفئدةً من الناس تهوي اليهم . وأهلك الله قوم لوط في عهد إبراهيم لما كان من فعلهم واتضح من خبرهم .

ثم أمر الله إبراهيم عليه السلام بذبح ولده فبادر الى طاعة ربه وتكلم للجبين ؛ ففداه الله بذبح عظيم ، ورفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل .

مولد اسحاق : ثم ولد لإبراهيم من سارة إسحاق عليه السلام ، وذلك بعد مضي عشرين ومائة سنة من عمره .

الذبيح من ولد إبراهيم ، وقد تنازع الناس في الذبيح ، فمنهم من ذهب الى انه اسحاق ، ومنهم من رأى انه اسماعيل ، فإن كان الأمر وقع بالذبح بالحجاز فالذبيح إسماعيل ، لأن إسحاق لم يدخل الحجاز ، وإن كان الأمر بالذبح وقع بالشام ، فالذبيح إسحاق ، لأن إسماعيل لم يدخل الشام بعد أن حمل منه .

وتوفيت سارة وتزوج إبراهيم بعد ذلك بقنطوراء فولد منها ستة ذكور ، وهم : مرق ، ونفس ، ومدن ، ومدين ، وسانان ، وسرح ، وتوفي إبراهيم بالشام ، وكان عمره الى أن قبضه الله عز وجل مائة سنة وخمسا وتسعين سنة وأنزل الله عليه عشراً من الصحف .

أولاد اسحاق : وتزوج إسحاق بعد إبراهيم برفقا ابنة بتوايل ؛ فولدت له العيص ويعقوب في بطن واحد ، وكان البادية منها الى الفصّل عيص ، ثم يعقوب ، وكان لإسحاق في وقت مولدهما ستون

سنة ، وذهب بصّر إسحاق ؛ فدعا ليعقوب بالرياسة على اخوته والنبوة في ولده ، ودعا لميصر بالملك في ولده ، وكان عمر اسحاق الى أن قبضه الله مائة وخمساَ وثمانين سنة ، ودفن مع أبيه الخليل ، ومواضع قبورهم مشهورة ، وذلك على ثمانية عشر ميلا من بيت المقدس في مسجد هناك يعرف بمسجد ابراهيم ومراعيه .

يعقوب بن إسحاق وأخوه العيص ؛ وقد كان إسحاق أمراَ ولده يعقوب بالمسير الى أرض الشام وبشره بالنبوة ونبوة أولاده الاثني عشر : وهم : لاوي ، ويهوذا ، ويساخر ، وزبولون ، ويوسف ، وبنيامين ، ودان ، ونفتالي ، وكان ، وإشار ، وشمعون ، وروبييل . هؤلاء الأسباط الاثنا عشر ، والنبوة والملك في عقب أربعة منهم : لاوي ، ويهوذا ، ويوسف ، وبنيامين ، وكثر جزع يعقوب من أخيه العيص فأمنه الله من ذلك ، وكان ليعقوب خمسة آلاف وخمسمائة من الغنم ، فأعطى يعقوب لأخيه العيص العشر من غنمه استكفاء للشر وخوفاً من سَطْوَتِهِ ، من بعد أن آمنه الله عز وجل من خوفه ، وأن لا سبيل له عليه ، فعاقبه الله في ولده لمخالفته لوعده ، فأوحى الله تعالى اليه : ألم تطمئن الى قولي ؟ فلأجعلن ولد العيص يملكون ولدك خمسمائة وخمسين عاماً ، وكانت المدة منذ أخربت الروم بيت المقدس واستعبدت بني اسرائيل الى أن فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس .

وكان أحب ولد يعقوب إليه يوسف ؛ فحسده اخوته على ذلك ؛ وكان من أمره مع إخوته ما قصَّ الله عز وجل في كتابه ، وأخبر به على لسان نبيه ، واشتهر ذلك في امته .

وفاة يعقوب ويوسف : وقبض الله عز وجل يعقوب ببلاد مصر ، وهو ابن مائة وأربعين سنة ، فحمله يوسف فدفنه ببلاد فلسطين ،

عند تربة ابراهيم وإسحاق ، وقبض الله يوسف بمصر وله مائة وعشرون سنة ، وجعل في تابوت من الرخام ، وسد بالرصاص ، وطلّي بالأطية الدافعة للهواء والماء ، وطرح في نيل مصر نحو مدينة منّف ، وهناك مسجده .

أيوب النبي ، وقيل : إن يوسف أوصى أن يحمل فيدفن عند قبر أبيه يعقوب في مسجد ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، وكان في عصره أيوب النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أيوب بن موص بن زراح بن رعوائل بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، وذلك في بلاد الشام من أرض حوران والبثنية من بلاد الأردن من بين دمشق والجابية ، وكان كثير المال والولد ، فابتلاه الله في نفسه وماله وولده ، فصبر ، وردّ الله عليه ذلك ، وأقاله عشرته ، واقتص ما اقتص من أخباره في كتابه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، ومسجده والعين التي اغتسل منها في وقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، مشهوران ببلاد نوى والجهولان فيما بين دمشق وطبرية من بلاد الأردن ، وهذا المسجد والعين على ثلاثة أميال من مدينة نوى ، أو نحو ذلك ، والحجر الذي كان يأوي إليه في حال بلائه هو وزوجته - واسمها رحمة - في ذلك المسجد الى هذا الوقت .

وذكر أهل التوراة والكتب الأولى أن موسى بن ميشاه بن يوسف بن يعقوب نبي قبل موسى بن عمران ، وأنه هو الذي طلب الخضر بن ملكان بن فالغ بن عابور بن شالخ بن إرفخشذ بن سام ابن نوح ، وذكر بعض أهل الكتاب أن الخضر هو خضرون بن

عميائيل بن النفر بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم وأنه أرسل إلى قومه فاستجابوا له .

موسى بن عمران : فكان موسى بن عمران بن قاهت بن لاوي ابن يعقوب بمصر في زمن فرعون الجبار وهو الوليد بن مصعب بن معاوية بن أبي نعيم بن أبي الهلوان بن ليث بن هران بن عمرو ابن عملاق ، وهو الرابع من فراعنة مصر ، وقد طال عمره وعظم جسمه ، وكان بنو إسرائيل قد استرقوا بعد مضي يوسف ، واشتد عليهم البلاء ، وأخبر أهل الكهانة والنجوم والسحر فرعون أن مولوداً سيولد ويزيل ملكه ويحدث ببلاد مصر أموراً عظيمة ، فجزع ذلك فرعون ، وأمر بذبح الأطفال ، وكان من أمر موسى ما أوحى الله عز وجل إلى أمه في أمره : أن اقدفيه في اليم ، فقذفته ، إلى آخر ما اقتص من خبره ، وأوضحه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم .

شعيب : وكان في ذلك الزمان شعيب النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو شعيب بن نويت بن رعوائل بن مر بن عنقاء بن مدين بن إبراهيم ، وكان لسانه عربياً ، وكان مبعوثاً إلى أهل مدين ، ولما خرج موسى عليه السلام هارباً من فرعون مرّ بشعيب النبي صلى الله عليه وسلم . وكان من أمره معه وتزويجه ابنته ما قد ذكره الله عز وجل .

هارون أخو موسى وبعثهما إلى فرعون : وكلم الله موسى تكليماً ، وشد عضده بأخيه هارون ، وبعثهما إلى فرعون فخالفها ، فأغرق الله عز وجل فرعون ، وأمره الله عز وجل بالخروج ببني إسرائيل إلى التيه ، وكان عددهم ستمائة ألف بالغ دون من ليس ببالغ ، وكانت

الألواح التي أنزلها الله على موسى بن عمران على جبل طور سيناء من زمرد أخضر فيها كتابة بالذهب ، فلما نزل من الجبل رأى قوماً من بني إسرائيل قد اعتكفوا على عبادة عجل لهم ، فارتعد ، فسقطت الألواح من يده ، فتكسرت ، فجمعها وأودعها تابوت السكينة مع غيرها وجعله في الهيكل وكان هارون كاهننا وهو قيم الهيكل وأتم الله عز وجل نزول التوراة على موسى بن عمران وهو في التيه ، وقبض الله هارون في التيه فدفن في جبل ومواتٍ من نحو جبل الشراة مما يلي الطور ، وقبره مشهور في مغارة عادية يسمع منها في بعض الليالي دويٌ عظيم يجزع منه كل ذي روح ، وقيل : إنه غير مدفون ، بل هو موضوع في تلك المغارة ، ولهذا الموضع خبر عجيب قد ذكرناه في كتابنا « أخبار الزمان عن الأمم الماضية والممالك الدائرة » ومن وصل إلى هذا الموضع علم ما وصفنا ، وكان ذلك قبل وفاة موسى بسبعة أشهر ، وقبض الله هرون وهو ابن مائة وثلاث وعشرين سنة ، وقيل : أنه قبض وهو ابن مائة وعشرين ، وقيل : إن موسى قبض بعد وفاة هرون بثلاث سنين ، وإنه خرج إلى الشام وكان له بها حروب من سرايا كانوا يسرونها من البر إلى العماليق والقربانيين والمدنيين وغيرهم ممن كانوا بالشام وغيرهم من الطوائف على حسب ما في التوراة ، وأنزل الله عز وجل على موسى عشر صحف ، فاستم مائة صحيفة ، ثم أنزل الله عليه التوراة بالعبرانية وفيها الأمر والنهي والتحريم والتحليل والسنن والأحكام ، وذلك في خمسة أسفار ، والسفرُ يريدون به الصحيفة ، وكان موسى قد ضرب التابوت الذي فيه السكينة من الذهب من

ستائة ألف مثقال وسبعمائة وخمسين مثقالا .

يوشع بن نون الكاهن : فصار الكاهن بعد هارون يوشع بن نون من سبط يوسف ، وقبض الله موسى وهو ابن عشرين ومائة سنة ، ولم يحدث لموسى ولا لهارون شيء من الشيب ، ولا حالا عن صفة الشباب .

ولما قبض الله عز وجل موسى بن عمران سار يوشع بن نون ببني اسرائيل الى بلاد الشام ، وقد كان غلب عليها الجبابرة من ملوك العماليق وغيرهم من ملوك الشام ، فأسرى اليهم يوشع بن نون سرايا ، وكانت له معهم وقائع ، فافتتح بلاد أريحاء وزغر من أرض الفور ، وهي أرض البحيرة المنتنة التي لا تقبل العرقى ولا يتكون فيها ذو روح من سمك ولا غيره ، وقد ذكرها صاحب المنطق وغيره من الفلاسفة ومن تقدم وتأخر من عصره ، وإليها ينتهي ماء بحيرة طبرية ، وهو الاردن ، وبدء ماء بحيرة طبرية من بحيرة كفرلي والقرعون من أرض دمشق ، فإذا انتهى مصب نهر الاردن إلى البحيرة المنتنة خرقها وانتهى إلى وسطها متميزاً عن مائها فيفوص في وسطها ، وهو نهر عظيم ، فلا يدري أين غاص من غير ان يزيد في البحيرة ولا ينقص منها ، ولهذا البحيرة - اعني المنتنة - أخبار عجيبة وأقاصيص طويلة ؛ وقد اتينا على ذلك في كتابنا « أخبار الزمان عن الامم الماضية والملوك الدائرة » ، وذكرنا أخبار الاحجار التي تخرج منها على صورة البطيخ على شكلين ، ويعرف الواحد منها بالحجر اليهودي وذكرته الفلاسفة ، واستعمله أهل الطب لمن به وجع الحصى في المثانة ، وهو نوعان : ذكر وانثى ، فالذكر للرجال ، والانثى للنساء ؛ ومن هذه البحيرة يخرج الغبار المعروف بالحمرة ، وليس في الدنيا والله أعلم

بجيرة لا يتكون فيها ذو روح من سمك وغيره الا هذه البحيرة ،
وبجيرة ركبنتها ببلاد أذربيجان بين مدينة ارمينية والمراغة ، وهي
المعروفة هنا بكبودان ، وقد ذكر الناس ممن تقدم عذر عدم تكون
الحيوان في البحيرة المنتنة ، ولم يتعرضوا لبحيرة كبودان ؛ وينبغي
على قياس قولهم أن تكون علتها واحدة .

وسار ملك الشام ، وهو السמידع بن هوبر بن مالك ، الى يوشع
ابن نون ، فكانت بينهم حروب الى أن قتله يوشع ، واحتوى على
جميع ملكه وألحق به غيره من الجبابرة والعماليق ، وشن الغارات
بأرض الشام ، وكانت مدة يوشع ابن نون في بني اسرائيل بعد وفاة
موسى بن عمران تسعاً وعشرين سنة ، وهو يوشع بن نون بن إفرائيم بن
يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، وقيل : ان يوشع بن نون
كان بدء محاربتة لملك العماليق ، وهو السמידع ، ببلاد أيلة نحو
مدين ، ففي ذلك يقول عوف بن سعد الجرهمي :

ألم تر أن العَمَلِقِيَّ ابن هوبرِ بأيلة أمسى لحمه قد تمزَّعاً
قداعت عليه من يهود حجاقل : ثمانين ألفاً حاسرين ودُرَّعاً
فأمست عداداً للعماليق بعده سحلى الارض مشيا مصعدين وفزَّعاً
كان لم يكونوا بين أجدال مكة ، ولم ير راء قبل ذاك السَمِيدَعَا

وكان بقرية من قرى البلقاء من بلاد الشام رجل يقال له
بلعم بن باعوراء بن سنور بن وسيم بن ناب بن لوط بن هاران ، وكان
مستجاب الدعوة ؛ فعمله قومه على الدعاء على يوشع بن نون ، فلم

يتأت له ذلك وعجز عنه ، فأشار على بعض ملوك العماليق أن يبرزوا الحسان من النساء نحو عسكر يوشع بن نون ، ففعلوا ، فتسرعوا الى النساء فوقع فيهم الطاعون ، فهلك منهم سبعون ألفاً ، وقيل أكثر من ذلك ، وبلعم هر الذي اخبر الله عنه أنه آتاه الآيات فانسخ منها ، وقيل : ان يوشع بن نون قبض وهو ابن مائة وعشرين سنة .

وقام في بني اسرائيل بعد يوشع بن نون كالب بن يوقنا بن بارض ابن يهوذا ، ويوشع وكالب الرجلان اللذان انعم الله عليهما .

قال المسعودي : ووجدت في نسخة أن القائم في بني اسرائيل بعد وفاة يوشع بن نون كوشان الكفري ، وانه أقام فيهم ثمانين سنة وهلك ، وملك عميائيل بن قابيل من سبط يهوذا أربعين سنة ، وقيل : كوش جبار كان في آب من أرض البلقاء ، وإن بني اسرائيل كفرت بعد ذلك ، فملك الله عليهم كنعان عشرين سنة وهلك ، فكان على بني اسرائيل عملال الأحباري أربعين سنة ، ثم قام شمویل الى أن وليهم طالوت ، وخرج عليهم جالوت الجبار ملك البربر من أرض فلسطين .

قال المسعودي : فأما على الرواية الأولى التي قدمنا ذكرها أن القيم بعد يوشع في بني اسرائيل كلب بن يوقنا ، والقائم بعده في بني اسرائيل والمدبر لهم فنحاص بن العازر بن هارون بن عمران ثلاثين سنة ، وكان عمداً إلى مصاحف موسى بن عمران عليه السلام ، فجعلها في خابية نحاس ورضص رأسها ، وأتى بها صخرة بيت المقدس ، وذلك قبل بنائه ، فانفجرت ، فإذا مغارة فيها صخرة ثانية ، فوضع الخابية فيها ، وانضمت الصخرة على ذلك ككونها أولاً .

ولما هلك فنحاص بن العازر ، دبر أمرهم كوشان الأثيم ملك الجزيرة فتعبد بني إسرائيل ، وأخذهم البلاء ثمان سنين ، ثم دبرهم عنيايل بن يوقنا أخو كالب من سبط يهوذا أربعين سنة ، ثم دبرهم أعلون ملك مواب يجهد شديد ثمان عشرة سنة ثم دبرهم أهوذ من ولد إفرايم خمساً وخمسين سنة ، ولخمس وثلاثين سنة خلت من أيامه تم للعالم أربعة آلاف سنة وقيل غير ذلك من التاريخ ؛ ثم دبرهم شاعان بن أهوذ خمساً وعشرين سنة ؛ ثم دبرهم يابين الكنعاني ملك الشام عشرين سنة ، ثم دبرهم امرأة يقال لها دبورا ؛ وقيل إنها ابنته ، وضمت إليها رجلاً من سبط نفتالي يقال له : باراق أربعين سنة ؛ ثم تداولتهم رؤوس من بني مدين وهم : عريب وربيب وبرسونا ودارع وصلنا تسع سنين وثلاثة أشهر ، ثم دبرهم كدعون من آل منشا أربعين سنة ، وقتل ملوك مدين ؛ ثم ابنه أبيالغ ثلاث سنين وثلاثة أشهر ، ثم دبرهم تولع من آل إفرايم ثلاثاً وعشرين سنة ، ثم يامين من آل منشا اثنتين وعشرين سنة ؛ ثم ملوك عمان ثماني عشرة سنة وثلاثة أشهر ، ثم نحشون من بيت لحم سبع سنين ، ثم شنشون عشرين سنة ؛ ثم أمليج عشر سنين ؛ ثم عجران ثماني سنين ؛ ثم قهرهم ملوك فلسطين أربعين سنة ؛ ثم عيلان الكاهن بعد ذلك أربعين سنة ، وفي زمانه ظفر البابليوث بني إسرائيل وغنموا التابوت وكان بنو إسرائيل يستفتحون به فحملوه إلى بابل ، وأخرجوهم من ديارهم وأبنائهم ، وكان ما كان من أمر قوم حزقيل وهم الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، فقال لهم الله موتوا ، ثم أحياهم ، وكان قد أصابهم الطاعون ، فبقي منهم ثلاثة أسباط ، فلحقت فرقة بالرمل وفرقة بسواهي الجبال وفرقة بجزيرة من جزائر البحر ، وكان لهم خبر طويل حتى رجعوا إلى ديارهم ؛ فقالوا لحزقيل :

هل رأيت قوماً أصابهم ما أصابنا؟ قال : لا ، ولا سمعت بقوم فروا من الله فراركم ، فسلط الله عليهم الطاعون سبعة أيام فماتوا عن آخرهم ، ودبر بني إسرائيل بعد عيلان الكاهن شمویل بن بروحان بن ناحورا ، ونبيء فكث فيهم عشرين سنة ، ووضع الله عز وجل عنهم القتال ، وصلاح امرهم ، فخلطوا بعد ذلك ، فقالوا لشمویل :

ابعث لنا ملكاً يقاتل معنا في سبيل الله ، فأمر بتعليك طالوت وهو ساود ^(١) بن بشر بن إينال بن طرون بن بحرون بن أفیح بن سميداح بن فالح بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، فملكه الله عليهم ، ولم يجمعهم قبل ذلك مثل طالوت ، وكان بين خروج موسى عليه السلام ببني إسرائيل من مصر إلى أن ملك على بني إسرائيل طالوت خمسمائة سنة واثنان وسبعون سنة وثلاثة أشهر ؛ وكان طالوت دباغاً يعمل الأدم ، فأخبرهم نبيهم شمویل أن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً ، فقالوا فيه ما أخبر الله عز وجل في كتابه :

(أنسى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه . ولم يؤت سعة من المال قال : إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم) . وأخبرهم نبيهم أن (آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة) ، وكان مدة ما مكث التابوت ببابل عشر سنين : فسمعوا عند الفجر حفيف الملائكة تحمل التابوت ، واشتد سلطان جالوت وكثرت عساكره وقوادده وبلغه انقياد بني إسرائيل إلى طالوت ،

(١) وردت في بعض النسخ « وهو شاول بن قيس بن أنيال بن صارون بن نحورب بن أفیح ابن بنيامين » .

فسار جالوت من فلسطين بأجناس من البربر - وهو جالوت (١) بن
 بابل بن ربال بن حطان بن فارس - فنزل بساحة بني اسرائيل ،
 فأمر شمويل طالوت بالمسير ببني اسرائيل الى حرب جالوت ؛
 فابتلام الله عز وجل بنهر بين الاردن وفلسطين وسلط الله عليهم
 العطش ، وقد قص الله ذلك في كتابه ، وأمروا كيف يشربون من
 النهر فولغه أهل الريبة ولوغ الكلاب ، فقتلهم طالوت عن آخرهم
 ثم فضّل من خيارهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً فيهم إخوة داود
 عليه السلام ، ولحق داود بإخوته فتوافق الجيشان جميعاً ، وكانت
 الحروب بينها سجّالاً ، وندب طالوت الناس وجعل لمن يخرج إلى
 جالوت ثلث ملكه ويتزوج ابنته ، فبرز داود فقتله بحجر كان في
 مَخْلَاقِهِ ، رماه بمقلاع فخر جالوت ميتاً ، وقد أخبر الله عز وجل
 بذلك في كتابه بقوله :

(وقتل داود جالوت) وقد ذكر ان الحجر الذي كان في
 مخلاة داود كان ثلاثة أحجار ، فاجتمعت وصارت حجراً واحداً ؛
 ولها أخبار قدمنا ذكرها فيما سلف من كتبنا ، وهي التي قتل بها
 جالوت ، وإن القوم الذين ولغوا في الماء وخالفوا ما أمر به كان
 القاتل لهم طالوت . وقد أتينا على خبر الدرع السقي كان أخبرهم
 نبيهم أنه لا يقتل جالوت إلا من صلحت عليه تلك الدرع إذا
 لبسها وأنها صلحت على داود ، وما كان من هذه الحروب وخبر
 النهر الذي نش على رأسه ، وخبر تملك طالوت وأخبار البربر وبده
 شأنهم ؛ في كتابنا في أخبار الزمان . وسنورد بعد هذا جملًا من
 أخبار البربر وتفرقهم في البلاد في الموضع اللائق بها من هذا الكتاب :

(١) وردت في إحدى النسخ : « وهو جالوت بن مالود بن دبال بن حطان بن فارس » .

ورفع الله ذكر داود وأخمل ذكر طالوت ، وأبى طالوت أن يفي لداود بما تقدم من شرطه ؛ فلما رأى ميل الناس إليه زوجته ابنته ، وسلم إليه ثلث الجباية وثلث الحكم وثلث الناس . ثم حسده بعد ذلك وأراد اغتياله ؛ فمنعه الله عز وجل من ذلك ، فأبى داود أن ينافسه في ملكه ونما أمر داود ، فبات طالوت على سرير ملكه فبات من ليلته كمدأ ، وانقادت بنو إسرائيل الى داود عليه السلام وكانت مدة ملك طالوت عشرين سنة ، وذكر أن الموضع الذي قتل فيه جالوت كان ببيسان من أرض الغور من بلاد الأردن ، وألآن الله عز وجل لداود الحديد فعمل منه الدروع وسخر له الجبال والطيور يُسبِّحنَ معه ، وحارب داود أهل مواب من أرض البلقاء ، وأنزل الله عز وجل عليه الزُّبُورَ بالعبرانية خمسين ومائة سورة ، وجعله ثلاثة أثلاث : فثلث من يلقون من بُخْتِ نَصْرٍ وما يكون من أمره في المستقبل ، وثلث ما يلقون من أهل أثور ، وثلث موعظة وترغيب وتمجيد وترهيب ؛ وليس فيه أمر ولا نهي ولا تحليل ولا تحريم ، واستقامت الأمور لداود ولحقت الجوارح من الكفار بأطراف الأرض لهيبة داود ، وبنى داود بيتاً للعبادة بأورشليم وهي بيت المقدس ، وهو البيت الباقي لوقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، ويدعى بمحراب داود عليه السلام ، وليس في بيت المقدس بناء هو أعلى منه في هذا الوقت ، وقد يرى في أعلاه البحيرة المنتنة ونهر الأردن المقدم ذكره ، وكان من أمر داود مع الخصمين ما قص الله عز وجل في كتابه من خبره ، وقوله لأحدهم قبل استمائه من الآخر : (لقد ظلمك) الآية ، وقد تنازع الناس في خطيئة داود ، فمنهم من رأى ما وصفنا ونفى عن الأنبياء المعاصي وتعمد الفسق وأنهم معصومون فكانت الخطيئة ما ذكرنا ، وذلك قوله

عز وجل : (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق) ومنهم من رأى أن ذلك كان من قصة أروياء بن حيان ومقتله على ما ذكرنا في كتاب المبتدأ وغيره ، وتاب الله عز وجل على داود بعد أربعين يوماً كان فيها صائماً باكياً ، وتزوج داود عليه السلام مائة امرأة . سليمان بن داود : ونشأ سليمان بن داود عليه السلام وبرع ، وداخل أباه في قضائه فأثابه الله فصل الخطاب والحكم ، على ما أخبر الله عز وجل عنهما بقوله : (وكلا آتينا حكماً وعلماً) .

ولما حضرت داود الوفاة أوصى إلى ولده سليمان ، وقبض ؛ فكان ملكه أربعين سنة على فلسطين والاردن ، وكان عسكره ستين ألفاً أصحاب سيوف مجردا مُردا أصحاب بأس ونجدة .

وكان ببلاد مدين وأيلة في عصر داود عليه السلام لقمان الحكيم وهو لقمان بن عنقاء بن مربرد بن صارون ، وكان نوبيا مولى للقين ابن جسر ، ولد على عشر سنين من ملك داود عليه السلام ، وكان عبداً صالحاً ؛ فمَنَّ الله عز وجل عليه بالحكمة ، ولم يزل باقياً في لأرض مظهراً للحكمة والزهد في هذا العالم إلى أيام يونس بن متى حين أرسل إلى أرض نينوى من بلاد الموصل .

ملك سليمان : ولما قبض الله داود عليه السلام قام بعده ولده سليمان بالنبوة والحكم وغمر عدله رعيته واستقامت له الامور وانقادت له الجيوش وابتدأ سليمان ببنيان بيت المقدس وهو المسجد الاقصى الذي بارك الله عز وجل حوله ، فلما استتم بناؤه بنى لنفسه بيتاً وهو الموضع الذي يسمى في وقتنا هذا كنيسة القيامة وهي الكنيسة العظمى ببيت المقدس عند النصارى ، ولهم كنائس غيرها معظمة ببيت المقدس منها : كنيسة صهيون ، وقد ذكرها داود عليه السلام ، والكنيسة المعروفة بالجسمانية ، يزعمون أن فيها قبر داود عليه السلام ، واعطى الله عز وجل لسليمان

عليه السلام من الملك ما لم يُعْطِهِ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ وَسَخَّرَ لَهُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَالطَّيْرَ وَالرِّيحَ عَلَى حَسَبِ مَا ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ ، وَكَانَ مَلِكًا سَلِيمًا بَنِي دَاوُدَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَقَبِيضٌ وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ سَنَةً ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ .

ذكر ملك أرخبعم بن سليمان بن داود عليهما السلام

ومن تلاه من ملوك بني إسرائيل ، وجل من أخبار الأنبياء ،

ملوك بني إسرائيل بعد وفاة سليمان : وملك على بني إسرائيل بعد وفاة سليمان بن داود عليهما السلام أرخبعم بن سليمان واجتمعت عليه الأسباب ثم افترقوا عنه ، إلا سبط يهوذا وسبط بنيامين ، وكان ملكه إلى أن هلك سبع عشرة سنة ، وملك على العشرة الأسباط يوريعم وكانت له كوائن وحروب ، واتخذ له عجلًا من الذهب والجوهر ، واعتكف على عبادته فأهلكه الله عز وجل ، فكان ملكه عشرين سنة ، وملك بعده أبيا بن أرخبعم بن سليمان ثلاث سنين ؛ ثم ملك بعده أحاب أربعين سنة ، وملك بعده يورام فأظهر عبادة الأصنام والتماثيل والصور ، وكان ملكه سنة ، ثم ملكت بعده امرأة يقال لها عيلان ؛ فوضعت السيف في ولد داود عليه السلام ، فلم ينج منهم إلا غلام ، فأنكرت بنو إسرائيل ذلك من فعلها ، فقتلوا ، وكان ملكها سبع سنين وقيل غير ذلك ، وملكوا عليهم الغلام الذي بقي من نسل داود فملك وله سبع سنين ، فأقام ملكاً أربعين سنة وقيل دون ذلك ، وملك بعده مليصا وكان ملكه اثنتين وخمسين سنة ، وكان في عصره شعيب النبي ، ولشعيب معه أخبار . وكانت له حروب قد أتينا على ذكرها في كتاب أخبار الزمان .

وملك بعده نوحا بن عدل عشر سنين وقيل : ست عشرة سنة ،
 ومَلِكَ بعده أجام فأظهر عبادة الأصنام وطمى وأظهر البغي ؛
 فصار إليه بعض ملوك بابل ، وكان يقال له فلعيمس وكان من عظماء
 ملوك بابل ، وكان للامرائيليين معه حروب إلى أن أسره البابلي ،
 وخرَّب مدن الأسباط ومساكنهم ، وكان في أيامه تنازع بين اليهود
 في الديانة ، فشد منهم الأسامرة ؛ وأنكروا نبوة داود عليه السلام
 ومن تـلـاه من الأنبياء ، وأبوا أن يكون بعد موسى نبي ، وجعلوا
 رؤساءهم من ولد هرون بن عمران ، والأسامرة في وقتنا هذا ، وهو
 سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، ببلاد فلسطين والأردن ، وفي قرى
 متفرقة مثل القرية المعروفة بعارا وهي بين الرملة وطبرية ، وغيرها
 من القرى إلى مدينة نابلس ، وأكثرهم في هذه المدينة ، أعني نابلس ،
 ولهم جبل يقال له طوريك ، وللأسامرة عليه صلوات في أوقاتها ،
 ولهم بوقات من فضة يُنفخ فيها عند أوقات الصلاة ، وهم الذين
 يقولون : « لا مَسَّاسَ » ويزعمون أن نابلس هي بيت المقدس وهي
 مدينة يعقوب النبي عليه السلام وهناك مرعاه ، وهما صنفان متباينان ،
 كتبائينهم لسائر اليهود ، وأحد الصنفين يقال له الكوسان ، والآخر
 دروسان ؛ أحد الصنفين يقول بقدوم العالم ومعانٍ غير ذلك أعرضنا
 عن ذكرها مخافة التطويل ، وأن كتابنا هذا كتاب خبر لا كتاب
 آراء ونحل .

وكان ملك أجام إلى أن أسره الملك البابلي سبع عشرة سنة ،
 ولما أسر الملك أجام ، ملك ولد له يقال له حزقيل بن أجام فأظهر
 عبادة الزحر وأمر بتكسير التماثيل والأصنام ، وفي ملكه سار سنجاريب
 ملك بابل إلى بيت المقدس وكانت له حروب كثيرة مع بني إسرائيل ،
 وقتل من أصحابه خلق كثير ، وسبى من الأسباط عدداً كثيراً ،

وكان ملك حزقييل إلى ان هلك سبعا وعشرين سنة .

ثم ملك بعد حزقييل ولد يقال له ميثا ؛ ففمر شره سائر مملكته ، وهو الذي قتل شعيبا النبي ؛ فبعث الله قسطنطين ملك الروم فسار إليه في الجيوش ، فهزم جيشه وأسره ، فأقام في أرض الروم عشرين سنة وأقلم عما كان عليه وعاد إلى ملكه ، فكان ملكه إلى ان هلك خمسا وعشرين سنة ، وقيل ثلاثين سنة .

ثم ملك بعده ولد له يقال له أمور بن ميثا ، فأظهر الطغيان وكفر بالرحمن ، وعبد التماثيل والأصنام ، ولما اشتد بغيه سار إليه فرعون الأعرج من بلاد مصر في الجيوش ، فأمن في القتل وأسره ومضى به إلى أمصر فمات هناك ، وكان ملكه خمس سنين وقيل غير ذلك .

وملك بعده أخ له يقال له نوفين ، وهو أبو دانيال النبي عليه السلام ، وفي عصر هذا الملك سار البخت نصر وهو مرزبان العراق والعرب من قبل ملك فارس ، وكان يومئذ ببلخ وكانت قصبة الملك ، فأمن البخت نصر في القتل لبني إسرائيل والأسر وحملهم إلى أرض العراق ، وأخذ التوراة وما كان في هيكل بيت المقدس من كتب الملوك وطرحه في بئر ، وعمد إلى تابوت السكينة فأودعه بعض المواضع من الأرض ، فيقال : إنه كان عدة من سبي من بني إسرائيل ثمانية عشر ألفا .

وفي هذا العصر كان أرميا النبي عليه السلام ، وسار بخت نصر إلى مصر فقتل فرعون الأعرج ، وكان يومئذ ملك مصر ، وسار نحو المغرب فقتل بها ملوكا وافتتح مدائن .

وكان ملك فارس تزوج جارية من سبايا بني إسرائيل ؛ فأولدها ولدا ، فرد بني إسرائيل إلى ديارهم ، وكان ذلك بعد سنين .

ولما رجعت بنو إسرائيل الى بلادهم ، ملكت عليها زربابل بن
 سلسان ، فابتنى مدينة بيت المقدس وعمَّراً ما كان خرب ؛ وأخرجت
 بنو إسرائيل التوراة من البئر واستقامت لهم الأمور ، فأقام هذا
 الملك على عمارة أرضهم ستاً وأربعين سنة ، وشرع لهم الصلوات
 وغيرها من الشرائع مما كانت تلف منهم في حال السبي ، والأسامرة
 تزعم أن التوراة التي في يد اليهود ليست التوراة التي أوردتها موسى
 ابن عمران عليه السلام ، وأن تلك حُرِّفت وبدلت وغيَّرت ، وأن
 المحدثَ لهذه التي بأيديهم هذا الملك المذكور ، لأنه جمعها ممن كان
 يحفظها من بني إسرائيل ، وأن التوراة الصحيحة هي التي في أيدي
 الأسامرة دون غيرهم . وكان ملك هذا الملك ستاً وأربعين سنة ،
 ووجدت في نسخة أخرى أن المتزوج في بني إسرائيل هو نخت نصر
 نفسه ، وهو الذي ردَّهم ومَنَّ عليهم ، وفيه نظر .

* * *

اسماعيل بن ابراهيم ، ودبَّيرَ إسماعيل بن ابراهيم أمرَ البيت بعد
 ابراهيم عليه السلام ، ونبأه الله - عز وجل - وأرسله إن العماليق
 وقبائل اليمن ، فنهاهم عن عبادة الأوثان ؛ فأمن طائفة منهم وكفر
 أكثرهم ، وولد لإسماعيل اثنا عشر ذكراً . وهم : فائث وقيدار وأربل
 وميم ومسمع ودوما ودوام وميشا وحداد وحيم وقطورا وماس^(١) ،
 وكانت وصية ابراهيم إلى ابنه إسماعيل عليه السلام ؛ ووصى إسماعيل

(١) وردت في بعض النسخ وهم : « ثابت ، وقيدار ، وأربيل ، وميسم ، ومشمع ،

وهوما ، ومسا ، وحداد ، وأسيا ، ويطور ، ونافش ، وبقادما » .

الى أخيه إسحاق عليها السلام ، وقد قيل : الى ولده قيذار بن إسماعيل ، وكانت عمر إسماعيل الى أن قبضه الله إليه مائة سنة وسبعمائة وثلاثين سنة ؛ ودفن بالمسجد الحرام في الموضع الذي كان فيه العَجَرُ الأسود .

ودبر أمر البيت بعده فائث بن إسماعيل عليه السلام ، على منهج إسماعيل وملته ، وقيل أيضاً انه كان وصي أبيه إسماعيل عليه السلام . بين سليمان والمسيح : وكان بين سليمان بن داود وبين المسيح عليها السلام أنبياء وعباد وصالحون منهم : أرمينيا ودانيال وعزير ، وقد تنازع الناس في نبوته ، وأيوب وأشعيا وحزقييل والياس واليسع ويونس وذو الكفل والحضر ، وروي عن ابن إسحاق أنه أرمينيا ، وقيل بل كان عبداً صالحاً ، وزكريا وهو زكريا بن أدق وهو من ولد داود من سبط يهوذا ، وكان تزوج أشباع بنت عمران أخت مريم بنت عمران أم المسيح عليها السلام ، وهو عمران بن ماثان بن يعاقم من ولد داود أيضاً ، واسم أم أشباع ومريم حنة ، وولدت لزكريا يحيى ، وكان يحيى ابن خالة المسيح عليهم السلام ، وكان زكريا نجاراً ، فأشاعت اليهود أنه ركب من مريم الفاحشة فقتلوه ، وكان لما أحس بهم لجأ الى شجرة ، فدخل في جوفها ، فدلهم عليه إبليس لعنه الله عز وجل ، فنشروا الشجرة وهو فيها ، فقطعوه وقطعوها ، ولما ولدت أشباع ابنة عمران أخت مريم أم المسيح يحيى بن زكريا عليها السلام ، هربت به من بعض الملوك الى مصر ، فلما صار رجلاً بعثه الله عز وجل الى بني إسرائيل ، فقام فيهم بأمر الله عز وجل ونهيه فقتلوه ؛ وكثرت الأحداث في بني إسرائيل ، فبعث الله عليهم ملكاً من ناحية المشرق

يقال له حردوس^(١) ، فقتل منهم على دم يحيى بن زكريا ألوفاً من الناس وهو يفور ، الى ان هدا الدم بعد تخطب طويل .

مولد المسيح عليه السلام : ولما بلغت مريم ابنة عمران سبع عشرة سنة بعث الله عز وجل ، إليها جبريل فنفخ فيها الروح ، فحملت بالسيد المسيح عيسى عليه السلام ، وولدت بقرية يقال لها بيت لحم على أميال من بيت المقدس ، ولدته في يوم الأربعاء لأربع وعشرين ليلة خلت من كانون الاول ؛ وكان من أمره ما ذكره الله عز وجل في كتابه ، واتضح على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد زعمت النصارى ان أشيوع الناصري أقام على دين من سلف من قومه يقرأ التوراة والكتب السالفة في مدينة طبرية من بلاد الاردن في كنيسة يقال لها : المدراس ، ثلاثين سنة ، وقيل : تسعاً وعشرين سنة ؛ وانه في بعض الأيام كان يقرأ في سفر أشعيا إذ نظر في السفر إلى كتاب من نور فيه : « أنت نبي ، وخالصتي ، اصطفتك لنفسي » : فأطبق السفر ودفعه إلى خادم الكنيسة ، وخرج وهو يقول : الآن تمت المشيئة لله في ابن البشر ، وقد قيل إن المسيح عليه السلام كان بقرية يقال لها ناصرة من بلاد اللجون من أعمال الأردن وبذلك سميت النصرانية ، ورأيت في هذه القرية كنيسة تعظمها النصارى وفيها توابيت من حجارة فيها عظام الموتى يسيل منها زيت ثخين كثرب تبرك به النصارى ؛ وأن المسيح مر ببخيرة طبرية وعليها أناس من الصيادين وهم بنو زبدا ، واثنان عشر من القصارين فدعاهم الى الله وقال : اتبعوني تصيدوا البشر ؛ فاتبعه ثلاثة من الصيادين ، وهم بنو زبدا واثنان عشر من القصارين ، وقد ذكر أن ميروحنا وشمعون وبولس ولوقا هم الحواريون الأربعة الذين تلقوا الإنجيل ، فألفوا خبر عيسى عليه السلام ، وما كان من أمره وخبر مولده ، وكيف عمده يحيى بن زكريا وهو يحيى الممداني في بخيرة

طبرية ، وقيل في بحر الاردن الذي يخرج من بحيرة طبرية ويحري إلى البحيرة المنتنة ، وما فعل من الأعاجيب وأتى من المعجزات ، وما قالت اليهود الى ان رفعه الله عز وجل ، اليه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، وفي الإنجيل خطب طويل في أمر المسيح ومريم عليها السلام ويوسف النجار ، أعرضنا عن ذلك لأن الله عز وجل لم يخبر بشيء من ذلك في كتابه ، ولا أخبر به محمداً نبيه صلى الله عليه وسلم .

ذكر أهل الفترة من كان بين المسيح ومحمد

صلى الله عليها وسلم

وقد كان بين المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم ، في الفترة جماعة من أهل التوحيد ، ممن يقر بالبعث ، وقد اختلف الناس فيهم ؛ فمن الناس من رأى أنهم أنبياء ، ومنهم من رأى غير ذلك .

فمن ذكر أنه نبي حنظلة بن صفوان وكان من ولد إسماعيل ابن إبراهيم ، صلى الله عليها وسلم ، وأرسل إلى أصحاب الرّسّ وكانوا من ولد إسماعيل بن إبراهيم ، وهم قبيلتان يقال لاحدهما أدمان (١) ، وللأخرى يامن وقيل رعربيل وذلك باليمن ؛ فقام فيهم حنظلة بأمر الله عز وجل فقتلوه ، فأوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل من سبط يهوذا أن يأمر بنخت نصرَ بأن يسير إليهم ، فسار إليهم ، فأتى عليهم ، فذلك قوله عز وجل : (فلما أحسوا بأسنا) إلى قوله (حصيداً خامدين) وقيل إن القوم كانوا من حمير ، وقد ذكر ذلك بعض شعرائهم في مرثية له فقال :

بكت عيني لأهل الرّسّ : رَعَوِيل وَقَدَمَان
وَأَسْلَمَ مِنْ أَبِي زَرْعٍ نَكَالَ الْحَيِّ فَحَنْطَان

الاسكندر : وقد حكى عن وهب بن منبه أن ذا القرنين ، وهو الاسكندر ، كان بعد المسيح عليه السلام في الفترة ، وأنه كان حلم

(١) وفي نسخة « قدمان » وهو المذكور في الشعر.

حلاً رأى فيه أنه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها في شرفيها
وغربيها ، فقص رؤياه على قومه فسموه بذئ القرنين ؛ وللناس في ذي
القرنين تنازع كبير ، وقد أتينا على ذلك في كتاب : « أخبار الزمان »
وفي الكتاب الأوسط ؛ وسنذكر لمعاً من خبره عند ذكرنا لملوك
اليونانيين الروم [والروم] .

اصحاب الكهف ، وكذلك تنازع الناس في أصحاب الكهف في أي
الاعصار كانوا فمنهم من زعم أنهم كانوا في زمن الفترة ، ومنهم من
رأى غير ذلك ، وسنأتي بلمع من خبرهم في ذكرنا ملوك الروم في
هذا الكتاب ، وإن كنا قد أتينا على ذلك في الكتاب الأوسط وفيما
سلف قبله من كتاب « أخبار الزمان » .

ومن كان في الفترة بعد المسيح عليه السلام جرجيس ، وقد
أدرك بعض الحواريين ، فأرسله الله إلى بعض ملوك الموصل ؛ فدعاه
إلى الله عز وجل ، فقتله ، فأحياه الله اليه وبعثه اليه ثانية فقتله ،
فأحياه الله ، فأمر بنشره ثلاثة وإحراقه وإذرائه في دجلة ، فأهلك
الله عز وجل ذلك الملك . بيع أهل مملكته ممن اتبعه ، على حسب ما
وردت به الأخبار عن أهل الكتاب ممن آمن ، وذلك موجود في
كتاب المبتدأ والسير لوهب بن منته وغيره .

ومن كان في الفترة حبيب النجار وكان يسكن أنطاكية من أرض
الشام ، وكان بها ملك متجبر يعبد التماثيل والصُور ، فسار اليه اثنان
من تلامذة المسيح ، فدعواه إلى الله عز وجل ، فحبسها وضربها
فعرزها الله بثالث ؛ وقد تنوزع فيه فذهب كثير من الناس إلى أنه
بطرس وهذا اسمه بالرومية ، واسمه بالعربية سمعان ، وبالسريانية شمعون
وهو شمعون الصفاء ، وذكر كثير من الناس - وإليه ذهب سائر فرق

النصرانية - أن الثالث المعزّز به هو بولس وأن الاثنين المتقدمين اللذين أودعا الحبس توما وبطرس ، فكان لهم مع ذلك الملك خطب عظيم طويل فيما أظهروا من الاعجاز والأعاجيب والبراهين : من إبراء الأكنه والأبرص وإحياء الميت وحيلة بولس عليه بمداخلته إياه وتلطفه له ، واستنقاذ صاحبيه من الحبس ، فجاء حبيب النجار فصدقهم لما رأى من آيات الله عز وجل ، وقد أخبر الله عز وجل بذلك في كتابه بقوله : (إذا أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما) إلى قوله (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) ، وقتل بولس وبطرس بمدينة رومية وصلبا منكسين ، وكان لهما فيها خبر طويل مع الملك ومع سببا^(١) الساحر ، ثم جعل بعد ذلك في خزانة من البلور ، وذلك بعد ظهور دين النصرانية ، وحرمتها في كنيسة هناك قد ذكرناها في الكتاب الأوسط عند ذكرنا لعجائب رومية ، وأخبار تلاميذ المسيح عليه السلام وتفرقهم في البلاد ، وسنورد في هذا الكتاب لمعاً من أخبارهم ، إن شاء الله تعالى .

اصحاب الاخدود : فأما اصحاب الاخدود فإنهم كانوا في الفترة في مدينة نجران باليمن في مثلك ذي نواس وهو القاتل لذي شنتر ، وكان على دين اليهودية ، فبلغ ذا نواس أن قوماً بنجران على دين المسيح عليه السلام ، فسار اليهم بنفسه واحتفر لهم أخاديد في الأرض ، وملاها جمرأ ، وأضرّمها ناراً ؛ ثم عرضهم على اليهودية ، فمن تبعه تركه ومن أبى قذفه في النار ، فأتي بامرأة معها طفلها ابن سبعة أشهر ، فأبت أن تتخلّى عن دينها ، فأدّيت من النار ، فجزعت ؛ فأنطق الله عز وجل الطفل ، فقال : يا امه امض على دينك فلا

(١) وفي بعض النسخ « سليمان الساحر » .

نار بعد هذه ، فألقاها في النار ، وكانوا مؤمنين موحدين ، لا على رأي النصرانية في هذا الوقت ، فمضى رجل منهم يقال له ذو ثعلبان الى قيصر ملك الروم يستنجده ، فكتب له الى النجاشي لأنه كان أقرب إليهم داراً ، فكان من أمر الحبشة وعبورهم الى أرض اليمن وتغلبهم عليها الى أن كانت من أمر سيف ذي يزن واستنجاهه الملوك الى أن أنجده أنوشروان ما قد أتينا على ذكره في كتابنا أخبار الزمان وفي الكتاب الأوسط ، وسنذكر لعمراً من ذلك فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا لأخبار الأذواء وملوك اليمن ، وقد ذكر الله عز وجل في كتابه قصة أصحاب الأخدود بقوله عز وجل : (قتل أصحاب الأخدود) الى قوله : (وما نَقَمُوا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) .

خالد العبيسي : ومن كان في الفترة خالد بن سنان العبيسي ، وهو خالد بن سنان بن غيث بن عيس ، وقد ذكره النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ذلك نبي أضاعه قومه » ، وذلك أن ناراً ظهرت في العرب فافتتنوا بها ، وكانت تنتقل ، وكادت العرب تستمجنس وتغلب عليها الجوسية ؛ فأخذ خالد بن سنان هراوة وشدَّ عليها وهو يقول : بدا يدا كل هدى ، مؤدَّ الى الله الأعلى لأدخلنها وهي تلتطى . ولأخرُجَنَّ منها وثيابي تتندى ، فأطفأها ، فلما حضرت خالد بن سنان الوفاة قال لإخوته : إذا أنا دفنت ، فإنه ستجيء عانة من حمير يقدمها غير أبتى ، فيضرب قبوري بحافره ؛ فإذا رأيتم ذلك فانبشوا عني فإني سأخرج إليكم فأخبركم بجميع ما هو كائن ؛ فلما مات ودفنوه رأوا ما قال ، فأرادوا ان يخرجوه ففكره ذلك بعضهم

وقالوا : نخاف أن تنسبنا العرب الى نبشينا عن ميت لنا (١) ، وأنت ابنته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعتة يقرأ : (قل، هو الله أحد ، الله الصمد) . فقالت : كان أبي يقول هذا ؛ وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب لمعاً من أخباره مما تدعو الحاجة إلى ذكره ، إن شاء الله تعالى .

رثاب الشني : قال المسعودي : ومن كان في الفترة رثاب الشني ، وكان من عبد القيس ، ثم من شن ، وكان على دين المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، فسمعوا منادياً ينادي من السماء قبل مبعث النبي : خير أهل الأرض ثلاثة : رثاب الشني ، وبجيرا الراهب ، ورجل آخر لم يأت بعد ، يعني النبي عليه السلام ، وكان لا يموت احد من ولد رثاب فيدفن الا رأوا واسطاً على قبره .

ومنهم اسعد ابو كروب الحميري ، وكان مؤمناً ، وآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث بسبعائة سنة ، وقال :

شَهِدْتُ عَلَى أَحْمَدَ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ بَارِي النَّسَمِ
فَلَوْ مَدُّ عَمْرِي إِلَى عَمْرِهِ لَكُنْتُ وَزيراً لَهُ وَإِبْنَ عَمِّ
وَأَلْزِمُ طَاعَتَهُ كُلَّ مَنْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ أَوْ عَجَمِ

وهو أول من كسا الكعبة الأنطاع والبرود ، فلذلك يقول بعض حمير :
وكسونا البيت الذي عظم الله به ملاءة مقصبا وبرودا

ومنهم قس بن ساعدة الايلدي من إياد بن أد بن معن وكان حكيم العرب وكان مقراً بالبعث ، وهو الذي يقول : من عاش مات

(١) في بعض النسخ « نخاف أن تسبنا العرب بأنا نبشنا ميتنا لنا » .

ومن مات فات وكل ما هو آت آت ، وقد ضرب العرب بحكمته وعقله الأمثال ، قال الأعشى :

وأحكمُ مِن قَسٍ ، وأجرًا من الذي
بِذِي الغيلِ مِن خَفْتانِ أَصْبَحَ خادِرًا

وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم وفد من إباد ؛ فسألهم عنه ، فقالوا : ملك ، فقال : رحمه الله ، كأنني أنظر إليه بسوق عُكاظ على جبل له أحمر وهو يقول : أيها الناس ، اجتمعوا واسمعوا ووعوا ، مَنْ عاش مات وَمَنْ مات فات وكل ما هو آت آت ، أما بعد فإن في السماء لخبرا وإن في الأرض لعبرا ، نجوم تمور وبحار تغور ، وسقف مرفوع ومهاد موضوع ، أقسم قس بالله قسماً لا حائثاً فيه ولا آثماً ، إن الله لدينا هو أرضى من دين أنتم عليه ، ما لي أراهم يذهبون ولا يرجعون ، أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا فناموا ؟ سبيل مؤتلف وعمل مختلف . وقال أبياتا لا أحفظها ؛ فقام أبو بكر رضي الله عنه ، فقال : أنا أحفظها يا رسول الله ، فقال : هاها . فقال :

في الذاهبين الأولي ن من القرون لنا بصائر
لما رأيت موآرداً للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تمضي الأوائل واءواخر
لا يرجع الماضي ، ولا يبقى من الباقي غابر
أيقنت أني لا تحا لة حيث صار القوم صائر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحمه الله قساً ، إني لأرجو أن يبعثه الله أمة واحدة .

قال المسعودي : ولقس أشعار كثيرة وحكم وأخبار تبصر في

الطب والزجر والفعال وأنواع الحكم ، وقد ذكرنا ذلك في كتاب
« أخبار الزمان » وفي الكتاب الأوسط :

ومن كان في الفترة زيد بن عمرو بن نُفَيْل ، أبو سعيد بن زيد
أحد العشرة ، وهو ابن عم عمر بن الخطاب لحنّا ، وكان زيد يرغب
عن عبادة الأصنام ، وعابها فأولع به عمه الخطابُ سفهاء مكة
وسلطهم عليه فأذوه ، فسكن كهفاً بجراء ، وكان يدخل مكة سرّاً ،
وصار إلى الشام يبعث عن الدين ، فسمته النصارى ومات بالشام ،
وله خبر طويل مع الملك والترجمان ومع بعض ملوك غسان بدمشق ،
وقد أتينا عليه فيما سلف من كتبنا .

ومنهم أمية بن ابي السلط الثقفى وكان شاعراً عاقلاً ، وكان
يتجبر إلى الشام ، فلتقاه أهل الكنائس من اليهود والنصارى وقرأ
الكتب ، وكان قد علم أن نبياً يبعث من العرب ؛ وكان يقول
أشعاراً على آراء أهل الديانة يصف فيها السموات والأرض والشمس
والقمر والملائكة ، وذكر الأنبياء والبعث والنشور والجنة والنار ،
ويعظم الله عز وجل ويوحده ، من ذلك قوله :

الْحَمْدُ لِلَّهِ ، لا شريك له ، مَنْ لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ظُلْمًا

ووصف أهل الجنة في بعض كلماته ، فقال :

فلا لغو ولا تأثيم فيها ، وما فاهوا به لهم مُقيمٌ

ولما بلغه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم اغتاض لذلك وتأسف ،
وجاء المدينة ليسلم فردّه الحسد ، فرجع إلى الطائف ، فبينما هو ذات
يوم في فتية يشرب إذ وقع غراب فنعب ثلاثة أصوات وطار ،
فقال أمية : أتدرون ما قال ؟ قالوا : لا ، قال : فانه يقول لكم إن

أمية لا يشرب الكأس الثالثة حتى يموت ؛ فقال القوم : لتكذبن قوله ، ثم قال : احسوا كأسكم ، فحسروها ، فلما انتهت النوبة اليه أغمى عليه ، فسكت طويلاً ، ثم أفاق وهو يقول :

لَبَيْكُمَا لَبَيْكُمَا هَا أَنَا ذَا لَدَيْكُمَا

أنا من حفت به النعمة ، والحمد والشكر (١) .

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِيرُ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا الْمَا

أو قال : أنا من حفت به النعمة والحمد ولم يجهد في الشكر .
ثم أنشأ يقول :

إِنَّ يَوْمَ الْحِسَابِ يَوْمٌ عَظِيمٌ ،

شَابَ فِيهِ الصَّغِيرُ يَوْمًا طَوِيلًا

لِيَتَنَبَّيَ كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَأَ لِي

فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ أَرْعَى الْوَعُولَا

كُلُّ عَيْشٍ وَإِنْ تَطَاوَلَ حِينًا

فَقُصَارَى أَيَّامِهِ أَنْ يَزُولَا

ثم شهق شهقة ؛ فكانت فيها نفسه .

قال المسعودي : وقد ذكر جماعة من أهل المعرفة بأيام الناس ، وأخبار من سلف ، كابن دأب ، والهيثم بن عدي ، وأبي مخنف لوط بن يحيى ، ومحمد بن السائب الكلبي ، أن السبب في كتابة قريش ، واستفتاحها في أول كتبها « باسمك اللهم » هو ان أمية بن أبي الصلت الثقفي خرج الى الشام في نفر من ثقيف وقريش في غيرهم ، فلما قفلوا راجعين نزلوا منزلاً ، واجتمعوا لعشائهم ؛ إذ

(١) في بعض النسخ « ولم يحمد الشكر » .

أقبلت حية صغيرة حتى دنت منهم ؛ فحصبها بعضهم بشيء في وجهها ، فرجعت ؛ فشدهوا سفرتهم ثم قاموا فشدوا على إبلهم وارتحلوا من منزلهم ؛ فلما برزوا عن المنزل أشرفت عليهم عجوز من كتيب رمل متوكئة على عصا لها ، فقالت : ما منعكم أن تطعموا رحيمة الجارية اليتيمة ، التي جاءتكم عشية ؟ قالوا : ومن أنت ؟ قالت : أم العوام ، أوتمت منذ أعوام ، أما ورب العباد لتفترقن في البلاد ، ثم ضربت بعصاها الأرض فأثارت بها الرمل ، وقالت : أطيلي إياهم ، وأنفيري ركابهم ، فوثبت الإبل فكان على ذرورة كل بعير منها شيطاناً ، ما نملك منها شيئاً ، حتى افتردت في البوادي ، فجمعناها من آخر النهار إلى غد ، ولم نكد ، فلما أنخناها لترحلها طلعت علينا العجوز فعادت بالعصا كفعلها أولاً ، وعادت إلى مقالتها : ما منعكم أن تطعموا رحيمة الجارية اليتيمة ؟ أطيلي إياهم وانفيري ركابهم ، فخرجت الإبل ما نملك منها شيئاً ، فجمعناها من آخر النهار إلى غد ، ولم نكد ، فلما أنخناها لترحلها طلعت علينا العجوز ؛ ففعلت مثل فعلتها الأولى والثانية ، ففترقت الإبل وأمسينا في ليلة مقمرة ، وقد يشنا من ظهورنا ، فقلنا لأمية بن أبي الصلت : أين ما كنت تخبرنا به عن نفسك ؟ فتوجه إلى ذلك الكتيب الذي كانت تأتي منه العجوز حتى هبط من ناحية أخرى ، ثم صعد كتيباً آخر حتى هبط منه ، ثم رفعت له كنيسة فيها قناديل ، وإذا رجل جالس أبيض الرأس واللحية . قال أمية : فلما وقفت عليه رفع رأسه إلي وقال : إنك لتبوع . قلت : أجل . قال : فمن أين يأتيك صاحبك ؟ قلت : من أذني ليسرى . قال : فبأي الثياب يأمرك ؟ قلت : بالسواد . قال : هذا خطب الجن ، كدت ولم تفعل ، ولكن صاحب هذا الأمر يكله في أذنه اليمنى ، وأحب الثياب إليه البياض ، فما جاء بك ؟

وما حاجتك ؟ فحدثته حديث المعجوز . قال : صدقت ، وليست بصادقة هي امرأة يهودية هلك زوجها منذ أعوام ، وإنها لا تزال تصنع بكم ذلك حتى تهلكم إن استطاعت . قال أمية : فما الحيلة ؟ قال : اجعوا ظهوركم فإذا جاءكم ففعلت ما كانت تفعل ، فقولوا لها : سباً من فوق وسباً من أسفل ، باسمك اللهم ، فإنها لا تضركم فرجع أمية إلى اصحابه ، فأخبرهم بما قيل له فجاءتهم ، ففعلت كما كانت تفعل . فقالوا : سباً من فوق وسباً من أسفل ، باسمك اللهم ، فلم تضرمهم فلما رأت الإبل لم تتحرك ، قالت : عرفت صاحبكم ، لِيَبْيَضْنَ أعلاه ويسودن أسفله وسيرنا ، فلما ادركنا الصبح نظرنا إلى أمية قد برص في عذاريه ورقبته وصدره ، واسود أسفله ، فلما قدموا مكة ذكروا هذا الحديث .

وكان أمية أول من كتب « باسمك اللهم » ، الى ان جاء الله عز وجل بالإسلام فرفع ذلك وكتب : (بسم الله الرحمن الرحيم) ، وله أخبار غير هذه قد أتينا عليها وعلى ذكرها في « أخبار الزمان » وغيره مما سلف من كتبنا .

ومنهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وهو ابن عم خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم لحناً ، وكان قد قرأ الكتب وطلب العلم ورغب عن عبادة الأصنام وبشر خديجة بالنبي صلى الله عليه وسلم وأنه نبي هذه الأمة ، وأنه سيؤذي ويكذب ، ولقي النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا ابن أخي ، اثبت على ما أنت عليه ، فوالذي نفس ورقة بيده إنك لنبي هذه الأمة ، ولتؤذين ولتكذبن ولتخرجن ولتقاتلن ، ولئن أدركت يومك لأنصرن الله نصراً يعلمه ، وقد اختلف فيه ؛ فمنهم من زعم أنه مات نصرانياً ، ولم يدرك ظهور النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم

يتيسر له أمره ، ومنهم من رأى أنه مات مسلماً وأنه مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال :

يَعْفُو وَيَصْفَحُ ، لَا يَجْزِي بِسَيِّئَةٍ ،
وَيَكْتُمُ الْفَيْظَ عِنْدَ الشُّمِّ وَالغَضَبِ

ومنهم عداس مولى 'عثبة بن ربيعة وكان من أهل نينوى ، ولقي النبي صلى الله عليه وسلم بالطائف حين تخرج يطعموهم إلى الله عز وجل ، وكان له مع النبي صلى الله عليه وسلم ، خطب في الحديقة ، وقتل يوم بدر على النصرانية وكان ممن يبشر بالنبي صلى الله عليه وسلم .

ومنهم أبو قيس صرمة بن أبي أنس من الأنصار من بني النجار ، وكان ترهيباً ولبس المسوح وهجر الأوثان ، ودخل بيتاً واتخذ مسجداً لا تدخله طامث ولا جنب ، وقال : أعبد رب إبراهيم ، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أسلم وحسن إسلامه ، وفيه نزلت آية السحور (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) ، وهو القائل في رسول الله صلى الله عليه وسلم :

تَوَى فِي قُرَيْشٍ بَضْعَ عَشْرَةَ حَجَّةً بِمَكَّةَ لَا يَلْقَى صَدِيقاً مُؤَاتِياً

ومنهم أبو عامر الأوسي واسمه عبد عمرو بن صيفي بن النعمان ، من بني عمرو ابن عوف ، من الأوس ، وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة ، وكان سيداً قد ترهيباً في الجاهلية ، ولبس المسوح ، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كان له معه خطب طويل ، فخرج في خمسين غلاماً . فمات على النصرانية بالشام .

ومنهم زيد الله بن جحش الأمدي من بني أسد بن خزيمية ، وكانت عنده أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب قبل أن يتزوجها

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد قرأ الكتب فقال إلى النصرانية ؛ فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هاجر إلى أرض الحبشة فيمن هاجر من المسلمين ومعه زوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب ، ثم إنه ارتد عن الإسلام هنالك وتصر ومات بأرض الحبشة ، وكان يقول للمسلمين : إنا فتحنا وأصأتم ، يريد أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ، وهذا مثل ضربه لهم ، وذلك أنه يقال للكلب إذا فتح عينيه بعدما يولد وهو جرو : قد فتح ، وإذا كان يريد أن يفتحها ولم يفتحها بعد قيل صاصاً ، ولما مات عبدالله بن جحش ، تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وزوجها إياه النجاشي ، وأمهرها عنه أربعمئة دينار .

ومنهم بَحِيرَا الرَّاهِبِ وكان مؤمناً على دين المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، واسم بَحِيرَا في النصارى سرجس^(١) وكان من عبد القيس ، ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب إلى الشام في تجارة وهو ابن اثنتي عشرة سنة ومعهم أبو بكر وبلال ، مرؤا ببَحِيرَا وهو في صومعته ، فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته ودلائله وما كان يجده في كتابه ونظر إلى الفهام تظله حيث ما جلس ، فأنزلهم بحيرا وأكرمهم واصطنع لهم طعاماً ونزل من صومعته حتى نظر إلى خاتم النبوة بين كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووضع يده على موضعه ، وآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وأعلم أبا بكر وبلالا بقصته وما يكون من أمره ، وسأل أبا طالب ان يرجع به من وجهه ذلك ، وحذرهم عليه من أهل الكتاب وأخبر عمه أبا طالب بذلك ، فرجع به ، فلما رجع من

(١) في بعض النسخ « جرجس » .

سفره ذلك كان بدء قصته مع خديجة وما اظهر الله لها من دلائل نبوته ، وما أخبرت به بما كان منه في طريقه .

قال المسعودي : فهذه جمل مبدأ الخليفة الى حيث انتهينا من هذا الموضوع ، ولم نشبه بشيء غير ما جاءت به الشرائع ونطقت به الكتب ، وأوضحت عنهم الرسل عليهم الصلاة والسلام .

ولذكر الآن بدء ممالك الهند ، ولما من آرائها ، ونشبع ذلك بذكر سائر الممالك ؛ إذ كنا قدمنا جملاً من ذكر ملوك الامرائيليين على حسب ما وجدنا في كتب الشرعيين ، والله اعلم .

ذكر جمل من أخبار الهند وآرائها

وبدء بمالكها وملوكها

ذكرَ جماعة من اهل العلم والنظر والبحث الذين وصلوا الغاية بتأمل شأن هذا العالم وبدئه : ان الهند كانت في قديم الزمان الفرقة التي فيها الصلاح والحكمة ؛ فإنه لما تجملت الأجيال وتحزبت الأحزاب ، حاولت الهند ان تضم المملكة ، وتستولي على الحوزة ، وتكون الرياسة فيهم ، فقال كبراؤهم : نحن كنا اهل البدء ، وفينا التناهي ، ولنا الغاية والصدر والانتها ، ومنا سرى الأب الى الأرض ، فلا ندع احداً شاقنا ولاعاندنا وأراد بنا الاغماض الا أتينا عليه وأبدناه او يرجع الى طاعتنا ، فأزمنت على ذلك ، ونصبت لها ملكاً ، وهو البرهمن الاكبر والملك الأعظم والإمام فيها المقدم وظهرت في ايامه الحكمة وتقدمت العلماء ، واستخرجوا الحديد من المعادن ، وضربت في ايامه السيوف والخنجر وكثير من انواع المقاتل ، وشيد الهياكل ورصمها بالجواهر المشرقة المنيرة ، وصور فيها الأفلاك والبروج الاثني عشر والكواكب ، وبين بالصورة كيفية العالم ، وأرى بالصورة أيضاً أفعال الكواكب في هذا العالم وأحداثها للأشخاص الحيوانية من الناطقة وغيرها ، وبين حال المدبر الأعظم الذي هو الشمس ، وأثبت في كتابه براهين جميع ذلك ، وقربَ إلى عقول العوام فهم ذلك ، وغرس في نفوس الخواص دراية ما هو أعلى من ذلك ، وأشار إلى المبدأ الأول المعطي سائر الموجودات وجودها الفائض عليها يجوده ، وانقاد له الهند وأخصبت بلادها وأراهم وجه مصالح الدنيا ، وجمع الحكماء فأحدثوا

في أيامه كتاب السند هند ، وتفسيره دهر الدهور ، ومنه فرعت الكتب ككتاب الأرجيهد والمسطي وفرع من الأرجيهد الأركند ، ومن المسطي كتاب بطليموس ، ثم عمل منها بعد ذلك الزيجات ، وأحدثوا التسعة الأحرف المحيطة بالحساب الهندي ، وكان أول من تكلم في أوج الشمس وذكر أنه يقم في كل برج ثلاثة آلاف سنة ويقطع الفلك في ستة وثلاثين ألف سنة ، والأوج الآن على رأي البرهن في وقتنا هذا وهو سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة في برج الثور وأنه إذا انتقل إلى البروج الجنوبية انتقلت العمارة ؛ فصار العامر خراباً ، والخارب عامراً ، والشمال جنوباً ، والجنوب شمالاً ، ورتب في بيت الذهب حساب الدور الأول والتاريخ الأقدم الذي عليه عملت الهند في تواريخ البدء ، وظهرها في أرض الهند دون سائر الممالك ، ولهم في البدء خَطْب طویل أعرضنا عن ذكره ؛ إذ كان كتابنا كتاب خبر لا كتاب بحث ، ونظر ، وقد أتينا على جل من ذلك في الكتاب الأوسط ، ومن الهند من يذكر أن ابتداء العالم في كل سبعين ألف سنة هازروان ، وأن العالم إذا قطع هذه المدة عاد الكون فظهر النسل ومرحت البهائم وتغلغل الماء ودب الحيوان وبَقَلَ العُشْبُ وخرق النسيم الهواء ؛ فأما أكثر أهل الهند فإنهم قالوا بكرور منصوبات على دوائر تبتديء القوى متلاشية شبيهة الشخص ، موجودة القوة ، منتصبه الذات ، وحدثوا لذلك أجلاً ضربوه ، ووقتاً نصبوه ، وجعلوا الدائرة العظمى والحادثة الكبرى ، وسموا ذلك بعمر العالم ، وجعلوا المسافة بين البدء والانتهاى مدة ست وثلاثين ألف سنة مكررة في اثني عشر ألف عام ، وهذا عندهم الهازروان الضابط لقوى الأشياء والمدبر لها ، وأن الدوائر تقبض وتبسط جميع المعاني التي تستودعها ، وأن الأعمار تطول في أول

الكر لانفساخ الدوائر ، وتمكن القوى من المجال ، وتقصر الأعمار في آخر الكر لضيق الدوائر ، وكثرة ما يعرض فيها من الأكدار الباترة للأعمار ، وذلك أن قوى الأجسام وصفوها في أول الكر تظهر وتسرح ، وأن الصفو سابق الكدر ، والصافي يبادر الثفل ، والأعمار تطول بحسب صفاء المزاج ، وتكامل القوى المدبرة لعناصر أخلاط الكائنات الفاسدات المستحيلات البائذات ، وأن آخر الكر الأعظم وغاية البدء الأكبر تظهر الصورة متشوهة والنفوس ضعيفة والأمزجة مختلطة وتتناقض القوى وتبيد المواسك وترد المواد في الدوائر منعكسة مزدحمة ، فلا يحظى ذوو الأعصار بتمام الأعمار ، وللهند فيما ذكرناه علل وبراهين في المبادئ الأول وفيما بسطناه من تفريغهم في الدوائر والهازروانات ، ورموز وأسرار في النفوس في اتصالها بما علا من العوالم وكيفية بدئها من أعلى إلى أسفل ، وغير ذلك مما رتب لهم البرهمن في بدء الزمان ، وكان ملك البرهمن إلى أن ملك ثلاثمائة سنة وستين سنة .

البراهمة : وولده يعرفون بالبراهمة إلى وقتنا والهند معظمهم ، وهم أعلى أجناسهم وأشرفهم ، ولا يفتنون بشيء من الحيوان ، وفي رقاب الرجال والنساء منهم خيوط صففر يتقلدون بها كحماثل السيوف ، فرقا بينهم وبين غيرهم من أنواع الهند .

وقد كان اجتمع منهم في قديم الزمان في ملك البرهمن سبعة من حكمائهم المنظور اليهم في بيت الذهب ، فقال بعضهم لبعض : اجلسوا حتى نتناظر ، فننظر ما قصة العالم ، وما سره ومن أين أقبلنا ، وإلى أين نمر ؟ وهل خروجنا من عدم الى وجود حكمة أو ضد ذلك ؟ وهل خاقنا المخترع لنا والمنشئ لأجسامنا يجتلب بخلقنا منفعة ، أم هل يدفع بفنائنا عن هذه الدار عن نفسه مضرة ، أم هل يدخل

عليه من الحاجة والنقص ما يدخل علينا؟ أم هل هو غني من كل وجه، فما وجه إفناؤه إيانا وإعدامنا بعد وجودنا وآلامنا وملاذنا؟ فقال الحكيم المنظور اليه منهم: أمرى أحداً من الناس أدرك الأشياء الحاضرة والغائبة على حقيقة الإدراك؛ فظفر بالبغية واستراح إلى الثقة؟ قال الحكيم الثاني: لو تنامت حكمة الباري عز وجل في أحد العقول كان ذلك نقصاً من حكمته، وكان الفرض غير مدرك، وكان التقصير مانعاً من الإدراك. قال الحكيم الثالث: الواجب علينا أن نبتدىء بمعرفة أنفسنا التي هي أقرب الأشياء منا ونحن أولى بها وهي أولى بنا، من قبل أن نتفرغ إلى علم ما بعدنا منا. قال الحكيم الرابع: لقد ساء وقوع من وقع موقفاً احتاج فيه إلى معرفة نفسه. قال الحكيم الخامس: من هنا وجب الاتصال بالعلماء المدودين بالحكمة. قال الحكيم السادس: الواجب على المرء المحب لسعادة نفسه إن لا يغفل عن ذلك، لا سيما إذا كان المقام في هذه الدنيا ممتناً والخروج منها واجباً. قال الحكيم السابع: أنا لا أدري ما تقولون، غير أنني أخرجت إلى هذه الدنيا مضطراً وعشت فيها حائراً وأخرجت منها مكرهاً.

فاختلف الهند من سلف وخلف في آراء هؤلاء السبعة، وكل قد اقتدى بهم ويمم مذهبهم، ثم تفرعوا بعد ذلك في مذاهبهم وتنازعوا في آرائهم والذي وقع عليه الحصر من طوائفهم سبعون فرقة.

قال المسعودي: وقد رأيت أبا قاسم البلخي ذكر في كتابه «عيون المسائل والجوابات»، وكذلك الحسن بن موسى النوبختي في كتابه المترجم بكتاب «الآراء والديانات»، مذاهب الهند وآراءهم، والعلة التي من أجلها أحرقوا أنفسهم في النيران وقطعوا أجسامهم بأنواع العذاب، فما تعرضا لشيء مما ذكرنا، ولا يمتا نحو ما وصفنا.

خلاف حول البرهمن : وقد تنوزع في البرهمن ، فمنهم من زعم انه آدم عليه السلام وأنه رسول الله عز وجل الى الهند ، ومنهم من يقول : إنه كان ملكاً على حسب ما ذكرنا ، وهذا أشهر .

الباهبود : ولما هلك البرهمن جزعت عليه الهند جزعاً شديداً ، وفزعت الى نصب ملك عليها من أكبر ولده ، فكان ولي عهده الموصى له من والده ابنه الباهبود ، فسار فيهم سيرة أبيه ، وأحسن النظر اليهم ، وزاد في بناء الهياكل ، وقدم الحكماء وزاد في مراتبهم وحشهم على تعليم الناس الحكمة وبعثهم على طلبها ، فكان ملكه الى ان هلك مائة سنة .

الفرد : وفي أيامه عمل الترد ، وأحدث اللعب بها ، وجعل ذلك مثلاً للكاسب ، وأنها لا تُنال بالكَيْس ولا بالحيل في هذه الدنيا ، وأن الرزق لا يتأتى فيها بالحدق ، وقد ذكر أن أردشير بن بابك أول من صنع الترد ولعب بها ، وأرى قلب الدنيا بأهلها واختلاف أمورها ، وجعل بيوتها إثني عشر بيتاً بمدد الشهور ، وجعل كلاهما ثلاثين كلباً بعد أيام الشهر ، وجعل الفصين مثلاً للقدر وتقلبه بأهل الدنيا ، وأن الانسان يلعب بها فيبلغ بإسعاد القدر إياه في مراده باللعب بها ما يريد ، وأن الحازم الفطن لا يتأتى له ما تأتي لغيره إلا إذا أسعده القدر ، وأن الأرزاق والحظوظ في هذه الدنيا لا تُنال إلا بالجدود .

زامان : ثم ملك زامان بعد الباهبود ، فكان ملكه نحواً من خمسين ومائة سنة ، ولزامان سيرٌ وأخبارٌ وحروبٌ مع ملوك فارس وملوك الصين قد أتينا على الغرر منها فيما سلف من كتبنا .

ثم ملك فور وهو الذي واقعه الاسكندر ، فقتله الاسكندر
مبارزة ، وكان ملك فور الى أن هلك أربعين ومائة سنة .

ديشليم : ثم ملك بعده دَبْشَلِيمُ ، وهو الواضع لكتاب د كليله
ودمنة ، الذي ينسب لابن المقفع ، وقد صنف سهل بن هرون الكاتب
لأمير المؤمنين المأمون كتاباً ترجمه ثلثة وعفرة يعارض به كتاب كليله
ودمنة في أبوابه وأمثاله ، يزيد عليه في حسن نظمه ، وكان ملكه
مائة وعشرين سنة ، وقيل غير ذلك .

بلهيت والشطرنج : ثم ملك بعده بلهيت ، وصنعت في أيامه الشطرنج ،
فقضى بلعبها على الترد ، وبيّنَ الظفر الذي يناله الحازم والبليّة التي
تلحق الجاهل ، وحسب حسابها ، ورتب لذلك كتاباً للهند يعرف
بطرق جنكا يتداولونه بينهم ، ولعب بالشطرنج مع حكماؤه ، وجعلها
مصورة تماثيل مشكلة على صور الناطقين ، وغيرهم من الحيوان مما
ليس بناطق ، وجعلهم درجات ومراتب ؛ ومثّلَ الشاه بالمديتر
الرئيس ، وكذلك ما يليه من القطع ، وأقام ذلك مثلاً للأجساد العلوية
التي هي الأجسام السماوية من السبعة والاثني عشر ، وأفرد كل قطعة
منها بكوكب وجعلها ضابطة للمملكة ، وإذا كان عدو من اعدائه ،
فوقعت منه حيلة في الحروب نظروا من أين يؤتونَ في عاجل
وأجل ، وللهند في لعب الشطرنج سر يسرونه في تضاعيف حسابها ،
ويتغلغلون بذلك إلى ما علا من الأفلاك وما إليه منتهى العلة الأولى ،
وأعداد أضعاف الشطرنج ثمانية عشر ألف الف ألف ألف ألف
وأربعمائة ألف وستة وأربعون ألف ألف ألف ألف وسبعمائة
وأربعون ألف ألف ألف ألف ، وثلاثة وسبعون ألف ألف ألف ،
وسبعمائة ألف ألف ، وسبعة آلاف ألف وخمسمائة ألف وأحد وخمسون

ألف وستائة وخمسة عشر ، ومراتب هذه الألوف الستة الأولى ثم الخمسة التي هي ألف خمس مرات ، ثم الأربع ، ثم الثلاث ، ثم الاثنتين ، ثم الواحدة ؛ لها عندهم معان ، يذكرونها في الدهور والأعصار ، وما تقتضيه سائر المؤثرات العلوية في هذا العالم لارتباط نفوس الناطقين بها ؛ ولليونانيين والروم وغيرهم من الأمم في الشطرنج كلام ونوع من اللعب بها ؛ وقد ذكر ذلك الشطرنجيون في كتبهم ، ممن تقدم منهم إلى الصولي والعدلي ، وإليها كان انتهاء اللعب بالشطرنج في هذا العصر .

وكان ملك بلهيت ملك الهند إلى أن هلك ثمانين سنة ، وفي بعض النسخ أنه ملك ثلاثين ومائة سنة .

كورش : ثم ملك بعده كورش ، فأحدث للهند آراء في الديانات على حسب ما رأى من صلاح الوقت ، وما يحتمله من التكليف أهل العصر ، وخرج عن مذاهب من سلفه ؛ وكان في مملكته وعصره سندباد دون له كتاب الوزراء السبعة والمعلم والغلام وامرأة الملك ، وهو الكتاب المترجم بالسندباد ، وعمل في خزانة هذا الملك الكتاب الأعظم في معرفة العلل والأدواء والعلاجات ، وشكلت الحشائش وصورت ، وكان مدة ملك الهند هذا إلى أن مات عشرين ومائة سنة .

اختلاف الهند : ولما هلك هذا الملك اختلفت الهند في آرائها ، فتحزبت الأحزاب وتجيلت الأجيال ، وانفرد كل رئيس بناحية ، فملك على أرض السند ملك ، وملك على أرض القنوج ملك ، وملك على أرض قشمير ملك ، وملك على مدينة المانكير ، وهي الحوزة الكبرى ، ملك يسمى بالبلهري ، وهذا أول ملك سمي من ملوكهم بالبلهري ، فصارت سمة لمن طرأ بعده من الملوك لهذه الحوزة إلى وقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة .

أرض الهند : وأرض الهند أرض واسعة في البر والبحر والجبال ،
 وملكهم متصل بملك الزابج وهي دار مملكة المهرج ملك الجزائر ،
 وهذه المملكة قدر بين مملكة الهند والصين ، وتضاف إلى الهند ،
 والهند متصلة مما يلي الجبال بأرض خراسان والسند إلى أرض التبت ،
 وبين هذه الممالك تباين وحروب ، ولغاتهم مختلفة وآراؤهم غير متفقة ،
 والأكثر منهم يقول بالتناسخ ، وتنقل الأرواح على حسب ما
 قدمناه آنفاً ، والهند في عقولهم وسياساتهم وحكمتهم وألوانهم وصفاتهم
 وصحة أمزجتهم وصفاء أذهانهم ودقة نظرهم بخلاف سائر السودان
 من الزنج والدمادم وسائر الأجناس .

وصف بعض خصال الهند : وقد ذكر جالينوس في الأسود عشر
 خصال اجتمعت فيه ولم توجد في غيره : تفلغل الشعر ، وخفة الحاجبين ،
 وانتشار المنخرين ، وغلظ الشفتين ، وتحديد الأسنان ، وثن الجلد ، وسواد
 الحدق ، وتشقق اليدين والرجلين ، وطول الذكرك ، وكثرة الطرب ؛
 قال جالينوس : وإنما غلب على الأسود الطرب لفساد دماغه ، فضعف
 لذلك عقله .

وقد ذكر غير جالينوس في طرب السودان وغلبة الفرح عليهم ،
 وما خص به الزنج من ذلك دون سائر السودان في الإكثار من
 الطرب أموراً قد ذكرناها فيما سلف من كتبنا .

ولقد كان طاوس اليماني صاحب عبد الله بن عباس لا يأكل من
 ذبيحة الزنجي ، ويقول انه عبد مشوّه الحلقة .

ورأينا أن أبا العباس الراضي بالله ابن المقتدر بالله كان لا يتناول
 شيئاً من أسو ، ويقول : انه عبد مشوّه خلقه ؛ فلست أدري أقلد
 طاوساً في مذهبه أم لضرب من الآراء والنحل .

وقد صنف عمرو بن بحر الجاحظ كتاباً في فخر السودان
ومناظرتهم مع البيضان .

عادات الهنود : والهند لا تملكُ الملكُ عليها حتى يبلغ من عمره
أربعين سنة ، ولا تكاد ملوكهم تظهر لعوامهم إلا في كل برهة من
الزمان معلومة ، ويكون ظهورها للنظر في أمور الرعية لأن في نظر
العوام عندها إلى ملوكها خرقاً لهيبتها واستخفافاً بحقها ، والرياسات عند
هؤلاء لا تجوز إلا بالتخير ، ووضع الأشياء مواضعها من مراتب السياسة .

قال المسعودي : ورأيت في بلاد سرفنديب ، وهي جزيرة من جزائر
البحر ، أن الملك من ملوكهم إذا مات أُصير على عجلة قريبة من
الارض صغيرة البكرة مُعدة لهذا المعنى ، وشعره ينجر على الأرض ،
وامرأة بيدها مكنسة تحو التراب على رأسه ، وتنادي : أيها الناس ،
هذا ملككم بالأمس قد ملككم وجاز فيكم حكمه ، وقد صار
أمره إلى ما ترون من ترك الدنيا ، وقبضَ روحه ملك الموت ، والحي
القديم الذي لا يموت ، فلا تغتروا بالحياة بعده ؛ وتقول كلاماً هذا
معناه من الترهيب والتزهيد في هذا العالم ، ويطاف به كذلك في جميع
شوارع المدينة ، ثم يفصل أربع قطع ، وقد هيء له الصندل والكافور
وسائر أنواع الطيب ؛ فيحرق بالنار ، ويُذرُّ رماده في لرياح ، وكذا
فعل أكثر أهل الهند بملوكهم وخواصهم لغرض يذكرونه ، ونهج
يتيمونه في المستقبل من الزمان ؛ والملك مقصور على أهل بيت لا
ينتقل عنهم إلى غيرهم ، وكذلك بيت الوزراء والقضاة وسائر أهل
المراتب لا تغير ولا تبدل .

والهند تمنع من شرب الشراب ويعنفون شاربها ، لا على طريق
التدين ولكن تنزهاً عن أن يوردوا على عقولهم ما يفشيها ، ويزيلها

عما وضعت له فيهم ، وإذا صح عندهم عن ملك من ملوكهم شربه
استحق الخلع عن ملكه إذ كان لا يتأتى له التدبير والسياسة مع
الاختلاط ، وربما يسمعون السماع والملاهي ، ولهم ضروب من الآلات
مطربة تفعل في الناس أفعالا مرتبة من ضحك وبكاء وربما يسقون
الجواري فيطربن بحضرتهم ، فتطرب الرجال لطرب الجواري .

وللهند سياسات كثيرة قد أتينا على ذكر كثير منها ومن أخبارهم
وسيرهم في كتابنا ، أخبار الزمان ، وفي الكتاب الأوسط ؛ ونما
نذكر في هذا الكتاب لمعاً .

وأعظم ملوك الهند في وقتنا هذا البلهري صاحب مدينة المانكير ،
وأكثر ملوك الهند تتوجه في صلواتها نحوه وتصلي لرسائلهم إذا وردوا
عليهم ، وتلي مملكة البلهري بمالك كثيرة للهند . ومنهم ملوك في
الجبال لا بحر لهم ، مثل الراي صاحب القشмир ، وملك الطافن وغير
ذلك من ملوكهم - أعني ملوك الهند - ومنهم من يملكه بر وبحر ، فأما
البلهري فإن بين ديار ملكه وبين البحر مسيرة ثمانين فرسخاً سنديّة ،
والفرسخ ثمانية أميال وله جيوش وفيلة لا تدرك كثرتها ، وأكثر
جيوشه رجالة ؛ لأن دار ملكه بين الجبال ، ويساويه من ملوك
الهند ممن لا بحر له بثورة صاحب مدينة الفنوج ، وهذا الاسم سمى
لكل ملك يلي هذه المملكة ، وله جيوش مرتبة على الشمال والجنوب
والصبا والدبور ، لأنه في كل وجه من هذه الوجوه يلقي ملكاً
محارباً له .

وسنذكر جملاً من أخبار ملوك السند والهند وغيرهم من ملوك
الأرض في يرد من هذا الكتاب عند ذكرها البحار وما فيها وما
حولها من الجائب والأمم ومراتب الملوك وغير ذلك ، وإن كنا قد
أسلفنا ذلك فيما تقدم من كتبنا . والله أعلم .

ذكر الأرض والبحار ، ومبادئ الأنهار والجبال

والأقاليم السبعة ، وما والاها من الكواكب
وترتيب الأفلاك ، وغير ذلك

الأرض : قسّمت الحكماء الأرض إلى جهة المشرق والمغرب والشمال والجنوب ؛ وقسموا ذلك إلى قسمين : مسكون وغير مسكون وعامر وغير عامر ، وذكروا أن الأرض مستديرة ومركزها في وسط الفلك ، والهواء محيط بها من كل الجهات ، وأنها عند فلك البروج بمنزلة النقطة قلة ، وأخذوا عمرانها من حدود الجزائر الخالدات في بحر أوقيانوس الغربي ، وهي ستة أجزاء عامرة إلى أقصى عمران الصين فوجدوا ذلك اثني عشر ساعة ، فعلوا إن الشمس إذا غابت في أقصى الصين كان طلوعها على الجزائر العامرة المذكورة التي في بحر أوقيانوس الغربي ، وإذا غابت في هذه الجزائر كان طلوعها في أقصى الصين ، وذلك نصف دائرة الأرض ، وهو طول العمران الذي ذكروا أنهم وقفوا عليه ومقداره من الأميال ثلاثة عشر ألف ميل وخمسمائة ميل من الأميال التي عملوا عليها في مساحة دَوْر الأرض ؛ ثم نظروا إلى العروض ، فوجدوا العمران من موضع خط الاستواء إلى ناحية الشمال ينتهي إلى جزيرة تولى التي في بريطانيا حيث يكون طول النهار الأطول عشرين ساعة ، وذكروا إن موضع خط الاستواء من الأرض يقطع فيما بين المشرق والمغرب في جزيرة بين الهند والحيش من ناحية الجنوب ، فيعرض ما بين الشمال والجنوب في النصف ما بين الجزائر العامرة وأقصى عمران الصين وهو قبة الأرض المعروفة بما ذكرنا ، ويكون العرض من خط الاستواء إلى جزيرة تولى قريباً من ستين جزءاً ، وذلك سدس دائرة الأرض ،

وإذا ضرب هذا السدس الذي هو مقدار العرض في النصف الذي هو مقدار الطول كان مقدار ما يظهر من العمران من ناحية الشمال مقدار نصف سدس دائرة الأرض .

وأما الأقاليم السبعة ، فأولها أرض بابل منه : خراسان وفارس والأهواز والموصل وأرض الجبال ، وله من البروج : الحمل والقوس ، ومن الأنجم السبعة : المشتري . والإقليم الثاني : الهند والسند والسودان ، وله من البروج : الجدي ، ومن الأنجم السبعة : زحل . والإقليم الثالث : مكة والمدينة واليمن والطائف والحجاز وما بينها ، وله من البروج : العقرب ، ومن الأنجم السبعة : الزهرة ، وهي سعد الفلك . والإقليم الرابع : مصر وإفريقية والبربر والأندلس وما بينها ، له من البروج : الجوزاء ، ومن الأنجم السبعة : عطارد . والإقليم الخامس : الشام والروم والجزيرة ، له من البروج : الدلو ، ومن الأنجم السبعة : القمر . والإقليم السادس : الترك والحزر والديلم والصقالبة ، وله من البروج : السرطان ، ومن الأنجم السبعة : المريخ . والإقليم السابع : الديبل والصين ، له من البروج : الميزان ، ومن الأنجم السبعة : الشمس .

ذكر حسين المنجم صاحب كتاب الزيج في النجوم ، عن خالد ابن عبد الملك المروزي وغيره ، وقد كانوا رصدوا الشمس لأمير المؤمنين المأمون في برية سنجار من بلاد ديار ربيعة ، أن مقدار درجة واحدة من وجه الأرض ستة وخمسون ميلاً ، فضربوا مقدار درجة واحدة في ثلثمائة وستين ، فوجدوا دوائر كرة الأرض المحيطة بالبحر عشرين ألف ميل ومائة وستين ميلاً ؛ ثم ضربوا دور الأرض في سبعة فاجتمع مائة ألف ميل وأحد وأربعون ألف ميل ومائة وعشرون ميلاً ، فقسّموا ذلك على اثنين وعشرين ميلاً ، وخرج

للقسم الذي هو مقدار قطر الأرض ستة آلاف وأربعمائة وأربعة عشر ميلاً ونصفاً ونصف عشر ميل بالتقريب ، ونصف قطر الأرض ثلاثة آلاف ميل ومائتا ميل وسبعة أميال وست عشرة دقيقة وثلاثاً ثمانية ، يكون ربع ميل وربع عشر ميل ، والميل أربعة آلاف ذراع بالأسود ، وهي الذراع التي وضعها أمير المؤمنين المأمون لذراع الثياب ومساحة البناء وقسمة المنازل ، والذراع مائة وعشرون إصباعاً .

عن بطليموس : قال المسعودي : وقد ذكر بطليموس في الكتاب المعروف بجغرافيا صفة الأرض ومدنها وجبالها وما فيها من البحار والجزائر والأنهار والعيون ، ووصف المدن المسكونة والمواضع العامرة ، وأن عددها أربعة آلاف مدينة وخمسمائة وثلاثون مدينة في عصره ، وسماها مدينة مدينة في إقليم إقليم ؛ وذكر في هذا الكتاب ألوان جبال الدنيا من الحمرة والصفرة والخضرة وغير ذلك من الألوان وأن عددها مائتا جبل ونيّف ، وذكر مقدارها وما فيها من المعادن والجواهر ؛ وذكر هذا الفيلسوف أن عدد البحار المحيطة بالأرض خمسة أبحر ، وذكر ما فيها من الجزائر والعامر منها وغير العامر ، وما اشتهر من الجزائر دون ما لم يشتهر ؛ وذكر أن في البحر الحبشي جزائر متصلة نحواً من ألف جزيرة يقال لها الديبجات عامرة كلها من الجزيرة إلى الجزيرة الميلا والثلاثة وأكثر من ذلك دون ما في هذا البحر من الجزائر ، وذكر بطليموس في جغرافيا أن ابتداء بحر مصر من الروم إلى بحر الاصنام النحاس ، وأن جميع العيون الكبار التي تنبع من الأرض مائتا عين وثلاثون عيناً ، دون ما عداها من الصغار ، وأن عدد الأنهار الكبار الجارية في الأقاليم السبعة على دوام الأوقات مائتان وتسعون نهراً ، وأن الأقاليم على حسب ما قدمناه في عدة الأقاليم ، وكل إقليم سعة تسعمائة فرسخ

في مثلها ، وفي البحار ما هو معمور بالحيوان ومنها ما ليس بمعمور وهو أوقيانوس البحر المحيط ، وسنأتي فيما يرد من هذا الكتاب على ذكر جمل في تفصيل البحار ووصفها ، وهذه البحار كلها مصورة في كتاب جغرافيا بأنواع من الأصباغ مختلفة المقادير في الصورة ، فمنها ما هو على صورة الطيلسان ومنها ما هو على صورة الشابورة ومنها مصراني الشكل ومنها مدور ومنها مثلث ، إلا أن أسماءها في هذا الكتاب باليونانية متعذر فهمها ، وأن قطر الأرض ألفان ومائة فرسخ يكون ذلك على التصحيح ستة آلاف وستمئة فرسخ تقدير كل فرسخ ستة عشر ألف ذراع ، والذي يحيط بأسفل دائرة النجوم وهو فلك القمر مائة ألف فرسخ وخمسة وعشرون ألفاً وستمئة وستون فرسخاً ، وأن قطر الفلك من حد رأس الحمل الى حد رأس الميزان أربعون ألف فرسخ بتقدير هذه الفراسخ ، وعدد هذه الأفلاك تسعة فأولها وهو أصغرها وأقربها إلى الأرض للقمر ، والثاني لمطارد ، والثالث للزهرة ، والرابع للشمس ، والخامس للمريخ ، والسادس للمشتري ، والسابع لزحل ، والثامن للكواكب الثابتة ، والتاسع للبروج ، وهيئة هذه الأفلاك هيئة الأكر بعضها في جوف بعض ، ففلك البروج يسمى الفلك الكلي ، وبه يكون الليل والنهار لأنه يدبر الشمس والقمر وسائر الكواكب من المشرق الى المغرب في كل يوم وليلة دورة واحدة ، على قطبين ثابتين : أحدهما مما يلي الشمال وهو قطب بنات نعش ، والآخر مما يلي الجنوب وهو قطب سهيل ، وليس البروج غير الفلك ، وإنما هي مواضع لقبت بهذه الاسماء لتعرف مواضع الكواكب من الفلك الكلي ، فيجب أن تكون البروج تضيق من ناحية المطبين وتتسع في وسط الكرة ، والخط القاطع للكرة نصفين الآخذ من المشرق الى المغرب يسمى دائرة مُعدّل النهار ،

لأن الشمس إذا صارت عليها استوى الليل والنهار في جميع البلدان ، فما كان من الفلك آخذاً من الجنوب إلى الشمال يسمى العرض ، وما كان آخذاً من الشرق إلى المغرب يسمى الطول ، والأفلاك مستديرة محيطة بالعالم ، وهي تدور على مركز الأرض ، والأرض في وسطها مثل النقطة في وسط الدائرة ، وهي تسعة أفلاك ؛ فأقربها من الأرض فلك القمر ، وفوقه عطارد ، وفوق ذلك فلك الزهرة ، ثم فلك الشمس ، والشمس متوسطة الأفلاك السبعة ، وفوقها فلك المريخ ، وفوقه فلك المشتري ، وفوق ذلك فلك زحل ، وفي كل فلك من هذه الأفلاك السبعة كوكب واحد فقط ، وفوق فلك زحل الفلك الثامن الذي فيه البروج الاثنتا عشر ، وسائر الكواكب في الفلك الثامن ، والفلك التاسع - وهو أرفع وأعظم جسماً ، وهو الفلك الأعظم - يحيط بالأفلاك التي دونه مما سمينا ، وبالطوائع الأربع ، ويجمع الخليقة ، وليس فيه كوكب ، ودورته من المشرق إلى المغرب في كل يوم دورة واحدة تامة ، ويدور بدورانه ما تحته من الأفلاك المتقدم وصفها ، وأما الأفلاك السبعة التي قدمنا ذكرها فإنها تدور من المغرب إلى المشرق ، وللأوائل فيما ذكرنا حجج بطول الخطب بها ، والكواكب المرئية [المرتبطة] التي نشاهدها وسائر الكواكب في الفلك الثامن ، وهو يدور على قطبين غير قطبي الفلك الأعظم المتقدم ذكره ، وزعموا ان الدليل على أن حركة هذه البروج غير حركة الأفلاك هو أن البروج الاثني عشر يتلو بعضها بعضاً في مسيرها ، ولا تنتقل عن أماكنها ، ولا تتغير حركتها في طلوعها وغروبها ، وأن الكواكب السبعة لكل واحد منها حركة خلاف حركة صاحبه ، ولها تفاوت في حركاتها ؛ فربما أسرع الكوكب في حركته ومسيره وربما أخذ في الجنوب وربما أخذ في الشمال ، وحده الفلك عندهم أنه

نهاية لما تصير إليه الطبائع علواً وسفلاً، وحدته من جهة الطبائع
أنه شكل مستدير، وهو أوسع الأشكال، وهو يحيط بالأشكال كلها،
وأن مقادير حركة هذه الكواكب في أفلاكها مختلفة؛ فمقام القمر في
كل برج يومان ونصف، ويقطع الفلك في شهر، ومقام الشمس في كل
برج شهر، ومقام عطارد في كل برج خمسة عشر يوماً، ومقام
الزهرة في كل برج خمسة وعشرون يوماً، ومقام المريخ في كل برج
خمس وأربعون يوماً، ومقام المشتري في كل برج سنة، ومقام زحل
في كل برج ثلاثون شهراً.

وقد زعم بطليموس صاحب كتاب المجسطي أن استدارة الأرض
كلها جبالها وبحارها أربعة وعشرون ألف ميل؛ وأن قطرهما - وهو
عرضها وعمقها - سبعة آلاف وستمئة وستة وثلاثون ميلاً، وأنهم إنما
استدركوا ذلك بأنهم أخذوا ارتفاع القطب الشمالي في مدينتين وهما
على خط واحد من خط الاستواء، مثل مدينة الرقة؛ فوجدوا ارتفاع القطب في
بين العراق والشام، ومثل مدينة الرقة؛ فوجدوا ارتفاع القطب في
مدينة الرقة خمسة وثلاثين جزءاً وثلاثاً، ووجدوا ارتفاع القطب في
مدينة تدمر أربعة وثلاثين جزءاً بينها زيادة جزء وثلاث أجزاء،
ومسحوا ما بين الرقة وتدمر فوجدوه سبعة وستين ميلاً؛ فالظاهر
من الفلك سبعة وستون ميلاً من الأرض، والفلك ثلاثمائة وستون
جزءاً، لعل ذكرها يبعد علينا إيرادها في هذا الموضع، وهذه
قسمة صحيحة عندهم لأنهم وجدوا الفلك قد اقتسمته البروج الاثنا
عشر، وإن الشمس تقطع كل برج في شهر، وتقطع البروج كلها في
ثلاثمائة وستين يوماً، وإن الفلك مستدير يدور بمحورين أو قطبين،
وأنها بمنزلة محوري النجار والحراط الذي يخرط الأكر والقصاص
وغيرها من الآلات الخشب، وأن من كان مسكنه وسط الأرض
وعند خط الاستواء استوت ساعات ليله ونهاره سائر الدهور،

الجزء الأول : ذكر الأرض والبحار ، ومبادئ الأنهار والجبال ١٠٧

وزأى هذين المحورين ، أعني القطب الشمالي والقطب الجنوبي جميعاً ، فأما أهل البلدان التي مالت إلى ناحية الشمال فإنهم يرون القطب الشمالي وبنات نَعَشْرٍ ، ولا يرون القطب الجنوبي ولا الكواكب التي هي قريبة منه ، وكذلك لا يرى الكوكب المعروف بسُهَيْلٍ بناحية خراسان ، ويرى في العراق في السنة أياً ، ولا تقع عين رجل من الجمال عليه إلا هلك ، على حسب ما ذكرناه وما ذكر الناس من العلة في ذلك في موت هذا النوع من الحيوان خاصة ؛ وأما في البلدان الجنوبية فإنه يرى في السنة كلها .

وقد تنازع طوائف الفلكيين وأصحاب النجوم في هذين المحورين اللذين يعتمد عليها الفلك في دوره : أساكنان هما أم متحركتان ؟ فذهب الأكثر منهم إلى انها غير متحركتين ؛ وقد أتينا على ما يلزم كل فريق منهم في بيان هذين المحورين : أمن جنس الأفلاك هما أم من غير ذلك فيما سلف من كتبنا .

شكل البحار : وقد تنوزع في شكل البحار ؛ فذهب الأكثر من الفلاسفة المتقدمين من الهند وحكام اليونانيين - إلا من خالفهم وذهب إلى قول الشرعيين - أن البحر مستدير على مواضع الأرض ، واستدلوا على صحة ذلك بدلائل كثيرة ، منها أنك إذا لجت فيه غابت عنك الأرض والجبال شيئاً بعد شيء حتى يغب ذلك كله ، ولا ترى شيئاً من شوامخ الجبال ؛ وإذا أقبلت أيضاً نحو الساحل ظهرت تلك الجبال شيئاً بعد شيء ، وإذا قربت من الساحل ظهرت الأشجار والأرض .

وهذا جبل 'دنبَاوَنَدَ' بين بلاد الري وطبرستان يرى من مائة فرسخ ؛ لعلوه وذهابه في الجو ، ويرتفع في أعاليه الدخان ، والثلوج

مترادفة عليه غير خالية من أعاليه ، ويخرج من أسفله نهر كثير الماء أصفر كبريتي ذهبي اللون ، مسافة الصعود إليه في نحو ثلاثة أيام بلياليها ، وإن من أعلاه وصار في قلته وجد مساحة رأس القلعة نحو ألف ذراع في مثل ذلك ، وهي ترى في رأي العين من أسفل نحو القبة المنخرطة ، وإن في هذه المساحة في أعاليه ملا أحر تفوص فيه الأقدام ، وإن هذه القبة لا يلحقها شيء من الوحش ولا من الطير ؛ لشدة الرياح وسموها في الهواء ، وشدة البرد ، وإن في أعاليه نحو من ثلاثين ثقباً [نقباً] يخرج منها الدخان الكبريتي العظيم ، ويخرج مع ذلك من هذه المخارق مع الدخان دوي عظيم كأشد ما يكون من الرعد ، وذلك صوت تلهب النيران ، وربما يحمل من غرر بنفسه وصعد إلى أعاليه من أفواه هذه الثقوب كبريتاً أصفر كأنه الذهب يقع في أنواع الصنعة والكيمياء وغير ذلك من الوجوه ، وإن من أعلاه يرى ما حوله من الجبال الشائخة كأنهم رواب وتلال لعلوه عليها ، وبين هذا الجبل وبحر طبرستان في المسافة نحو من عشرين فرسخاً ، والمراكب إذا لجت في هذا البحر غاب عنها جبل دنباوند فلم يره أحد ، فاذا صاروا في هذا البحر على نحو من مائة فرسخ ، ودنوا من جبال طبرستان رأوا اليسير من أعالي هذا الجبل ، فكلما قربوا من هذا الساحل ظهر لهم ، وهذا دليل على ما ذهبوا إليه من كرية ماء البحر ، وأنه مستدير الشكل

وكذلك من يكون في بحر الروم الذي هو بحر الشام ومصر يرى الجبل الاقرع وهو جبل عال لا يدرك علوه مطل على بلاد أنطاكية واللاذقية وطرابلس وجزيرة قبرص وغيرها من بلاد الروم ، فيغيب عن أبصار من في المراكب لانخفاضهم في المسير في البحر عن المواضع التي يرى منها

وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جبل 'دنبآوند' وما قال
الفرس في ذلك ، وأن الضحاك ذا الأفواه موثق في أعاليه بالحديد ،
وهذه القبة التي في أعالي هذا الجبل أطمّ عظمة من أطام الأرض
وعجائبها .

مساحة الأرض والكواكب ، وقد تكلم الناس في بعد الأرض ؛ فذكر
الأكثر أن من مركز الأرض إلى ما ينتهي إليه الهواء والنار مائة
ألف وثمانية عشر ألف ميل ، وأما القمر فإن الأرض أعظم منه
بتسع وثلاثين مرة ، والأرض أعظم من عطارد بثلاث وعشرين ألف
مرة ، والأرض أعظم من الزهرة بأربع وعشرين ألف مرة ، والشمس
أعظم من الأرض بمائة وسبعين مرة وربعم وثمان ، وأعظم من القمر
بألف وستائة وأربع وأربعين مرة ، والأرض كلها نصف عشر ثمن
جزء من الشمس ، وقطر الشمس اثنان وأربعون ألف ميل والريخ
مثل الأرض وزيادة ثلاثة وستين مرة ، وقطره ثمانية آلاف وسبعمائة
ميل ونصف ميل ، والمشتري مثل الأرض احدى وثمانين مرة ونصف
وربع ، وقطره ثلاثة وثلاثون ألف ميل وستة عشر ميلاً ، وزحل
أعظم من الأرض تسعاً وتسعين مرة ونصفاً ، وقطره اثنان وثلاثون
ألف ميل وسبعمائة وستة وثلاثون ميلاً ، وأما أجرام الكواكب الثابتة
التي في المشرق الأول - وهي خمسة عشر كوكباً - فكل كوكب منها
أعظم من الأرض بأربع وتسعين مرة ونصف مرة ، وأما بعدها
من الأرض فإن أقرب بعد القمر منها مائة ألف وثمانية وعشرون ألف
ميل ، وأبعد بعده من الأرض مائة ألف وأربعة وعشرون ألف
ميل ، وأبعد بعد عطارد من الأرض سبعمائة ألف وسبعمائة
وثلاثة وثلاثون ألف ميل ، وأبعد بعد الزهرة من الأرض أربعة آلاف

ومائة وتسعة عشر ألف ميل وستائة ميل ، وأبعد بعد الشمس من الأرض أربعة آلاف ألف وثمانمائة ألف وعشرون ألفاً ونصف ميل ، وأبعد بعد المريخ من الأرض ثلاثة وثلاثون ألف ألف ميل وستائة ألف ميل وثمانمائة ألف ، وأبعد بعد المشتري من الأرض أربعة وخمسون ألف ألف ومائة ألف وستة وستون ألف ميل إلا شيئاً ، وأبعد بعد زحل من الأرض سبعة وسبعون ألف ألف ميل إلا شيئاً ، وأبعد الكواكب الثابتة من مركز الأرض نحو ذلك .

وفيا ذكرنا من القسمة والأجزاء والمقاييس ، استدرك القوم علم الساعات والكسوفات ، وبها استخراج الآلات والإسطرلابات ، وعليها صنعوا كتبهم كلها ، وهذا باب إن شرعنا في إيراد البعض منه كثر واتسع الكلام فيه ، وإنما ذكرنا لمعاً من هذه الفنون لندل بها على ما لم نوردده .

وقد رتبت الصابئة من الحرائين ، وهم عوام اليونانيين وحشوية الفلاسفة المتقدمين ، الكهنة في هياكلها مراتب على ترتيب هذه الافلاك السبعة ، فأعلى كهانهم يسمى رأس كهري ، ثم وردت بعدهم النصارى فرتبت الكهنة في كهانتها ، على ما تقدمت فيه الصابئة في مذهبها .

وسميت النصارى هذه المراتب العظمت [الطاعات] : فأولها السلط ، والثاني اعنسط ، والثالث يودنا ، والرابع شماس ، والخامس قسيس ، والسادس يودوط ، والسابع حور الغينطس ، وهو الذي يخلف الاسقف ، والثامن أسقف ، والتاسع مطران وتفسير مطران رئيس المدينة ، والذي فوق هؤلاء كلهم في المرتبة البطرارك وتفسيره أبو الآباء ، فمن تقدم ذكرهم من أصحاب المراتب وغيرهم من الاداني وعوامهم ،

هذا عند خواص النصارى ؛ فأما العوام منهم فيذكرون في هذه المراتب غير ما ذكرنا ، وهو أن ملكاً ظهر لهم ، وأظهر أموراً يذكرونها لا حاجة بنا الى وصفها ، وهذا ترتيب الملكية ، وهم 'عمد' النصرانية وقطبها ، لأن المشاركة ، وهم العباد والملقبون بالنسْطورية واليعاقبة ، عن هؤلاء تفرعوا ؛ ومنهم تبددوا [ومنهم شدوا] وإنما أخذت النصارى جملاً من هذه المراتب على ما ذكرنا من الصابئة ؛ وأما القسيس والشماس وغير ذلك فمن المائنة ، إلا التصدوس والسماع ، [المصدقون والشماع] وان كان ماني حَدَث بعد مضي السيد عيسى ابن مريم عليه السلام ، وكذلك ابن ديصان ومريقيون ، وإلى ماني أضيفت المانية ، وإلى مريقيون أضيفت المرقونية ، وإلى ابن ديصان أضيفت الديصانية ، ثم تفرعت بعد ذلك المزدقية وغيرها ممن سلك طريقة صاحب الاثنين ، وقد أتينا في كتابنا « اخبار الزمان » وفي الكتاب الأوسط على 'جمل' من نوادر هذه المذاهب ، وما أوردوه من الخرافات المزخرفة ، والشبّه الموضوعه ، وما ذكرناه من مذاهبهم في كتابنا في « المقالات في أصول الديانات » ، وما ذكرناه في كسر هذه الآراء وهدم هذه المذاهب في كتابنا المترجم بكتاب « الإنابة في أصول الديانة » ، وإنما نذكر في هذه الأبواب ما يتشعب الكلام اليه ، ويتغلغل الوصف نحوه ، فنورد منه لمعاً على طريق الخبر والحكاية للمذهب ، لا على طريق النظر والجدل ؛ لئلا يخلو كتابنا بما تدعو الحاجة الى ذكره ، والله أعلم .

ذكر الأخبار عن انتقال البحار

وجمل من أخبار الأنهار الكبار

ذكر صاحب المنطق ان البحار تنتقل على مرور السنين وطويل الدهر حتى تصير في مواضع مختلفة ، وأن جملة البحار متحركة ، إلا أن تلك الحركة إذا أضيفت الى جملة مياهها وسعة سطوحها وبُعْدِ قعورها صارت كأنها ساكنة ، وليست مواضع الارض الرطبة أبداً رطبة ، ولا مواضع الأرض اليابسة أبداً يابسة ، لكنها تتغير وتستحيل لصبب الانهار إليها ، وانقطاعها عنها ، ولهذا العلة يستحيل موضع البحر وموضع البر فليس موضع البر أبداً براً ولا موضع البحر أبداً بحراً ، بل قد يكون براً حيث كان مرة بحراً ويكون بحراً حيث كان مرة براً ، وعلة ذلك الانهار وبدؤها [وجريها] ؛ فان لمواضع الانهار شباباً وهراً ، وحياة وموتاً ونشأً ونشوراً ، كما يكون ذلك في الحيوان والنبات ، غير أن الشباب والكبر في الحيوان والنبات لا يكون جزءاً بعد جزء ، لكنها تشب وتكبر أجزاءها كلها معاً ، وكذلك تهرم وتموت في وقت واحد ، فأما الارض فإنها تهرم وتكبر جزءاً بعد جزء ، وذلك بدوران الشمس . وقد اختلف الناس في الانهار والأعين من أين بدؤها ؛ فذهبت طائفة الى أن مجراها كلها - أعني البحار - واحد ، وهو البحر الأعظم ، وأن ذلك بحر عذب ليس هو بحر أقيانوس . وزعمت طائفة ان البحار في الأرضين كالعروق في البدن .

وقال آخرون : حق الماء أن يكون على سطح ؛ فلما اختلفت الارض فكان منها العالي والهابط انحاز الماء الى أعماق الارض ، فاذا انحصرت المياه في أعماق الارض وقَعُورها طلبت التنفس حينئذ ؛ لغلظ الارض وضغطتها إياها من أسفل ، فتنبثق من ذلك الميون والانهار ، وربما تتولد في باطن الارضين من الهواء الكائن هناك ، وأن الماء ليس بأسطقس ، وإنما هو متولد من عُفونات الارض وبخارها وقالوا في ذلك كلاماً كثيراً أعرضنا عن ذكره طلباً للايجاز وميلاً للاختصار ، وقد بسطنا ذلك في غير هذا الكتاب من كتبنا .

وأما مبادئ الانهار الكبار ، ومطارحها ، ومقادير جريانها على وجه الارض كالنيل والفرات والدجلة ونهر بلخ ، وهو جيحون ، ومهران السند وجنجدس ، وهو نهر عظيم بأرض الهند ، ونهر سابط وهو نهر عظيم ، ونهر طنابس الذي يصب الى بحر نيطنس ، وغيرها مما كبر من الانهار فقد تكلم الناس في مقدار جريانها على وجه الارض .

النيل : فرأيت في جغرافيا النيل مصوراً ظاهراً من تحت جبل القمر ، ومنبغته ومبدأ ظهوره من اثني عشرة عيناً ، فتصب تلك المياه الى بحرين [بحيرتين] هناك كالبطائح ، ثم يجتمع الماء جارياً فيمر برمال هناك وجبال ، ويخترق أرض السودان مما يلي بلاد الزنج ؛ فيتشعب منه خليج ينصب الى بحر الزنج وهو بحر جزيرة قنبلو ، وهي جزيرة عامرة فيها قوم من المسلمين ، إلا ان لغتهم زنجية ؛ غلبوا على هذه الجزيرة وسبوا من كان فيها من الزنج ، كغلبة المسلمين على جزيرة إقريطش في البحر الرومي ، وذلك في مبدأ الدولة العباسية وتَقَضِّي الاموية ، ومنها الى عمان في البحر نحو

من خمسمائة فرسخ على ما يقول البحريون حَزْرًا منهم لذلك لا على طريق التحصيل والمساحة ، وذكر جماعة من نَوَاحِذَة هذا البحر من السيرافيين والعمانيين وهم أرباب المراكب أنهم يشاهدون في هذا البحر - في الوقت الذي تكثر فيه زيادة النيل بمصر ، أو قبل الاوان بمدة يسيرة - ماء يخرق هذا البحر ويشقه من شدة جريانه ، يخرج من جبال الزنج ، عرضه اكثر من ميل عذباً حلواً ، يتكدر في إبان الزيادة بمصر وصعيدهما ، فيها الشومان وهو التماسح الكائن في نيل مصر ، ويسمى أيضاً الورل

وقد زعم عمرو بن بحر الجاحظ أن نهر مهران الذي هو نهر السند من نيل مصر ، ويستدل على انه من النيل بوجود التماسيح فيه ، فليست أدري كيف وقع له هذا الدليل ، وذكر ذلك في كتابه المترجم بكتاب الامصار وعجائب البلدان ، وهو كتاب في نهاية الغثاة ؛ لأن الرجل لم يسلك البحار ، ولأكثر الاسفار ، ولا تقرى المسالك والامصار وإنما كان حاطب ليل ، ينقل من كتب الوراقين ، أو لم يعلم أن نهر مهران السند يخرج من أعين مشهورة من أعالي بلاد السند من أرض القنوج من مملكة بؤورة وأرض قشيمر والقفندار والطافر حتى ينتهي الى بلاد المولتان ، ومن هناك يسمى مهران الذهب ، وتفسير المولتان فرج الذهب ، وصاحب مملكة المولتان رجل من قريش من ولد سامّة بن لؤي بن غالب ، والقوافل جنة الى خراسان متصلة ، وكذلك صاحب مملكة المنصورة رجل من قريش من ولد هبّار بن الأسود ، والملك في هؤلاء وملك صاحب المولتان متوارثان قديماً من صدر الإسلام ، ثم ينتهي نهر مهران الى بلاد المنصورة ويصب نحو بلاد الديبل في بحر الهند ، والتماسيح كثيرة في أجواف هذا البحر ، وفي خليج ميدايون من مملكة ياغر من أرض الهند

وخلجان الزابج من بحر مملكة المهرج ، وكذلك في خلجان الاغياب وهي أغياب قلي جزيرة سرنديب . والأغلب على التامسح كونها في الماء العذب ، وما ذكرنا من خلجانات الهند فالأغلب من أمواها أن تكون عذبة لصب مياه الامطار إليها .

فلنرجع الآن الى الاخبار عن نيل مصر ، فنقول : ان الذي ذكره الحكماء أنه يجري على وجه الارض تسعمائة فرسخ ، وقيل : ألف فرسخ ، في عامر وغير عامر ، حتى يأتي أسوان من صعيد مصر ، وإلى هذا الموضع تصعد المراكب من فسطاط مصر ، وعلى أميال من أسوان جبال وأحجار يجري النيل في وسطها ، ولا سبيل الى جريان السفن فيه هناك ، وهذه الجبال والمواقع فارقة بين مواضع سفن الحبشة في النيل وبين سفن المسلمين ، ويعرف هذا الموضع من النيل بالجنادل والصخور ، ثم يأتي النيل الفسطاط وقد قطع الصعيد ومر بجبل الطيلمون وحجر اللاهون من بلاد الفيوم ، وهو الموضع المعروف بالجزيرة التي اتخذها يوسف النبي صلى الله عليه وسلم وطناً ، فيقطعه ؛ وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أخبار مصر والفيوم وضياعها وكيفية فعل يوسف عليه الصلاة والسلام في مائها [في بنائها] ، ثم يمضي جارياً فينقسم خلجانات الى بلاد تنيس ودمياط ورشيد والإسكندرية ، كل يصب الى البحر الرومي ، وقد أحدث فيه بحيرات في هذه المواضع ، وقد كان النيل انقطع عن بلاد الاسكندرية قبل هذه الزيادة التي زادها في هذه السنة ، وهي سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، ونمي إلي وأنا بمدينة انطاكية والثغر الشامي ان النيل زاد في هذه السنة ثمانية عشر ذراعاً ، فلست أدري أفي هذه الزيادة دخل خليج الإسكندرية أم لا ، وقد كان الاسكندر بن فيلبس المقدوني بنى الإسكندرية على هذا الخليج من النيل ، وكان يتفجر إليه معظم ماء

النيل ، ويسقي بلاد الاسكندرية وبلاد مَرِيُوط ، وكان بلاد مريوط هذا في نهاية العمارة ، والجِنَان متصلة بأرض بَرَقَّة من بلاد المغرب ؛ وكانت السفن تجري في النيل فتصل بأسواق الإسكندرية ، وقد بلط أرض نيلها في المدينة بالرخام والمرمر ، فانقطع الماء عنها لعوارض سدّت خُلجَانها ومنعت الماء من دخوله ، وقيل : لِإِلِل غير ذلك منعت من تنفسه [من تنقيته ورد الماء إلى كأمته] وردت الماء إلى كَنانه ، لا يحملها كتابنا هذا لاستعمالنا فيه الاختصار ، فصار شربهم من الآبار ، وصار النيل على نحو يوم منهم ، وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب في باب ذكرنا لأخبار الإسكندرية جملاً من أخبارها وأخبار بنائها ، وما ذكرنا من الماء الجاري إلى بحر الزنج فانما هو خليج آخذ من أعالي مصب الزنج ، وفارق بين بلاد الزنج وبين أقاصي بلاد أجناس الأحابيش ، ولولا ذلك الخليج ومفاوز من رمال ودهاس لم يكن للعبشة مقام في ديارهم من انواع الزنج لكثرتها وبطشها .

جيجون : وأما نهر بَلَخَ الذي يسمى جِيحُون ، فإنه يخرج من عيون تجري حتى تأتي بلاد خَوَارَزْمَ ، وقد اجتاز قبل ذلك ببلاد الترمذ وإسفرائين وغيرها من بلاد خراسان ، فاذا ورد إلى بلاد خوارزم تفرق في مواضع هناك ، ويمضي باقيه فيصب في البحيرة التي عليها القرية المعروفة بالجرجانية أسفل خوارزم ، وليس في ذلك الصقع أكبر من هذه البحيرة ، ويقال : إنه ليس في العمران بحيرة أكبر ، لأن طولها مسيرة شهر في نحو ذلك من العرض ، وهي في السفن ، وإليها يصب نهر فرغانة والشاش ويمر ببلاد الفاراب في مدينة جديس ، وتجري فيه السفن إلى هذه البحيرة ، وعليها مدينة للترك يقال لها المدينة الجديدة ، وفيها المسنون ،

والأغلب من الأتراك في هذا الموضع الغزبية ، وهم بوادي وحضر ، وهذا الجنس من الأتراك هم أصناف ثلاثة : الأسافل والأعالي والأواسط ، وهم أشد الترك بأساً وأقصرهم وأصغرهم أعيناً ، وفي الترك من هو أصغر من هؤلاء على ما ذكر صاحب المنطق في كتاب الحيوان في المقالة الرابعة عشرة والثامنة عشرة حين ذكر الطير المعروف بالقرانتيق ، وسنذكر لهما من أخبار أجناس الترك فيما يرد من هذا الكتاب مجتمعا ومتفرقا ، وبمدينة بلخ رباط يقال له الأخشبان على نحو من عشرين يوماً منها ، وهو في آخر أعمالها ، وبإزائهم أنواع من الكفار يقال لهم أوخان وثبت ، وعلى اليمين من هؤلاء جنس آخر يقال لهم إيفان ، ويخرج من هنالك نهر عظيم يعرف بنهر إيفان ، وزعم قوم من أهل الخبرة أنه مبتدأ نهر جيحون ، وهو نهر بلخ ، ومقدار جريانه على وجه الأرض نحو من خمسين ومائة فرسخ ، من مبدأ نهر الترك ، وهو إيفان ، وقيل : أربعمائة فرسخ ، وقد غلط قوم من مصنفي الكتب في هذا المعنى ، وزعموا أن جيحون يصب إلى نهر مهران السند ، ولم يذكروا نهر رست الأسود ولا نهر رست الأبيض الذي تكون عليه مملكة كياك بيغور ، وهم جنس من الترك وراء نهر بلخ ، وهو جيحون ، وعلى هذين النهرين الغورية من الترك ، وهذين النهرين أخبار لم يثبت بمقدار مسافتها على وجه الأرض فنذكر ذلك .

نهر جنجس : وكذلك جنجس نهر الهند ، فبدوؤه في جبل من أقاصي أرض الهند مما يلي الصين من نحو بلاد الطغرغر من الترك ، ومقدار جريانه إلى أن يصب في البحر الحبشي مما يلي ساحل الهند أربعمائة فرسخ .

الفرات و أما الفرات فبدوه من بلاد قاليقلا. من ثغور إرمينية، من جبل هناك يدعى إفردهس، على نحو يوم من قاليقلا، ومقدار جريانه من بلاد الروم إلى أن يأتي بلاد ملطية مائة فرسخ، وأخبرني بعض إخواننا من المسلمين ممن كان أسيراً في أرض بلاد النصرانية أن الفرات إذا توسط أرض الروم تحلبت إليه مياه كثيرة منها نهر يخرج مما يلي بحيرة الماذرمون، وليس في أرض الروم بحيرة أكبر منها، وهي نحو من شهر، وقيل: أكثر من ذلك طولاً وعرضاً، تجري فيها السفن، وينتهي الفرات إلى جسر منبج، وقد اجتاز تحت قلعة سميساط، وهي قلعة الطين، ثم ينتهي إلى بالس ويمر بصيفين موضع حرب أهل العراق وأهل الشام، ثم ينتهي إلى الرقة وإلى الرحبة وهيت والأنبار، ويأخذ منه هناك أنهار مثل نهر عيسى وغيره، مما ينتهي إلى مدينة السلام، فيصب في دجلة، وينتهي الفرات إلى بلاد سوري، وقصر ابن هبيرة، والكوفة، والجامعين، وأحمد أباد، والفرس، والطفوف، ثم تنتهي غايته إلى الباطية التي بين البصرة وواسط، فيكون مقدار جريانه على وجه الأرض نحواً من خمسمائة فرسخ، وقد قيل أكثر من ذلك، وقد كان الفرات الأكثر من مائه ينتهي إلى بلاد الحيرة ونهرها بين إلى هذا الوقت وهو يعرف بالعتيق، وعليه كانت وقعة المسلمين مع رستم وهي وقعة القادسية، فيصب في البحر الحبشي، وكان البحر حينئذ في الموضع المعروف بالتجف في هذا الوقت، وكانت تقدم هناك سفن الصين والهند ترد إلى ملوك الحيرة، وقد ذكر ما قلنا عبد المسيح بن عمرو بن ببيعة الغساني حين خاطب خالد بن الوليد في أيام أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه حين قال له: ما تذكر؟ قال: أذكر سفن الصين وراء هذه الحصون، فلما انقطع الماء عن مصبه

في ذلك الموضع انتقل البحر برأ ؛ فصار بين الحيرة وبين البحر في هذا الوقت مسيرة أيام كثيرة ، ومن رأى النجف وأشرف عليه تبين له ما وصفنا ، وكتنقل الدجلة العوراء فصار بينها وبين الدجلة في هذا الوقت مسافة بعيدة ، وصارت تدعى ببطن جوخي ، وذلك من جهة مدينة فارس من أعمال واسط الى دنوقاء الى نحو بلاد السوس ، وكذلك ما حدث في الجانب الشرقي ببغداد من الموضع المعروف : برقة الشاسية ، وما نقل الماء بتياره من الجانب الغربي من الضياع التي كانت بين قَطْرُبُلّ ومدينة السلام ، كالقرية المعروفة بالقب والموضع المعروف بالبشرى والموضع المعروف بالعين ، وغير ذلك من ضياع قَطْرُبُلّ ، وقد كان لأهلها مطالبات مع أهل الجانب الشرقي من ملك رقة الشاسية ، في أيام المقتدر ، بحضرة الوزير أبي الحسن علي بن عيسى ، وما أجاب به أهل العلم في ذلك ، وما ذكرناه مشهور بمدينة السلام ، فإذا كان الماء في نحو من ثلاثين سنة قد ذهب بنحو من سبع ميل ؛ فإنه يسير ميلاً في قدر مائتي سنة ؛ فإذا تباعد النهر أربعة آلاف ذراع من موضعه الأول خربت بذلك السبب مواضع وعمرت مواضع ، وإذا وجد الماء سبيلاً منخفضاً وانصباباً وسع بالحركة وشدة الجرية لنفسه ، فاقتلع المواضع من الأرض من أبعد غايتها ، وكلما وجد موضعاً متسعاً الوهاد ملاء في طريقه من شدة جريته حتى يعمل بحيرات وبطائح ومستنقعات ، وتخرّب بذلك بلاد ، وتعمّر بذلك بلاد ، ولا يغيب فهم ما وصفنا على من له أدنى فكر .

نهر دجلة : ولنبدأ بذكر دجلة ومبدأ جريانها ومصبتها ؛ فنقول : دجلة تخرج من بلاد آمِدَ من ديار بكر ، وهي أعين ببلاد

خلاط من ارمينية ، ويصب إليها نهر : مريط ، وساتيدما يخرج من بلاد أرزن وميافارقين وغيرهما من الأنهار كنهر دوشا والخابور الخارج من بلاد ارمينية ، ومصبه في دجلة بين مدينة باسورين وقبر ساور ، من بلاد بقردي وبازبدي وباهمداء من بلاد الموصل ، وهذه الديار ديار بني حمدان ، وفي بقردي وبازبدي يقول الشاعر :

بقردي وبازبدي مصيف ومربيع وعذب يحاكي السلسيل برود
وبغداد ، ما بغداد ؟ أما تراها فجمر ، وأما حرها فشديد

وليس هذا الخابور خابور النهر الذي يخرج من مدينة رأس العين من أعينها ويصب في الفرات أسفل مدينة قرقيسيا ، ثم تمر دجلة بمدينة بلاد الموصل ويصب إليها نهر الزاب وهو من بلاد ارمينية ، وهو الزاب الاكبر بعد الموصل ، وفوق الحديث مدينة الموصل ، ثم يصب فيها زاب آخر فوق مدينة السن يأتي من بلاد ارمينية وأذربيجان ، ثم ينتهي الى مدينة تكريت وسر من رأى ومدينة السلام ، فيصب إليها الخندق والصراة ونهر عيسى ، وهي الانهار التي ذكرنا انها تأخذ من الفرات وتصب في دجلة ، ثم تخرج دجلة من مدينة السلام فيصب فيها أنهار كثيرة ، مثل : النهر المعروف بدالي ، ونهر بين ، ونهر الروان مما يلي بلاد جرجرايا والسيب وتلي النعمانية ، فاذا خرجت دجلة من مدينة واسط ، تفرقت في أنهار هناك آخر إلى بطيحة البصرة ، مثل : بردود اليهودي ، ومسامي ، والمصب الذي ينتهي إلى القطر ، وفيه تجري أكثر سفن البصرة وبغداد وواسط ، فمقدار مسافة جريان دجلة على وجه الأرض نحو من ثلثائة فرسخ ، وقيل : أربعمائة .

وقد أعرضنا عن ذكر كثير من الأنهار الا ما كبر واشتهر ، إذ كنا قد أتينا على ذكر ذلك على الإشباع في الكتاب المترجم باخبار الزمان ، وكذلك في الكتاب الأوسط ، ونذكر في هذا الكتاب لما مما سميناه من الأنهار وما لم نسمه .

وللبصرة أنهار كبار : مثل نهر سيرين ، ونهر الرس ونهر ابن عمر ، وكذلك ببلاد الاهواز فيما بينها وبين بلاد البصرة ، أعرضنا عن ذكر ذلك إذ كنا قد تفصينا الأخبار عنها وأخبار منتهى بحر فارس الى بلاد البصرة والأبلة وخبر الموضع المعروف بالجرارة - وهي دخلة من البحر الى البر تقرب من نحو بلاد الأبلة ، ومن أجلها ملح الأكثر من أنهار البصرة - وهذه الجرارة اتخذت الخشبات في فم البحر مما يلي الأبلة وعبادان ، عليها أناس يوقدون النار بالليل على خشبات ثلاث كالكرمي في جوف الليل [في جوف البحر] خوفاً على المراكب الواردة من عمان وسيراف وغيرها أن تقع في تلك الجرارة وغيرها ، فتعطب ، فلا يكون لها خلاص ، وقد ذكرنا ذلك فيما سلف من كتبنا ، وهذه الديار عجيبة في مصبات مياهها واتصال البحر بها ، والله أعلم .

ذكر جبل من الاخبار عن البحر الحبشي

وما قيل في ذلك من مقداره وسعة خلجانه

بحر الهند : قدرُوا بحر الهند ، وهو الحبشي ، وأنه يمتدُّ طوله من المغرب الى المشرق من أقصى الحبشة إلى أقصى الهند والصين ، ثمانية آلاف ميل ، وعرضه الفان وسبعمائة ميل ، وعرضه في موضع آخر ألف وتسعمائة ميل ، وقد يتقارب [وقد يتفاوت] في قلة العرض في موضع دون موضع ، ويكثر كذلك ، وقد قيل في طوله وعرضه غير ما وصفنا من الكثرة ، وأعرضنا عن ذكره لعدم قيام الدلالة على صحته عند أهل هذه الصناعة ، وليس في المعمور أعظم من هذا البحر ، وله خليج متصل بأرض الحبشة يمتد إلى ناحية بربري من بلاد الزنج والحبشة ، ويسمى الخليج البربري ، طوله خمسمائة ميل ، وعرض طرفيه مائة ميل ، وليست هذه بربري التي ينسب إليها البرابرة الذين ببلاد المغرب من أرض إفريقية ، لأن هذا موضع آخر يدعى بهذا الاسم ، وأهل المراكب من العمانيين يقطعون هذا الخليج إلى جزيرة قنبلو من بحر الزنج ، وفي هذه المدينة مسلمون بين الكفار من الزنج ، والعمانيون الذين ذكرنا من أرباب المراكب يزعمون أن هذا الخليج المعروف بالبربري ، وهم يعرفونه ببحر بربري وبلاد جفوني ، أكثر مسافة مما ذكرنا ، وموجه عظيم كالجبال الشواهيق ، فإنه موج أعمى يريدون بذلك أنه يرتفع كارتفاع الجبال وينخفض كأخفض ما يكون من الودية ، لا ينكسر موجه ولا يظهر من ذلك زبد

كتكسر أمواج سائر البحار ، ويزعمون انه موج مجنون ، وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من أهل عمان عرب من الأزدي ، فإذا توسطوا هذا البحر ودخلوا بين ما ذكرناه من الأمواج ، ترفعهم وتخفضهم فيرتجزون ويقولون :

بربري وجفوني ومَوْجَكَ المَجنُون
جفوني وبربري ومَوْجُهَا كما تري

وينتهي هؤلاء في بحر الزنج إلى جزيرة قبلو على ما ذكرنا ، وإلى بلاد سفالة والواق واق من أقاصي أرض الزنج ، والأسافل من بحر [من نحو] ، ويقطع هذا البحر السيرافيون ، وقد ركبت أنا هذا البحر من مدينة سنجار من بلاد عمان ، (وسنجار قسبة بلاد عمان) مع جماعة من نواخذة السيرافيين ، وهم أرباب المراكب ، مثل محمد بن الريدوم السيرافي ، وجوهر بن أحمد ، وهو المعروف بابن سيرة ، وفي هذا البحر تَلِفَ ومن كان معه في مركبه ، وآخر مرة ركبت فيه في سنة أربع وثلاثمائة من جزيرة قبلو إلى مدينة عمان ، وذلك في مركب أحمد وعبد الصمد أخوي عبد الرحيم بن جعفر السيرافي ، بمكان وهي محلة من سيراف وفيه غرقا في مركبها وجميع من كان معها ، وكان ركوبي فيه أخيراً والاميرُ على عمان أحمد بن هلال بن اخت القيتال ، وقد ركبت عدة من البحار كبحر الصين والروم والخزر والقلم واليمن ، وأصابني فيها من الأهوال ما لا أحصيه كثرة ، فلم أشاهد أهول من بحر الزنج ^(١) الذي قدمنا ذكره ، وفيه السمك المعروف بأفال [الأوال] طول السمكة نحو من أربعمئة ذراع إلى خمسمئة ذراع بالذراع العمرية ، وهي ذراع ذلك البحر ، والأغلب من هذا السمك طوله مائة ذراع ،

(١) في نسخة « بحر السند » .

وربما يهز البحر فيظهر شيئاً من جناحه ، فيكون كالقطع العظيم ، وهو الشراع ، وربما يظهر رأسه وينفخ الصعداء بالماء فيذهب الماء في الجو أكثر من ممر السهم ، والمراكب تفزع منه في الليل والنهار وتضرب له بالبدابب والخشب لينفر من ذلك ، ويحشر بأجنحته وذنبه السمك إلى فمه ، وقد ففر فاه ، وذلك السمك يسوي إلى جوفه جريا ، فإذا بغت هذه السمكة بعث الله عليها سمكة نحو الذراع تدعى اللشك ، فتلتصق بأصل أذنبا فلا يكون لها منها خلاص ، فتطلب قعر البحر ، وتضرب بنفسها حتى تموت ، فتطفو فوق الماء ، فتكون كالجبل العظيم ، وربما تلتصق هذه السمكة المعروفة باللشك بالمركب فلا يدنو الافال مع عظمتها من المركب ، ويهرب إذا رأى السمكة الصغيرة ، إذ كانت آفة له وقاتلته .

التمساح ، وكذلك التمساح يموت من دويبة تكون في ساحل النيل وجزائره ، وذلك أن التمساح لا دبر له وما يأكله يتكون في بطنه دوداً ، وإذا آذاه ذلك الدود خرج إلى البر فاستلقى على قفاه فاغراً فاه ، فيُقَيِّضُ الله إليه طير الماء كالطيوطى والحصافي وغير ذلك من أنواع الطيور وقد اعتادوا ذلك منه ، فيأكل ما ظهر في جوفه من ذلك الدود ، وتكون تلك الدويبة قد كمنت في الرمل تراعيه ، فتدب إلى حلقه وتصير في جوفه ، فيخبط بنفسه في الأرض فيطلب قعر النيل حتى تأتي الدويبة على حُشوة جوفه ثم تخرق جوفه وتخرج ، وربما يقتل نفسه قبل أن تخرج فتخرج بعد موته ، وهذه الدويبة تكون نحواً من ذراع على صورة ابن عرس ، ولها قوائم شتى ومخالب .

وفي بحر الزنج أنواع من السمك بصور شتى ، ولولا أن النفوس تنكر ما لم تعرفه وتدفع ما لم تألفه ، لاخبرنا عن عجائب هذه

البحار ، وما فيها من الحيتان [الحيات] والدواب ، وغير ذلك من عجائب المياه والجماد .

عود الى البحر الحبشي : فلنرجع الآن إلى ذكر تشعب مياه هذا البحر وخطبجانه ، ودخوله في البر ودخول البر فيه ، فنقول : إن خليجاً آخر يمتد من هذا البحر الحبشي فينتهي إلى مدينة القنزم من اعمال مصر ، وبينها وبين فسطاط مصر ثلاثة أيام ، وعليه مدينة أيلة والحجاز وجدة واليمن ، وطوله ألف وأربعمائة ميل ، وعرض طرفه مائتا ميل ، وهو أقرب المواضع من عرضه ، وعرضه في الوسط سبعمائة ميل ، وهو أكثر العرض فيه ، ويلاقي ما ذكرناه من الحجاز وبلاد أيلة من غربيه من الساحل الآخر من هذا الخليج بلاد العلاقي وبلاد العيذاب من أرض مصر وأرض البجة ، ثم أرض الحبشة والأحباش والسودان إلى أن يتصل ذلك بأقاصي أرض الزنج وأسافلها ، فيتصل إلى بلاد سفالة من أرض الزنج ، ويتشعب من هذا البحر خليج آخر وهو بحر فارس ، وينتهي إلى بلاد الأبله والخشبات وعبادان من أرض البصرة ، وعرضه في الأصل خمسمائة ميل ، وطول هذا الخليج ألف وأربعمائة ميل ، وربما يصير عرض طرفه مائة وخمسين ميلاً ، وهذا الخليج مثلث الشكل ينتهي أحد زواياه إلى بلاد الأبله ، وعليه مما يلي المشرق ساحل فارس من بلاد دورق الفرس وماهر بان ومدينة حسان ، واليها تضاف الثياب الحسانية ، ومدينة نجيرم ببلاد سيراف ثم بلاد ابن عمارة ثم ساحل كرمان ، وهي بلاد هرموز ، وهرموز مقابلة لمدينة سنجار من بلاد عمان ، ثم يلي ساحل كرمان ويتصل به على ساحل هذا البحر بلاد مكران ، وهي أرض الخوارج الشراة ، وهذه كلها أرض نخل ، ثم ساحل السند وفيه مصب نهر مهران ، وهناك مدينة الديبل ، ثم يكون مار

متصلاً بساحل الهند إلى بلاد بروض ، وإليها يضاف القنا البروضي ،
براً متصلاً إلى أرض الصين ساحلاً واحداً ، ويقابل ما ذكرنا من
مبدأ ساحل فارس ومكران والسند بلاد البحرين وجزائر قطر وشط
بني جذيمة وبلاد عمان وأرض مهرة إلى رأس الجمجمة إلى أرض الشحر
والأحقاف ، وفيه جزائر كثيرة مثل جزيرة خارك ، وهي بلاد
جنابة ، لأن خارك مضافة إلى جنابة ، وبينها وبين البر فراسخ وفيها
مغاص اللؤلؤ المعروف بالخاركي ، وجزيرة أوال فيها بنو معن وبنو
مسار وخلائق كثيرة من العرب بينها وبين مدن ساحل البحرين نحو
يوم بل أقل من ذلك ، وفي ذلك الساحل مدينة الزارة والعقل
والقطيف من ساحل هجر ، ثم بعد جزيرة أوال جزائر كثيرة ،
منها جزيرة لافت ، وتدعى جزيرة بني كاوان وقد كانت افتتحها
عمرو بن العاص وفيها مسجده إلى هذه الغاية ، وفيها خلق من الناس
وقرى وعمارة متصلة ، وتقرب هذه لجزيرة إلى جزيرة هنجام ، ومنها
يستسقي أرباب المراكب الماء ، ثم الجبال المعروفة بكسير وعوير
وثالث ليس فيه خير ، ثم الدردور المعروف بدردور مسندم ، ويكنيه
البحريون بأبي جهرة ، وهذه مواضع من البحر ، وجبال سود ذاهبة
في الهواء لا نبات عليها ولا حيوان يحيط بها مياه من البحر عظم
قعرها ، وأمواج متلاطمة تجزع منها النفوس إذا أشرفت عليها ،
وهذه المواضع من بلاد عمان وسيراف لا بد للمراكب من الجواز
عليها والدخول في وسطها ، فتخطيء وتصيب ، وهذا البحر هو خليج
فارس ويعرف بالبحر الفارسي عليه ما وصفتنا من البحرين وفارس
والبصرة وكرمان وعمان إلى رأس الجمجمة ، وبين هذا الخليج وخليج
القلزم أيلة والحجاز واليمن ، ويكون بين الخليجين من المسافة ألف

وخمسة مائة ميل ، وهي داخلة من البر في البحر ، والبحر يطيف بها من أكثر جهاتها على ما وصفنا .

فهذا بحر الصين والهند وفارس وعمان والبصرة والبحرين واليمن والحبشة والحجاز والقزم والزنج والسند ومن في جزائره ومن قد أحاط به من الأمم الكثيرة التي لا يعلم وصفهم ولا عددهم إلا من خلقهم سبحانه وتعالى ، ولكل قطعة منه اسم يفرد لها من غيرها ، والماء واحد متصل غير منفصل .

وفي هذا البحر مناصات الدر واللؤلؤ ، وفيه العقيق والبادبيج ، وهو نوع من البجادي ، وأنواع الياقوت والماس والسنباذج ، وفيه معادن ذهب وفضة نحو بلاد كلة وسريرة ، وحوله معادن حديد مما يلي بلاد كرمان ، ونحاس بأرض عمان ، وفيه أنواع الطيب والأفاويه والعنبر وأنواع الأدوية والعقاقير والساج والخشب المعروف بالدارزنجي والقنا والخيزران ، وسنذكر بعد هذا الموضوع تفصيل مواضع فيه أدركناها ، وكل ما ذكرنا من الجواهر والطيب والنبات ففيه وحوله ، وسائر ما ذكرنا من هذا البحر يدعى بالبحر الحبشي ، ورياح ما وصفنا من قطعه التي تدعى كل واحدة منها بجرأ - كقولنا : بحر فارس وبحر اليمن وبحر القزم وبحر الحبش وبحر الزنج وبحر السند وبحر الهند وبحر كلة وبحر الزابج ، وبحر الصين - فمختلفة ، فمنها ما ريجه من قعر البحر يظهر فتغليه [فيقله] ويعظم موجهه كالقدر قفور مما يلحقها من مواد حرارة النار ، ومنها ما ريجه والآفة فيه من قعره والنسيم ، ومنها ما يكون مهبه من النسيم دون ما يظهر من قعره ، وما وصفناه مما يظهر من قعره من الرياح فذلك تنفسات [متنفسات] من الأرض تظهر الى قعره ثم تظهر في [إلى] سطحه ،

والله عز وجل أعلم بكيفية ذلك ، ولكل من يركب هذه البحار من الناس رياح يعرفونها في أوقات تكون منها مهابها قد علم ذلك بالعادات وطول التجارب ، يتوارثون علم ذلك قولاً وعملاً ، ولهم فيها دلائل وعلامات يعملون بها إبان هيجانه وأحوال ركوده وثورانه ، هذا فيما سمينا من البحر الحبشي والروم ، والمسافرون في البحر الرومي سبيلهم كذلك ، وكذلك من يركب بحر الخزر الى بلاد جرجان وطبرستان والديلم ، وسنأتي بعد هذا الموضع على جمل وفصول من علم ومعرفة هذه البحار ، وعجائب أوصافها وأخبارها ، إن شاء الله تعالى .

ذكر تنازع الناس في المد والجزر

وجوامع مما قيل في ذلك

المد : مضي الماء في فتحته وسيحته وسنن جريته ، والجزر : رجوع الماء على ضد سنن مضيته وانكشاف ما مضى عليه في هيجه [نهجه] ، وذلك كبحر الحبش الذي هو الصيني والهندي وبحر البصرة وفارس المقدم ذكره قبل هذا الباب ، وذلك أن البحار على ثلاثة أنواع : منها ما يتأتى فيه الجزر والمد ويظهر ظهوراً بيناً ، ومنها ما لا يتبين فيه الجزر والمد ويكون خفيفاً مستتراً ، ومنها ما لا يجزر ولا يمد .

فالبهار التي لا يكون فيها الجزر والمد ، امتنع منها الجزر والمد لعلل ثلاث وهي على ثلاثة أصناف : فأولها ما يقف الماء فيه زماناً فيغلظ وتقوى ملوحته ، وتتكيف فيه الأرياح ، لأنه ربما صار الماء الى بعض المواضع ببعض الأسباب فيصير كالبحيرة وينقص في الصيف ويزيد في الشتاء ، ويتبين فيه زيادة ما ينصب فيه من الأنهار والعيون ؛ والنصف الثاني البحار التي تبعد عن مدار القمر ومسافاته بعداً كثيراً ، فيمتنع منه المد والجزر ؛ والنصف الثالث المياه التي يكون الغالب على أرضها التخلخل ، لأنه إذا كانت أرضها مخلخلة نفذ الماء منها إلى غيرها من البحار وتخلخل ، وأنشبت [وأنفست] الرياح الكائنة في أرضها أولاً فأولاً ، وغلبت الرياح عليها ، وأكثر ما يكون هذا في ساحل [هذا في أرجاء] البحار والجزائر .

وقد تنازع الناس في علة المد والجزر ؛ فمنهم من ذهب الى أن ذلك من القمر لأنه مجانس للماء ، وهو يسخنه فينبسط ، وشبهوا ذلك بالنار إذا أسخنت ما في القدر وأغلتته ، وإن الماء يكون فيها على قدر النصف أو الثلثين ، فإذا غلا الماء انبسط في القدر وارتفع وتدافع حتى يفور فتضاعف كميته في الحس ، وينقص في الوزن ، لأن من شرط الحرارة أن تبسط الأجسام ، ومن شرط البرودة أن تضمها ، وذلك أن قعور البحار تحمي فتتولد في أرضها عذوبة وتستحيل وتحمي كما يعرض ذلك في البلايع والآبار ، فإذا حمي ذلك الماء انبسط ، وإذا انبسط زاد ، وإذا زاد ارتفع ، فدفع كل جزء منه صاحبه ، فطفأ على سطحه وبأن عن قعره ، فاحتاج الى أكثر من وهدته [هدية] ، وإن القمر اذا امتلأ حمي الجو حمياً شديدا فظهرت زيادة الماء فسمي ذلك المد الشهري ، وأن هذا البحر تحت معدل النهار آخذاً من جهة المشرق الى المغرب ودور الكواكب المتحيرة عليه مع ما يساميه من الكواكب الثابتة اذا كانت المتحيرة في القدر مثل الميل على تجاوزه [من الليل على ما يجاوزه] ، وإذا زالت عنه كانت منه قريبة فاعلة فيه من أوله الى آخره في كل يوم وليلة ، وهي مع ذلك في الموضع المقابل الحمى ، فقليل ما يعرض فيه من الزيادة ويكون في النهر الذي يعرض فيه المد بيناً من أطرافه وما يصب اليه من سائر المياه .

وقالت طائفة أخرى : لو كان الجزر والمد بمنزلة النار إذا أسخنت الماء الذي في القدر وبسطته ، فيطلب أوسع منها ، فيفيض ، حتى إذا خلا قعر من الماء طلب الماء بعد خروجه منه عمق الارض بطبعه ، فيرجع اضطراراً بمنزلة رجوع ما يغلي من الماء في المرجل والقمقم اذا فاض وتتابعت أجزاء النار عليه بالحمى ، لكأن في الشمس أشد

سخونة ، ولو كانت الشمس علة مده ، لكان يمد مع بده طلوع الشمس ، ويحزر مع غيبتها ؛ فزعم هؤلاء أن علة الجزر والمد في الأبحر تتولد من الأبخرة التي تتولد من بطن الأرض ؛ فإنها لا تزال تتولد حتى تكثف وتكثر ، فتدفع حينئذ ماء هذا البحر لكثافتها ، فلا تزال كذلك حتى تنقص مواردها من أسفل ، فإذا انقطعت موادها تراجع الماء حينئذ الى قعر البحر ، وكان الجزر من أجل ذلك ، والمدُّ ليلاً ونهاراً ، وشتاءً وصيفاً ، وفي غيبة القمر وفي طلوعه ، وكذلك في غيبة الشمس وطلوعها ، قالوا : وهذا يدرك بالحس ، لأنه ليس يستكمل الجزر آخره حتى يبدأ أول المد ، ولا ينقضي آخر المد حتى يبتدئ أول الجزر ، لأنه لا يتغير توالد تلك البخارات ، حتى إذا خرجت تولد غيرها مكانها ، وذلك ان البحر اذا غارت مياهه ورجعت الى قعره تولدت تلك الأبخرة لمكان ما يتصل منها من الارض بمائه ، وكلما عاد تولدت ، وكلما فاض نقصت .

وذهب آخرون من أهل الديانات أن كل ما لم يعرف له من الطبيعة مجرى ولا يوجد له فيها قياس فهو فعل الإله ، يدل على توحيد الله عز وجل وحكمته ؛ فليس للمد والجزر علة في الطبيعة البتة ، ولا قياس .

وقال آخرون : ما هيجان ماء البحر الا كهيجان بدن الطبايع ؛ فانك ترى صاحب الدم وصاحب الصفراء وغيرهما تهتاج طبيعته ثم تسكن ، وكذلك مواد تمدها حالاً بعد حال ، فإذا قويت هاجت ، ثم تسكن قليلاً قليلاً حتى تعود .

وذهبت طائفة أخرى الى ابطال سائر ما وصفنا من القول ، وزعموا أن الهواء المطلق على البحر يستحيل دائماً ؛ فإذا استحال عظم ماء البحر وفاض عند ذلك ، وإذا فاض البحر فهو المد ، فعند ذلك

يستحيل ماؤه ويتنفس فيستحيل هواء فيعود الى ما كان عليه ، وسو الجزر ، وهو دائم لا يفتتر ، متصل مترادف متعاقب ، لأن الماء يستحيل هواء ، والهواء يستحيل ماء ؛ قالوا : وقد يجوز أن يكون ذلك عند امتلاء القمر أكثر ، لان القمر اذا امتلأ استحال الهواء أكثر مما كان يستحيل ، وإنما القمر علة لكثرة المد لا للمد نفسه ، لأنه قد يكون والقمر في محاقه ، والمد والجزر في بحر فارس يكونان على مطالع الفجر في الأغلب من الأوقات .

وقد ذهب كثير من نواخذة هذا البحر ، وهم أرباب المراكب ، من السيرافيين والعمانيين ممن يقطعون هذا البحر ويختلفون الى عمائره من الأمم التي في جزائره وحوله ، الى أن المد والجزر لا يكون في معظم هذا البحر إلا مرتين في السنة : مرة يمد في شهور الصيف شرقاً بالشمال ستة أشهر ، فإذا كان ذلك طفا الماء في مشارق الأرض وبالصين وما وراء ذلك الصقع وانحسر بالصين من مغارب البحر ، ومرة يمد في شهور الشتاء غرباً بالجنوب ستة أشهر ، فإذا كان الصيف طفا الماء في مغارب البحر وانحسر بالصين ، يقد يتحرك البحر بتحرك الرياح ، وان الشمس اذا كانت في الجهة الشمالية تحرك الهواء الى الجهة الجنوبية لعلل ذكروها ، فيسيل ماء البحر بحركة الهواء الى الجهة الجنوبية ؛ فكذلك تكون البحار في جهة الجنوب في الصيف لهبوب الشمال طامية عالية ، وتقل المياه في جهة البحار الشمالية ، وكذلك اذا كانت الشمس في الجنوب وسال الهواء من الجنوب الى جهة الشمال سال معه ماء البحر من الجهة الجنوبية الى الجهة الشمالية فقلت المياه في الجهة الجنوبية منه ، وينتقل ماء البحر في هذين الميادين ، أعني في حقي الشمال والجنوب ، فيسمى جزراً ومداً ، وذلك أن مد الجنوب جزر الشمال ، ومد الشمال جزر الجنوب ، فإن وافق

القمر بعض الكواكب السيارة في أحد المليون تزايد الفعلان ، وقوى الحمى واشتد لذلك سيلان الهواء ، فاشتد لذلك لنقلاب ماء البحر الى الجهة المخالفة للجهة التي ليس فيها الشمس .

قال المسعودي : فهذا رأي يعقوب بن إسحاق الكندي وأحمد ابن الطيب السرخسي فيما حكاه عنه [حكيناها عنهما] : أن البحر يتحرك بالرياح ، ورأيت مثل ذلك ببلاد كنباية من أرض الهند وهي المدينة التي تضاف إليها النعال الكنبائية الصرارة وفيها تعمل وفيها يليها مثل مدينة سندارة وسريارة ، وكان دخولي إليها في سنة ثلاث وثلثمائة ، والملك يومئذ بانبا ، وكان برهانيا من قبل البلهري صاحب المانكير ، وكان لبانيا هذا عناية بالمناظرة مع من يرد الى بلاده من المسلمين وغيرهم من أهل الملل ؛ وهذه المدينة على خور من أخوار البحر - وهو الخليج - أعرض من النيل أو دجلة أو الفرات ، عليه المدن والضياح والعمائر والجنان والنخل والنارجيل والطواويس والبيضاء ، وغير ذلك من انواع طيور الهند ؛ بين تلك الجنان والمياه وبين مدينة كنباية وبين البحر الذي يأخذ منه هذا الخليج يومان ، أو أقل من ذلك ؛ فيجزر الماء عن هذا الخليج حتى يبدو الرمل في قعر الخليج ويبقى في وسطه القليل من الماء ، فرأيت الكلب على هذا الرمل الذي ينصب عنه الماء وقعر الخليج قد صار كالصحراء ، وقد أقبل المد من نهاية الخور كالخيل في الحلبنة ، فربما أحس الكلب بذلك فأقبل يُحْضِرُ ما استطاع خوفاً من الماء ، فيطلب البر الذي لا يصل إليه الماء ، فيلحقه الماء بسرعه فيفرقه ، وكذلك المد يرد بين البصرة والأهواز في الموضع المعروف بالباسيان وبلاد القندر [وبلاد الهند] ، ويسمى هنالك الذئب [أزيب] ، له ضجيج ودويٌ وغليان عظيم يفرغ منه أصحاب السفن ، وهذا الموضع يعرف من يسلك هنالك الى بلاد مورك من أرض فارس ، والله أعلم .

ذكر بحر الروم

ووصف ما قبل في طوله وعرضه وابتدائه وانتهائه

أما بحر الروم وطرسوس وأدنة والمصيصة وأنطاكية واللاذقية وطرابلس وصيدا وصور وغير ذلك من ساحل الشام ومصر والإسكندرية وساحل المغرب ، فذكر جماعة من أصحاب الزيجات في كتبهم ، منهم محمد بن جابر النسائي وغيره ، أن طوله خمسة آلاف ميل ؛ وعرضه مختلف : فمنه ثمانمائة ميل ، ومنه سبعمائة ميل ، ومنه ستمائة ميل ، وأقل من ذلك ، على حسب مضايقة البر للبحر والبحر للبر ؛ ومبدأ هذا البحر من خليج يخرج جارياً من بحر أوقيانوس ، وأضيق موضع من هذا الخليج بين ساحل طنجة وسبتة من بلاد المغرب وبين ساحل الأندلس ، وهذا الموضع المعروف بسيطاء ، وعرضه فيما بين الساحلين نحو من عشرة أميال ، وهذا الموضع هو المعتبر لمن أراد العبور من المغرب إلى الأندلس ومن الأندلس إلى المغرب ويعرف بالزقاق ، وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب في أخبار مصر القنطرة التي كانت بين هذين الساحلين ، وما ركبها من ماء هذا البحر ، والطريق المتصل بين جزيرة قبرص وأرض العريش وسلوك القوافل إياه وعلى الحد بين البحرين - أعني بحر الروم وبحر أوقيانوس - المنارة النحاس ، والحجارة التي بناها هرقل الجبار على أعلاها الكتابة والتأثيل مشيرة بأيديها أن لا طريق وراثي لجميع الداخلين إلى ذلك البحر بحر الروم ؛ إذ كان بحر لا تجري فيه جارية ، ولا

عمارة فيه ولا حيوان ناطق يسكنه ولا يحاط بمقداره ولا تُدرى [ولا تدرك] غايته ولا يعلم منتهاه وهو بحر الظلمات والأخضر والمحيط ، وقد قيل : إن المنارة على غير هذا الزقاق ، بل في جزيرة من جزائر بحر أوقيانوس المحيط وسواحله .

وقد ذهب قوم الى أن هذا البحر أصل ماء سائر البحار ، وله اخبار عجيبة ، قد أتينا على ذكرها في كتابنا « اخبار الزمان » ، في اخبار من غرر وخاطر بنفسه في ركوبه ، ومن نجا منهم ومن تلف ، وما شاهدوا منه وما رأوا ، وان منهم رجلا من أهل الأندلس يقال له خشخاش ، وكان من فتيان قرطبة وأحداثها ، فجمع جماعة من أحداثها ، وركب بهم في مراكب استعددها في هذا البحر المحيط ، فغاب فيه مدة ثم اثنى بغنائم واسعة ، وخبره مشهور عند أهل الأندلس ؛ وبين هذه المنارة المنصوبة ، وبين موضع الأحجار [البحار] مسافة طويلة في طول مصب هذا الخليج وجريانه ، وذلك ان ماء يجري من بحر أوقيانوس الى البحر الرومي ، يحس بجريانه ويعلم بحركته ، ويتشعب من بحر الروم والشام ومصر ، خليج من نحو خمسمائة ميل يتصل بمدينة رومية تسمى بالرومية ادرس ، وعلى هذا الخليج من جانب المغرب قرية يقال لها سَبْتَة ، وهي وطنجة من ساحل واحد ، ويقابل سبتة هذه من ناحية الأندلس الجبل المعروف بجبل طارق مولى موسى بن نصير ، ويعبرُ الناس من سبتة الى ساحل الأندلس من غدوة الى الظهر ، وفي هذا الخليج مَوْجٌ عظيم ، والماء من هناك يخرج من بحر أوقيانوس ، ويصب الى البحر الرومي ، وفي هذا الخليج مواضع تعلق أمواجها ، ويعلو الماء من غير ربح ، وهذا الخليج يسميه أهل المغرب وأهل الأندلس الزقاق اذ كان على هيئة ذلك ، وفي بحر الروم جزائر كثيرة منها : جزيرة قبرص بين ساحل

الشام والروم ، وجزيرة رودس في مقابلة الاسكندرية ، وجزيرة
إقريطش ، وجزيرة صقلية ، وسنذكر صقلية بعد هذا الموضع عند
ذكرنا لجبل البركان الذي تظهر منه النار ، وفيها أجسام وجثث
وعظام .

وقد ذكر يعقوب بن اسحاق الكندي وتلميذه أحمد بن الطيب
انسرخسي ، في طول هذا البحر وعرضه غير ما ذكرنا .
وسنذكر بعد هذا الموضع فيما يرد من هذا الكتاب هذه البحار
على نظم من التأليف ، وترتيب من التصنيف ، ان شاء الله تعالى .

ذكر بحر نيطش

وبحر مانطش [بحر نيطس ومايطس] ، وخليج القسطنطينية

فأما بحر نيطش فإنه يمد من بلاد لاذقة الى القسطنطينية ، وطوله
الف ومائة ميل ، وعرضه في الاصل ثلاثمائة ميل ، وفيه يصب النهر
العظيم المعروف بأطنابس ، وقد قدمنا ذكره ، ومبدأ هذا البحر من
الشمال ، وعليه كثير من ولد يافث بن نوح ، وخروجه من بحيرة
عظيمة في الشمال من أعين وجبال ، ويكون مقدار جريانه على وجه
الارض نحو ثلثمائة فرسخ عمائر متصلة لولد يافث ، ويسير بحر مانطش ،
فيا زعم قوم من أهل العناية بهذا الشأن ، حتى يصب في بحر
نيطش ، وهذا البحر عظيم فيه أنواع من الأحجار والحشائش والعقاقير ،
وقد ذكره جماعة ممن تقدم من الفلاسفة ، ومن الناس من يسمي بحر
مانطش بحيرة ، ويجعل طوله ثلاثمائة ميل ، وعرضه مائة ميل ، ومنه
ينفجر خليج القسطنطينية الذي يصب إلى بحر الروم ، وطوله ثلاثمائة
ميل ، وعرضه نحو من خمسين ميلاً ، وعليه القسطنطينية والعمائر من
أوله إلى آخره ، والقسطنطينية في الجانب الغربي من هذا الخليج
متصلة ببر رومية والأندلس وغيرهما ، فيجب ، والله أعلم ، على قول
المتجمين من أصحاب الزيجات وغيرهم ممن تقدم ، أن بحر البلغر
والروس ، ويبنى ويحناك وبغرد ، وهم ثلاثة أنواع من الترك ، هو بحر
نيطش ، وسيأتي ذكر هؤلاء الامم فيما يرد من هذا الكتاب إن شاء الله
تعالى على حسب استحقاقهم في ذكرهم ، واتصال عمائرهم ، ومن يركب
هذا البحر منهم ومن لا يركبه ، والله أعلم .

ذکر بحر الباب والابواب والخزر وجرجان

وجمل من الاخبار على ترتيب البحار

فأما بحر الاعاجم الذي عليه دُورُها ومساكنها ، فهو معمور بالناس من جميع جهاته ، وهو المعروف ببحر الباب والأبواب والخزر والجيل والديلم وجرجان وطبرستان ، وعليه أنواع من الترك ، ويفتحي في إحدى جهاته نحو بلاد خوارزم ، وطوله ثمانمائة ميل ، وعرضه ستائة ميل ، وهو مدور الشكل الى الطول ، وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من ذكر الأمم المحيطة بهذه البحار المعمورة ، وهذا البحر الذي هو بحر الأعاجم كثير التنانين ، وكذلك بحر الروم ، فالتنانين فيها كثيرة ، وكثيراً ما تكون مما يلي بلاد طرابلس واللاذقية والجليل الأقرع من أعمال أنطاكية ، وتحت هذا الجبل معظم ماء البحر واكثره ، ويسمى عجز البحر ، وغايته إلى ساحل أنطاكية ورشيد والاسكندرية ، وحصن المثقب ، وذلك في سفح جبل اللكام ، وساحل المصيصة وفيه مصب نهر جيحان ، وساحل أذنة وفيه مصب سيحان ، وساحل طرسوس وفيه مصب نهر بردان ، وهو نهر طوسوس ، ثم البلد الخالي من العمارات الخراب بين الروم والمسلمين مما يلي مدينة قلمية إلى قبرص وقريطس وقراسيا ، ثم بلاد سلوقية ونهرها العظيم الذي يصب في هذا البحر ، ثم حصون الروم الى خليج القسطنطينية .

وقد أعرضنا عن ذكر أنهار كثيرة بأرض الروم وما يصب إلى هذا البحر كنهج البارد ونهر العسل ، وغيرها من الأنهار .

والعمارة على هذا البحر من المضيق الذي قدمنا ذكره ، وهو الخليج الذي عليه طنجة ، متصلة بساحل المغرب وبلاد إفريقية والسوس وطرابلس المغرب والقيروان وساحل بركة والرفادة وبلاد الاسكندرية ورشيد وتنيس ودمياط وساحل الشام وساحل الثغور الشامية ثم ساحل الروم ماراً متصلاً إلى بلاد رومية إلى ان يتصل بساحل الاندلس ، إلى أن ينتهي إلى ساحل الخليج الضيق المقابل لطنجة على ما ذكرنا لا تنقطع من هذا البر كله العمائر التي وصفناها من الاسلام والروم إلا الأنهار الجارية إلى البحر وخليج القسطنطينية ، وعرضه نحو من ميل ، وخلجانا آخر داخلة في البر لا منفذ لها ، فجميع ما ذكرنا على شاطئ هذا البحر الرومي متصلو الديار غير منفصلين بما يقطعهم أو يمنعهم إلا ما ذكرنا من الأنهار وخليج القسطنطينية ، ومثال هذا البحر الرومي ، ومثال ما ذكرنا من العمائر عليه إلى أن ينتهي إلى مبدأ الخليج الضيق الآخذ من أوقيانوس الذي عليه المنارة النحاس ، ويلى الأعلى من طنجة ، وساحل الأندلس : مثل الكرنيب ، في قبضة الخليج ، والكرنيب على ضفة البحر ، إلا أنه ليس بمدور الشكل ، لما ذكرنا من طوله .

وليس تعرف التنانين في البحر الحبشي ، ولا في شيء من خلجانه من حيث وصفنا في نهاياته ، وأكثرها يظهر مما يلي بحر أوقيانوس التنين ، وقد اختلف الناس في التنين ، فمنهم من رأى أنه ريح سوداء تكون في قعر البحر فتظهر إلى النسيم ، وهو الجو ، فتعلق السحب [فتلحق بالسحاب] كالزوبعة ، فإذا صارت من الارض واستدارت وأثارت معها الغبار ثم استطالت في الهواء ذاهبة الصعداء توهم الناس أنها حيات سود وقد ظهرت من البحر لسواد السحاب ، وذهاب الضوء وترادف الرياح .

• ومنهم من رأى أنها دوابٌ تتكون في قعر البحر ، فتعظم وتؤدي دواب البحر ، فيبعث الله عليها السحاب والملائكة فيخرجونها من بينها ، وأنها على صورة الحية السوداء لها بريق وبصيص ، لا تمر بمدينة إلا أتت على ما لا يقدر [لا يمر ذنبه بشيء إلا أتى عليه من بناء ...] عليه من بناء عظيم أو شجر أو جبل ، وربما تنفس فتحرق الشجرة الكبيرة فيلقيه السحاب في بلد يأجوج ومأجوج ، ويمطر السحاب عليهم ، فيقتل التنين ، فنه يتغذى يأجوج ومأجوج ، وهذا القول يُعزى إلى ابن عباس .

وقد ذكر قوم في التنين غير ما ذكرنا ، وكذلك حكى قوم من أهل السير وأصحاب القصص أموراً فيما ذكرنا أعرضنا عن ذكرها ، منها خبر عمران بن جابر الذي صعد في النيل ، فأدرك غايته ، وعبر البحر على ظهر دابة تعلق بشعرها وهي دابة ينجر منها على الأرض شبر من قوائمها تُغادي قرون الشمس من مبدأ طلوعها إلى حال غروبها فاغرة فاما نحوها لتبتلع - عند نفسها - الشمسَ فعبَّرَ - على ما وصفنا من تعلقه بشعرها - البحر ، ودار بدورانها طلباً لعين الشمس ، حتى صار إلى ذلك الجانب ، فرأى النيل منحدرأ من قصور الذهب من الجنة ، وأعطاه الملك العنقود العنب ، وأنه أتى الرجل الذي رآه في ذهابه ، ووصف له كيف يفعل في وصوله إلى مبدأ النيل ، فوجده ميتاً ، وخبر إبليس معه والعنقود العنب ، وغير ذلك من خرافات حشوية عن أصحاب الحديث ، ومنها ما روي أن قبة من الذهب وأنواع الجواهر في وسط البحر الأخضر على أربعة أركان من الياقوت الأحمر ، ينحدر من كل ركن من هذه الأركان ماء عظيم من رشحه فقسم إلى جهات أربع في ذلك البحر الأخضر غير مخالط له ولا متماس

به ، ثم ينتهي الى جهات من البر من سواحل ذلك البحر ، أحدها : النيل ، والثاني : سيجان ، والثالث : جيحان ، والرابع : الفرات ؛ ومنها أن الملك الموكل بالبحار يضع عقبه في أقصى بحر الصين فيفور منه البحر ، فيكون منه المد ، ثم يرفع عقبه من البحر فيرجع الماء الى مركزه ، ويطلب قعره ، فيكون الجزر ، ومثلوا ذلك بإناء فيه ماء في مقدار النصف منه ، فيضع الانسان يده أو رجله فيملاً الماء الإناء ، فإذا رفعها رجع الماء الى حده ، وانتهى الى غايته ، ومنهم من رأى أن الملك يضع انبها من كفه اليمنى في البحر فيكون منه المد ، ثم يرفعها فيكون الجزر ، وما ذكرنا فقير ممتنع كونه ولا واجب ، وهو داخل في حيز الممكن والجائز ، لأن طريقه في النقل طريق الأفراد والآحاد ، ولم يرد مورد التواتر والاستفاضة كالأخبار الموجبة للعلم ، والعلل القاطعة للعدر في النقل ، فإن قارنها دلائل توجب صحتها ووجب التسليم لها ، والانقياد الى ما أوجب الله عز وجل علينا من أخبار الشريعة والعمل بها ، لقوله عز وجل : (وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا) ، وإن لم يصح ما ذكرنا فقد وصفنا آتفاً ما قال الناس في ذلك ، وإنما ذكرنا هذا ، ليعلم من قرأ هذا الكتاب أنا قد اجتهدنا فيما أوردناه في هذا الكتاب وغيره من كتبنا ، ولم يعزب عنا فهم ما قاله الناس في سائر ما ذكرنا ، وبالله التوفيق .

البحار : فهذه جمل البحار ، وعند أكثر الناس أنها أربعة في المعمور من الأرض ، ومنهم من يعدها خمسة ، ومنهم من يجعلها ستة ، ومنهم من يرى أنها سبعة منفصلة غير متصلة ؛ وعلى أنها ستة : فأولها البحر الحبشي ، ثم الرومي ، ثم نيطش ، ثم مانطش ، ثم الخزري ، ثم أوقيانوس الذي لا يعلم أكثر نهاياته ، وهو الأخضر

المظلم المحيط ، وبحر نيطش متصل ببحر مانطش ، ومنه خليج القسطنطينية الذي يصب الى بحر الروم ويتصل به ، على حسب ما ذكرنا ، والرومي بدؤه من بحر أوقيانوس الأخضر ، فيجب على هذا القياس ان يكون ما وصفنا بجزراً واحداً لاتصال مياهها ، وليست هذه المياه ولا شيء منها - والله أعلم - متصلة بشيء من بحر الحبش ، فبحر نيطش وبحر مانطش يجب ان يكونا أيضاً بجزراً واحداً ، وإن تضايق البحر في بعض المواضع بينها ، أو صار بين المائين كالخليج [وإن ضايقها البر ببعض المواضع ، وصار ذلك بين المائين كالخليج] وليست تسمية ما اتسع منه وكثر ماؤه بمانطش ، وما ضاق منه وقل ماؤه بنيطش ، يمنع من ان تجمعهما في إسم مانطش أو نيطش ، فإذا عبرنا بعد هذا الموضع في مبسوط هذا الكتاب فقلنا مانطش أو نيطش ، فانما يزيد به هذا المعنى فيما اتسع من البحر وضاق .

قال المسعودي : وقد غلط قوم زعموا ان البحر الخزري يتصل ببحر مايطس ، ولم أر فيمن دخل بلاد الخزر من التجار ومن ركب منهم في بحر مايطس ونيطس إلى بلاد الروس والبلغر أحداً يزعم أن بحر الخزر يتصل ببحر من هذه البحار أو بشيء من مائها أو من خلجانها إلا من نهر الخزر ، وسنذكر ذلك عند ذكرنا لجبل القبق [الفتح] ومدينة الباب والأبواب ومملكة الخزر وكيف دخل الروس في المراكب إلى بحر الخزر ، وذلك بعد الثلاثمائة ، ورأيت أكثر من تعرض لوصف البحار من تقدم وتأخر يذكرون في كتبهم أن خليج القسطنطينية الآخذ من نيطش يتصل ببحر الخزر ، ولست أدري كيف ذلك ، ومن أين قالوه ؟ أمن طريق الحديس أم من طريق الاستدلال والقياس ؟ أو توهموا أن الروس ومن جاورهم على هذا البحر هو الخزر ؛ وقد ركبت فيه من أبسكون ، وهو ساحل جرجان ، إلى

بلاد طبرستان وغيرها ، ولم أترك ممن شاهدت من التجار ممن له أدب وفهم ومن لا فهم عنده من أرباب المراكب إلا سألته عن ذلك ، وكلّ من يخبرني أن لا طريق له إليها إلا من بحر الخزر حيث دخلت إليه مراكب الروس ، ونفر من أهل أذربيجان والباب والأبواب وبردعة والديلم والجلج وجرجان وطبرستان إليها لأنهم لم يعهدوا عدواً يطرأ عليهم ، ولا عرف ذلك فيما سلف ، وما ذكرنا فمشهور فيما سمينا من الأمصار والأمم والبلدان ، سالك مسلك الاستفاضة فيهم .

ورأيت في بعض الكتب المضافة إلى الكندي وتلميذه وهو أحمد ابن الطيب السرخسي ، صاحب المعتضد بالله ، أن في طرف العمارة من الشمال بحيرة عظيمة بعضها تحت قطب الشمال ، وان بقربها مدينة ليس بعدها عمارة يقال لها تولية ، وقد رأيت لبني المنجم في بعض رسائلهم ذكر هذه البحيرة ، وقد ذكر أحمد بن الطيب في رسالته في البحار والمياه والجبال عن الكندي أن بحر الروم طوله ستة آلاف ميل من بلاد صور وطرابلس وانطاكية واللاذقية والمثقب وساحل المصيصة وطرسوس وقلية إلى منار هرقل ، وأن أعرض موضع فيه أربعمئة ميل ؛ هذا قول الكندي وابن الطيب .

وقد أتينا على قول الفريقين جميعاً وما بينها من الخلاف في ذلك من اصحاب الزيجات وما وجدناه في كتبهم وسمعناه من اتباعهم ، ولم نذكر ما ذكروه من البراهين المؤيدة لما وصفوا ، لاشتراطنا في هذا الكتاب على أنفسنا الاختصار والإيجاز .

تكون البحار : وأما ما تنازع فيه المتقدمون من أوائل اليونانيين والحكام المتقدمين في مبادئ كون البحار وعللها فقد أتينا على مبسوطه في كتابنا « اخبار الزمان » في الفن الثاني من جملة الثلاثين

فناً ، وقد ذكرنا قول كل فريق منهم وعزونا كل قول من ذلك إلى قائله ، ولم نخل هذا الكتاب من إيراد لمع من قولهم .

وذهبت طائفة منهم إلى أن البحر بقية من الرطوبة الأولى التي جففت أكثرها جوهر النار ، وما بقي منها استحال لاحتراقه .

ومنهم من قال : إن الرطوبة الأولى المجتمعة لما احترقت بدوران الشمس وانعصر الصفتو منها استحال الباقي إلى ملوحة ومرارة .

ومنهم من رأى أن البحار عرق تخرقه الأرض لما ينالها من احتراق الشمس لاتصال دورها

ومنهم من رأى أن البحر هو ما بقي مما صفتته الأرض من الرطوبة المائية لفظ جسمها ، كما يعرض في الماء العذب إذا مزج بالرماد ، فإنه إذا صفا من الرماد وجد مالحة بعد أن كان عذبا .

وذهب آخرون أن الماء عذبه ومالحة كانا ممتزجين ، فالشمس ترفع لطيفه وعذبه لحفته .

وبعضهم قال : ترفعه الشمس لتغذي به ، وقال بعضهم : بل يعود بالاستحالة ماء إذا صار بارتفاعه إلى الموضع الذي يحصره البرد فيه ، ويكيفه .

ومنهم من ذكر أن الماء الذي هو أسطقس ما كان منه عن الهواء وما يعرض منه من البرد يكون حلواً ، وما كان معه في الأرض لما يناله من الاحتراق والحرارة يكون مرأ .

ومن أهل البحث من قال : إن جميع الماء الذي يفيض إلى البحر من جميع ظهور الأرض وبطونها ، إذا صار إلى تلك الحفرة العظيمة فهو مضااض من مضااض [فالماء عساس مصاص] والأرض تقذف إليه

ما فيها من الملوحة ، والذي في الماء من أجزاء النار التي تخرج إليه من بطون الأرض ومن أجزاء النيران المختلطة يرفعان لطائف الماء بارتفاعها وتبخرها ، فإذا رفا اللطائف صار منها ما يشبه المطر ، وكان ذلك دأبها وعادتها ، ثم يعود ذلك الماء مالحاً ، لأن الأرض إذا كانت تعطيه الملوحة ، والنيران تخرج منها العذوبة واللطافة ، كان واجباً أن يعود إلى الملوحة ، وكذلك يكون ماء البحر على كيل واحد ووزن واحد ، لأن الحر يرفع اللطيف فيصير طلاً وماء ، ثم تعود تلك الأندية سيولا ، وتطلب الحدود والقرار [فتطلب الجدول والغيران] ، وتجري في أعماق الأرض حتى يصير إلى ذلك الهور ، فليس يضيع من ذلك الماء شيء ، ولا يبطل منه شيء ، والأعيان قائمة كمنجنون غرّف من نهر وصب إلى حفرة تفيض إلى ذلك النهر ، وقد شبه ذلك قوم بأعضاء الحيوان إذا اغتذت وعملت الحرارة في غذائه فاجتذبت منه ماء عذب إلى الأعضاء المغتذية به ، وخلفت ما ثقل منه وهو المالح والمر ، فمن ذلك البول والعرق ، وهذه فضول الاغذية [لا عذب فيها] فيها ، ولما كانت عن رطوبات عذبة أحالتها الحرارة إلى المرارة والملوحة ، وإن الحرارة لو زادت أكثر من مقدارها لصار الفضل مرأ زائداً على ما يوجد من العرق والبول ؛ لوجودنا كل محترق مرأ .

هذا قول جماعة ممن تقدم ، وأما ما يوجد بالعيان وإيقاع المحنة عند المباشرة ، فإن كل الرطوبات ذوات الطعوم إذا صعدت بالقرع والأتابيق بقيت روائحها وطعومها فيما يرتفع منها كالخل والنبيذ والورد والزعفران^٥ والقرنفل ، إلا المالحة فإنها تختلف طعومها وروائحها ، ولا سيما إن صعدت مرتين واسخنت مرة بعد أخرى .

وقد ذكر صاحب المنطق في هذا المعنى كلاماً كثيراً : من ذلك أن الماء المالح أثقل من الماء العذب ، وجعل الدلالة على ذلك أن الماء المالح كدر غليظ ، والماء العذب صاف رقيق ، وأنه إذا أخذ شيء من الشمع فعد من منه إناء ثم سد رأسه وصير في ماء مالح ، وجد ذلك الماء الذي وصل إلى داخل الإناء عذبا في الطعم خفيفا في الوزن ، ووجد الماء المحيط به على خلاف ذلك ، وكل ماء يجري فهو نهر ، وحيث ينبع فهو عين ، وحيث يكون معظم الماء فهو بحر .

قال المسعودي : وقد تكلم الناس في المياه وأسبابها واكثرها ، وقد ذكرنا في كتابنا « أخبار الزمان » في الفن الثاني من جملة الثلاثين فنا ما أوردوه من البراهين في مساحة البحار ومقاديرها ، والمنفعة في ملوحة مائها ، واتصال بعضها ببعض وانفصالها ، وعدم بيان الزيادة فيها والنقصان ، ولأية علة كان الجزر والمد في البحر الحبشي أظهر من دون سائر البحار ، ووجدت نواخذة بحر الصين والهند والسند والزنج واليمن والقزم والحبشة من السيرافيين والعمانيين يخبرون عن البحر الحبشي في أغلب الأمور على خلاف ما ذكرته الفلاسفة وغيرهم من حكينا عنهم المقادير والمساحة ، وإن ذلك لا غاية له ، وفي مواضع منه شاهدت أرباب المراكب في البحر الرومي من الحربية والعمالة - وهم النواتي ، وأصحاب الرحل ، والرؤساء ، ومن يلي تدبير المراكب والحرب فيهم ، مثل لاوي المكنى بأبي الحرب غلام زراقة صاحب طرابلس الشام من ساحل دمشق ، وذلك بعد الثلاثمائة - يهظمون طول البحر الرومي وعرضه ، وكثرة خلجانه وتشعبه ، وعلى هذا وجدت عبد الله بن وزير صاحب مدينة جبلة من ساحل حمص من أرض الشام ، ولم يبق في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، أبصر منه في البحر الرومي ، ولا أسن منه ، وليس فيمن يركبه من أصحاب المراكب الحربية

والعمالة إلا وهو منقاد إلى قوله ، ويقر له بالبصر والحذق ، مع ما هو عليه من الديانة والجهاد القديم فيها ؛ وقد ذكرنا عجائب هذه البحار وما سمعناه ممن ذكرنا من أخبارها وآفاتنا ، وما شاهدوا فيها فيما سلف من كتبنا ، وسنورد بعد هذا الموضع جملاً من أخبارها .
علامات وجود المياه : وقد ذهب قوم في علامات المياه ومستقرها من الأرض مذهباً ، وهو أن يرى في المواضع التي يكون فيها الماء نبات القصب والخلفاء واللين من الحشيش ؛ فذلك دلالة على قرب الماء لمن أراد الحفر ، وأن ما عدا ذلك فعلى البعد .

ووجدت في كتاب الفلاحة أن من أراد أن يعلم قرب الماء وبعده فليحضر في الأرض قدر ثلاثة أذرع أو أربعة ، ثم يأخذ قدراً من نحاس أو إجانة خزف ، فيدهنها بالشحم من داخلها مستويًا ، ولتكن القدر واسعة الفم ، فاذا غابت الشمس فخذ صوفة بيضاء منقوشة منقوشة ، وخذ حجراً قدر بيضة ، فلف ذلك الصوف عليه مثل الكرة ، ثم اطلر جانب الكرة بموم مذاب وألصقها في أسفل ذلك القدر الذي قد دهنته بدهن أو شحم ثم ألقها في أسفل الحفيرة ؛ فان الصوف يصير معلقاً والموم يمسكه ، ويصير إلى مكان الحجر معلقاً ، ثم احث على الإناء التراب قدر ذراعين أو ذراع ، ودعه ليلتك كلها ؛ فاذا كان الغد قبل طلوع الشمس فاكنس التراب عنه وارفع الإناء ، فان رأيت الماء ملتزماً بالإناء من داخل قطراً كثيراً بعضه قريب من بعض والصوفة ممتلئة فان في ذلك المكان ماء ، وهو قريب ، وان كان القطر متفرقاً لا بالمجتمع ولا بالمتقارب والصوفة مأوها وسط ، فإن الماء ليس بالبعيد ولا بالقرب ، وان كان القطر ملتزماً متباعداً بعضه عن بعض والماء في الصوفة قليل ، فان الماء بعيد ، وإن لم تر على الإناء قطراً قليلاً ولا كثيراً ولا على الصوفة

ماء فإنه ليس في ذلك الموضع ماء ، فلا تَتَمَنَّ في حفره .

ووجدت في بعض النسخ من كتاب الفلاحة في هذا المعنى أن من أراد علم ذلك فلينظر الى قري النمل ؛ فإن وجد النمل غلاظاً سوداً ثقيلة المشي فلينظر فعلى قدر ثقل مشيهم الماء قريب منهم ، وإن وجد النمل سريع المشي لا يكاد يلحق بالماء على أربعين ذراعاً ، والماء الاول يكون عذبا طيباً ، والثاني يكون ثقيلاً مالحاً .

فهذه جملة علامات لمن يريد استخراج الماء ، وقد أتينا على مبسوط ما ذكرنا في كتابنا وأخبار الزمان ، وإنما نذكر في هذا الكتاب ما تدعو الحاجة إلى ذكره بالإشارة إليه دون بسطه وإيضاحه .
وإذ قد ذكرنا جملاً من أخبار البحار وغيرها ، فلنقل في أخبار ملوك الصين وغيرها وأهلها ، وغير ذلك مما لحق به ، إن شاء الله تعالى .

ذكر ملوك الصين والترك ، وتفرق ولد عابور

وأخبار الصين

وغير ذلك مما لحق بهذا الباب

أنساب أهل الصين : قد تنازع الناس في أنساب أهل الصين وبدئهم ، فذكر كثير منهم أن ولد عابور بن سوبيل بن يافت بن نوح ، لما قسم فالغ بن عامر بن إرفخشذ بن سام بن نوح الأرض بين ولد نوح ساروا يسرة في الشرق ، فسار قوم منهم من ولد أروعو على سمت الشمال ، وانتشروا في الأرض فصاروا عدة بمالك : منهم الديلم والجيل والطيلسان والتتر وفرغان ، فأهل جبل القبق من أنواع اللكز ثم اللان والخزر والانجاد والسرير وكشك ، وسائر تلك الأمم المنتشرة في ذلك الصقع ، إلى بلاد طوابريده إلى بحر مانطش ونيطش وبعر الخزر إلى البرغر ومن اتصل بهم من الأمم ، وعبر ولد عابور نهر بلخ ، ويم بلاد الصين الأكثر منهم ، وتفرقوا عدة بمالك في تلك البلاد وانتشروا في تلك الديار ، فمنهم الجيل ، وهم سكان جيلان ، والأشروسنة والصغد ، وهم بين بخارى وسمرقند ، ثم الفراغنة والشاش وأستيجاب وأهل بلاد الفاراب ؛ فبنوا المدن والضياع ، وانفرد منهم أناس غير هؤلاء فسكنوا البوادي : فمنهم الترك والخزج والطمرغر ، ومنهم أصحاب مدينة كوشان ، وهي مملكة بين خراسان وبلاد الصين ، وليس في أجناس الترك وأنواعهم في وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - أشد منهم بأساً ، ولا أكثر

منهم شوكة ؛ ولا أضبط ملكا ، وملكهم أيرخان ، ومذهبهم مذهب
 المانية ، وليس في الترك من يعتقد هذا المذهب غيرهم ؛ ومن الترك
 الكيماكية والبرسخانية والبديية والجمرية ، وأشدهم بأساً الغزية ، وأحسنهم
 صورة ، وأطولهم قامة ، وأصبحهم وجوهاً الخزجية ، وهم أهل بلاد
 فرغانة والشاش وما يلي ذلك الصقع ، وفيهم كان الملك ، ومنهم
 خاقان الخواقين ، وكان يجمع ملكه سائر ممالك الترك ، وتناقل إليه
 ملوكها ، ومن هؤلاء الخواقين كان فرسياب التركي الغالب على بلاد
 فارس ، ومنهم سانة ، ولخاقان الترك في وقتنا هذا تناقل ملوك الترك
 كلهم منذ خربت المدينة المعروفة بعمات ؛ وهي في مفاوز سمرقند ،
 وقد ذكرنا انتقال الملك عن هذه المدينة والسبب في ذلك ، في
 كتابنا المترجم بالكتاب الأوسط ، ولحق فريق من ولد عابور بتخوم
 الهند ، فأثرت فيهم تلك البقاع فصارت ألوانهم بخلاف ألوان الترك ،
 ولحقوا بألوان الهند ، ولهم حَضْرٌ وَبَوَادٍ ، وسكن فريق منهم
 ببلاد التبت ، وملكوا عليهم ملكاً وكان ينقاد إلى ملك خاقان ،
 فلما زال ملك خاقان على ما قدمنا ، وسمى أهل التبت ملكهم
 بخاقان تشينياً بمن تقدم من ملوك الترك وهو خاقان الخواقين .

وسار الجمهور من ولد عابور على ساحل البحر حتى انتهوا إلى
 أقاصيه من بلاد الصين ؛ ففرقوا في تلك البقاع والبلاد وقطنوا الديار
 وكوَّروا الكوَّورَ ومَصَّرُوا الأمصارَ ومدَّوْا المدن ، واتخذوا لمملكتهم
 مدينة عظيمة ، وسمَّوها انموا ، وبينها وبين ساحل البحر الحبشي - وهو
 بحر الصين - مسافة ثلاثة أشهر مدن وعمائر متصلة .

نسطرطاس : وكان أول ملك تملك عليهم في هذه الديار وهي انموا
 « نسطرطاس » بن باعور بن مدتج بن عابور بن يافت بن نوح ، فكان

ملكه ثلاثمائة سنة ونيفاً ، وفرق أهله في تلك الديار ، وشقق الأنهار ، وقتل السباع ، وغرس الأشجار ، وأطعم الثمار ، وهلك .

عوون : فملك ولد له يقال له « عوون » فجعل جسد أبيه في تمثال من الذهب الأحمر جزعاً عليه ، وتعظيماً له ، وأجلسه على سرير من الذهب الأحمر 'مرصع' بالجواهر ، وجعل مجلسه دونه ، وأقبل يسجد لأبيه وهو في جوف تلك الصورة ، هو وأهل مملكته ، في طرفي النهار إجلالاً له ، وعاش بعد أبيه مائتي سنة وخمسين سنة ، وهلك .

عيشون : فملك ولد له يقال له « عيشون » ، فجعل جسد أبيه مخزوناً في تمثال من الذهب الأحمر ، وجعله دون مرتبة جده على سرير من الذهب وورصعة بأنواع الجواهر وكان يسجد له ، ويبدأ بيده الأول ثم بأبيه ، وأهل مملكته يسجدون له ، وأحسن السياسة للرعية ، وسوأم في جميع أمورهم ، وشملهم بالعدل ، فكثر النسل ، وأخصبت الأرض ، فكان ملكه إلى أن هلك نحواً من مائتي سنة .

عيشان : ثم ملك بعده ولده « عيشان » ، فجعل أباه في تمثال من الذهب الأحمر وجرى فيه على ما سلف من أفعالهم من السجود والتعظيم ، وطال ملكه واتصلت بلاده ببلاد الترك من بني عمه ، فعاش أربعمائة سنة ، واتخذ في أيامه كثير من المهن مما لطف في الدور [الرقعة] من الصنائع .

حراتان : وملك بعده ولده « حراتان » ، فأحدث الفلك وحمل فيها الرجال ، وحمل لطائف بلاد الصين ، وصيرها نحو بلاد الهند والهند إلى إقليم بابل وإلى سائر الممالك مما قرب منها وبعُدَ في البحر ،

وأهدى الهدايا العجيبة والرغائب النفيسة إلى الملوك ، وأمرهم أن يجلبوا إليه ما في كل بلد من الطرائف والتحف من المآكل والمشرب والملابس وسائر الفُرُش [وسائر الغروس] ، وأن يعرفوا سياسة كل ملك وكل أمة وشريعته ونهجها الذي هي عليه ، وأن يرغبوا الناس فيما في بلدانهم من الجواهر والطيب والآلات ؛ ففرقت المراكب في البلاد ، ووردوا الممالك لما أمروا به ، فلم يردوا على أهل مملكة إلا وأعجبوا بهم ، واستطرفوا ما أوردوه من أرضهم ، فبنت الملوك المطيفة بالبحار المراكب ، وجهزت نخوم السفن ، وحملوا اليهم ما ليس عندهم ، وكاتبوا ملكهم ، وكافأوه على ما كان من هداياه اليهم ، فعمرت بلاد الصين ، واستقامت له الأمور ، فكان عمره نحواً من مائتي سنة ، فهلك ، فجزع عليه أهل مملكته ، وأقاموا النياحة عليه شهراً .

توتال : ثم فزعوا إلى الأكبر من أولاده فصيره عليهم ملكاً ، فجعل جسد أبيه في تمثال من الذهب ، وسلك طريقاً من كان قبله في فعلهم مقتدياً بمن مضى من آبائه ، وكان اسم هذا الملك « توتال » ، فاستقامت له الأمور ، وأحدث من السنن المحمودة ما لم يحدثه أحد من سلف من ملوكهم ، وزعم أن الملك لا يثبت إلا بالعدل فإن العدل ميزان الرب ، وإن من العدل الزيادة في الإحسان مع الزيادة في العمل وحصن [وخص] وشرف وتوج ، ورتب الناس في رتبهم ووقفهم على طرائفهم ، وخرج يرتاد موضعاً لبني فيه هيكل ، فوافى موضعاً عامراً بالنبات حسن الاعتماد بالزهر ، تخترقه المياه فخط الهيكل هناك ، وجلبت له أنواع الأحجار المختلفة الألوان ؛ فشيّد الهيكل ، وجعل على علوه قبة ، وجعل لها مخارج للهواء متساوية ، ونصب بيوتاً لمن أراد التفرد بالعبادة ؛ فلما فرغ منها نصب في أعلاها تلك التماثيل التي فيها أجسام من سلف من آبائه ،

وأمر بتعظيمها ، وجمع الخواص من أهل مملكته ، وأخبرهم أن من رأيه ضم الناس الى ديانة يرجعون إليها لجمع الشمل وتساوي النظام ، فإنه متى عدم الملك الشريعة لم يؤمن عليه الخلل ، ودخول الفساد والزلل ، فرتب لهم سياسة شرعية ، وفرائض عقلية ، وجعلها لهم رباطاً ، ورتب لهم قصاصاً في الأنفس والأعضاء ، ومستحلات مناكح يستباح بها النسوان ، وتصحح بها الأنساب ، وجعلها مراتب ؛ فمنها لوازم موجبة يَحْرَجُونَ من تركها ، ومنها نوافل يتنفلون بها ، وأوجب عليهم صلوات الخالقهم تقرباً لمعبودهم منها إيماء لا ركوع فيها ولا سجود في أوقات من الليل والنهار معلومة ، ومنها بركوع وسجود في أوقات من السنة والشهور محدودة ، ورسم لهم أعياداً ، وجعل على الزناة منهم حداً ، وعلى من أراد من نسائهم البغاء جزية مفروضة ، وأن لا يسبحن ^(١) [يستحسن] إلا النكاح في وقت من الاوقات ، وان أقلعن عما كن عليه تكف الجزية عنهن ، وما يكون من أولادهن ذكوراً يكون للملك عبيداً وجنوداً وما يكون من أولادهن إناثاً ، فلأمهاتهن ، ويلحقن بصنعتهن ، وأمرهم بقرابين للهيكل ودخن [وزخر] ، وأبجرة للكواكب ، وجعل لكل كوكب منها وقتاً يتقرب اليه فيه بدخن [بزخر] معلوم من أنواع الطيب والعقاقير ، وأحكم لهم جميع الأمور ، فاستقامت أيامه ، وكثر النسل فكانت حياته نحواً من مائة وخمسين سنة ، وهلك فجزعوا عليه جزعاً شديداً ، فجعلوه في تمثال من الذهب الاحمر ورصعوه بأنواع الجواهر ، وبنوا له هيكلًا عظيمًا ، وبنوا سقفة سبعة ألوان من الجواهر على أنواع الكواكب السبعة من النيرين والخمسة بألوانها وأشكالها ، وجعلوا يوم وفاته صلوات وعيداً يجتمعون فيه عند ذلك الهيكل ،

(١) لعل الاصح الا يستبحن النكاح .

وصوروا صورته على ابواب المدينة وعلى الدنانير والفلوس وعلى الثياب وأكثر أموالهم الفلوسُ الصفر والنحاس ، فاستقرت هذه المدينة بدار ملك الصين ، وهي مدينة انموا ، وبينها وبين البحر نحو من ثلاثة أشهر وأكثر من ذلك على حسب ما قدمنا آنفاً ، ولهم مدينة عظيمة نحو ما يلي من أرضهم مغرب الشمس ، يقال لها مد ، وتلي بلاد التبت ، والحرب بين بلاد التبت وأهل المد [لهامد] سجّالٌ .

فلم تزل الملوك ممن طرأ بعد هذا الملك أمورهم منتظمة وأحوالهم مستقيمة ، والخصب والعدل لهم شامل ، والجور في بلادهم معدوم ، يقتدون بما نصبه لهم من الشرع من قدمنا ذكرهم ، وحرورهم على عدوهم قائمة ، وثغورهم مشحونة ، والرزق على الجنود دار ، والتجار يختلفون إليهم في البر والبحر من كل بلد بأنواع الجهاز ، ودينهم دين من سلف ، وهي ملة تدعى السمنية ، عباداتهم نحو من عبادات قريش قبل مجيء الإسلام ، يعبدون الصور ، ويتوجهون نحوها بالصلوات ، واللييب منهم يقصد بصلاته الخالق ، ويقم التائيل من الأصنام والصور مقام قبلة ، والجاهل منهم ومن لا علم له يشرك الأصنام بإهية الخالق ، ويعتقدهما جميعاً ، وأن عبادتهم الأصنام تقربهم الى الله زلفى ، وأن منزلتهم في العبادة تنقص عن عبادة الباري جلالاته وعظمته وسلطانه ، وأن عبادتهم لهذه الأصنام طاعة له ووسيلة إليه وهذا الدين كان بدء ظهوره في خواصهم من الهند لمجاورتهم إياهم ، وهو رأي الهند في العالم والجاهل على حسب ما ذكرنا في أهل الصين ، ولهم آراء ونحل حدثت عن مذاهب الثنوية وأهل الدهر ، فتغيرت أحوالهم وبجثوا ، وتناظروا ، إلا أنهم ينقادون في جميع أحكامهم الى ما نصب لهم من الشرائع المقدمة ، ومن حيث إن ملكهم متصل بملك الطفرغر - على حسب ما تقدم - صاروا على آرائهم من اعتقادهم

مذاهب المانية [الثانية] والقول بالنور والظلمة ، وقد كانوا جاهلية سبيلهم في الاعتقاد سبيل الترك الى أن وقع لهم شيطان من شياطين المانية [الثانية] ، فزخرف لهم كلاماً يريهم فيه تضاد ما في هذا العالم وتباينه من موت وحياة ، وصحة وسقم ، وضياء وظلام ، وغنى وفقر ، واجتماع وافتراق ، واتصال وانفصال ، وشروق وغروب ، ووجود وعدم ، وليل ونهار ، وغير ذلك من سائر المتضادات ؛ وذكر لهم أنواع الآلام المعترضة لأجناس الحيوان من الناطقين وغيرهم بما ليس بناطق من البهائم ، وما يعرض للأطفال والبهائم والمجانين ، وأن الباري جل وعز غني عن إيلامهم ، وأراهم أن هناك ضداً شديداً دخل على الخير الفاضل في فعله وهو الله عز وجل ، فاجتذب بما وصفنا وغيره من الشبه عقولهم ، فدانوا بما وصفنا ، فإن كان ملك الصين ينتمي لمذهب ذبح الحيوان ، كانت الحرب بينه وبين صاحب الترك أيرخان سجّالا ، وإذا كان ملك الصين متنافي [مثاني] المذهب كان الأمر بينهم في الملك مشاعاً ، وملوك الصين ذوو آراء ونحل ، إلا أنهم مع اختلاف أديانهم غير خارجين عن قضية العقل والحق في نصب القضاة والحكام ، وانقياد الخواص والعوام الى ذلك .

من عادات الصين : وأهل الصين شعوب وقبائل ، كقبائل العرب وأفخاذها وتشعبها في أنسابها ، ولهم مراعاة لذلك ، وحفظ له ، وينسب الرجل منهم الى خمسين أباً الى أن يتصل بعابور ، وأكثر من ذلك وأقل ، ولا يتزوج أهل كل فخذ [كل فخذ إلا من فخدم] من فخدم ، مثال ذلك أن يكون الرجل من مضر فيتزوج في ربيعة ، أو من ربيعة فيتزوج في مضر ، أو من كهلان فيتزوج في حمير ، أو من حمير فيتزوج من كهلان ، ويؤمنون أن في ذلك صحة النسل

وقوام البنية ، وأنه أصح للبقاء ، وأتم للعمر ، وأسباباً يذكرونها نحو ما ذكرنا .

فلم تزل أمور الصين مستقيمة في العدل على حسب ما جرى به الأمر فيما سلف من ملوكهم الى سنة أربع وستين ومائتين ؛ فإنه حدث في الملك أمرٌ زال به النظام ، وانقضت به الأحكام والشرائع ومنع من الجهاد الى وقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وهو ان تابغاً نبغ فيهم من غير بيت الملك كان في بعض مدائن الصين يقال له يانشو ، وكان شريراً يطلب الفتنة ، ويجمع إليه اهل الدعارة والشر ؛ فلحق الملك وأرباب التدبير غفلةً عنه لخمول ذكره ، وأنه ممن لا يُبالى به ، فاشتد أمره ، ونما لكره ، وكثر عتوه ، وقويت شوكته ، وقطع أهل الشر المسافات نحوه ، وعظم جيشه ، فسار من موضعه ، وشنّ الغارات على العماثر حتى نزل مدينة خانقوا ، وهي مدينة عظيمة على نهر عظيم أكبر من دجلة يصب الى بحر الصين ، وبين هذه المدينة وبين البحر مسيرة ستة أيام أو سبعة ، تدخل هذا النهر سفن التجار الواردة من بلاد البصرة وسيراف وعمان ومدن الهند وجزائر الزابج والصنف وغيرها من الممالك بالأممعة والجهاز ، وتقرب إلى مدينة خانقوا ، وفيها خلائق من الناس مسلمون ونصارى ويهود ومجوس ، وغير ذلك من أهل الصين ، فقصد هذا العدو الى هذه المدينة فحاصرها ، وأتته جيوش الملك فهزما ، واستباح ما فيها ، فكثرت جنوده ، وافتتح مدينة خانقوا عنوةً ، وقتل من أهلها خلقاً لا يحصون كثرةً ، وأحصى من المسلمين والنصارى واليهود والمجوس ممن قتل وغرق خوف السيف فكان مائتي ألف ، وإنما أحصى ما ذكرناه من هذا العدد لأن ملوك الصين تحصي من في مملكتها من رعيتها ، وكذا من جاورها من الأمم ليصير ذمة لها

في دواوينها ، بكتاب قد وكتلوا بإحصاء ذلك لما يراعون من
حياطة من شمله ملكهم ، وقطع هذا العدو ما كان حول مدينة
خانقوا من غابات شجر التوت ، إذ كان يحتفظ به لما يكون من
ورقه ، وما يطعم منه لدود القز الذي يفتج منه الحرير ،
فكان ذهاب الشجر داعياً إلى انقطاع الحرير الصيني وجهازه إلى
ديار الإسلام .

وسار يانشو يبيوشه إلى بلد بلد فافتتحة ، وانضاف إليه أمم من
الناس ممن يطلب الشر والنهب وغيرهم ممن يخاف على نفسه ، وقصد
مدينة أنغوا وهي دار الملك ، فخرج إليه الملك في نحو مائة ألف
ممن بقي معه من خواصه والتقى هو ويانشو وكانت الحرب بينهم
سجالاً نحواً من شهر ، وصبر الفريقان جميعاً ، ثم كانت على الملك
فولتي منهزماً ، وأمن الخارجي في طلبه ، فأنحاز الملك إلى مدينة
في أطراف أرضه ، واستولى الخارجي على الحوزة ، واحتوى على
ديار الملك ، وملك خزائن الملوك السالفة ، وما أعدوه للنواب ،
وشن الغارات في سائر العمارات ، وافتتح المدن ، وعلم أن لا قوام له
بالمملك ، إذ كان ليس من أهله ، فأمن في خراب البلاد واستباحة
الأموال ، وسفك الدماء ، وكاتب ملك الصين من المدينة التي انحاز
إليها المتأخمة لبلاد التبت ، وهي مدينة مد المتقدم ذكرها ، ملك
الترك ابن خاقان ، فاستنجده ، وأعلمه ما نزل به ، وأعلمه ما يلزم
الملوك من الواجبات إذا استنجدها اخوانها من الملوك ، وأن ذلك من
فرائض الملك وواجباته ، فأنجده ابن خاقان بولد له بنحو من أربعائة
ألف فارس وراجل ، وقد استفحل أمر يانشو ، فالتقى الفريقان جميعاً ،
فكانت الحرب بينهم سجالاً نحواً من سنة ، وتفانى من الفريقين خلق

كثير ، ففقد يانشو ، فقيل : انه قتل ، وقيل : إنه أحرق [انه غرق]
وأمر ولده والخواص من أصحابه ، وسار ملك الصين الى دار المملكة
وعاد الى ملكه والعامه تسميه يعبور ، وتفسير ذلك ابن السهـ ،
تمظيا له ، وهو الاسم الأخص لملوك الصين ، والذي يخاطبون به
جميعاً جحان ، ولا يخاطبون بـيعبور ، وتغلب كل صاحب ناحية من عمله
على ناحيته ، كتغلب ملوك الطوائف حين قتل الاسكندر بن فيلبوس
المقدوني دارا بن دارا ملك فارس ، وكنحو ما نحن بسبيله في هذا
الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثائة ، فرضي ملك الصين منهم
بالطاعة له ، ومكاتبته بالملك ، ولم يتأت له السير الى سائر اعماله ،
ولا محاربة من تغلب على بلاده ، وقنع بما وصفنا ، وامتنع من
ذكرنا من حمل الاموال إليه فتاركهم مسالماً لهم ، وعدا كل فريق
منهم على ما يليه على حسب قوته وتمكنه ؛ فعدم انتظام الملك
واستقامته على حسب ما سلف من ملوكهم .

وقد كان لمن سلف من ملوكهم سير وسياسات للملك ، وانقياد
للعـدل ، على حسب ما توجهه قضية العقل .

وحكي أن رجلاً من التجار من أهل مدينة سمرقند من بلاد
خراسان ، خرج من بلاده ومعه متاع كثير ، حتى انتهى إلى العراق
فحمل من جهازه ، وانحدر الى البصرة وركب البحر حتى أتى الى
بلاد عمان ، وركب الى بلاد كلة ، وهي النصف من طريق الصين أو
نحو ذلك ، واليها تنتهي مراكب أهل الاسلام من السيرافيين والعمانيين
في هذا الوقت فيجتمعون مع من يرد من أهل الصين في مراكبهم ،
وقد كانوا في بدء الزمان بخلاف ذلك ؛ وذلك ان مراكب الصين
كانت تأتي بلاد عمان وسيراف وساحل فارس وساحل البحرين والأبلة
والبصرة ، وكذلك كانت المراكب تختلف من المواضع التي ذكرنا الى

ما هناك ، ولما عدم العدل وفسدت النيات وكان من أمر الصين ما وصفنا التقى الفريقان جميعاً في هذا النصف ، ثم ركب هذا التاجر من مدينة ككة في مراكب الصينيين الى مدينة خانقوا ، وهي مرسى المراكب على حسب ما ذكرنا آنفاً ، وبلغ ملك الصين خبر المراكب وما فيها من الجهاز والأمتعة ، فسرح خصياً من خواص خدمه ممن يثق به في أسبابه ، وذلك ان اهل الصين يستعملون الحصيات من الخدم في الخراج وغيره من العمالات والمهمات وفيهم من يخصي ولده طلباً للرياسة واعتقاد النعمة ؛ فسار الخصي حتى أتى مدينة خانقوا ، وأحضر التجار ومعهم التاجر الخراساني ، فعرضوا عليه ما احتاج اليه من المتاع وما يصلح له ، فسأل الخراساني ان يحضر متاعه ، فأحضره ، وجرت بينهم محادثة ، ودار الأمر في التثمين للمتاع ، فأمر الخصي بسجن الخراساني وإكراهه ، وذلك انه زاده ثقة منه بعدل الملك ، فمضى الخراساني من قوژه حتى أتى الى مدينة أنموا ، وهي دار الملك ، فوقف موقف المتظلم ، وذلك أن المتظلم اذا أتى من البلد الشاسع او غيره تقمص نوعاً من الحرير الأحمر ووقف موضعاً قد رسم للظلمة ، وقد رتب بعض ملوك النواحي للقبض على من يرد من المتظلمين ، ويقف ذلك الموقف ، فيحمل مسيرة شهر من ارضهم على البريد ، ففعل ذلك بالتاجر الخراساني ، ووقف بين يدي صاحب تلك الناحية المرتب لما ذكرناه ، فأقبل عليه ، وقال : ايها الرجل لقد تعرضت لأمر عظيم ، وخاطرت بنفسك ، انظر إن كنت صادقاً فيما تخبر به ، وإلا فإن نقيلك ونردك من حيث جئت ، وكان هذا خطابه لمن يتظلم ، فإن رآه قد جزع وضرع في القول ضربه مائة خشبة ورده من حيث جاء ، وإن هو صبر على ما هو عليه حمل الى حضرة الملك ، وأوقف بين يديه ، وسمع كلامه ، فصمم الخراساني في

المطالبة والظلمة ، فرآه محقاً غير ضرع ولا متلجلج ، فحمل الى الملك ، فوقف بين يديه وقص حديثه على الملك ، فلما أن أدى للترجمان إليه ما قاله ، وفهم ظلامته ، أمر به الى بعض المواضع ، وأحسن إليه ، وأحضر الوزيرَ وصاحب الميمنة وصاحب القلب وصاحب اليسرة وهم أناس قد رتبوا لذلك عند الملقات وحين الحروب ، قد عرف كل واحد منهم مرتبته والمراد منه ، فأمرهم الملك ان يكتب كل واحد منهم إلى صاحبه بالناحية ، ولكل واحد منهم خليفة في كل ناحية ، فكتبوا الى أصحابهم بخانقوا أن يكتبوا إليهم بما كان من خبر التاجر والخادم ، وكتب الملك الى خليفته بالناحية بمثل ذلك ، وقد كان خبر الخادم والتاجر اشهر واستفاض ، فوردت الكتب على بغال البريد بتصحيح ما قاله التاجر ، وذاك ان ملوك الصين لها في سائر الطرق من أعمالها بغال للبريد مُسَرَّجَة محذوة الآلات للاخبار والحرائط ، فبعث الملك فاستحضر الخادم ، فلما وقف بين يديه سلبه ما كان انعم به عليه ، ثم قال له : عمدت الى رجل تاجر قد خرج من بلد شاسع ، وقطع مسالك ، واجتاز بملوك في بر وبحر فلم يتعرض له ، يؤمل الوصول الى مملكتي ثقة منه بعدلي ، ففعلت به ما فعلت ، وكان ينصرف عن ملكي ، ويقبح الاحدوثة عن سيرتي ، أما لولا قديم حرمتك بنا لقتلتك ، لكن أعاقبك بعقوبة إن عقلت فانها أكبر من القتل ، وهو أن أوليك مقابر الموتى من الملوك السالفة ان عجزت عن تدبير الأحياء والقيام بما إليه ندبت ، وأحسن الملك إلى التاجر ، وحمله الى خانقوا ، وقال له : ان سمحت نفسك أن تبيع منا ما اختير لنا من متاعك بالثمن الجزيل ، وإلا فأنت المحكم في مالك ، أقم اذا شئت وبع كيف شئت ، وانصرف راشداً حيث شئت ، وصرف الخادم الى مقابر الملوك .

قال المسعودي : ومن طرائف أخبار ملوك الصين أن رجلاً من قريش من ولد هبّار بن الأسود لما كان من أمر صاحب الزنج بالبصرة ما كان واشتهر خرج هذا الرجل من مدينة سيراف ، وكان من أرباب البصرة وأرباب النعم بها ، وذوي الأحوال الحسنة ؛ ثم ركب منها في بعض مراكب بلاد الهند ، ولم يزل يتحول من مركب إلى مركب ، ومن بلد إلى بلد ، يخترق بمالك الهند ، إلى أن انتهى إلى بلاد الصين فصار إلى مدينة خانقوا ، ثم دعته همتة إلى أن صار إلى دار ملك الصين ، وكان الملك يومئذ بمدينة حمدان ، وهي من كبار مدنها ، ومن عظيم أمصارهم ، فأقام بباب الملك مدة طويلة يرفع الرقاع ويذكر أنه من أهل بيت نبوة العرب ، فأمر الملك بعد هذه المدة الطويلة بإنزاله في بعض المساكن وإزاحة العلة من أموره وجميع ما يحتاج إليه ، وكتب إلى الملك المقيم بخانقوا يأمره بالبحث عنه ، ومسألة التجار عما يدعيه الرجل من قرابة نبي العرب صلى الله عليه وسلم ، فكتب صاحب خانقوا بصحة نسبه ، فأذن له في الوصول إليه ، ووصله بمال واسع ، وأعادته إلى العراق ، وكان شيخاً فهماً ، فأخبر أنه لما وصل إليه وسأله عن العرب ، وكيف أزالوا ملك العجم ، فقال له : بالله عز وجل ، وما كانت العجم عليه من عبادة النيران والسجود للشمس والقمر من دون الله عز وجل ، فقال له : لقد غلبت العرب على أجل الممالك وأنفسها وأوسعها ريناً وأكثرها أموالاً وأعقلها رجالاً وأهداها صوتاً [وأبعدها صيتاً] ، ثم قال له : فما منزلة سائر الملوك عندهم ؟ فقال : ما لي بهم علم ، فقال للترجمان : قل له : إنا نعدّ الملوك خمسة : فأوسعهم ملكاً الذي يملك العراق ، لأنه في وسط الدنيا ، والملوك محدقة به ، ونجد اسمه ملك الملوك ؛

وبعده ملكنا هذا ، ونجده عندنا ملك الناس ، لأنه لا أحد من الملوك أسوس منا ، ولا أضبط للملك من ضبطنا لملكنا ، ولا رعية من الرعايا أطوع لملكها من ريعتنا ، فنحن ملوك الناس ؛ ومن بعده ملك السباع وهو ملك الترك الذي يلينا ، وهم سباع الانس ، ومن بعده ملك القبيلة ، وهو ملك الهند ، ونجده عندنا ملك الحكمة أيضاً لأن أصلها منهم ؛ ومن بعده ملك الروم ، وهو عندنا ملك الرجال ، لأنه ليس في الارض أتم خلقاً من رجاله ، ولا أحسن وجوهاً منهم ؛ فهؤلاء اعيان الملوك والباقون دونهم . ثم قال للترجمان : قل له : أتعرف صاحبك إن رأيتَه ؟ يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال القرشي : وكيف لي برؤيته وهو عند الله عز وجل ؟ فقال : لم أرد هذا ، وإنما أردت صورته . فقلت : أجل ، فأمرَ بسَفَطٍ ، فأخرج فوضع بين يديه ، فتناول منه درجاً ، وقال للترجمان : أره صاحبه ؛ فرأيت في الدرج صور الأنبياء ، فحركت شفتي بالصلاة عليهم ، ولم يكن عندهم أني أعرفهم ؛ فقال للترجمان : سألته عن تحريكه لشفتيه ، فسألني ؛ فقلت : أصلي على الانبياء ؛ فقال : ومن أين عرفتهم ؟ فقلت : بما صور من أمورهم ، هذا نوح عليه السلام في السفينة ينجو بمن معه لما أمر الله عز وجل الماء فعمّ الماء الأرض كلها بمن فيها وسله ومن معه ، فقال : أما نوح فصدقت في تسميته ، وأما غرق الأرض كلها فلا نعرفه ، وإنما أخذ الطوفان قطعة من الأرض ولم يصل الى أرضنا ، وإن كان خبركم صحيحاً فمن هذه القطعة ، ونحن معاشر أهل الصين والهند والسند وغيرها من الطوائف والأمم لا نعرف ما ذكرتم ، ولا نَقَلْ إلينا أسلافنا ما وصفتم ، وما ذكرت من رشوب الماء الأرض كلها فمن الكوائن العظام التي تفرع النفوس إلى حفظه وتتداوله الامم ناقلة له ، قال القرشي : فسببت الرد عليه وإقامة الحجة لعلمي بدفعه ذلك ، ثم قلت : وهذا موسى صلى الله

عليه وسلم وبنو إسرائيل ؛ فقال : نعم على قلة البلد الذي كان به وفساد قومه عليه ؛ ثم قلت : هذا عيسى بن مريم عليه السلام على حماره والحواريثون معه ؛ فقال : لقد كان قليل المدة ، إنما كان أمدّه يزيد على ثلاثين شهراً شيئاً يسيراً ؛ وعدد من سائر الانبياء واخبارهم ما اقتصر على ذكر بعضه ، ويزعم هذا القرشي ، وهو المعروف بابن هبار ، انه رأى فوق كل صورة . كتابه طويلة قد دون فيها ذكر اسمائهم [أنسابهم] ، ومواضع بلدانهم ، ومقادير اعمارهم ، واسباب نبواتهم وسائر ما قال : ثم رأيت صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على جبل واصحابه مُجَدِّقُونَ به في ارجلهم نعال عربية [عدنية] من جلود الإبل ، وفي اوساطهم الجبال ، قد علقوا فيها المساويك ؛ فبكيت ؛ فقال للترجمان : سَلِّهُ عن بكائه ؛ فقلت : هذا نبينا وسيدنا وابن عمنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : صدقت ، لقد ملك قومه اجل الممالك ، إلا انه لم يعاين من الملك شيئاً ، إنما عاينه من بعده ومن تولى الامر على أمته من خلفائه ؛ ورأيت صور أنبياء كثيرة منهم من قد أشار بيده جامعاً بين سببته وإبهامه كالحلقة ، كأنه يصف ان الخليفة في مقدار الحلقة ، ومنهم من قد أشار بسببته نحو السماء كالمُرْهَبِ للخليفة بما فوق ، وغير ذلك ؛ ثم سألتني عن الخلفاء وزعيم وكثير من الشرائع ، فأجبتني على قدر ما أعلم منها ؛ ثم قال : كم عمر الدنيا عندكم ؟ فقلت : قد تنوزع في ذلك ، فبعض يقول ستة آلاف سنة ، وبعض يقول دونها ، وبعض يقول أكثر منها ؛ فقال : ذلك عن نبيكم ؟ فقلت : نعم ؛ فضحك ضحكاً كثيراً ووزيرُهُ أيضاً ، وهو واقف دل على نكار ذلك ، وقال : ما حسبت نبيكم قال هذا ؛ فزلت فقلت : بلى هو قال ذلك ، فرأيت الإنكار في وجهه ؛ ثم قال للترجمان : قل إله ميز كلامك ، فإن الملوك لا تكلم إلا عن تحصيل ، أما زعمت

أنكم تختلفون في ذلك ، فإنكم إنما اختلفتم في قول نبيكم ، وما قالت الأنبياء لا يجب أن يختلف فيه ، بل هو مسلم لها ، فاحذر هذا وشبهه أن تحكيه ؛ وذكر أشياء كثيرة ذهبت عني لطول المدة ؛ ثم قال لي : لِمَ عدلت عن ملكك وهو أقرب إليك داراً ونسباً ؟ قلت : بما حدث على البصرة ، ووقوعي إلى سيراف ، ونزعت بي همتي إلى ملكك أيها الملك ، لما بلغني من استقامة ملكك ، وحسن سيرتك ، وكثرة جنودك ، وشمول سياستك لسائر رعيته ، فأحببت الوقوع إلى هذه الملكة ومشاهدتها ، وأنا راجع عنها إلى بلادي ، وملك ابن عمي ، ومُخبر بما شاهدت من جلالة هذا الملك ، وسعة هذه البلاد وعموم هذا العدل ، وحسن شيمك أيها الملك الحمود ، وسأقول بكل قول حسن وأثني بكل جميل ، فسره ذلك ، وأمر لي بجائزة سنوية ، وخلع شريفة ، وأمر بحملي على البريد إلى مدينة خانقوا ، وكتب إلى ملكها بإكرامي وتقديمي على من في ناحيته من سائر خواص الناس ، وإقامة النزل إلى وقت خروجي عنه ، فكنث عنده في أخصب عيش وأنعمه ، إلى أن خرجت من بلاد الصين .

مدينة حمدان : قال المسعودي : وأخبرني أبو زيد الحسن بن يزيد السيرافي بالبصرة - وكان قد قطنها وانتقل عن سيراف ، وذلك في سنة ثلاث وثلثائة ، وأبو زيد هذا هو ابن عمر بن زيد بن محمد بن مزد بن ساسياد السيرافي ، وكان الحسن بن يزيد من أهل التحصيل والتميز - أنه سأل ابن هبار هذا القرشي عن مدينة حمدان التي بها الملك وصفتها ، فذكر سعتها وكثرة أهلها ، وأنها مقسومة على قسمين يفصل بينها شارع عظيم طويل عريض ، فالملك ووزيره وقاضي القضاة وجنوده ونخصيانه ، وجميع أسبابه في الشق الأيمن منه مما يلي المشرق لا يخالطهم أحد من العامة ، وليس فيه شيء من

الأسواق ، بل أنهار في سككهم مطردة ، وأشجار عليها منتظمة ،
ومنازل فسيحة ؛ وفي الشق الأيسر مما يلي المغرب الرعية والتجار
والميرة والأسواق فإذا وضع النهار، رأيت فيها قهارمة الملك وغلمانه
وغلمان وزرائه ووكلائهم ما بين راكب وراجل قد دخلوا إلى الشق
الذي فيه العامة والتجار ، فأخذوا بضائعهم وحوائبهم ، ثم انصرفوا
فلا يعود واحد منهم إلى هذا الشق إلا في اليوم الثاني ، وأن هذه
البلدان فيها كل نزهة وغيضة حسنة ، وأنهار مطردة ، إلا النخل
فإنه معدوم عندهم .

حداقة أهل الصين : وأما أهل الصين فمن أحذق خلق الله كفا
بنقش وصنعة وكل عمل لا يتقدمهم فيه أحد من سائر الأمم ، والرجل
منهم يصنع بيده ما يقدر أن غيره يعجز عنه ؛ فيقصد به باب
الملك يلتمس الجزاء على لطيف ما ابتدع ، فيأمر الملك بنصبه على
بابه من وقته ذلك إلى سنة ، فإن لم يُخْرِج أحد فيه عيباً أجاز
صانعه وأدخله في جملة صنّاعه ، وإن أخرج أحد فيه عيباً
طرحه ولم يُحِيزْه ، وإن رجلاً منهم صور سنبلة سقط عليها عصفور
في ثوب حرير ، لا يشك الناظر إليها أنها سنبلة سقط عليها عصفور ،
فبقي الثوب مدة ، وأنه اجتاز به رجل أهدب ، فعاب العمل ،
فأدخل إلى الملك وأحضر صاحب العمل ، فسأل الأهدب عن العيب ،
فقال : المتعارف عند الناس جميعاً أنه لا يقع عصفور على سنبلة إلا
أمالها ، وصور هذا المصور السنبلة فنصبها قائمة لا ميل فيها ، وأثبت
العصفور فوقها منتصباً ، فأخطأ ؛ فصدق الأهدب ، ولم يشب صاحبها
شيء ، وقصدتم بهذا وشبهه الرياضة لمن يعمل هذه الأشياء ، ليضطرهم
ذلك إلى شدة الاحتراز والحذر وإعمال الفكر فيما يصنعه كل واحد
منهم بيده .

ولأهل الصين أخبار عظيمة عجيبة ، ولبلادهم أخبار ظريفة سنورد
فيها يرد من هذا الكتاب جملا منها ، وإن كنا قد أتينا على سائر
الأخبار من ذلك في كتابنا « أخبار الزمان في الأمم الماضية والممالك
الدائرة » ، وذكرنا في الكتاب الأوسط جملا لم نتعرض لذكرها في
كتاب « أخبار الزمان » ، وربما ذكرنا في هذا الكتاب ما لم يتقدم
ذكره في ذينك الكتابين ، والله أعلم .

ذكر جمل من الاخبار عن البحار

وما فيها وما حولها من العجائب والأمم ومراتب الملوك
وأخبار الأندلس ، ومعادن الطيب وأصوله وعدد أنواعه ، وغير ذلك

قد ذكرنا ، فيما سلف من هذا الكتاب ، جملاً من ترتيب البحار
المتصلة والمنفصلة ، فلنذكر الآن في هذا الباب جملاً من أخبار ما
اقصل بنا من البحر الحبشي ، والممالك والملوك ، وجملاً من ترتيبها ،
وغير ذلك من أنواع العجائب .

هيجان وركود بحر فارس وبحر الهند : فنقول : إن بحر الصين والهند
وفارس واليمن متصلة مياهما غير منفصلة ، على ما ذكرنا ، إلا أن
هيجانها وركودها مختلف لاختلاف مهاب رياحها وآثار ثوراتها
[وابان ثوراتها] وغير ذلك ، فبحر فارس تكثر أمواجه ويصعب
ركوبه ، عند لين بحر الهند واستقامة ركوبه وقلة أمواجه ؛ ويلين
بحر فارس ، وتقل أمواجه ويسهل ركوبه ، عند ارتجاج بحر الهند ،
واضطراب أمواجه وظلمته ، وصعوبة مركبه ؛ فأول ما تبدى
صعوبة بحر فارس عند دخول الشمس السنبلة وقرب الاستواء الخريفي ،
ولا يزال في كل يوم تكثر أمواجه إلى أن تصير الشمس إلى برج
الحوت ، فأشد ما يكون ذلك في آخر الخريف عند كون الشمس
في القوس ، ثم يلين إلى أن تعود الشمس إلى السنبلة ، وآخر ما
يكون ذلك في آخر الربيع عند كون الشمس في الجوزاء ، وبحر
الهند لا يزال كذلك إلى أن تصير الشمس إلى السنبلة فيركب

حينئذ ، وأهدأ ما يكون عند كون الشمس في القوس ؛ وبمجر فارس يركب في سائر السنة من عمان الى سيراف ، وهو ستون ومائة فرسخ ، ومن سيراف إلى البصرة وهو أربعون ومائة فرسخ ، ولا يتجاوز في ركوبه غير ما ذكرنا من هذين الموضعين ونحوهما ، وقد حكى أبو معشر المنجم في كتابه المترجم بالمدخل الكبير الى علوم النجوم ما ذكرنا من اضطراب هذه البحار وهدوئها عند كون الشمس فيما ذكرنا من البروج ، وليس يكاد يقطع من عمان نحو الهند في انتهائه إلا مركب معزز ، وحمولته بسيرة ، وتسمى هذه المراكب بعمان إذا قطعت أرض الهند في هذا الوقت : التيرماهية ، وذلك أن بلاد الهند وبمجر الهند يكون فيه اليسارة ، وهو الشتاء ودوام الأمطار في كانون ، وكانون وشباط عندنا صيف وعندم الشتاء كما يكون عندنا الحر في حزيران وتموز وآب ، فشتاؤنا صيفهم ، وصيفهم شتاؤنا ، وكذلك سائر مدن الهند وما اتصل بذلك الى أقاصي هذا البحر ، ومن شتى في صيفنا بأرض الهند قيل : فلان يسر بأرض الهند ، أي شتى هنالك ، وذلك لقرب الشمس وبعدها .

والقوس على اللؤلؤ في بحر فارس ، وإنما يكون في اول نيسان الى آخر أيلول ، وما عدا ذلك من شهور السنة فلا غوص فيها ، وقد أتينا فيما سلف من كتبنا على سائر مواضع القوس في هذا البحر ، إذ كان ما عداه من البحار لا لؤلؤ فيه ، وهو خاص بالبحر الحبشي من بلاد خارك وقطر وعمان وسرنديب وغير ذلك من هذا البحر ، وقد ذكرنا كيفية تكون اللؤلؤ ، وتنازع الناس في تكونه ، ومن ذهب منهم الى أن ذلك من غير المطر ، وصفة صدف اللؤلؤ العتيق منه والحديث الذي يسمى بالمحار ، والمعروف بالبلبل ، واللحم الذي في الصدف والشحم ،

وهو حيوان يفزع على ما فيه من اللؤلؤ والدر خوفاً من الغاصّة ،
 كخوف المرأة على ولدها ؛ وقد أتينا على ذكر كيفية الغوص ، وأن
 الغاصّة لا يكادون يتناولون شيئاً من اللحمان إلا السمك والتمر ، وغيرها
 من الأقوات ، وما يلحقهم ، وذكر شق أصول آذانهم لخروج النفس
 من هناك بدلاً عن المنخرين ، لأن المنخرين يجعل عليهما شيء من الدبل وهو
 ظهور السلاحف البحرية التي تتخذ منها الأمشاط أو من القرن يضمها
 كالشفاص لا من الخشب ، وما يجعل في آذانهم من القطن فيه شيء
 من الدهن ، فيعصر من ذلك الدهن اليسير في الماء في قعره ، فيضيء
 لهم بذلك في البحر ضياءً بيناً ، وما يطلون به أقدامهم وأسواقهم
 من السواد خوفاً من بلع دواب البحر إياهم ولنفورها من السواد ،
 وصياح الغاصّة في قعر البحر كالكلاب ؛ وخرق الصوت الماء فيسمع
 بعضهم صياح بعض ؛ وللغواص واللؤلؤ وحيوانه أخبار عجيبة وقد
 أتينا على جميع أوصاف ذلك وصفات اللؤلؤ وعلاماته وأثمانه ومقادير
 أوزانه فيما سلف من كتبنا .

فأول هذا البحر مما يلي البصرة والأبلة والبحرين من خشبات
 البصرة ، ثم بحر لاروي وعليه بلاد صيمور وسوبارة وثابة وسندان
 وكنباية ، وغيرها من السند والهند ، ثم بحر هر كند ، ثم بحر كلاه
 وهو بحر كلة والجزائر ، ثم بحر كردنج ، ثم بحر الصنف ، وإليه
 يضاف العود الصنفي وإلى بلاده ، ثم بحر الصين وهو بحر صنجي
 ليس بعده بحر ، فأول بحار فارس على ما ذكرنا خشبات البصرة
 والموضع المعروف بالكفلاء وهي علامات منصوبة من خشب في البحر
 مفروسة علامات للمراكب إلى عمان مسافة ثلاثمائة فرسخ ، وعلى ذلك
 ساحل فارس وبلاد البحرين ، ومن عمان وقصبتها تسمى سنجار ،
 والفرس يسمونها مزون إلى المسقط ، وهي قرية منها يستقي أرباب

المراكب الماء من آبار هناك عذبة خمسون فرسخاً ، ومن المسقط الى رأس الجمجمة خمسون فرسخاً وهذا آخر بحر فارس ، وطوله أربعمائة فرسخ ، هذا تحديد النواتية وأرباب المراكب ، ورأس الجمجمة جبل متصل ببلاد اليمن من أرض الشحر والأحقاف ، والرمل منه تحت البحر ، لا يدري أين تنتهي غايته في الماء ، أعني الجبل المعروف برأس الجمجمة ، وإذا كان ما وصفنا من الجبل في البر ومنه تحت البحر سمي في البحر الرومي سفالة ، من تلك السفالة في الموضع المعروف بساحل سلوقيا من أرض الروم ، واتصالها تحت البحر بنحو من جزيرة قبرص ، وعليها عَطَبُ أكثر مراكب الروم وهلاكها ؛ وإنما نعبّر بلغة أهل كل بحر وما يستعملونه في خطابهم فيما يتعارفونه بينهم ، فمن هنالك تنطلق المراكب إلى البحر الثاني ، وهو المعروف بلاروي ، ولا يُدْرَى عمقه ولا يحصر طوله وعرضه عند البحريين ، وربما يقطع في الشهرين والثلاثة وفي الشهر ، على قدر مهاب الريح والسلامة ، وليس في هذه البحار - أعني ما احتوى عليه البحر الحبشي - أكبر من هذا البحر بحر لاروي ، ولا أشد ، وفي عرضه بحر الزنج وبلادهم ، وعنبر هذا البحر قليل ، وذلك أن العنبر أكثره يقع إلى بلاد الزنج وساحل الشحر من أرض العرب ؛ وأهل الشحر أئس من قضاة وغيرهم من العرب ، وهم مهرة ، ولغتهم بخلاف لغة العرب ، وذلك أنهم يجعلون الشين بدلاً من الكاف ، مثال ذلك أن يقولوا : هل لَشَ فيما قُلت لَشَ ، وقلت لي : أن تجعلي الذي معي في الذي مَعَشَ ، يريد هل لك فيما قلت لك ، وقلت لك أن تجعلي الذي معي في الذي معك ، وغير ذلك من خطابهم ونوادير كلامهم ، وهم ذور فقر وفاقه ، ولهم 'نَجْبٌ' يركبونها بالليل تعرف بالنجب المهرية تشبه في السرعة بالنجب البجاوية ، بل عند جماعة أنها أسرع

منها ، يسيرون عليها على ساحل بحرهم ، فإذا أحست هذه النجب
 بالعنبر قد قذفه البحر بركت عليه ، قد رِيضَتْ لذلك واعتادته ،
 فيتناوله الراكب ، وأجود العنبر ما وقع في هذه الناحية وإلى جزائر
 الزنج وساحله ، وهو المدور الأزرق النادر [البارز] كبيض النعام أو
 دون ذلك ، ومنه ما يبلعه الحوت المعروف بالأوال المقدم ذكره ،
 وذلك أن البحر إذا اشتد ، قذف من قعره العنبر كقطع الجبال
 وأصفر ، على ما وصفنا ، فإذا ابتلع هذا الحوت العنبر قتله فيطفر
 فوق الماء ، ولذلك أناس يرصدونه في القوارب من الزنج وغيرهم ،
 فيطزحون فيه الكلاب والحبال ، فيشقون عن بطنه ويستخرجون
 العنبر منه ، فما يخرج من بطنه يكون سِكا [سكا] ، ويعرفه
 العطارون بالعراق وفارس بالند [وفارس والهند] ، وما بقي على ظهر
 الحوت منه كان نقياً جيداً ، على حسب لبثه في بطن الحوت ، وبين البحر
 الثالث - وهو هر كند - والبحر الثاني - وهو لاروي - على ما ذكرنا
 جزائر كثيرة ، وهي فرز [قرى] بين هذين البحرين ، ويقال : إنها
 نحو من ألفي جزيرة ، وفي قول الحق ألف وتسعمائة جزيرة كلها
 عامر بالناس ، ومملكة هذه الجزائر كلها امرأة ، وبذلك جرت عاداتهم
 من قديم الزمان لا يملكهم رجل ، والعنبر يوجد في هذه الجزائر
 أيضاً ، يقذفه البحر ، ويوجد في بحرها كأكبر ما يكون من قطع
 الصخر ، وأخبرني غير واحد من نواخذة السيرافيين والعمانيين بعمان
 وسيراف وغيرها من التجار ممن كان يختلف إلى هذه الجزائر : أن
 العنبر ينبت في قعر هذا البحر ، ويتكون كتكون أنواع الفطر : من
 الأبيض ، والأسود ، والكمأة ، والمغاريد ، وبنات أو بر ، ونحوها ، فإذا
 هاج البحر واشتد قذف من قعره الصخور والأحجار وقطع العنبر ،
 وأهل هذه الجزائر متفقون ، وكلمتهم واحدة ولا يحصرهم العدد

لكثرتهم ، ولا تحصى جيوش هذه الملكة عليهم ، وبين الجزيرة والجزيرة نحو الميل والفرسخ والفرسخين والثلاثة ، ونخلهم شجر النارجيل ، لا يفقد من النخلة إلا التمر ، وقد زعم أناس من عبي بتولدات الحيوان وتطعيم الأشجار أن النارجيل هو نخل المقل ، وإنما أثرت فيه تربة الهند حين غرس فيها فصار نارجيلاً ، وإنما هو نخل المقل .

تأثير البيئة : وقد ذكرنا في كتابنا المترجم بالقضايا والتجارب ما تؤثره كل بقعة من بقاع الأرض وهوائها في حيوانها من الناطقين وغيرهم ، وما تؤثر البقاع في النامي من النبات وفيها ليس بنام ، كتأثير أرض الترك في وجوههم وصغر أعينهم ، حتى أثر ذلك في جماهم فقصرت قوائمها وغلظت رقابها وبيض وبرها ؛ وأرض يأجوج ومأجوج في صورهم ، وغير ذلك ، مما إذا تبينه ذور المعرفة في سكان الأرض من المشرق والمغرب وجدوه على ما ذكرناه ، وليس يوجد في جزائر البحر أطف صنعة من أهل هذه الجزائر في سائر المهن والصنائع ، في الثياب والآلات وغير ذلك ، وبيوت أموال هذه الملكة الودع ، وذلك أن هذا الودع فيه نوع من الحيوان ، وإذا قلّ ماها أمرت أهل هذه الجزائر أن يقطعوا من سعف نخل النارجيل بخصوصه ، يطرحونه على وجه الماء ، فيتراكب عليه ذلك الحيوان ، فيجمع ويطرح على رمل الساحل ، فتحرق الشمس ما فيه من الحيوان ، ويبقى الودع خالياً مما كان فيه ، فتملاً من ذلك بيوت الأموال ، وهذه الجزائر تعرف جميعها بالدبيحات [بالدبيحات] ومنها يحمل أكثر الزانج ، وهو النارجيل ؛ وآخر هذه الجزائر جزيرة سرنديب ، ويلي جزيرة سرنديب جزائر آخر نحو من ألف فرسخ تعرف بالرامين معمورة ، وفيها ملوك وفيها معادن من ذهب كثيرة ؛ ويليها بلاد

قنصور ، وإليها يضاف الكافور القنصوري ، والسنة التي تكون كثيرة الصواعق والبروق والرّجف والقذف والزلازل يكثر فيها الكافور ، وإذا قل ذلك كان نقصاناً في وجوده ؛ وأكثر ما ذكرنا من الجزائر غذاؤهم النارجيل ، ويحمل من هذه الجزائر خشب البقّم والخيزران والذهب ، وفيلتها كثيرة ، ومنها ما يأكل لحوم الناس ؛ وتتصل هذه الجزائر بجزائر النجالوس [بالحابوس] ، وهي أمم عجيبة الصور عراة يخرجون في القوارب عند اجتياز المراكب بهم ، معهم العنبر والنارجيل ، فيتعاوضون بالحرير وشيء من الثياب ، ولا يبيعون ذلك بالدراهم ولا بالدنانير ، وتليهم جزائر يقال لها أندمان ، فيها أناس سود عجيبو الصورة والمنظر ، مفلقو الشعور ، قدم الواحد منهم أكبر من الذراع ، ولا مراكب لهم ، فإذا وقع الفريق إليهم بما قد انكسر في البحر أكلوه ، وكذلك فعلهم بالمراكب إذا وقعت إليهم ، وذكر لي جماعة من النواخذة أنهم ربما رأوا في هذا البحر سحاباً أبيض قطعاً صغيراً يخرج منه لسان أبيض طويل حتى يتصل بماء البحر ، فإذا اتصل به غلا البحر لذلك ، وارتفعت منه زوابع عظيمة ، لا تمر زوبعة منها بشيء إلا أتلفته ، ويُمطّرون عقيب ذلك مطراً سَهِيكاً فيه أنواع من قذى البحر .

بحر كلاهبار : ما البحر الرابع فهو كلاهبار ، على حسب ما ذكرنا ، وتفسير ذلك بحر كلة ، وهو بحر قليل الماء ، وإذا قل ماء البحر كان أكثر آفات وأشدّ خبثاً ، وهو كثير الجزائر والصرراوي [الصراري] ، واحدهما صرو ، وذلك ان اهل المراكب يسمون ما بين الخليجين إذا كان طريقهم فيه الصرو ، وبهذا البحر أنواع من الجزائر والجبال عجيبة ، وإنما غرضنا التلويح بلع من الاخبار عنها لا البسط .

بحر كوردنج : وكذلك البحر الخامس المعروف بكوردنج ، فانه كثير الجبال والجزائر ، وفيه الكافور ، وهو قليل الماء كثير المطر ، لا يكاد يخلو منه ، وفيه أجناس من الأمم منهم جنس يقال له : الفنجب ، شعورهم مفلفة وصورهم ومناظرهم عجيبة ، يتعرضون في قوارب لهم لطاف للمراكب اذا اجتازت بهم ، ويرمون بنوع من السهام عجيبة ، قد سُقيت السم ، وبين هذه الأمة وبين بلاد كلة جبال معادن الرصاص الأبيض وجبال من الفضة ، وفيها أيضاً معادن من الذهب ، ورصاص لا يكاد يتميز منه .

بحر الصنف : ثم يليه بحر الصنف على ما رتبناه آنفاً ، وفيه مملكة المهرج ملك الجزائر ، وملكه لا يضبط كثرة ، ولا تحصى جنوده ، ولا يستطيع أحد من الناس في أسرع ما يكون من المراكب أن يمر بجزائره في سنين ، وقد حاز هذا الملك انواع الطيب والأفاويه ، وليس لأحد من الملوك ماله ، ومما يحمل من بلاده ويجهز من أرضه : الكافور والعود والقرنفل والصندل والجوز والبسباسة والقاقلة والكبابة وغير ذلك مما لم نذكره ؛ وجزائره تتصل بحر لا قدرك غايته ، ولا يعرف منتهاه مما يلي بحر الصين ؛ وفي أطراف جزائره جبال فيها أمم كثيرة بيض ، آذانهم غرمة ، ووجوههم كقطع التراس مطرقة ، يجزون شعورهم كما يجز الشعر من الزق مدرجا ، تظهر من جبالهم النار بالليل والنهار ، فنهاها حمراء بالليل تسود ، وتلحق بعنان السماء لعلوها وذهابها في الجو ، تقذف بأشد ما يكون من صوت الرعد والصواعق ، وربما يظهر منها صوت عجيب مفزع ينذر بموت ملكهم ، وربما يكون أخفض من ذلك فينذر بموت بعض رؤسائهم ، قد عرف ما ينذر من ذلك بطول العادات والتجارب على طول السنين [على قديم الزمان] ، وان ذلك غير مختلف ،

وهذه احد اطام الارض الكبار ، وتليها الجزيرة التي يسمع منها على دوام الاوقات أصوات الطبول والسرنايات والعيدان وسائر انواع الملاهي المطربة المستلذة ، ويسمع إيقاع الرقص والتصفيق ، ومن يسمع ذلك يميز بين كل نوع من اصوات الملاهي وغيره ، والبحريون ممن اجتاز بتلك الديار يزعمون ان الدجال بتلك الجزيرة .

وفي مملكة المهرج جزيرة سريرة ، ومسافتها في البحر نحو من أربعائة فرسخ ، وعمائر متصلة ، وبه جزيرة الزانج والرامني ، وغير ذلك بما لا يؤتى على ذكره من جزائره وملكه ، وهو صاحب البحر السادس ، وهو بحر الصنف .

بحر الصين : ثم البحر السابع وهو بحر الصين على ما رتبناه آنفاً ، ويعرف ببحر صنجي وهو بحر خبيث كثير الموج والخب ، وتفسير الخب الشدة العظيمة في البحر ، وانما نخبر عن عبارة أهل كل بحر وما يستعملونه في خطابهم ، وفيه جبال كثيرة لا بد للمراكب من النفوذ بينها ، وذلك ان البحر اذا عظم خبه وكثر موجه ، ظهرت اشخاص سود طول الواحد منهم نحو الخمسة أشبار أو الاربعة ، كأنهم اولاد الأحابيش الصغار ، شكلاً واحداً وقداً واحداً ، فيصعدون على المراكب ، ويكثر منهم الصعود من غير ضرر ، فاذا شاهد الناس ذلك تيقنوا الشدة فإن ظهورهم علامة للخب ، فيستعدون لذلك : فمعافى ، ومبتلى ، فاذا كان ذلك ربما شاهد المعافى منهم في أعلى الدقل -- ويسميه أرباب المراكب في بحر الصين وغيره من البحر الحبشي الدولي ، ويسميه الرجال في البحر الرومي الصاري - شيئاً على صورة الطائر يتوقد نوراً لا يستطيع الناظر منهم على ملء بصره منه ، ولا ادراكه كيف هو ، فاذا استقر على أعلى الدقل

يرون البحر يهدأ والامواج تصفر والخب يسكن ، ثم ان ذلك النور يفقد ؛ فلا يدري كيف أقبل ولا كيف ذهب ، فذلك علامة الخلاص ، ودليل النجاة ؛ وما ذكرنا فلا تناكر فيه عند اهل المراكب والتجار من أهل البصرة وسيراف وعمان وغيرهم ممن قطع هذا البحر ، وما ذكرناه عنهم فممكن غير ممتنع ولا واجب ، إذا كان جائزاً في مقدور الباري جلّ وعز خلاص عباده من الهلاك واستنقاذهم من البلاء .

وفي هذا البحر نوع من السراطين يخرج من البحر كالذراع والشبر ، وأصغر من ذلك وأكبر ، فإذا بان عن الماء بسرعة حركة وصار على البر ، صار حجارة وزالت عنه الحيوانية ، وتدخل تلك الحجارة في أكحال العين وأدويتها ، وأمره مستفيض أيضاً .

ولبحر الصين أيضاً ، وهو السابع المعروف بصنجي ، أخبار عجيبة ، وقد أتينا على جمل من أخباره وأخبارها اتصل به من البحار فيما سمينا من كتبنا وأسلمنا من تصنيفنا في هذا المعنى ، ونحن ذاكرون فيما يرد من هذا الكتاب من أخبار الملوك جوامع وجمل من ذلك .

وليس بعد بلاد الصين مما يلي البحر بمالك تعرف ولا توصف ، إلا بلاد السيلي وجزائرها ، ولم يصل اليها من الغرباء أحد من العراق ولا غيره ، فخرج منها ، لصحة هوائها ، ورقة مائها ، وجودها تربتها ، وكثرة خيرها وصفاء جواهرها إلا النادر من الناس ؛ وأهلها مهادنون لأهل الصين وملوكها ، والهدايا بينهم لا تكاد تنقطع ، وقد قيل : إنهم تشعبوا من ولد عامور ، وسكنوا هناك ، على حسب ما ذكرنا من سكنى أهل الصين في بلادهم ، وللصين أنهار كبار مثل الدجلة والفرات ، تجري من بلاد الترك والتبت والصفد ، وهي بين بخارى وسمرقند ؛ وهناك جبال النوشادر ، فإذا كان في الصيف

رؤيت في الليل نيران قد ارتفعت من تلك الجبال من نحو مائة فرسخ بالنهار يظهر منها الدخان لغلبة شعاع الشمس وضوء النهار ، ومن هناك يحمل النوشادر ، فإذا كان في أول الشتاء [فإذا كان في الصيف] فمن أراد من بلاد خراسان أن يسلك إلى بلاد الصين صار إلى ما هنالك - وهنالك واد بين تلك الجبال طوله أربعون ميلاً أو خمسون - فيأتي إلى أناس هنالك على فم الوادي فيرغبهم في الأجرة النفيسة فيحملون ما معه على أكتافهم ، وبأيديهم العصي يضربون جنبه خوفاً أن يبلح أو يقف فيموت من كرب الوادي وهوله ، حتى يخرجوا إلى ذلك الرأس من الوادي ، وهنالك غابات ومستنقعات للماء ، فيطرحون أنفسهم في ذلك الماء ، لما قد نالهم من شدة الكرب وحر النوشادر ، ولا يسلك ذلك الطريق شيء من البهائم ، لأن النوشادر يلتهب ناراً في الصيف ، فلا يسلك ذلك الوادي داع ولا مجيب ، فإذا كان الشتاء وكثرت الثلوج والانداء ، وقع في ذلك الموضع فأطفأ حر النوشادر ولهبه ، فسلك الناس حينئذ ذلك الوادي ، والبهائم لا صبر لها على ما ذكرناه من حره ، وكذلك من ورد من بلاد الصين فعل به من الضرب ما فعل بالمار ، والمسافة من بلاد خراسان على لموضع الذي ذكرناه إلى بلاد الصين نحو من أربعين يوماً بين عامر وغير عامر ودماس ورميل ، وفي غير هذه الطريق مما يسلكه البهائم نحو من أربعة أشهر ، إلا أن ذلك في خفارات أنواع من الترك .

وقد رأيت بمدينة بلخ شيخاً جميلاً ذا رأي وفهم ، وقد دخل الصين مراراً كثيرة ولم يركب البحر قط ، ورأيت عدة من الناس ممن سلك من بلاد الصغد على جبال النوشادر إلى أرض التبت والصين

ببلاد خراسان ، وبلاد الهند متصل ببلاد خراسان ، والسند مما يلي بلاد المنصورة والمولتان ، والقوافل متصلة من السند إلى خراسان ، وكذلك إلى الهند ، إلى أن تتصل هذه الديار ببلاد زابلستان ، وهي بلاد واسعة تعرف بمملكة فيروز بن كبك ، وفيها قلاع عجيبة ممتعة ، ولغات مختلفة ، وأمم كثيرة ، وقد تنازع الناس في أنسابهم ، فمنهم من أحقهم بولد يافث بن نوح ، ومنهم من أحقهم بالفرس الأولى في نسب طويل .

وببلاد التبت مملكة متميزة من بلاد الصين ، والغالب عليهم حمير ، وفيهم بعض التبابعة على حسب ما ذكرنا من أخبار ملوك اليمن فيما يرد من هذا الكتاب ، وذلك موجود في أخبار التبابعة ، ولهم حضرة وبدو ، وبواديهم ترك لا تدرك كثرة ، ولا يقاومهم أحد من بوادي الأتراك ، وهم معظمون في سائر أجناس الترك ، لأن الملك كان منهم في قديم الزمان ، وعنه سائر أجناس الترك أن الملك سيعود إليهم ويرجع فيهم ، ولببلاد التبت خواص عجيبة في هوائها وسهلها ومائها وجبلها ، ولا يزال الإنسان أبداً ضاحكاً بها فرحاً مسروراً ، لا تعرض له الأحزان ولا الغموم ولا الأفكار ، ولا تحصى عجائب ثمارها وزهرها ومروجها وهوائها وأنهارها ، وهي بلاد تقوى فيها طبيعة الدم على الحيوان الناطق وغيره ، ولا يكاد يُرى في هذا البلد شيخ حزين ولا عجوز ، بل الطرب في الشيوخ والكهول والشباب والأحداث عام ، وفي أهلها رقة طبع وبشاشة وأريحية تبعث على كثرة استعمال الملامي والمعاقرة وأنواع إيقاع الرفص ، حتى إن الميت إذا مات لا يكاد يداخل أهله عليه كثير من الحزن مما يلحق غيرهم من سائر الناس عند فقد محبوب أو فوت مطلوب ، ولهم تحن كثير من بعضهم على بعض ، والتلم فيهم

عام ، وكذلك يظهر في سائر بلادهم ، وهذه البلاد سمي بن ثبت فيها ورتب من رجال حمير فقبل ثبت لثبوتهم فيها ، وقيل : لمعان غير ذلك ، والأشهر ما وصفنا ، وقد افتخر دعبل بن علي الخزاعي بذلك في قصيدته التي يناقض فيها الكميت ويفخر بقحطان على نزار ، فقال :

وم كَتَبُوا الكتاب ببابِ مَرْوٍ وباب الصين كانوا الكاتِبينا
وم مَمَّوا السهام بِسمرقند وم غرسوا هناك التبتينا

وسنذكر في باب أخبار ملوك اليمن طرفاً من أخبار ملوكهم ، ومن طاف منهم البلاد ، وبلاد التبت متاخمة لبلاد الصين وأرضها من إحدى جهاته ، ولأرض الهند وخراسان ولمفاوز الترك ، ولهم مدن وعمائر كثيرة ذوات مَنَعَة وقوة ، وقد كانوا في قديم الزمان يسمون ملوكهم 'تَبَعاً' اتباعاً لاسم تبع ملك اليمن ، ثم إن الدهر ضرب ضرباته ، فتغيرت لغاتهم عن الحميرية ، وحالت إلى لغة تلك البلاد ممن جاورهم من الأمم فسموا ملوكهم بخاقان ، وفي بلادهم الأرض التي بها ظباء المسك التبتى الذي يفضل على الصيني بجهتين : إحداهما أن ظباء التبت ترعى سنبل الطيب وأنواع الأفاويه وظباء الصين ترعى الحشيش دون ما ذكرنا من أنواع حشائش الطيب التي ترعاه التبتية ، والجهة الأخرى أن أهل التبت لا يتعرضون لإخراج المسك من نوافجه ويتركونه على ما هو به ، وأهل الصين يخرجونه من النوافج ويلحقونه الغش بالدم وغيره من أنواع الغش ، وأن الصيني أيضاً يقطع به ما وصفنا من مسافة البحار وكثرة الأنداء واختلاف الأهوية ، وإن 'عدم' من أهل الصين الغش في مسكهم ، وأودع براني الزجاج وأحكم عفاصها ووكاؤها وأورد إلى بلاد الإسلام من عمان وفارس والعراق وغيرها من الأمصار ، كان كالتبتي ،

وأجود المسك وأطيبه ما خرج من الظباء بعد بلوغه
النهاية في النضج ، وذلك أنه لا فرق بين غزلاننا هذه وبين غزلان
المسك في الصورة والشكل واللون والقرن ، وإنما تتبين تلك بأنياب
ها كأنياب الفيلة ، لكل ظبي نابان خارجان من الفكين قائمان
منتصبان أبيضان نحو الشبر وأقل وأكثر ، فتنصب لها في بلاد
التبت والصين الحبال والأشراك والشبّاك فيصطادونها ، وربما رموها
بالسهام فيصرعونها فيقطعون عنها نوافجها والدم في سررها حار
[خام] لم ينضج وطري لم يدرك ، فيكون لريحته سهوكة ،
فيبقى زماناً حتى تزول منه تلك الرائحة السهكة الكريهة ، ويستحيل
بمواد من الهواء فيصير مسكاً ، وسبيل ذلك سبيل الثمار إذا أبيضت
عن الأشجار وقطعت قبل استحكام نضجها في شجرها واستحكام
موادها فيه ، وخير المسك ما نضج في وعائه ، وأدرك في
سرته ، واستحکم في حيوانه ، وتما موائده ، وذلك أن الطبيعة
تدفع مواد الدم إلى السرة ، فإذا استحکم كون الدم فيها ونضج
آذاه ذلك وحكّه ، فيفزع حينئذ إلى أحد الصخور والأحجار
الحارة من حر الشمس فيحتك بها مستلذاً بذلك فينفجر حينئذ
ويسيل على تلك الأحجار كأنفجار الخُرّاج والدُمْل إذا نضج ما
فيه عند ترداد المواد عليه فيجد لخروجه لذة ، فإذا فرغ ما في
نافجته اندمل حينئذ ، ثم اندفعت إليه مواد من الدم ، ويجمع
ثانية ككونها بدءاً ، فتخرج رجال التبت يقصدون مراعيها بين
تلك الأحجار والجبال ؛ فيجدون الدم قد جف على تلك الصخور
والأحجار ، وقد أحكمته المواد ، وأنضجته الطبيعة في حيوانه ،
وجففته الشمس ، وأثر فيه الهواء ، فيأخذونه ، فذلك أفضل
المسك ، فيودعون نوافج معهم قد أخذوها من غزلان قد اصطادوها

مستعدة معهم ؛ فذلك الذي تستعمله ملوكهم ويتهادونه بينهم ،
ويحمله التجار في النادر من بلادهم ، والتبت ذو مدن كثيرة ،
فيضاف مسك كل ناحية إليها .

قال المسعودي : وقد أقرت ملوك الصين والترك والهند والزنج
وسائر ملوك العالم لملك بابل بالتعظيم ، وأنه أول ملوك العالم ، وأن
منزله فيهم كمنزلة القمر في الكواكب ، لأن إقليمه أشرف الأقاليم ،
ولأنه أكثر الملوك مالاً ، وأحسنهم طبعاً ، وأكثرهم سياسة ،
وأثبتهم قدماً ، وهذا وصف ملوك هذا الإقليم فيما مضى لا في
هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، وكانوا يلقبون هذا
الملك شاهنشاه وتفسيره ملك الملوك ، ومنزله في العالم منزلة القلب
من جسد الإنسان والواسطة من القلادة ، ثم يتلوه ملك الهند ،
وهو ملك الحكمة ، وملك الفيلة لأن عند الملوك الأكامرة أن
الحكمة من الهند بدوها ، ثم يتلوه في المرتبة ملك الصين ،
وهو ملك الرعاية والسياسة وإتقان الصنعة ، وليس في ملوك العالم
أكثر رعاية وتفقداً من ملك الصين لرعيته من جنده وعوامه ،
وهو ذو بأس شديد ، وقوة ومنعة ، له من الجنود
المستعدة ، والكرع والسلاح ، ويرزق جنده كفضل ملوك بابل ،
ثم يتلو ملك الصين ملك من ملوك الترك صاحب مدينة كوشان ،
وهو ملك الطفرغز [الطفرغر] من الترك ، ويدعى ملك السباع
وملك الخيل ، إذ ليس في ملوك العالم أشد بأساً من رجاله ، ولا
أشد استئساداً منه على سفك الدماء ، ولا أكثر خيلاً منه ،
ومملكته فرز بين بلاد الصين ومفاوز خراسان ، ويدعى بالاسم
الأعم أيرخان ، وللترك ملوك كثيرة ، وأجناس مختلفة ، ولا
تنقاد إلى ملكه إلا أنه ليس منهم من يداني ملكه ، ثم يتلوه

ملك الروم ، ويدعى ملك الرجال ، وليس في ملوك العالم أصبح وجوهاً من رجاله ؛ ثم إن ملوك العالم تتفاوت مراتبها ولا تتساوى ، وقد قال ذو عناية بأخبار العالم وملوكهم في شعر له يصف جملاً من مراتب ملوك العالم وممالكهم وأسمائهم :

الدار داران : إيوان وغمدان ، والملك مُلكان : ساسان وقحطان
والأرض فارس ، والإقليم بابل ، وإسلام مكة ، والدنيا خراسان
والجانبان العليان اللذان حسنا منها بخارى وبلخ الشاهداران
والبيلقان وطبرستان فارزها والري شروانها ، والجبل جيلان
قد رتب الناس فيها في مراتبهم فرزبان ، وبطريق ، وطرخان
للفرس كسرى ، وللروم القياصر ، والحبش النجاشي ، والأتراك خاقان

وصاحب صقلية وإفريقية من بلاد المغرب قبل ظهور الإسلام كان يدعى جرجير ؛ وصاحب الأندلس كان يدعى لذريق ، وهذا كان اسم سائر ملوك الأندلس ، وقد قيل : إنهم كانوا من الأشبان ، وهم أمة من ولد يافث بن نوح ، دثرت [واتصلت هنالك] هنالك ، والأشهر عند من سكن الأندلس من المسلمين أن لذريق كان من ملوك الأندلس الجلالة ، وهم نوع من الإفرنجية ، وآخر لذريق الذي كان بالأندلس قتله طارق مولى موسى بن نصير حين افتتح بلاد الأندلس ودخل إلى مدينة طليطلة وكانت قسبة الأندلس ، ودار مملكتهم ، ويشقها نهر عظيم يدعى تاجة يخرج من بلاد الجلالة والوشكند ، وهي أمة عظيمة لهم ملوك ، وهم حرب لأهل الأندلس كالجلالة والإفرنجية ، ويصب هذا النهر في البحر الرومي ، وهو موصوف بأنه من أنهار العام ، وعليه على بعد من طليطلة مدينة طليطلة ، ثم قنطرة عظيمة تدعى قنطرة السيف بنتها الملوك السالفة ، وهي من البنيان

المذكور الموصوف وإنما أعجب عقوداً من قنطرة منجعة من الثغر الحزري [من الثغر المصري] مما يلي سميساط من بلاد مرجة ، ومدينة طليطلة ذات منعة وعليها أسوار منيعة ، وأهلها بعد أن فتحت وصارت لبني أمية قد كانوا عصوا على الأمويين ، فأقامت مدة سنين ممتعة ، لا سبيل للأمويين إليها ، فلما كان بعد الخمس عشرة وثلاثمائة فتحها عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ابن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي وعبد الرحمن هذا هو صاحب الأندلس في هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وقد كان غير كثيراً من بنيان هذه المدينة حين افتتحها ، وصارت دار مملكة الأندلس قرطبة إلى هذا الوقت ، ومن قرطبة إلى مدينة طليطلة نحو من سبع مراحل ، ومن قرطبة إلى البحر مسيرة نحو من ثلاثة أيام ، ولهم على يوم من ساحل البحر مدينة يقال لها إشبيلية ، وبلاد الأندلس يكون مسيرة عمائرها ومدنها نحواً من شهرين ، ولهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة ، وتدعى بنو أمية بها ببني الخلائف ، ولا يخاطبون بالخلفاء ، لأن الخلافة لا يستحقها عندهم إلا من كان مالكا للحرمين ، غير أنه يخاطب بأمر المؤمنين .

بنو أمية بالأندلس : وقد كان عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان سار إلى الأندلس في سنة تسع وثلاثين ومائة فملكها ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر ، ثم هلك ، فملكها ابنه هشام ابن عبد الرحمن سبع سنين ؛ ثم ملكها ابنه الحكم بن هشام نحواً من عشرين سنة ، وولده ولأبنتها إلى اليوم على ما ذكرنا أن صاحبها عبد الرحمن بن محمد ، وولي عهد عبد الرحمن في هذا الوقت فتاه الحكم أحسن الناس سيرة ، وأجلهم عدلاً ، وقد كان عبد الرحمن

صاحب الأندلس في هذا الوقت المقدم ذكره غزا سنة سبع وعشرين
 وثلاثمائة في أزيد من مائة ألف فارس من الناس ، فنزل على دار مملكة
 الجلالقة ، وهي مدينة يقال لها سمورة ، عليها سبعة أسوار من عجيب
 البنيان قد أحكمتها الملوك السالفة ، بين الأسوار فصلان وخنادق
 ومياه واسعة ، فافتتح منها سورين ؛ ثم إن أهلها ثاروا على المسلمين
 فقتلوا منهم - ممن أدرك الإحصاء ومن عُرف - أربعين ألفاً ، وقيل :
 خمسين ألفاً ، وكانت للجلالقة والوشكند على المسلمين ، وآخر ما كان
 بأيدي المسلمين من مدن الأندلس وثغورها مما يلي الإفرنجية مدينة أربونة ،
 خرجت من أيدي المسلمين سنة ثلاثين وثلاثمائة مع غيرها مما كان في
 أيديهم من المدن والحصون ، وبقي ثغر المسلمين في هذا الوقت - وهو
 سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - من شرقي الأندلس طرطوشة ، وعلى ساحل
 بحر الروم مما يلي طرطوشة آخذاً في الشمال أفراغة على نهر عظيم ،
 ثم لاردة ، ثم بلغني عن هذه الثغور أنها تلاقى الإفرنجية ، وهي أضيق
 مواضع الأندلس ، وقد كان قبل الثلاثمائة ورد إلى الأندلس مراكب في
 البحر فيها ألوف من الناس أغارت على سواحلهم ، زعم أهل الأندلس
 أنهم ناس من المجوس تطراً إليهم [تظهر إليهم] في هذا البحر في
 كل مائتين من السنين ، وأن وضوهم إلى بلادهم من خليج يعترض
 من بحر أوقيانوس ، وليس بالخليج الذي عليه المنارة النحاس ، وأرى
 - والله أعلم - أن هذا الخليج متصل ببحر مايطس ونيطس وأن هذه
 الأمة هم الروس الذين قدمنا ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب ؛ إذ كان
 لا يقطر هذه البحار المتصلة ببحر أوقيانوس غيرهم ، وقد أصيب في
 البحر الرومي فيما بين جزيرة أقریطش ألواح المراكب الساج المثقبة
 الخيطة بليف النارجيل من مراكب قد عطبت تقاذفت بها الأمواج في مياه
 البحار ، وهذا لا يكون إلا في البحر الحبشي ، لأن مراكب البحر

الرومي والعرب كلها ذوات مسامير ، ومراكب البحر الحبشي لا يثبت فيها الحديد ، لأن ماء البحر يذيب الحديد فتترق المسامير في البحر وتضعف ، فاتخذ أهلها الخياطة بالليف بدلا منها ، وطليت بالشحوم والنورة ، فهذا يدل - والله أعلم - على اتصال البحار ، وأن البحر مما يلي الصين وبلاد السيلي يدور على بلاد الترك ، ويفضي الى بحار المغرب من بعض خلجان أوقيانوس المحيط .

وقد كان وجد بساحل بلاد الشام عنبر قذف به البحر ، وهذا من المستنكر في البحر الرومي الذي لم يعهد فيه من قديم الزمان مثل ذلك ، ويمكن ان يكون سبيل وقوع العنبر الى هذ البحر سبيل ما ذكرناه من ألواح مراكب البحر الصيني ، والله أعلم بكيفية ذلك وعلمه .

ولبحر المغرب وما قرب منه من عمائر السودان وأقاصي أرض المغرب أخبار عجيبة .

أرض الحبشة والسودان ، وقد ذكر ذور العناية بأخبار العالم أن أرض الحبشة وسائر السودان كلها مسيرة سبع سنين ، وان أرض مصر جزء واحد من ستين جزءاً من أرض السودان ، وان أرض السودان جزء واحد من الأرض كلها ، وان الأرض كلها مسيرة خمسمائة سنة : ثلث عمران مسكون مأهول ، وثلث براري غير مسكون ، وثلث بحار ؛ وتتصل أقاصي السودان العراة بآخر بلاد ولد إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام من أرض المغرب ، وهي بلاد تلمسان وقاهرت وبلاد فاس ، ثم السوس الأدنى وبينه ، وبين بلاد القيروان نحو ألفي ميل وثلثمائة ميل ، وبين السوس الأدنى والسوس الأقصى من المسافة نحو من عشرين يوماً

عمائر متصلة الى ان تتصل بوادي الرمل والقصر الأسود ، ثم يتصل ذلك بمفاوز الرمل التي فيها المدينة المعروفة بمدينة النحاس وقياب الرصاص التي سار اليها موسى بن نصير في أيام عبد الملك بن مروان ورأى فيها ما رأى من العجائب ، وقد ذكر ذلك في كتاب يتداوله الناس ، وقد قيل : إن ذلك في مفاوز تتصل ببلاد الاندلس ، وهي الارض الكبيرة ، وقد كان ميمون بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الفارسي - وهو أباضي المذهب ، وهو الذي أنشأ في ذلك البلد مذهب الخوارج ، وقد قيل : إنهم من بقايا الأشبان - عمر تلك الديار ، وكانت له حروب مع الطالبين ، وقد ذكرنا فيما يرد من هذا الكتاب تنازع الناس في الأشبان ، ومن قال : إنهم من الفرس ناقة من بلاد أصبهان .

بلاد المغرب : وفي هذا الصقع من بلاد المغرب خلق من الصنقرية الخوارج ، لهم مدن ممدودة مثل مدينة ثرغية ، وفيها معدن كبير من الفضة ، وهو مما يلي الجنوب ويتصل ببلاد الحبشة ، والحرب بينهم سجال ، وقد ذكرنا في كتابنا « أخبار الزمان » خبر المغرب ومدنها ، ومن سكنها من الخوارج الأباضية والصنقرية ، ومن سكن المغرب من المعزلة ، وما بينهم وبين الخوارج من الحروب ، وقد ذكرنا خبر ابن الأغلب التميمي وتولية المنصور له على المغرب ، ومقامه ببلاد إفريقية وغيرها من أرض المغرب وما كان من أمره في أيام الرشيد ، وتداول ولده ببلاد إفريقية وغيرها الى ان انتهى الأمر الى أبي نصر زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن احمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن سالم بن سواده ، فأخرجه عنها أبو عبد الله المحتسب الصوفي الداعية لصاحب المهدي حين ظهر في كتامة وغيرها من أجيال [أحياء] البربر ، وذلك في سنة سبع وتسعين ومائتين في أيام المقتدر ، ومسيره

الى الرافقة ، وكان هذا المحتسب من مدينة رامهرمز من كور الاهواز.
ونعود إلى ذكر مراتب الملوك ونسّق ما بقي من الممالك على
البحر الحبشي الذي شرعنا في وصفه وامن عليه ، فنقول :

ملوك العالم : ملك الزنج وفليمي ، ملك اللان كركنداج ، ملك
الحيرة من بني نصر النعمانية والمناذرة ، ملك جبال طبرستان كان
يدعى قارن ، والجبل معروف به وبولده في هذا الوقت ، ملك الهند
البلهرا ، ملك القنوج من ملوك السند بؤورة وهذا اسم كل ملك يلي
القنوج ، وهنا مدينة يقال لها بؤورة باسم ملوكهم ، وقد صارت
اليوم في حيز الإسلام ، وهي من أعمال المولتان ، ومن هذه المدينة
يخرج أحد الانهار التي اذا اجتمعت كانت نهر « مهران السند » الذي
زعم الجاحظ أنه من النيل ، وزعم غيره أنه من جيحون خراسان ،
وبؤورة هذا الذي هو ملك القنوج هو ضد البلهرا ملك الهند ،
وملك القندهار من ملوك السند وجبالها ، ويدعى حجج ، وهو اسم
الأعم ، ومن بلاده يخرج النهر المعروف « براند » وهو أحد الانهار
الخمس التي منها مهران السند والقندهار يعرف ببلاد الرهبوط ، ونهر
من الخمسة يخرج من بلاد السند وجبالها يعرف « ببهاطل » ويحتاز بلاد
الرهبوط وهي بلاد القندهار ، والنهر الرابع يخرج من بلاد كابل
وجبالها وهي تخوم السند مما يلي بسط وغزنين وزرعون والرخج
وبلاد الدوار مما يلي بلاد سجستان ، ونهر من الخمسة يخرج من بلاد
قشمير ، وملك قشمير يعرف بالرائي ، هذا الاسم الأعم لسائر ملوكهم ،
وقشمير هذه من ممالك السند وجبالها مملكة عظيمة حصينة ، يحتوي
ملكها على مدن وضياع على نحو من ستين ألفاً الى سبعين ألفاً ،
لا سبيل لأحد من الناس على بلده إلا من وجه واحد ، ويُفلق على
جميع ما ذكرناه من ملكه باب واحد لأن ذلك في جبال شوامخ

منبعة لا سبيل للرجال أن يتسلقوا عليها ، ولا للوحش ان يلحق بعلوها ، ولا يلحقها إلا الطير ، وما لا جبل فيه فأودية وعرّة وأشجار وغياض وأنهار ذات منعة من شدة الانصباب والجريان ، وما ذكرنا من منعة ذلك البلد فمشهور في أرض خراسان وغيرها من البلاد ، وذلك أحد عجائب الدنيا .

ملك القنوج : فأما ملك بؤورة ، وهو ملك القنوج ، فان مسافة مملكته تكون نحواً من عشرين ومائة فرسخ في مثلها فراسخ سندي الفرسخ ثمانية أميال بهذا الميل ، وهو الملك الذي قدمنا ذكره فيما سلف أن له من الجيوش أربعة على مهابّ الرياح الأربع ، كل جيش منها سبعمائة ألف ، وقيل : تسعمائة ألف ، وقيل : تسعة آلاف الف فيحارب بجيش الشمال صاحب المولتان ومن معه في تلك الثغور من المسلمين ، ويحارب بجيش الجنوب البهرا ملك المانكير ، وبالجيوش الباقية من يلقاه في كل وجه من الملوك ، ويقال : ان ملكه يحيط في مقدار ما ذكرناه من المسافة من المدن والقرى والضياح مما يدركه الإحصاء والعدد بألف ألف وثمانمائة الف قرية بين أنهار وشجر وجبال ومروج ، وهو قليل الفيلة من بين الملوك ، ورسمه لحربه ألفا فيل حربية تقاتل ، وذلك ان الفيل اذا كان فارهاً ممارساً شجاعاً وكان راكبه فارساً وفي خرطومه القرطل ، وهو نوع من السيوف - وخرطومه مغشى بالزراد والحديد ، وعليه تجافيف [تحافيف] قد أحاطت سائر جسده من القرن والحديد ، وكان حوله خمسمائة راجل يمنعونه ويحرزونهم من ورائه حارب ستة آلاف فارس ، وقام بها ، وأدناها اذا كان معه خمسمائة راجل ، كر على خمسة آلاف فارس ، ودخل وخرج وصال عليها كالرجل على الفرس ، وهذا ربهم فيلتها في سائر حروبها .

فأما صاحب المولتان ، فقد قلنا : ان الملك في ولد سامة بن لؤي بن غالب ، وهو ذو جيوش ومنعة وهو ثغر من ثغور المسلمين الكبار ، وحول ثغر المولتان من ضياعه وقراه عشرون ومائة الف قرية مما يقع عليه الإحصاء والعد ، وفيه على ما ذكرنا الصنم المعروف بالمولتان ، يقصده السند والهند من أقاصي بلادهم بالندور والأموال والجواهر والعود وانواع الطيب ، ويحج اليه الألوف من الناس ، واكثر أموال صاحب المولتان مما يحمل الى هذا الصنم من العود القهاري الخالص الذي يبلغ ثمن الأوقية منه مائة دينار [يبلغ منه المن مائتي دينار] ، واذا ختم بالخاتم أثر فيه كما يؤثر في الشمع ، وغير ذلك من العجائب التي تحمل اليه ، واذا نزلت الملوك من الكفار على المولتان وعجز المسلمون عن حربهم هددوهم بكسر هذا الصنم وتعميره ، فترحل الجيوش عنهم عند ذلك ، وكان دخولي الى بلاد المولتان بعد الثلاثمائة ، والملك بها ابو اللهاب المنبه بن أسد القرشي .

بلاد المنصورة : وكذلك كان دخولي الى بلاد المنصورة في هذا الوقت ، والملك عليها ابو المنذر عمر بن عبد الله ، ورأيت بها وزيره رباحا وابنيه محمدا وعلياً ، ورأيت بها رجلا سيداً من العرب وملكاً من ملوكهم ، وهو المعروف بحمزة ، وبها خلق من ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ثم من ولد عمر بن علي وولد محمد بن علي ، وبين ملوك المنصورة وآل أبي الشوارب القاضي قرابة وصلة ونسب ، وذلك أن ملوك المنصورة الذين فيهم الملك في وقتنا هذا من ولد هبّار بن الأسود ، ويعرفون ببني عمر بن عبد العزيز القرشي ، وليس هو عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي .

فإذا اجتاز جميع ما ذكرنا من الانهار ببلاد مرج بيت الذهب - وهو المولتان - اجتمعت بعد المولتان بثلاثة أيام فيما بين المولتان والمنصورة في الموضع المعروف بدوسات ، فإذا انتهى جميع ذلك الى مدينة الروذ من غربها ، وهي من اعمال المنصورة ، سُمِّيَ هنالك مهران ، ثم ينقسم قسمين ، ويصب كل من القسمين من هذا الماء العظيم المعروف بمهران السند في مدينة شاكرة من اعمال المنصورة في البحر الهندي ، وذلك على مقدار يومين من مدينة الديبل .

والمسافة من المولتان الى المنصورة خمسة وسبعون فرسخاً سندياً على ما ذكرنا ، والفرسخ ثمانية أميال ، وجميع ما للمنصورة من الضياع والقرى مما يضاف اليها ثلاثمائة الف قرية ذات زروع واشجار وعمائر متصلة ؛ وفيها حروب كثيرة من جنس يقال لهم الميد ، وهم نوع من السند وغيرهم من الاجناس ، وهم ثغر السند ، وكذلك المولتان من ثغور السند ومما أضيف اليها من العمائر والمدن .

وسميت المنصورة باسم منصور بن جهور عامل بني أمية ، وملك المنصورة فيلة حربية ، وهي ثمانون فيلاً رسم كل فيل أن يكون حوله على ما ذكرنا خمسمائة راجل وأنه يجارب ألوفاً من الخيل على ما ذكرنا ، ورأيت له فيلين عظيمين كانا موصوفين عند ملوك السند والهند لما كانا عليه من البأس والنجدة والإقدام على فلّ الجيوش ، وكان اسم أحدهما « منفرقلس » والآخر « حيدرة » ولمنفرقلس هذا أخبار عجيبة ، وأفعال حسنة ، وهي مشهورة في تلك البلاد وغيرها ، منها أنه مات بعض سؤاسه ، فكث أياماً لا يطعم ولا يشرب ، يُبْدي الحنين ويظهر الأنين كالرجل الحزين ، ودموعه تجري من عينيه لا تنقطع ؛ ومنها أنه خرج ذات يوم من حائره ، وهي دار الفيلة ،

وحيدرة وراهه ، وباقي الثمانين تبسح لها ، فانتهى منفرقلس في سيره إلى شارع قليل العرض من شوارع المنصورة ، ففاجأ في مسيره امرأة على حين غفلة منها ، فلما بصرت به دهشت واستلقت على قفاها من الجزع ، وانكشفت عنها أطهارها في وسط الطريق ، فلما رأى ذلك منفرقلس وقف بعرض الشارع مستقبلا يجنبه الأيمن ما وراهه من الفيلة مانعاً لهم من النفوذ من أجل المرأة ، وأقبل يشير إليها بخرطومها بالقيام ، ويجمع عليها أثوابها ، ويستر منها ما بدا ، إلى أن انتقلت [استلقت] المرأة وتزحزحت عن الطريق بعد أن عاد إليها روحها ، فاستقام الفيل في طريقه ، واتبعه الفيلة .

وللفيلة أخبار عجيبة الحربية منها والعمالة ، لأن منها ما لا يجارب فيجر العجل وتحمل عليه الأثقال ، ويستعمل في دياس الأرز وغيره من الأقوات كدوس البقر في البيدر ، وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أخبار الزنج والفيلة ، وكونها في بلادها ، وليس في سائر الممالك أكثر منها في بلاد الزنج ، وهي وحشية هنالك كلها .

فهذه جمل من أخبار ملوك السند والهند ، ولغة السند خلاف لغة الهند ، والسند مما يلي الإسلام ، ثم الهند ، ولغة أهل المانكير - وهي دار مملكة البلهرا - كيرية [أكثرها] مضافة إلى الصقع ، وهي كيرة [كبيرة] ، ولغة ساحله مثل صيمور وسوبارة وثانة وغير ذلك من مدن الساحل لارية ، وبلدهم مضافة إلى البحر الذي هم عليه ، وهو لاروي ، وقد تقدم ذكره فيما سلف من هذا الكتاب ، ولهذا الساحل أنهار عظيمة تجري من الجنوب ، بالضد من أنهار العالم ، وليس في أنهار العالم ما يجري من الجنوب إلى الشمال إلا نيل مصر ومهران السند ويسير من الأنهار ، وما عدا ذلك من أنهار العالم يجري من الشمال

الى الجنوب ، وقد ذكرنا وجه العلة في ذلك وما قاله الناس في هذا المعنى في كتابنا « أخبار الزمان » وقد ذكرنا ما انخفض من الأرض [الأنهار] وما ارتفع .

وليس في ملوك السند والهند من يعزّ المسلمين في ملكه إلا البلهرا ، فالإسلام في ملكه عزيز مَصون ، ولهم مساجد مبنية ، وجوامع معمورة بالصلوات للمسلمين ، ويملك الملك منهم الأربعين سنة والخمسين سنة فصاعداً ، وأهل مملكته يزعمون أنه إنما طالت أعمار ملوكهم لسنة العدل وإكرام المسلمين ، وهو ملك يرزق الجنود من بيت ماله كفعل المسلمين بجنودهم ، وله دراهم طاهرية ، وزن الدرهم منها وزن درهم ونصف ، سكته بدء تاريخ ملكهم ، وفيلته الحربية لا تُحصى كثرة ، وتدعى بلاده أيضاً بلاد الكمكر ، ويحاربهم ملك الخزر من إحدى جهات مملكته ، وهو ملك كثير الخيول والإبل والجنود ، ويزعم أنه ليس في ملوك العالم أجمل منه إلا صاحب إقليم بابل ، وهو الإقليم الرابع ، وذلك أن هذا الملك ذو نخوة وصوله على سائر الملوك ، وهو مع ذلك مبنض للمسلمين ، وهو كثير القبيلة ، وملكه على لسان من الأرض ، وفي أرضه معادن الذهب والفضة ، ومبايعتهم بها .

ثم يلي هذا الملك ملك الطافن - موادع لمن حوله من الملوك ، وهو مكرم للمسلمين ، وليست جيوشه كجيوش من ذكرنا من الملوك ، وليس في نساء الهند أحسن من نساءهم ، ولا أكثر منهم جمالاً وبياضاً ، وهن موصوفات الخلوات ، مذكورات في كتب الباه ، وأهل البحر يتنافسون في شرائهن يعرفن بالطافنيات .

مملكة رهمي : ثم يلي هذا الملك مملكة رهمي ، وهذه سمّة ملوكهم ، وهو الأعم

من أسمائهم ، ويقاطله الجزر [ويقاطلهم ملك الجزر] ، وملكه متاخم
للكهم ، ورهمى يحارب البلهرا أيضاً من احدى جهات مملكته ، وهو
أكثر جيوشاً وفيلة وخيولا من البلهرا ومن ملك الجزر ومن ملك الطافن ،
وإذا خرج في حروبه فرسمه أن يكون في خمسين ألف فيل ، ولا يكون
حربه إلا في الشتاء لقلّة صبر الفيلة على العطش وقلة لبثها ، والمكث
من الناس يغلو في القول في كثرة جنوده ، فيزعمون أن عدد القصارين
والفسالين في عسكره من عشرة آلاف الى خمسة عشر ألفاً ، وحرب
من ذكرنا من الملوك كراديس ، كل كرددوس عشرون ألفاً ، أربعة
أوجه كل وجه من الكرددوس خمسة آلاف ، ومملكة رهمى تعاملهم
بالودع ، وهو مال البلد ، وفي بلده العود والذهب والفضة والثياب
التي ليست لغيره رقة ودقة ، ومن بلده يحمل الشعر المعروف بالضمير
الذي تتخذ منه المذاب بنصب العاج والفضة يقوم بها الخدم على
رؤوس الملوك في مجالسها ، وفي بلده الحيوان المعروف بالنشان المعلم ،
وهو الذي تسميه العوام الكركدن ، وله في مقدم جبهته قرن واحد
وهو دون الفيل في الخلقه وأكبر من الجاموس ، الى السواد ما هو ،
وهو يجتر كما تجتر البقر وغيرها مما يجتر من الحيوان ، والفيلة تهرب
منه ، وليس في أنواع الحيوان - والله أعلم - أشد منه ، وذلك أن
أكثر عظامه أصم ، ولا مفصل في قوائمه ولا يبرك في نيام ، وإنما
يكون بين الشجر والآجام يستند اليها عند نومه ، والهند تأكل لحمه
وكذلك من في بلادهم من المسلمين ، لأنه نوع من البقر ، والجواميس
بأرض السند والهند كثيرة ، وهذا النوع من الحيوان وهو النشان
يكون في أكثر غابات الهند ، إلا أنه في مملكة رهمى أكثر ، وقرونه
أصفى وأحسن ، وذلك أن قرنه أبيض وفي وسطه صورة سوداء في

ذلك البياض ، إما صورة إنسان أو صورة طاووس بتخطيطه وشكله أو صورة سمكة أو صورته في نفسه أو صورة نوع من الحيوان مما يوجد في تلك الديار فينشر [فيشترى] هذا القرن وتتخذ منه المناطق والسيور على صورة الحلية من الذهب والفضة فتلبسها ملوك الصين ، وخواصها تتنافس في لبسها وتبالغ في اثنائها فتبلغ المنطقة ألفي دينار الى أربعة آلاف ، فيها معاليق الذهب ، وذلك في نهاية الحسن والاتقان وربما تقمع بأنواع من الجواهر على قضبان الذهب ، ووجوه تلك الصور مكتبة بسواد في بياض ، وربما يوجد في قرونها بياض في سواد ، وليس في كل بلد يوجد في قرون النشان ما ذكرنا من الصور . وقد زعم عمرو بن بحر الجاحظ أن الكركدن يحمل في بطن أمه سبع سنين ، وأنه يخرج رأسه من بطن أمه فيرعى ثم يدخل رأسه في بطنها ، وهذا القول أورده في كتاب « الحيوان » على طريق الحكاية والتعجب ، فبعثني هذا الوصف على مسألة « من سلك تلك الديار من أهل سيرا ف وعمان ومن رأيت بأرض الهند من التجار ، فكل يتمجب من قوله إذا أخبرته بما عندي من هذا وسألته عنه ، يخبرونني أن حمله ومفضاله كالبقرة والجواميس ، ولست أدري كيف وقعت هذه الحكاية للجاحظ : أمن كتاب نقلها أو نخب أخبره بها ؟

ملك الكامن ، ولرهمى في ملكه بر وبحر ، ويلى ملكه ملك لا بحر له يقال ملك الكامن ، وأهل مملكته بيض مخرمو الآذان ، لهم فيلة وإبل وخيول ، وحسن وجمال للرجال والنساء ، ثم بعد هؤلاء ملك الافرنج ، وله بر وبحر ، وهو على لسان من البر في البحر ، يقع إلى بلده عنبر كثير ، وفي بلده فلفل يسير ، وهو ذو فيلة كثيرة وهو ذو بأس بين الملوك وزهو وفخر ، وزهوه أكثر من قوته ، وفخره أكثر من بأسه ، ثم يلي هذا الملك ملك الموجه أهله بيض

ذوو حسن وجمال غير مخرومي الآذان ، لهم خيل كثيرة ، وعدد منيعة ، والمسك في بلادهم كثير على ما قدمنا من غزلائهم ووصف طبائهم فيما سلف من هذا الكتاب ، وهذه الأمة تشبه بأهل الصين في لباسهم ، وبلادهم ^(١) منيعة شواهد بيض ، لا يعلم بأرض الهند ولا فيما ذكرنا من هذه الممالك جبال أطول منها ولا أمنع ، ومبكمهم موصوف مضاف الى بلادهم يتعارفه البحرليون ، ممن غني بحمل ذلك وتجهيزه ، وهو المسك المعروف بالموجهي ، ثم يلي ملك الموجه مملكة الماند ، ولهم مدن كثيرة وعمائر واسعة وجنود عظيمة ، وملوكهم تستعمل الخدم والخصيان في عمالات بلدانهم من المعادن وحياتيات الأموال والولايات وغيرها كفعل ملوك الصين على حسب ما وصفنا من أخبارهم ، والماند مجاورون لمملكة الصين والرسل تختلف بينهم بالهدايا ، وبينهم جبال منيعة وعقبات صعبة ، وللماند البأس العظيم والبطش الشديد والقوة ، واذا دخل رسل ملك الماند مملكة الصين ، وكل ملك الصين بهم ، ولم يتركهم ينتشرون في بلادهم خوفاً أن يففوا على طرقهم وعورات بلادهم ، لكبرة الماند [لكبر المعابد] في نفوسهم .

بعض عادات الهند والصين : ولما ذكرنا من الهند والصين في بلادهم ولغيرهم من الأمم أخلاق وشيم في المأكل والمشاب والمناكح والملابس والعلاج والأدوية والكي بالنار وغيره ، وقد ذكر عن جماعة من ملوكهم أنهم لا يرون حبس الريح في أجوافهم لأنه داء يؤذي [يردي] ، ولا يحتشمون في إظهارها في سائر أحوالهم ، وكذلك فعل حكماهم ، ورأيهم أن حبسها داء يؤذي ، وأن إرسالها شفاء ينجي ، وأن في ذلك العلاج الأكبر ، وأن فيه راحة لصاحب

(١) لعل الاصح و « جياهم » .

القولنج والمحصور ، وأن فيه داء للسقيم المطحول ، ولا يحنثون من
الضرطة ، ولا يحصرون الفسوة ، ولا يرون ذلك عيباً ، وللهند التقدم
في صناعة الطب ، ولهم فيه اللطافة والحذق ، وذكر هذا الخبر عن
الهند أن السعال عندهم أقبح من الضراط ، وأن الجشاء في وزن الفساء ،
وأن صوت الضرطة دباغها والمذهب عنها ريحها ، واستشهد هذا الخبر على
صحة ما حكاه عن الهند باستفاضة القول في ذلك في كثير من
الناس عنهم ، حتى ذكر ذلك عنهم في السير والأخبار والنوادر
والأشعار ، فمن ذلك ما ذكر أبان بن عبد الحميد في الأرجوزة
المعروفة بذات الجلل ، وهي :

قد قال ذو العلم النصح الهندي	مقالة أجاد فيها عندي
لا تحبس الضرطة إما حضرت	وخلتها وافتح لها ما استفتحت
فإن أدوا الداء في إمساكها	والرؤح والراحة في إفكاكها
والقبح في السعال والمخاط	والشؤم في العطاس لا الضراط
أما الجشاء ففساء صاعد	ونتئنه على الفساء زائد

وأن الريح واحدة في الجوف ، وإنما تختلف أسماؤها باختلاف
مخارجها ، فما يذهب صعداً يسمى جشاء ، وما يذهب سفلاً يسمى
فساء ، ولا فرق بين الريحين إلا باختلاف المخرجين ، كما يقال الصفعة
واللظمة ، إلا أن اللظمة في الوجه والصفعة في مؤخر الرأس والقفا ،
والجنس واحد وإنما اختلفت أسماؤها لاختلاف الموضعين وتباين
المكانين ، وأن الحيوان الناطق إنما كثرت علة ، وترادفت أدواؤه ،
ونصبت أمراضه كالقولنج وأوجاع المعدة وغيرها من العوارض بحبس
الداء في جوفه وترك إظهاره في حال هيجانه وتفرغ الطبيعة لدفعه
وإخراجه ، وأن سائر الحيوان غير الناطق إنما بعدد عما ذكرنا من

الآفات والمعرضات من العاهات لسرعة خروج ما يعرض ويثور من الأدوية في اجوافها وعدم احتباسها في وعائها ، وأن الفلاسفة والمتقدمين من الحكماء اليونانيين كديموقريطس وفيثاغورس وسقراط وديوجانس وغيرهم من حكماء الامم ، لم يكونوا يرون حبس شيء من ذلك ، لعلمهم بما يتولد من آفاته ، ويؤول اليه من متعقباته ، وأن ذلك يحده في نفسه كل ذي حس ، وأن ذلك يعلم بالطبيعة ، ويدرك بضرورة العقل ، وإنما استقبح ذلك أناس من أصحاب الشرائع والكتب لما وردت به الشرائع ومنعت منه الملل ، ولم يحرم ذلك في عاداتهم .

قال المسعودي : وقد أتينا على اخبارهم وما أحكمنا من ذكر شيمهم وعجائب سيرهم ومتصرفاتهم في كتابنا « أخبار الزمان » ، وفي الكتاب الأوسط ، وكذلك أتينا على ذكر أخبار المهرج ملك الجزائر والطيب والأفاويه مع سائر ملوك الهند ومع القنجب وغيره من ملوك الجبال مما قابل هذه الجزائر كالزابج وغيرها من بلاد الصين ، وأخبار ملوك الصين وملك سرنديب مع ملك مندورفين ، وهي بلاد مقابلة لجزيرة سرنديب كمقابلة بلاد قمان لجزائر المهرج من الزابج وغيرها ، وكل ملك تملك بلاد مندورفين يسمى القايدي ، وسنأتي بجمل من اخبار ملوك الشرق والغرب واليمن والحيرة فيما يرد من هذا الكتاب ومن اخبار ملوك اليمن والفرس والروم واليونانيين والمغرب وأنواع الاحابيش والسودان وملوك الصين ولد يافت ، وغير ذلك من أخبار العالم وعجائب الأمم [وعجائبه] .

ذكر جبل القبيخ [الفتح] وأخبار الأمم

من اللان والسرير والخزر وانواع الترك والبرغز وغيرهم
راخبار الباب والابواب ومن حولهم من الملوك والأمم

جبل القبيخ : أما جبل القبيخ فهو جبل عظيم ، وصقعه صقع
جليل ، قد اشتمل على كثير من الممالك والأمم ؛ وفي هذا الجبل
اثنان وسبعون أمة ، كل أمة لها ملك ولسان بخلاف لغة غيرها ،
وهذا الجبل ذو شعاب وأودية ، ومدينة الباب والأبواب على شعب
من شعابه ، بناها كسرى انو شروان وجعلها بينه وبين بحر الخزر ،
وجعل هذا السور من جوف البحر على مقدار ميل منه
ماداً الى البحر ، ثم على جبل القبيخ ماداً في أعاليه ومنخفضاته
وشعابه نحواً من أربعين فرسخاً ، الى ان يقتضي ذلك الى قلعة يقال
ها طبرستان ، وجعل على كل ثلاثة أميال من هذا السور أو أقل
أو أكثر على حسب الطريق الذي جعل الباب من أجله باباً من
حديد ، وأسكن فيه على كل باب من داخله أمة تراعي ذلك الباب
وما يليه من السور ، كل ذلك ليدفع أذى الأمم المتصلة بذلك الجبل
من الخرز واللان وانواع الترك والسرير وغيرهم من انواع الكفار ،
وجبل القبيخ يكون في المسافة علواً وطولاً وعرضاً نحواً من شهرين بل
وأكثر ، وحوله أمم لا يحصيهم إلا الخالق عز وجل ، احد شعابه على بحر
الخرز مما يلي الباب والأبواب على ما ذكرنا ، ومن شعابه مما يلي
بحر مايطس المقدم ذكره فيما سلف من هذا الكلام الذي ينتهي اليه
خليج القسطينية ، وعلى هذا البحر طرابزنده ، وهي مدينة على شاطئه
هذا البحر لها اسواق في السنة يأتي اليها كثير من الأمم للتجاره

من المسلمين والروم والأرمن وغيرهم من بلاد كَشْك ، ولما بنى
 أنوشروان هذه المدينة المعروفة بالبَاب والأبواب والسور في البر
 والبحر والجبل أسكن هناك أمماً من الناس وملوكاً ، وجعل لهم
 مراتب رتبتهم عليها ، ووسم كل أمة منهم بسمه معلومة ، وحدث له
 حدثاً معلوماً ، على حسب فعل أردشير بن بابك حين رتب ملوك
 خراسان ؛ فمن رتب منهم أنوشروان من الملوك في بعض هذه البقاع
 والمواضع مما يلي الإسلام من بلاد بردعة ملك يقال له شروان ،
 ومملكته مضافة إلى اسمه فيقال له شروان شاه ، وكل ملك يلي هذا
 الصقع يقال له : شروان ، وتكون مملكته في هذا الوقت - وهو سنة
 اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - نحواً من شهر ، لأنه كان تغلب على مواضع
 لم يكن رسمها له أنوشروان فأنضفت إلى مملكته ، والملك في هذا
 الوقت المؤرخ - والله اعلم - مسلم يقال له محمد بن يزيد وهو من ولد بهرام
 جور لا خلاف في نسبه وكذلك ملك السرير من ولد بهرام جور
 . كذلك صاحب خراسان في هذا الوقت المؤرخ من ولد اسماعيل بن
 احمد ، واسماعيل من ولد بهرام جور ، لا خلاف فيما ذكرنا من شهرة
 أنساب من ذكرنا ، وقد تملك محمد بن يزيد هذا وهو شروان على
 مدينة الباب والأبواب ، وذلك بعد موت صهر له يقال له عبد الملك
 [عبد الله] بن هشام ، وكان رجلاً من الانصار ، وكان فيه إمرة
 الباب والأبواب ، وقد كانوا قطنوا تلك الديار منذ دخلها مسلمة بن
 عبد الملك وغيره من امراء الاسلام في صدر الزمان .

الايوان : وتلي مملكة شروان مملكة اخرى من جبل القبيح يقال
 لها الإيران ، ومملكتها يدعى الإيران شاه ، وقد غلب على هذه المملكة في
 هذا الوقت شروان ايضاً ، وعلى مملكة اخرى يقال لها مملكة
 الموقانية ، والمعول في مملكته على مملكة اللكرز ، وهي أمة لا

تحصى كثرة ، ساكنة في أعالي هذا الجبل ، ومنهم كفار لا ينقادون الى ملك شروان يقال لهم الودانية جاهلية لا يرجعون الى ملك [لا يرجعون الى قبلة] ، ولهم اخبار طريفة في المناكح والمعاملات ، وهذا الجبل ذو أودية وشعاب وفجاج ، فيه أمم لا يعرف بعضهم بعضاً لخشونة هذا الجبل وامتناعه وذهابه في الجو وكثرة غياضه وأشجاره وتسلسل المياه من اعلاه وعظم صخوره وأحجاره ، وغلب هذا الرجل المعروف بشروان على ممالك كثيرة من هذا الجبل كان راسها كسرى أنو شروان لغيره ممن رتب هناك ، فأضافها محمد بن يزيد الى ملكه ، منها خراسان شاه وزادات شاه ، وسنذكر بعد هذا الموضع تغلبه على مملكة شروان ، وقد كان قبل ذلك على الايران هو وأبوه من قبل ، ثم على سائر الممالك .

طبرستان : وتلي مملكة شروان في جبل القبيح مملكة طبرستان ، وملكها في هذا الوقت مسلم ، وهو ابن أخت عبد الملك الذي كان أمير الباب والأبواب ، وهي أول الأمم المتصلة بالباب والأبواب . جيدان : وبيادي أهل الباب والأبواب مملكة يقال لها جيدان ، وهذه الأمة داخلة في جملة ملوك الخزر ، وقد كانت دار مملكتها مدينة على ثمانية أيام من مدينة الباب يقال لها سمندر ، وهي اليوم يسكنها خلق من الخزر ، وذلك انها افتتحت في بدء الزمان ، وافتتحتها سليمان بن ربيعة الباهلي رضي الله تعالى عنه ، فانتقل الملك عنها الى مدينة آمل ، وبينها وبين الأولى سبعة أيام ، وآمل التي يسكنها ملك الخزر في هذا الوقت ثلاث قطع يقسمها نهر عظيم يرد من أهالي بلاد الترك ويتشعب منه شعبة نحو بلاد البرغز [البلغر] وتصب في بحر مايطس ، وهذه المدينة جانبان ، وفي وسط هذا النهر جزيرة فيها دار الملك ، وقصر الملك في وسط [طرف] هذه

الجزيرة ، وبها جسر الى أحد الجانبين من سفن ، وفي هذه المدينة خلق من المسلمين والنصارى واليهود والجاهلية ؛ فأما اليهود فالملك وحاشيته والخزر من جنسه ، وكان تهود ملك الخزر في خلافة هرون الرشيد وقد انضاف اليه خلق من اليهود وردوا عليه من سائر أمصار المسلمين ومن بلاد الروم ، وذلك ان ملك الروم في وقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، وهو أرمنوس ، نقل من كان في ملكه من اليهود الى دين النصرانية وأكرههم ، وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب كيفية أخبار ملوك الروم ، وأعدادهم ، وأخبار هذا الملك ومن قد شاركه في ملكه في هذا الوقت المؤرخ ، فتهارب خلق من اليهود من ارض الروم الى أرضه على ما وصفنا ، وكان لليهود [وكان لتهود ملك الخزر] مع ملك الخزر خبر ليس هذا موضع ذكره ، وقد ذكرناه فيما سلف من كتبنا ؛ وأما من في بلاده من الجاهلية فأجناس : منهم الصقالبة ، والروس ، وهم في أحد جانبي هذه المدينة ويحرقون موتاهم ودواب ميتهم وآلاته والحلي ، واذا مات الرجل أحرقت معه امرأته وهي في الحياة ، وان ماتت المرأة لم يحرق الرجل ، وان مات منهم أعزب زوج بعد وفاته ، والنساء يرغبن في تحريق أنفسهن لدخولهن عند أنفسهن الجنة ، وهذا فعل من افعال الهند على حسب ما ذكرنا آنفاً ، إلا ان الهند ليس من شأنها ان تحرق المرأة مع زوجها الا أن ترى ذلك المرأة ، والغالب في هذا البلد المسلمون ، لانهم جنود الملك ، وهم يعرفون في هذا البلد بالارسية ، وهم ناقلة من نحو بلاد خوارزم ، وكان في قديم الزمان بعد ظهور الإسلام وقع في بلادهم جذب [حرب] ووباء ، فانتقلوا الى ملك الخزر ، وهم ذوو بأس وشدة ، وعليهم يعول ملك الخزر في حروبه ، وأقاموا في بلده على شروط بينهم ، أحدها :

اظهار الدين والمساجد والأذان ، وثانيها : ان تكون وزارة الملك فيهم ، والوزير في وقتنا هذا منهم هو احمد بن كويه ، وثالثها : أنه متى كان ملك الخزر حرب مع المسلمين وقفوا في عسكره منفردين عن غيرهم لا يجارون أهل ملتهم ، ويجارون معه سائر الناس من الكفار ، ويركب منهم مع الملك في هذا الوقت شخوص منهم سبعة آلاف ناشب بالجواشن والدروع والخوذ ، ومنهم راحة أيضاً على حسب ما في المسلمين من آلات السلاح ، ولهم قضاة مسلمون ، ورسم دار مملكة الخزر أن يكون فيها قضاة سبعة : اثنان منهم للمسلمين ، واثنان للخزر يحكمان بحكم التوراة ، واثنان لمن بها من النصرانية يحكمان بحكم النصرانية ، [بحكم الانجيل] ، وواحد منهم للصقالبة والروس وسائر الجاهلية يحكم بأحكام الجاهلية وهي قضايا عقلية ؛ فاذا ورد عليهم ما لا علم لهم به من النوازل العظام ، اجتمعوا الى قضاة المسلمين فتحاكموا اليهم وانقادوا الى ما توجبه شريعة الإسلام ، وليس في ملوك الشرق في هذا الصقع من له جند مرتزقة غير ملك الخزر ، وكل مسلم من تلك الديار يعرف بأسماء هؤلاء القوم اللارسية ، والروس والصقالبة الذين ذكرنا أنهم جاهلية هم جند الملك وعبيده ؛ وفي بلاده خلق من المسلمين تجار وصناع غير اللارسية فروا الى بلاده لعدله وأمنه ، ولهم مسجد جوامع ، والمنازة تشرف على قصر الملك ، ولهم مساجد أخرى فيها المكاتب لتعليم الصبيان القرآن ، فإذا اتفق المسلمون ومن بها من النصارى لم يكن للملك بهم طاقة .

مواسم خاقان : قال المسعودي : وليس إخبارنا عن ملك الخزر نريد به خاقان ، وذلك أن للخزر ملكا يقال له خاقان ، ورسمه أن يكون في يدي ملك آخر هو وغيره ، فخاقان في جوف قصر لا يعرف الركوب ولا الظهور للخاصة ولا للعامة ، ولا الخروج من مسكنه

معه حرمة ، لا يأمر ولا ينهى ، ولا يدبر من أمر الملكة شيئاً ، ولا تستقيم مملكة الخزر للملكهم إلا لخاقان يكون عنده في دار مملكته ، ومعه في حيزه ، فإذا أجدبت أرض الخزر أو ثابت بلدهم نائبة ، أو توجهت عليهم حرب لغيرهم من الامم ، أو فاجأهم أمر من الامور ، نفرت الخاصة والعامة إلى ملك الخزر ، فقالوا له : قد تطيرنا بهذا الخاقان وأيامه ، وقد تشاءمنا به ، فاقتله أو سلمه اليينا نقتله ، فربما سلمه اليهم فقتلوه ، وربما تولى هو قتله ، وربما رق له فدافع عنه ، لأن قتله بلا جرم استحقه ولا ذنب أتاها هذا رسم الخزر في هذا الوقت ، فلست أدري : أي قديم الزمان كان ذلك أم حدث ، وإنما منصب خاقان هذا من أهل بيت بأعيانهم أرى أن الملك كان فيهم قديماً ، والله أعلم .

نهر برطاس : وللخزر زوارق يركب فيها الركاب التجار في نهر فوق المدينة يصب إلى نهرها من أعاليها ، يقال له برطاس ، عليه أمم من الترك حاضرة داخلية في جملة ممالك الخزر ، وعمائرهم متصلة بين مملكة الخزر والبرغز ، يرد هذا النهر من نحو بلاد البرغز ، والسفن تختلف فيه البرغز والخزر .

أمة برطاس : وبرطاس أمة من الترك على ما ذكرنا على هذا النهر المعروف بهم ، ومن بلادهم تحمل جلود الثعالب السود والحمر التي تعرف بالبرطاسية ، يبلغ الجلد منها مائة دينار ، وأكثر من ذلك ، وذلك من السود ، والحمر أخفض ثمناً منها ، وتلبس السود منها ملوك العرب والمعجم ، وتتنافس في لبسه ، وهو أغلى عندهم من السمور والفنك وما شاكل ذلك ، وتتخذ الملوك منه القلائس والخفاف والدواويج ، ويتعذر في الملوك من ليس له خفان ودواج مبطن من هذه الثعالب البرطاسية السود .

وفي أعالي نهر الخزر مصب متصل بخليج من بحر نيطنس ، وهو بحر الروس ، لا يسلكه غيرهم ، وهم على ساحل من سواحلهم ، وهي أمة عظيمة جاهلية لا تنقاد إلى ملك ولا إلى شريعة ، وفيهم تجار يختلفون إلى ملك البرغز وللروس في أرضهم معدن الفضة كثير نحو مدن الفضة الذي يجبل بنجهر من أرض خراسان .

ومدينة البرغز على ساحل بحر مايطس ، وأرى أنهم في الاقليم السابع ، وهم نوع من الترك ، والقوافل متصلة بهم من بلاد خوارزم من أرض خراسان ، ومن خوارزم اليهم ، إلا أن ذلك بين بوادي غيرهم من الترك ، والقوافل مخفرة منهم . وملك البرغز في وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - مسلم ، أسلم في أيام المقتدر بالله ، وذلك بعد العشر والثلثمائة ، وذلك لرؤيا رآها ، وقد كان له ولد حج ، وورد مدينة السلام ، وحمل معه للمقتدر لواء وبنوداً ومالا ، ولهم جامع ، وهذا الملك غزا بلاد القسطنطينية في نحو خمسين ألف فارس فصاعداً ويشن الغارات حولها إلى بلاد رومية والاندلس وأرض برجان والجلالقة والافرنجة ، ومنهم إلى القسطنطينية نحو من شهرين متصلين عمائر ومفاوز ، وقد كان المسلمون - حين غزوا من بلاد طرسوس من الثغر الشامي مع أمير الثغور مثل الخادم المعروف بالزلفى ومن كان معه من مراكب الشاميين والبصريين سنة اثنتي عشرة وثلثمائة - قطعوا فم خليج القسطنطينية وفم خليج آخر من البحر الرومي لا منفذ له ، وانتهوا إلى بلاد فنديّة ، وأتاهم في البحر جماعة من البرغز ينجدونهم ، وأخبروهم أن ملكهم بالقرب ، وهذا يدل على ما وصفنا أن البرغز تتصل سراياها إلى ساحل بحر الروم ، وكان نفر منهم ركبوا في مراكب الطرسوسين ، فأتوا بهم إلى بلاد طرسوس ، والبرغز أمة عظيمة منيعة شديدة البأس ، ينقاد إليها من جاورها من الأمم ،

والفارسيين من قد أسلم مع ذلك الملك يقاتل المائة من الفرسان والمائتين من الكفار ، ولا يمتنع أهل القسطنطينية منهم في هذا الوقت إلا بسورها ، وكذلك كل من كان في هذا الصقع لا يعتصم منهم إلا بالحصون والجدران ، والليل في بلاد البرغز في نهاية من القصر في بعض السنة ومنهم من زعم أن أحدهم لا يستطيع أن يفرغ من طبع قدره حتى يأتي الصباح ، وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا علة ذلك من الوجه الفلكي ، وعلّة الموضع الذي يكون الليل فيه ستة أشهر متصلة لا نهار فيه ، والنهار ستة أشهر متصلة لا ليل فيه وذلك نحو الجدي ، وقد ذكر أصحاب النجوم في الزيجات علة ذلك من الوجه الفلكي .

الروس وأجناسهم : والروس أمم كثيرة وأنواع شتى ، ومنهم من يقال لهم اللوذعانة ، وهم الأكثرون ، يختلفون بالتجارة إلى بلاد الأندلس ورومية وقسطنطينية والخزر ، وقد كان بعد الثلاثمائة ورد عليهم نحو من خمسمائة مركب ، في كل مركب مائة نفس ، فدخلوا خليج نيطنس المتصل ببحر الخزر ، وهناك رجال ملك الخزر مرتبين بالعدد القوية يصدّون من يرد من ذلك البحر ، ومن يرد من ذلك الوجه من البر الذي شعبه من بحر الخزر تتصل ببحر نيطنس ، وذلك أن بوادي الترك الغز ترد إلى ذلك البر وتشتت هناك ، فربما يجمد هذا الماء المتصل من نهر الخزر إلى خليج نيطنس ، فتعبر الغز عليه بجيولها ، وهو ماء عظيم ، فلا ينخسف من تحتهم لشدة استبحاره ، فتغير على بلاد الخزر ، وربما يخرج اليهم ملك الخزر إذا عجز من هناك من رجاله المرتبين عن دفعهم ومنعهم العبور على ذلك الجمد ، وأما في الصيف فلا سبيل للترك إلى العبور ، فلما وردت مراكب الروس إلى رجال الخزر المرتبين على فم الخليج

راسلوا ملك الخزر في أن يجتازوا البلاد وينحدروا في نهره فيدخلوا
 نهر الخزر ويتصلوا ببحر الخزر الذي هو بحر جرجان وطبرستان
 وغيرها من بلاد الأعاجم على ما ذكرنا ، ويجعلوا لملك الخزر النصف
 بما يغمون من هناك من الأمم على ذلك البحر ، فأباحهم ذلك ،
 فدخلوا الخليج واتصلوا بمصب النهر فيه ، وساروا مُصْعِدِينَ في تلك
 الشعبة من الماء ، حتى وصلوا إلى نهر الخزر ، وانحدروا فيه إلى مدينة
 آمل ، واجتازوا بها وانتهوا إلى فم النهر ومصبه إلى البحر الخزري ،
 ومن مصب النهر إلى مدينة آمل ، وهو نهر عظيم وماء كثير ،
 فانتشرت مراكب الروس في هذا البحر ، وطرحت سراياها إلى
 الجبل والديلم وبلاد طبرستان وآبسكون وهي بلاد على ساحل
 جرجان وبلاد النفاطة ، ونحو بلاد أذربيجان وذلك أن من بلاد
 أردبيل من بلاد أذربيجان إلى هذا البحر نحو من ثلاثة أيام ،
 سفكت الروس الدماء واستباحت النسوان والولدان ، وغنمت
 الأموال ، وشتت الغارات وأخربت وأحرقت ، فضج من حول هذا
 البحر من الأمم ، لأنهم لم يكونوا يعهدون في قديم الزمان عدواً
 يطرقهم فيه ، وإنما تختلف فيه مراكب التجار والصيد ، وكانت لهم
 حروب كثيرة مع الجبل والديلم مع قائد لابن أبي الساج ، فانتهوا
 إلى ساحل النفاطة من مملكة شروان المعروفة بباكة ، وكانت الروس
 تأتي عند رجوعها من غاراتها إلى جزائر تقرب من النفاطة على
 أميال منها ؛ وكان ملك شروان يومئذ علي بن الهيثم ، فاستعد الناس ،
 وركبوا في القوارب ، ومراكب التجار ، وساروا نحو تلك الجزائر ،
 فمالت عليهم الروس ، فقتل من المسلمين وغرق ألوف ؛ وأقام الروس
 شهوراً كثيرة في هذا البحر على ما وصفنا لا سبيل لأحد ممن جاور
 هذا البحر من الأمم إليهم ، والناس مهتابون لهم [متاهبون لهم] ،

حذرون منهم ، لأنه بحر غامر لمن حوله من الأمم ، فلما غنموا
وسثموا ما هم فيه ساروا إلى قم نهر الخزر ومصبه ، فراسلوا ملك
الخزر وحملوا إليه الأموال والغنائم على ما اشترط عليهم ، وملك
الخزر لا مراكب له ، وليس لرجاله بها عادة ، ولولا ذلك لكان على
المسلمين منهم آفة عظيمة ، وعلم بشأنهم اللارسية ومن في البلاد الخزر
من المسلمين ، فقالوا لملك الخزر : خلنا وهؤلاء القوم فقد أغاروا على
بلاد إخواننا المسلمين ، وسفكوا الدماء ، وسبوا النساء والذراري ؛ فلم
يمكن الملك منهم ، وبعث إلى الروس فأعلمهم بما قد عزم عليه
المسلمون من حربهم ، وعسكروا ، وخرجوا يطلبونهم منحدرين مع
الماء ، فلما وقعت العين على العين ، خرجت الروس عن مراكبها ،
وصافثوا المسلمين ، وكان مع المسلمين خلق من النصارى من المقيمين
بمدينة آمل ، وكان المسلمون في نحو خمسة عشر ألفاً بالخيول والعدد ،
فأقام الحرب بينهم ثلاثة أيام ، ونصر الله المسلمين عليهم ، وأخذهم
السيف : فمن قتل ، وغريق ، ونجا منهم نحو خمسة آلاف ، وركبوا
في المراكب إلى ذلك الجانب مما يلي بلاد برطاس ، وتركوا مراكبهم
وتعلقوا بالبر ، فغنمهم من قتله أهل برطاس ، ومنهم من وقع إلى بلاد
البرغز إلى المسلمين فقتلوه ، وكان من وقع عليه الإحصاء ممن قتله
المسلمون على شاطئ نهر الخزر نحواً من ثلاثين ألفاً ، ولم يكن
للروس من تلك السنة عودة إلى ما ذكرنا .

قال المسعودي : وانما ذكرنا هذه القصة دفعا لقول من زعم أن
بحر الخزر متصل ببحر مايطس وخليج القسطنطينية من جهة بحر
مايطس ونيطس ، ولو كان لهذا البحر اتصال بخليج القسطنطينية من
جهة بحر مايطس او نيطس لكانت الروس قد خرجت فيه ، اذ
كان ذلك بحرهما على ما ذكرنا ، ولا خلاف بين من ذكرنا من تجاوز

هذا البحر من الأمم في ان بحر الاعاجم لا خليج له متصل بغيره من البحار ، لانه بحر صغير يحاط بعله ، وما ذكرنا من مراكب الروس فمستفيض في تلك البلاد عند سائر الأمم ، والسنة معروفة ، وكانت بعد الثلاثمائة . وقد غاب عني تاريخها ، ولعل من ذكر أن بحر الخزر متصل بخليج القسطنطينية يريد ان بحر الخزر هو بحر مايطن ونيطس الذي هو بحر البرغز والروس ، والله أعلم بكيفية ذلك .

وساحل طبرستان على هذا البحر ، وهناك مدينة يقال لها الهم ، وهي قرصة قريبة من الساحل ، وبينها وبين مدينة آمل ساعة من النهار ، وعلى ساحل جرجان مما يلي هذا البحر ، مدينة يقال لها آبسكون ، على نحو من ثلاثة أيام من جرجان ، وعلى هذا البحر الجبل والديلم ، وتختلف المراكب بالتجارات فيه الى مدينة آمل ، فيدخل في نهر الخزر اليها ، وتختلف المراكب فيه بالتجارات من المواضع التي سمينا من ساحله الى باكة ، وهي معدن النفط الابيض وغيره ، وليس في الدنيا - والله أعلم - نطف أبيض إلا في هذا الموضع ، وهي على ساحل مملكة شروان وفي هذه النفاطة أطمه وهي عين من عيون النار ، لا تهدأ على سائر الأوقات ، تتصرم الصعداء .

أطام النيران : ويقابل هذا الساحل في البحر جزائر : منها جزيرة على نحو ثلاثة أيام من الساحل فيها أطمه عظيمة تزفر في أوقات من فصول السنة فتظهر منها نار عظيمة تذهب في الهواء كاشمخ ما يكون من الجبال العالية فتضيء الأكثر من هذا البحر ويرى ذلك من نحو مائة فرسخ من البر ، وهذه الاطمه تشبه أطمه جبل البركان من بلاد صقلية من أرض الافرنجة ومن بلاد افريقية من أرض المغرب ، وليس في أطام الأرض أشد صوتاً ، ولا اسود دخاناً ، ولا

أكثر تلهباً ، من الاطمة التي في أعمال المهراج ؛ وبعدها اطمة وادي برهوت ، وهي نحو بلاد سبأ وحضرموت من بلاد الشحر ، وذلك بين بلاد اليمن وبلاد عمان ، وصوتها يسمع كالرعد من أميال كثيرة ، تقذف من قعرها يجر كالجبال وقطع من الصخور سود حتى يرتفع ذلك في الهواء ويدرك حساً من أميال كثيرة ، ثم ينعكس سفلاً فيهبوي الى قعرها وحولها ، والجمر الذي يظهر منها حجارة قد احمرت بما قد أحالها من مواد [سواه] بحرارة النار ، وقد أتينا على علة تكون عيون النيران في الأرض ، وما سبب موادها ، في كتابنا « أخبار الزمان » .

وصف نوع من البزاة : . وفي هذا البحر جزائر أخرى مقابلة لساحل جرجان ، يصاد منها نوع من البزاة البيضاء أسرع الضواري إجابة ، وأقلها معاشرة ، إلا أن في هذا النوع من البزاة شيئاً من الضعف ، لأن الصائد يصطادها من هذه الجزائر ، فيغذيها بالسماك ، فاذا اختلف عليها الغذاء عرض لها الضعف . وقد قال الجمهور من أهل المعرفة بالضواري وانواع الجوارح من الفرس والترک والزوم والهند والعرب : إن البازي اذا كان الى البياض في اللون فانه أسرع البزاة وأحسنها ، وأنبها أجساماً ، وأجرؤها قلوباً ، وأسبها رياضة ؛ وأقوى جميع البزاة على السمو في الجر ، وأذهبها الصعداء ، وأبعدها غاية في الهواء ، لأن فيها من حرف الحرارة وجراءة القلب ما ليس في غيرها من جميع أنواع البزاة ، وان اختلف الوانها لاختلاف مواضعها ، وإن من أجل ذلك خلصت البيض لكثرة الثلج في أرمينية وأرض الخزر وجرجان وما والاها من بلاد الترك .

وقد حكى عن حكيم من خواصين الترك - وهم الملوك المنقادة إلى ملكهم جميع ملوك الترك - أنه قال : إن بُزاة أرضنا إذا أسقطت أنفُس فراخها من الوعاء إلى الفضاء ، سميت في آخر الجوز إلى الهواء البارد الكثيف ، فأنزلت دواب تسكن هناك فتغذيها بها ، فلا تلبث أن تقوى وتنهض لاسراع الغذاء فيها ، وأنهم ربما وجدوا في أوكارها من تلك الدواب أشلاء .

وقد قال جالينوس : إن الهواء حار رطب ، والبرد يعرض فيه لقوة الرياح المرتفعة ولا يخلو الجو من نشاء فيه وساكن .

وعن بليناس أنه قال : واجب إذا كان لهذين الأسطعصين - يعني الأرض والماء - خلق وساكن أن يكون للأسطعصين الأعلىين - يعني الهواء والنار - خلق وساكن .

من أخبار هرون الرشيد : ووجدت في بعض أخبار هرون الرشيد أن الرشيد خرج ذات يوم إلى الصيد ببلاد الموصل ، وعلى يده باز أبيض ، فاضطرب على يده ، فأرسله ، فلم يزل يخلق حتى غاب في الهواء ، ثم طلع بعد الإياس منه ، وقد علق شيئاً فهوى به يشبه الحية أو السمكة ، وله ريش كأجنحة السمك ، فأمر الرشيد فوضع في طست ، فلما عاد من قنصه أحضر العلماء فسألهم : هل تطون للهواء ساكناً ؟ فقال مقاتل : يا أمير المؤمنين ، روينا عن جدك عبد الله بن عباس أن الهواء معمور بأمم مختلفة الخلق ، فيها سكان أقربها منا دواب تبيض في الهواء تفرخ فيه ، يرفعها الهواء الغليظ ويرببها حتى تنشأ في هيئة الحيات أو السمك ، لها أجنحة ليست بذات ريش تأخذها بُزاة بيض تكون بأرمينية ، فأخرج الطست إليهم ، فأراه الدابة ، وأجاز مقاتلاً يومئذ .

وقد أخبرني غير واحد من أهل التحصيل بمصر وغيرها من البلاد أنهم شاهدوا في الجو حيات تسمى كأمرع ما يكون من البرق بيض ، وأنها ربما تقع على الحيوان في الارض فتقتله [فتتلفه] ، وربما يسمع لطيرانها في الليل وحركتها في الهواء صوت ككشر ثوب جديد ، وربما يقول من لا علم له وغيره من البشر [من النسوان] : هذا صوت ساحرة تطير ، ذات أجنحة من قصب .

وللناس كلام كثير فيما ذكرنا ، واستدلواهم على هذا إنما هو بما يحدث في أسطقص الماء من الحيوان ، وأنه يجب على هذه القصة [القضية] أن يحدث ذلك بين العنصرين الخفيفين : وهما الهواء والنار نشو وحيوان كحدوثه بين الثقيلين وهما الارض والماء .

وصف الحكماء والملوك للبزة : قال المسعودي : وقد وصفت الحكماء والملوك البزة ، وأغربت في الوصف ، وأطنبت في المدح ، فقال خاقان ملك الترك : البازي شجاع مرید [مؤبد] ، وقال كسرى أنوشروان : البازي رفيق يحسن الإشارة [الاناة] ولا يؤخر الفرص إذا أمكنت ، وقال قيصر : البازي ملك كريم ، إن احتاج أخذ وإن استغنى ترك ، وقالت الفلاسفة : حسبك من البازي سرعة في الطلب وقوة على الرزق وفي السمو إذا طالت قوادمه وبعد ما بين منكبیه فذلك أبعد لغايته وأخف لسرعته ، ألا ترى إلى الصقور لا تزداد في غاياتها إلا بعداً وسرعة وقوة على التكرار ، وذلك لطول قوادمها مع كثافة أجسامها ، وإنما قصرت غاية البازي لقصر جناحيه ورقة جسمه ، فإذا طالت به الغاية أخره ذلك حتى تشتد نفسه ، ولا تؤتى الجوارح إلا من قصر القوادم ، ألا ترى أن الدراج والسيان والحجل وأشباهها حين قصرت قوادمها ، كيف قصرت غاياتها ؟ وقال أرسطجانس :

البازي طير عاري الحجاب ، وما يفوته في كسوره يزيد في أخمصه ورجليه ، وهو أضعف الطير جسماً ، وأقواها قلباً وأشجعها ، وذلك لفضله على سائر الطير بالجزء الذي فيه من الحرارة التي ليست في شيء منها ، ووجدنا صدورها منسوجة بالمصّب لا لحم عليها . وقال جالينوس مؤيداً لما ذهب إليه أرسطجانس : إن البازي لا يتخذ وكراً إلا في شجرة لفاء مشتبكة بالشوك مختلفة الحجمون بين شجر عسيّ [خشن] طلباً للكنّ ودفعها لألم الحر والبرد ، فاذا أراد أن يفرخ بني لنفسه بيتاً وسقفه تسقيفاً لا يصل إليه منه مطر ولا ثلج إشفاقاً على نفسه وفراخه من البرد والضر .

أول من لعب بالصقور : وذكر آدم بن محرز أن أول من لعب بالصقور الحارث بن معاوية بن ثور الكندي ، وهو أبو كندة ، وأنة وقف يوماً لقانص وقد نصب حباله للمصافير فانقضّ أكدرٌ على عصفور منها قد علق ، فعلقه الأكدر - وهو الصقر - ومن أسمائه أيضاً الأجدل ، فجعل يأكل العصفور وقد علق ، فعجب الملك فأتى به وهو يأكل العصفور ، فرمى به في كسر البيت ، فرآه قد دجن ولم يبرح مكانه ولم ينفر ، وإذا رمى إليه طعاماً أكله ، وإذا رأى لحماً نهض إلى يد صاحبه ثم دعى فأجاب فطعم على اليد ، وكانوا يتباهون بحمله ، إذ رأى يوماً حمامة فطار إليها من يد حامله فعلقها ، فأمر الملك باتخاذها والتصيد بها ، فبينما الملك يسير يوماً إذ تفجّت أرنب فطار الصقر إليها فأخذها ، فطلب بها الطير والارانب فقتلها ، واتخذها العرب بعده ، ثم استناضت في أيدي الناس .

قسطنطين والشواهين : فأما الشواهين فإن أرسطجانس الحكيم ذكر في كتاب كان وجه به إلى المهدي حل إليه من أرض الروم أهداه إليه

الملك أن ملكاً من ملوك الروم يقال له فسيان نظر يوماً إلى شاهين يهوي منحدرًا على طير الماء فيضربه ثم يسمو مرتفعاً في الهواء ، حتى فعل ذلك مراراً ، فقال : هذا طير ضارٍ تدلنا قوة انحداره على الطير في الماء أنه ضار ، وتدلنا سرعة ارتفاعه في جو السماء على أنه طير أبي ألوف [على أنه طير آبق] ، فلما رأى إلى حسن تكراره أعجبه ، فكان أول من اتخذ الشواهين .

وقد ذكر سعيد بن عبيس من هاشم بن خديج قال : خرج قسطنطين ملك عمورية متصيداً بالبزاة ، حتى انتهى إلى خليج نيطنس الجاري إلى بحر الروم فعبّر إلى مرج بين الخليج والبحر فسيح مديد ، فنظر إلى شاهين يتكفأ [ينقض] على طير الماء ، فأعجبه ما رأى من سرعته وضراوته ، ولم يدر الحيلة في صيده ، فأمر أن يصطاده ، فصرّاه ، وكان قسطنطين أول من لعب بالشواهين ، ونظر إلى ذلك المرج طويل البساط معروشاً بألوان الزهر ، فقال : هذا موضع حصين بين نهر وبحر ، وله سعة وامتداد يصلح أن يكون فيه مدينة ، فبنى فيه مدينة القسطنطينية ، وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا لملوك الروم قسطنطين بن هلاين هذا ، وما كان من خبره ، وهو المظهر لدين النصرانية ، وهذا الوجه أحد ما ذكر من السبب الداعي لبناء القسطنطينية .

وقد ذكر ابن غفير عن أبي زيد الفهري أنه كان من رتبة ملوك الاندلس اللندارقة أنه إذا ركب الملك منهم صارت الشواهين في الهواء مظلة لمسكره ، مخيمة على موكبه ، تنحدر عليه مرة وترتفع أخرى ، معلة لذلك ، فلا تزال على ما وصفتنا في حال مسيره حتى ينزل فتقع حوله ، إلى أن ركب يوماً ملك منهم يقال له

أزرق وصارت الشواهد معه على ما وصفتنا ، فاستثارت طائراً فانقض عليه شاهين فأخذه ، فأعجب بذلك الملك ، وضرها على الصيد ؛ فكان أول من تصيد بها بالمغرب وبلاد الأندلس .

قال المسعودي : وكذلك ذكر جماعة من أهل العلم بهذا الشأن أنه كان أول من لعب بالعقبان من أهل المغرب ، فلما نظرت الروم الى شدة أسرها وإفراط سلاحها ، قال حكماؤهم : هذه التي لا يقوم خيرها بشرها .

وذكر أن قيصر أهدى الى كسرى 'عقاباً' ، وكتب اليه يُعلمه أنها تعمل أكثر من عمل الصقر الذي أعجبه صيده ، فأمر بها كسرى فأرسلت على ظبي عرض له فدقته ، فأعجبه ما رأى منها ، فأنصرف مسروراً ، فجعها ليصيد [ليضربها] بها ، فوثبت على صبي له فقتلته ، فقال كسرى : وترنا قيصر في أولادنا بغير جيش ، ثم ان كسرى أهدى الى قيصر نمرأ ، وكتب اليه أنه يقتل الظباء وأمثالها من الوحش وكتب [وكتب] ما صنعت العقاب ، فأعجب قيصر حسن النمر وطابق صفته بوصف من الفهد ، وغفل عنه ، فافترس بعض فتيانه ، فقال : صادنا كسرى ، فإن كنا قد صدناه فلا بأس .

هذا ، وقد تغفل بنا الكلام عند ذكرنا لبحر جرجان وجزائره الى الكلام في أنواع الجوارح ، وسنذكر لَمَعاً من أخبار البزاة وأعداد أجناس الجوارح وأشكالها عند ذكرنا لملوك اليونانيين ، فلنرجع الآن الى ذكر الباب والأبواب ومن يلي السور من الأمم وجبل القبح ، وقد قلنا إن شر الملوك ممن جاورها من الأمم مملكة جيدان ، وملكهم رجل مسلم يزعم أنه من العرب من قحطان

ويعرف بسلفان في هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين . ثلثائة ،
وليس في مملكته مسلم غيره وولده وأهله ، وأرى أن هذه السمة
يسمى بها كل ملك لهذا الصقع ، وبين مملكة جيدان وبين الباب
والأبواب ، أناس من المسلمين عرب لا يحسنون شيئاً من اللغات غير
العربية في آجام هناك وغياض وأودية وأنهار كبار من قرى قد سكنوها ،
وقطنوا ذلك الصقع منذ الوقت الذي افتتحت فيه تلك الديار من
طراً من بوادي العوب إليها ، فهم مجاورون لمملكة جيدان ، إلا
انهم ممتنعون بتلك الأشجار والأنهار ، وهم على نحو ثلاثة أميال من
مدينة الباب والأبواب ، وأهل الباب يحذرونهم [ينجدونهم] .

ويلى مملكة جيدان مما يلي جبل القبيخ والسريير ، ملك يقال له
برزبان مسلم ، ويعرف بلده بالكرج ، وهم أصحاب الأعمدة ، وكل
ملك يلي هذه المملكة يدعى برزبان .

مملكة غميق : ثم يلي مملكة برزبان مملكة يقال لها [لها] غميق ، وأهلها
أناس نصارى لا ينقادون إلى ملك ، ولهم رؤساء ، وهم مهادنون
لمملكة اللان .

مملكة زريكوران : ثم يليهم مما يلي السريير والجبل مملكة يقال لها
زريكوران ، وتفسير ذلك عمال الزرد ، لأن أكثرهم يعمل الزرد
واليلب واللجم والسيوف وغير ذلك من أنواع الحديد ، وهم ذوو
ديانات مختلفة ، مسلمون ويهود ونصارى ، وبلدهم بلد خشن ، قد
امتنعوا بنخشونته على من جاورهم من الأمم .

مملكة السريير : ثم يلي هؤلاء مملكة السريير ومملكها يدعى
فيلان شاه ، يدين بدين النصرانية ، وقد ذكرنا فيما سلف من هذا
الكتاب أنه من ولد بهرام جور ، وسمي صاحب السريير لأن يزدجرد

- وهو الآخر من ملوك ساسان - حين ولي منهزماً قدم سريره الذهب وخزائنه وأمواله مع رجل من ولد بهرام جور ليسير بها إلى هذه المملكة فيحرزها هناك إلى وقت موافاته ، ومضى يزدجرد إلى خراسان فقتل هناك وذلك في خلافة عمر [عثمان بن عفان] رضي الله عنه ، على ما ذكرنا في هذا الكتاب وغيره من كتبنا ، فقطن ذلك الرجل في هذه المملكة ، واستولى عليها ، وصار الملك في عقبه ؛ فسمي صاحب السرير ، ودار مملكته تعرف بجمرج ، وله اثنا عشر ألف قرية يستعبد منهم من شاء ، وبلده بلد خشن منيع لحشونته ، وهو شعب من جبل القبيخ ، وهو يغير على الخزر مستظهِراً عليهم ، لأنهم في سهل وهو في جبل .

مملكة اللان : ثم تلي هذه المملكة مملكة اللان ، ومملكتها يقال له كركنداج ، هذا الاسم الأعم لسائر ملوكهم ، وكذلك فيلان شاه ، فهو الاسم الأعم لسائر ملوك السرير ودار مملكة ملك اللان يقال لها معص ، وتفسير ذلك الديانة [الدماعة] ، وله قصور ومنتزهات في غير هذه المدينة ينتقل في السكنى إليها ، وبينه وبين صاحب السرير مصاهرة في هذا الوقت ، وقد تزوج كل واحد منها بأخت الآخر ، وقد كانت ملوك اللان بعد ظهور الإسلام في الدولة العباسية اعتقدوا دين النصرانية ؛ وكانوا قبل ذلك جاهلية ، فلما كان بعد العشرين والثلاثمائة رجعوا عما كانوا عليه من النصرانية وطردها من قبلهم من الاساقفة والقسيسين ، وقد كان أنفدم اليهم ملك الروم .

وبين ملكة اللان وجبل القبيخ قلعة وقنطرة على واد عظيم يقال لهذه القلعة قلعة باب اللان ، بنى هذه القلعة ملك في قديم الزمان من الفرس الأوائل يقال له اسبنديار بن يستاسف بن بهراسب ،

ورقب في هذه القلعة رجالا يمنعون اللان عن الوصول الى جبل القبيخ ، ولا طريق لهم إلا على هذه القنطرة من تحت هذه القلعة ، والقلعة على صخرة صماء لا سبيل إلى فتحها والوصول إليها إلا بإذن من فيها ، ولهذا القلعة المبنية على أعلى هذه الصخرة ، عين من الماء عذبة تظهر في وسطها من أعلى هذه الصخرة ، وهذه القلعة إحدى قلاع العالم الموصوفة بالمنعة ، وقد ذكرتها الفرس في أشعارها ، وما كان لإسبنديار ابن يستاسف في بنائها ، ولاسبنديار في الشرق حروب كثيرة مع أصناف من الأمم ، وهو السائر الى بلاد الترك ، فخرّب مدينة الصفر ، وكانت من المنعة بالموضع العظيم الذي لا يُرام ، وبها تضرب الفرس الأمثال ، وما كان من أفعال إسبنديار وما وصفنا فمذكور في الكتاب المعروف بكتاب البنكش ، نقله ابن المقفع الى لسان العرب ، وقد كان مسلمة بن عبد الملك بن مروان حين وصل إلى هذا الصقع ووطئ أهله أسكن في هذه القلعة أناساً من العرب الى هذه الغاية يحرسون هذا الموضع ، وربما يحمل اليهم الرزق وأقوات من البر من ثغر تفليس ، وبين تفليس وهذه القلعة مسيرة خمسة أيام ، ولو كان رجل واحد في هذه القلعة لمنع سائر الملوك الكفار أن يجتازوا بهذا الموضع ، لتعلقها بالجو وإشرافها على الطريق والقنطرة والوادي ، وصاحب اللان يركب في ثلاثين ألف فارس ، وهو ذو منعة وبأس شديد وذو سياسة بين الملوك ، ومملكته عمائر متصلة غير منفصلة ، إذا تصايحت الديوك تجاوبت في سائر مملكته لاشتباك العائر واتصالها .

أمة كشمك ، ثم يلي مملكة اللان أمة يقال لها كشمك ، وهم بين جبل القبيخ وبحر الروم ، وهي أمة مطيعة [نظيفة] منقادة إلى دين الجوسية ، وليس فيمن ذكرنا من الأمم في هذا الصقع أنقى أبقاراً ،

ولا أصفى ألواناً ، ولا أحسن رجلاً ، ولا أصبح نساءً ، ولا أقوم قدوداً ، ولا أدق أخصاراً ، ولا أظهر أكفالا وأردافاً ، ولا أحسن شكلاً من هذه الأمة ، ونساؤهم موصوفات بلذة الخلوات ، ولباسهم البياض والديباح الرومي والسفلاطوني وغير ذلك من أنواع الديباح المذهب ، وبأرضهم أنواع من الثياب يصنع منها القنب ، فيها نوع يقال له الطلى أرق من الدبقي وأبقى على الكد ، يبلغ الثوب عشرة دنانير ، ويحمل إلى ما يليهم [إلى ما بينهم] من الإسلام ، وقد تحمل هذه الثياب من جاورهم من الأمم إلا أن الموصوف منها ما يحمل من قبل هؤلاء .

واللان مستظهرة على هذه الأمة ، لا تقتصف هذه الأمة من اللان ، إلا أنها تمتنع من اللان بقلاعها على ساحل البحر ، وقد تنوزع في البحر الذي هم عليه ، فمن الناس من يرى أنه بحر الروم ، ومنهم من يرى أنه بحر نيطس ، إلا أنهم يقربون في البحر من بلاد طرابزنده ، والتجارة تتصل بهم منها في المراكب ، وتتجهز من قبلهم أيضاً ، والعملة في ضعفهم عن اللان تركهم أن يملكوا عليهم ملكاً يجمع كلمتهم ، ولو اجتمعت كلمتهم لم يطبقهم اللان ولا غيرها من الأمم ، وتفسير هذا الاسم وهو فارسي إلى العربية التيه والصلف ، وذلك أن الفرس إذا كان الإنسان يائها صلفاً قالوا كشك .

وتلي هذه الأمة التي على هذا البحر أمة أخرى يقال لبلادهم : السبع بلدان ، وهي أمة كبيرة ممتنعة بعيدة الدار لا أعلم ملتها ، ولانمي إلى خبرها في دينها .

ارم ذات العماد : وتليها أمة عظيمة بينها وبين بلاد كشك نهر عظيم كالفرات يصب إلى بحر الروم ، وقيل : إلى بحر نيطس ، ويقال

لدار مملكة هذه الأمة إرم ذات العماد ، وهم ذوو خلق عجيب ، وآراؤها جاهلية ، ولهذا البلد على هذا البحر خبر ظريف وذلك ان سمكة عظيمة تأتيهم في كل سنة فيتناولون منها ، ثم تعود ثانية فتتوجه نحوهم من الشق الآخر فيتناولون منها ، وقد عاد اللحم على الموضع الذي أخذ منه أولاً ، وخبر هذه الأمة مستفيض في تلك الديار من الكفار .

ويلي هذه الأمة أمة بين جبال أربعة ، كل جبل منها ممتنع ذاهب في الهواء وبين هذه الجبال الأربعة من المسافة نحو من مائة ميل صحراء ، في وسط تلك الصحراء دارة مقورة [منقورة] كأنها قد خطت ببيكار ، وشكل دائرتها خسفة مجوفة [منحوتة] في حجر صلد منخفض كما تدور الدائرة ، استدارة تلك الخسفة نحو خمسين ميلاً قطع قائم يهوي سفلاً كعائط مبني من سفلى إلى علو يكون قعره على نحو من ميلين ، لا سبيل إلى الوصول إلى مستوى تلك الدارة ، ويرى فيها بالليل نيران كثيرة في مواضع مختلفة ، وبالنهار يرى قرى وعمائر وأنهار تجري بين تلك القرى وناس وبهاثم ، إلا أنهم يرون لطاف الأجسام لبعده قعر الموضع ، لا يدرى من أي الأمم هم ، ولا سبيل لهم إلى الصعود إلى جهة من الجهات ، ولا سبيل لمن فوق إلى النزول إليهم بوجه من الوجوه ، ووراء تلك الجبال الأربعة على ساحل البحر ، خسفة أخرى قريبة القعر ، فيها آجام وغياض ، فيها نوع من القروود منتصبه القامات ، مستديرة الوجوه ، والأغلب عليها صور الناس وأشكالهم ، إلا أنهم ذوو شعر ، وربما وقع في النادر القرد منها إذا احتيل في اصطياده ، فيكون في نهاية الفهم والدراية ، إلا أنه لا لسان له فيعبر بالنطق ؛ ويفهم كل ما يخاطب به بالإشارة ، وربما حمل الواحد منها إلى ملوك الأمم من

هناك فتعلمه القيام على رهوسها بالمذاب على موائدها ، لما في القرد من الخاصة بمعرفة السموم من المأكول والمشرب ، ويلقي الملك له من طعامه ، فإن أكله ، أكل الملك منه ، وإن اجتنبه علم أنه مسموم فحذر منه ، وكذلك فعل الأكثر من ملوك الهند والصين في القردة ؛ وقد ذكرنا في هذا الكتاب خبر وفد الصين حين وفدوا على المهدي ، وما ذكروا له مما في القرد من منافع ملوكهم به عند الطعام ، وذكرنا خبر القروود باليمن ، واللوح الحديد الذي كتبه سليمان بن داود عهدا للقروود باليمن ، وما كان من أمرهم مع عامل معاوية بن أبي سفيان ، وما كتب به في أمرهم ، ووصف القرد العظيم الذي كان في رقبة اللوح الحديد ، وليس في قروود العالم أفطن من هذا النوع ، ولا أخبت ، وذلك أن القردة تكون في بقاع الأرض الحارة : فمنها بأرض النوبة وأعلى بلاد الأحابيش بما يلي أعالي مصب النيل وهي القروود المعروفة بالنوبية ، وهي صغيرة للقد ، صغيرة الوجوه ، ذات سواد غير حالك كأنه نوبي ، وهو الذي يكون مع القراءدين ، ويصعد على رمح فيصير على أعلاه ، ومنها ما يكون في ناحية الشمال في آجام وغياض نحو أرض الصقالية وغيرها ممن هناك من الأمم ، كنعو ما وصفنا من هذا النوع من القروود ، وقرب شكله من صورة الإنسان ومنها بخلجانا بلاد الزابج في الصين وفي مملكة المهرائج ملك الجزائر ، وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أن ملكه يوازي ملك الصين ، وهو بين مملكة البلهرا وملك الصين ، وهذه القروود مشهورة في هذا الصقع معروفة بالكثرة في هذه الخلجانا ، وهي ذات صور تامة ، وقد كان حمل إلى المقتدر منها ، وجاءت في سلاسل عظام ، وكان في القروود ذوو لحى وسبال كبار وشيوخ وشبان ، مع أنواع من الهدايا

من عجائب البحر ، حمل ذلك أحمد بن هلال أمير عمان يومئذ ، وهذه القروود أمرها مشتهر عند البحريين من أهل سيرا ف وعمان من مختلف إلى بلاد كلة والزابع ، وكيف تأتي بالحيلة لصيد التماسيح من جوف الماء ، على أن الجاحظ قد ذكر أن التماسيح لا تكون إلا بنيل مصر ونهر مهران السند ، وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب ما قيل في ذلك ، وأخبرنا عن مواضع التماسيح ، فأما اليمن فلا تناكر بين من دخله في أن القروود منه في مواضع كثيرة لا يحصرها عدد لكثرتها : فمنها في وادي نخلة ، وهي بين بلاد الجند وبلاد زبيد التي أميرها في هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - إبراهيم بن زياد صاحب الحرمي ، وبين هذا الوادي وبين زبيد يوم ، وبينه وبين الجند يوم أو أكثر من ذلك ؛ وهذا الوادي كثير العماير ، ومصاب المياه إليه كثيرة ، وشجر الموز فيه كثير ، والقروود فيه كثيرة ، وهو بين جبلين ، والقروود قطمان ، كل قطع منها يسوقه هرز ، والهرز : الذكر العظيم كالفعل العظيم المقدم فيها ، وقد تلد القردة في بطن واحدة عدة من القروود نحو العشرة والاثني عشر ، كما تلد الخنزيرة خنايص كثيرة ، وتحمل القردة البعض من أولادها كحمل المرأة ولدها ، ويحمل الذكر باقيهن ؛ ولهن أندية ومجالس يجتمع فيها خلق منهن ، فيسمع لهن حديث ومخاطبات وهممة ، والإناث كالنساء متعيزات عن الذكور ، فإذا سمع السامع محادثتهن وهو لا يرى أشخاصهن بين تلك الجبال وأشجار الموز ، وذلك بالليل ، لم يشك أنهم أناس لكثرتهم بالليل والنهار ، وليس في جميع البقاع التي تكون فيها القروود أحسن ولا أخبت ولا أسرع قبولا للتعليم من قردة اليمن ، وأهل اليمن يسمون القرد الرباح ، ولهم جَم للذكور والإناث قد سرحت ومنها سود كاسود ما يكون

من الشعر ، وإذا جلسوا يجلسون مراتب دون مرتبة الرئيس ، ويتشبهون في سائر أعمالهم بالناس ، ومن القردة باليمن ببلاد مأرب بين بلاد صنعاء وقلعة كهلان ما يكون في براري وجبال هنالك كأنها السحب في تلك البراري والجبال لكثرتها ، وكهلان هذه قلعة من مخاليف اليمن فيها أسعد بن يعفور ملك اليمن في هذا الوقت ، يُمَحْتَجَبُ عن الناس إلا عن خواصه ، وهو بقية من ملوك حمير ، وحوله من الجنود من الخيل والرجال نحو خمسين ألفاً مرتزقة يقبضون الرزق في كل شهر ، ويدعى وقت القبض البركة ، فيجتمعون هناك ويتحذرون وينحذرون من تلك المخاليف ؛ والمخاليف : القلاع ؛ وقد كانت لهذا الرجل حروب باليمن مع القرامطة وصاحب المذبحرة ، وهو علي بن الفضل ، وذلك بعد السبعين والمائتين ، وقد كان لعلي باليمن شأن عظيم حتى [حين] قتل ، وتوطأت اليمن لهذا الرجل ؛ وباليمن للقروود مواضع كثيرة ، وكذلك في بقاع من الأرض أعرضنا عن ذكرها ، إذ كنا قد أتينا على علة نكونها في بعض البقاع دون بعض من الأرض ، وأخبار النسناس في كتابنا « أخبار الزمان » ، وكذلك الأخبار عن المرابيد ، وهو نوع كالحيات تكون ببلاد حجر اليمامة فيما زعموا ، واحدها عربيد ، وقد كان المتوكل في بدء خلافته سأل حنين بن إسحاق أن يتأني له في حمل أشخاص من النسناس والعربيد ، فلم يسلم منهم إلى سُرٍّ مَنْ رأى إلا اثنان من النسناس ، ولم تتأت له الحيلة في حمل العربيد من اليمامة ، وذلك أن العربيد هذا إذا خرج عن اليمامة وصار إلى موضع منها معروف المسافة ، عدم من الوعاء الذي حمل فيه ، وأهل اليمامة ينتفعون به لمنع الحيات والعقارب وسائر الهوام ، كمنفعة أهل سجستان بالقنafd ، ولذلك كان في عهد أهل سجستان القديم ألا يقتل قنفذ ببلدهم ، لأنه بلد كثير الرمال

بناه ذو القرنين في مطآفه ، وحوله جبال كثيرة من الرمل قد سكرت بالخشب والقصب ، والبلد كثير الافاعي والحيات جداً ، فلولا كثرة القنافذ لتلف من هناك من الناس ، وكذلك أهل مصر في صعيدها وغيره ، لهم دويبة يقال لها العرانس أكبر من الجرذ وأصغر من ابن عرس ، حمراء بيضاء البطن ، لولا هذه الدويبة لغلّب على أهل مصر الثعابين ، وهي نوع من الحيات عظيمة ؛ فينطوي الثعبان على هذه الدويبة ويلتف بها ، فترخي عليه الريح فينقطع الثعبان من ريجها ، هذه خاصية هذه الدابة ، وفي الشرق أنواع من الخواص في برّه وبحره وحيوانه ونباته وجماده ، وكذلك في الغرب واليمن [اليمين] وهو الجنوب ، والجدي [والحرمي] وهو الشمال ، وقد ذكرنا طبع كل واحد من هذه الأرباع ؛ ففي ذكرها في هذا الباب خروج عن الغرض الذي يمتد نحوه

فلنرجع الآن إلى ما كنا فيه آنفاً من ذكر الأمم المحيطة بالباب والأبواب والسور وجبل القبيخ وبلاد الخزر واللان ، فنقول :

إنه يلي بلاد الخزر واللان فيما بينهم وبين المغرب أمم أربع : ترك ترجع إلى أب واحد في بدء أنسابهم ، حضر وبدو ، وفوو منعة وبأس شديد ، لكل أمة منها ملك ، مسافة مملكته أيام ، متصلة بمالكهم بعضها ببحر نيطنس ، وتتصل عماراتها بمدينة [وتتصل غاراتهم ببلاد رومية] رومية ، وما يلي بلاد الأندلس ، مستظهرة على سائر ما هنالك من الأمم ، وبينهم وبين ملك الخزر مهادنة ، وكذلك مع صاحب اللان ، وديارهم تتصل ببلاد الخزر ، فالجيل الأول منهم يقال له يحيى [يحيى] ، ثم تليها أمة ثانية يقال لها يجفرد ، ثم تليها أمة يقال لها يحنك ، وهي أشد هذه الأمم الأربعة بأساً ، ثم تليها أمة

ثانية يقال لها نوكرده وملوكهم بدو ، وكان لهم حروب مع الروم بعد العشرين والثلاثمائة ، أو فيها ، وقد كان للروم في نحو أرضهم ، فيما يلي من ذكرنا من هذه الأجناس الأربعة ، مدينة عظيمة يونانية يقال لها ولندر ، فيها خلق من الناس ومنتعة بين الجبال والبحر فكل من فيها مانع لمن ذكرنا من الأمم ، ولم يكن لهؤلاء الترك سبيل الى أرض الروم لمنع الجبال والبحر ايام ، ومن في هذه المدينة ، وكان بين هؤلاء الأجناس حروب لخلاف وقع بينهم على رأس رجل مسلم تاجر من أرض اردبيل ، كان نازلا على أرض بعضهم ، فاستضافه ناس من الجبل الآخر ، فاختلفت الكلمة ، وأغار من في ولندر من الروم على ديارهم وهم عنها خلوف ، فسبوا كثيرا من الذرية ، وساقوا كثيرا من الأموال ، ونمي ذلك اليهم وهم مشاغيل في حربهم ، فاجتمعت كلمتهم ، وتواهبوا ما كان بينهم من الدماء ، وعمد القوم جميعهم نحو مدينة ولندر ، فساروا اليها في نحو من ستين الف فارس ، وذلك على غير احتفال منهم ولا تجمع ، ولو كان ذلك لكانوا في نحو من مائة الف فارس ، فلما نمي خبرهم الى ارمنوس ملك الروم في هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، سير اليهم اثنا عشر الف فارس من المنتصرة على الخيول بالرماح في زي العرب ، وأضاف اليهم خمسين الف فارس من الروم ، فوصلوا الى مدينة ولندر في ثمانية ايام ، وعسكروا وراءها ، ونازلوا القوم ، وقد كانت الترك قتلت من اهل ولندر خلقا كثيرا من الناس ، وامتنع اهلها بسورهم الى ان اتاهم هذا المدد ، ولما صح عند الملوك الأربعة من سار اليهم من المنتصرة والروم ، بعثوا الى بلادهم فجمعوا من كان قبلهم [من كان معهم] من تجار المسلمين ممن يطرأ الى بلادهم من نحو بلاد الحزر والباب واللان وغيرهم ، وفي هؤلاء الأجناس الأربعة من قد

أسلم ، وهم غير مغالطين لهم الا عند حروب الكفار ، فلما تصاف القوم وبرزت المنتصرة أمام الروم ، خرج اليهم من كان قبلاً الترك من التجار المسلمين فدعوم الى ملة الاسلام ، وأنهم إن دخلوا في أمان الترك أخرجوم من بلادهم الى أرض الإسلام ، فأبوا ذلك ، وتواقف الفريقان في ذلك الوقت ، فكانت للمنتصرة والروم على الترك ، لأنهم كانوا في الكثرة أضعاف الترك ، وباتوا على مصافتهم ، وتشاور ملوك الترك الأربعة ، فقال لهم ملك يحنك : قلدوني التدبير في غداة غد ، فأنعموا له بذلك ، فلما أصبح جعل في جناح الميمنة كراديس كثيرة ، كل كردوس منها ألف ، وكذلك في جناح الميسرة ، فلما تصاف القوم خرجت الكراديس من ناحية الميمنة ، فرشقت في قلب الروم فصارت الى الميسرة ، وخرجت كراديس الميسرة ، فرشقت في قلب الروم فصارت الى موضع من خرج من جناح الميمنة ، واتصل الرمي ، واتصلت الكراديس كالرحى ، والقلب والميمنة والميسرة للترك ثابتة ، والكراديس تعمل عليها في اللفيق [ألف ألف] ، وذلك أن من خرج من كراديس الترك من جناح ميمنتهم كان يبتدىء فيرمي في جناح ميسرة الروم ، ويمر بميمنتهم فيرمي وينتهي الى القلب ، وما يخرج من كراديسهم من جناح الميسرة يرمي في جناح ميمنة الروم ، وينتهي الى الميسرة فيرمي ، وينتهي الى القلب فيرمي ، فيكون ملتقى الكراديس في القلب دائراً على ما وصفنا ، فلما نظرت المنتصرة والروم الى ما لحقهم من تشوش في صفوفهم ، وتواتر الرمي عليهم ، حملوا على القوم مشوشين في مصافهم فصادفوا صفوف الترك ثابتة فأخرجت لهم الكراديس ، فرشقتهم الترك كلها رشقاً واحداً ، فكان ذلك الرشق سبب هزيمة الروم ، وعقبهم الترك [وغلبت الترك ..]

بعد الرشق بالحملة على صفوفهم وهم غير متشوشين عما كانوا عليه من التعبئة ، وركضت الكراديس من اليمين والشمال ، وأخذ القوم السيف ، واسود الأفق ، وكثر صياح الخيل ، فقتل من الروم والمتنصرة نحو من ستين ألفاً حتى كان يصعد الى سور المدينة على جثثهم ، فافتتحت المدينة ، وأقام السيف يعمل فيها أياماً ، وسي أهلها ، وخرج عنها الترك بعد ثلاثة أيام يؤمون القسطنطينية ، ثم توسطوا العماثر والمروج والضياع قتلاً وأسراً وسبياً ، حتى نزلوا على سور القسطنطينية ، فأقاموا عليها نحواً من أربعين يوماً يبيعون المرأة والصبي منهم بالخرقة والثوب من الديباج والحرير ، وبذلوا السيف في الرجال فلم يبقوا على أحد منهم ، وربما قتلوا النساء والولدان ، وشنئوا الغارات في تلك الديار ، فاتصلت غاراتهم بأرض الصقالبة ورومية ، ثم اتصلت غاراتهم في هذا الوقت الى نحو بلاد [إلى نحو ثغور] الأندلس والإفرنجية والجلالقة ، فغارات من ذكرنا من الترك متصلة الى أرض القسطنطينية وما ذكرنا من الممالك الى هذه الغاية .

أمة الأبخاز : فلنرجع الان إلى ذكر جبل القبخ والسور والباب والأبواب ، إذ كنا قد ذكرنا جملاً من أخبار الأمم القاطنة في هذا السقع ، فمن ذلك أن أمة تلي بلاد اللان يقال لها الأبخاز منقادة إلى دين النصرانية ، ولها ملك في هذا الوقت ، وملك اللان مستظهر عليهم ، وهم متصلون بجبل القبخ ، ثم يلي ملك الأبخاز ملك الجورية ، وهي امة عظيمة منقادة إلى دين النصرانية تدعى خزران ، ولها ملك في هذا الوقت يقال له الطبيعي ، وفي مملكة هذا الطبيعي موضع يعرف بمسجد ذي القرنيز ، وكانت الأبخاز والخزرية تؤدي الجزية إلى صاحب ثغر تفليس منذ فتحت تفليس وسكنها المسلمون إلى أيام المتوكل ؛ فإنه كان بها رجل يقال له إسحاق بن إسماعيل ، وكان

مستظهِراً بمن معه من المسلمين على من حوله من الأمم ، وهم منقادون إلى طاعته وأداء الجزية إليه ، وعلا أمر من هناك من الأمم حتى بعث المتوكل بعثاً فنزل على ثغر تفلّيس ، وأقام عليها محارباً حتى اقتتحمها بالسيف ، وقتل اسحاق بن اسماعيل لأن اسحاق بن اسماعيل كان متغلباً على الناحية ، وكانت له أخبار يطول ذكرها ، وهي مشهورة في أهل ذلك الصقع وغيرهم ممن عني بأخبار العالم ، وأراه رجلاً من قريش من بني أمية أو مولى لاحقاً ، فانخرقت هيبة المسلمين من ثغر تفلّيس من ذلك الوقت إلى هذه الغاية ، فامتنع من جاورهم من الممالك من الإذعان لهم بالطاعة ، واقتطعوا الأكثر من ضياع تفلّيس ، وانقطع الوصول من بلاد الاسلام إلى ثغر تفلّيس بين هؤلاء الامم من الكفار ، إذ كانت محيطة بذلك الثغر ، وأهلها ذوو قوة وبأس شديد ، وإن كان ما ذكرنا من الممالك محيطة بهم .

ثم تلي مملكة خزران مملكة يقال لها الصمصغي ، نصارى وفيهم جاهلية لا ملك لهم ؛ ثم تلي مملكة هؤلاء الصمصغية بين ثغر تفلّيس وقلعة باب اللان المقدم ذكرها مملكة يقال لها الصنارية [الصنبارية] ، وملكهم يقال له كرسكوس ، هذا الاسم الأعم لسائر ملوكهم ، وينقادون إلى دين النصرانية ، وهؤلاء النصرانية [الصنبارية] يزعمون انهم من العرب من نزار بن معد ، من مضر ، وانهم فنخذ من عقيل ، سكنوا هنالك من قديم الزمان ، وهم هناك مستظهِرون على كثير من الأمم ، ورأيت ببلاد مأرب من أرض اليمن أناساً من عقيل مخالفة [مخالفة] لمذحج ، لا فرق بينهم وبين أحلافهم [أخلافهم] ، لاستقامة كلمتهم ، فيهم خيل كثيرة ومنعة ، وليس في اليمن كلها قوم من نزار بن معد غير هذا الفخذ من عقيل ، إلا ما ذكر من ولد أنمار بن نزار بن معد ، ودخولهم في اليمن حسب ما ورد

الخبر ، وهو ما كان من خبر جرير بن عبد الله البجلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وما كان من خبر بجيلة ، والصنارية يزعمون أنهم افترقوا في قديم الزمان هم ومن سمينا من عقيل ببلاد مأرب في خبر طويل .

مملكة شكين : ثم تلي مملكة الصنارية مملكة شكين ، وهم نصارى وفيهم خلق من المسلمين من التجار وغيرهم من ذوي المهن ، ويقال لملكهم في هذا الوقت المؤرخ به كتابنا : آزر بن نبيه بن مهاجر .

مملكة قبيلة : ثم تليهم مملكة قبيلة ، وما حوت المدينة منها مسلمون ، وما حولها من العماثر والضياع نصارى ، ويقال لملكهم في هذا الوقت المؤرخ به كتابنا هذا عنبة الأعور ، وهو مأوى اللصوص والصعاليك والدُّعار .

مملكة الموقان : ثم تلي هذه المملكة مملكة الموقان ، وهي التي قدمنا ذكرها ، وأنها مُتغلبٌ عليها ، وانها مضافة إلى مملكة شروان شاه ، وليس هذا البلد المعروف بالموقانية هو الملك الذي على ساحل بحر الخزر ، وقد كان محمد بن يزيد المعروف بشروان شاه في هذا الوقت ملك إيران شاه هو ومن سلف من آباءه ، وكان ملك شروان شاه علي بن الهيثم ، فلما ملك علي ، تغلب محمد علي شروان شاه على حسب ما ذكرنا آنفاً ، بعد أن قتل عمومة له واحتوى على ما ذكرنا من الممالك ، وله قلعة لا يذكر في قلاع العالم أحسن منها في جبل القبخ .

وللباب أخبار كثيرة من أخبار الأبنية العجيبة التي بناها كسرى ابن قباد بن فيروز - وهو أبو كسرى انوشروان - في الموضع المعروف بالمسقط من المدينة بالحجارة والحيطان التي بناها ببلاد شروان المعروف

بسور الطين وسور الحجارة المعروف بالبرمكي وما يتصل ببلاد
برذعة - أعرضنا عن ذكرها ، إذ كنا قد أتينا على ذلك فيما سلف
من كتبنا .

وأما نهر الكر فيبتدىء من بلاد خزران من مملكة جرجين
[جرجير] ، ويمر ببلاد أنخاز حتى يأتي نهر تفليس ، ويشق في
وسطه ، ويمر في بلاد السياوردية حتى ينتهي على ثمانية [ثلاثة]
أميال من برذعة ، ويمر إلى برداج من أعمال برذعة ، ثم يصب
فيه مما يلي الصنارة نهر الرس ، ويظهر من أقاصي بلاد الروم من نحو
مدينة طرابزنده حتى يجيء إلى الكر ، وقد صار فيه نهر الرس ،
فيصب في بحر الخزر ، ويمر بين بلاد البدين - وهي بلاد
بابك الخرمي - من أرض أذربيجان وجبل أبي موسى من بلاد
الران ، ويمر ببلاد ورتان ، وينتهي إلى حيث وصفنا ، وقد أتينا على
وصف هذه الأنهار أيضاً ، والنهر المعروف بأسيذروج ، وتفسير ذلك
النهر الأبيض على القديم والتأخير بين اللغتين وهي الفارسية والعربية ،
ومره وجريانه في أرض الديلم نحو قلعة سار ، وهو ابن أسوار
الديلمي بعض ملوك الديلم ، وقد ظهر في هذا الوقت المؤرخ به
كتابنا ، تغلب بلاد أذربيجان ، ثم يمر هذا النهر من الديلم إلى الجبل ،
ويصب فيه نهر آخر في بلاد الديلم ، يقال له : ساهان رود ،
فينتهي مصب الجميع إلى بحر الجبل . وهو بحر الديلم والخزر وغيرهم
من ذكرنا من الأمم المحيطة بهذا البحر ، وعلى هذه الأنهار أكثر
هؤلاء الديلم والجبل الذين قد ظهروا وتغلبوا على كثير من الأرض .

فإذ قد قدمنا من أخبار بلاد جبل القبج وما فيه وما حول
من الأمم وأخبار الباب والابواب وبحر الخزر .

ملوك العالم : فلنذكر الآن ملوك السريان ، وهم أول من يعد في كتب الزيجات والنجوم والتواريخ القديمة من ملوك العالم ، ثم ملوك الموصل ونيوى ، ثم ملوك بابل وهم الذين عمروا الأرض وشقوا الأنهار ، وغرسوا الأشجار ، وطعموا الثمار ، ومهدوا الوعر ، وسهلوا الطريق ، ثم تتبع ذلك بالفرس الأولى ، وهم المعروفون بالخذاهان إلى ملك أفريدون ، ثم الإسكان إلى دارا وهو داريوس بن دارا ، وهم السكتون ، ثم ملوك الطوائف ، ثم الفرس الثانية ، ثم اليونانيين ، ثم الروم ، ونذكر من يتلوه من ملوك العرب والأمم والسودان ومصر والامكندرية وغير ذلك من بقاع الأرض ، إن شاء الله تعالى .

ذكر ملوك السريانين ، ولمع من أخبارهم

ذكرَ أهل العناية بأخبار ملوك العالم ، أن أول الملوك ملوك السريانين بعد الطوفان ، وقد تنوزع فيهم وفي النبط ، فمن الناس من رأى أن السريانين هم النبط ، ومنهم من رأى أنهم إخوة لودماش بن نبيط ، ومنهم من رأى غير ذلك .

وكان أول من ملك منهم رجل يقال له « شوسان » وكان أول من وضع التاج على رأسه في تاريخ السريانين والنبط ، وانقادت له ملوك الأرض ، وكان ملكه ست عشر سنة باغياً في الأرض ، مفسداً للبلاد ، سفاكاً للدماء .

ثم ملك ولد له يقال له « بربر » وكان ملكه إلى أن هلك عشرين سنة ، ثم ملك « سماسير » بن آوت ، سبع سنين .

ثم ملك بعده « أهريمون » عشر سنين ، فخط الخطط ، وكور

الكُور، وجد في أمره ، وإتقان ملكه ، وعمارة أرضه ، فلما استقامت له الأحوال وانتظم له الملك بلغ بعض ملوك الهند ما عليه ملوك السريانيين من القوة وشدة العمارة ، وأنهم يحاولون الممالك ، وقد كان هذا الملك من ملوك الهند غالباً على ما حوله من ممالك الهند ، وانقادت إلى سلطانه ، ودخلت في أحكامه ، وقيل : إن ملكه كان بما يلي بلاد السند والهند ، فسار نحو بلاد بسط وغزنين ولعن وبلاد الداور على النهر المعروف بنهر الهرمند ، وهو نهر سجستان ، ينتهي جريانه على أربع فراسخ منها ، وهذا النهر عليه أهل سجستان وضياهم ونخلهم وجبالهم ومنتزهاتهم في هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، وهذا النهر يعرف بنهر بسط ، وتجري فيه السفن من هناك إلى سجستان فيها الأقوات وغير ذلك ، ومن بسط إلى سجستان نحو من مائة فرسخ ، وبلاد سجستان هي بلاد الرياح والرمال ، وهو البلد الموصوف بأن الريح به تدير الأرحية ، وتسقي الماء من الآبار وتسقي الجنان ، وليس في الدنيا بلد - والله أعلم - أكثر منه استعمالاً للرياح .

نهر الهرمند : وقد تنوزع في مبدأ هذا النهر المعروف بنهر الهرمند ، فمن الناس من رأى أنه من عيون جبال السند والهند ، ومنهم من رأى أن مبدأه من مبدأ نهر الكنك ، وهو نهر الهند ، ويمر بكثير من جبال السند ، وهو نهر حاد الانصباب والجريان ، عليه يعذب أكثر الهند أنفسها بالحديد وتفرقها زهداً في هذا العالم ورغبة في النقلة عنه ، وذلك أنهم يقصدون موضعاً في أعالي هذا النهر المعروف بالكنك ، وهناك جبال عالية ، وأشجار عادية ، ورجال جلوس ، وحدائد وسيوف منصوبة على ذلك الشجر ، وقطع من الخشب ، فتأتيهم الهند من الممالك النائية والبلدان القاصية ،

فيسمعون كلام أولئك الرجال المرتبين على هذا النهر وما يقولون من تزهيدهم في هذا العالم والترغيب فيما سواه ، فيطرحون أنفسهم من أعالي تلك الجبال العالية على تلك الأشجار العادية والسيوف والحدائد المنصوبة ، فيتقطعون قطعاً ، ويصيرون إلى هذا النهر أجزاء ، وما ذكرنا فموصوف عنهم وما يفعلون على هذا النهر كذلك .

وصف شجر عجيب : وهناك شجر من إحدى عجائب العالم ونوادره والفرائب من نباته ، يظهر من الأرض أغصان مشتبكة من أحسن ما يكون من الشجر والورق ، فتستقيم في الجو كأبعد ما يكون من طوال النخل ، ثم ينحني جميع ذلك منعكساً فيعود في الأرض مندساً ، ويهوي في قعرها سفلاً على المقدار الذي ارتفع به في الهواء صُعداً ، حتى يغيب عن الابصار ، ثم تظهر أغصان بادئة على حسب ما وصفنا في الأول فتذهب صُعداً ، ثم تنقطر منعكسة ، ولا فرق بين المقدار الذي يذهب منها في الهواء ويتسع في الفضاء وبين ما يغيب منه تحت الأرض ويتوارى تحت الثرى ، فلولا أن الهند قد وكلت بقطعه من يراعيه من أمره لأمر يذكرونه ، وخطر في المستقبل يصفونه ، لطبق على تلك البلاد ولغشي تلك الأرض ، ولهذا النوع من الشجر أخبار يطول ذكرها ، يعرفها من طراً إلى تلك البلاد ورآها ، أو نمي إليه خبرها .

والهند تعذب أنفسها على ما وصفنا بأنواع العذاب من دون الأمم ، وقد تيقنت أن ما ينالها من النعم في المستقبل مؤجلاً لا يكون بغير ما أسلفته [هو ما أسلفته وعذبت به أنفسها] من تعذيب أنفسها في هذه الدار معجلاً ، ومنهم من يصير إلى باب الملك يستأذن في إحراقه نفسه ، فيدور في الأسواق وقد أجتجت له النار

العظيمة وعليها من قد وكل بإيقادها ، ثم يسير في الاسواق وقدامه
الطبول والصنوج ، وعلى بدنه انواع من خرق الحرير قد مزقها على
نفسه ، وحوله اهل وقرايته ، وعلى رأسه إكليل من الريحان ، وقد
قشر جلده عن رأسه ، وعليها الجمر وعليها الكبريت والسندروس ؛
فيسير وهامته تحترق وروائح دماغه تقوح وهو يمضغ ورق التنبول
وحب الفوفل ، والتنبول في بلادهم ورق ينبت كأصفر ما يكون
من ورق الاترج ، يمضغ هذا الورق بالنورة المبلولة مع الفوفل ، وهو
الذي غلب على أهل مكة وغيرهم من بقية أهل الحجاز واليمن في
هذا الوقت مضغه بدلا من الطين [بدلا من الطيب] ، ويكون
عند الصنادلة [الصيادلة] للورم وغير ذلك ، وهذا اذا مضغ على ما
ذكرنا بالورق والنورة شد اللثة ، وقوى عمود الأسنان ، وطيب
النكهة ، وأزال الرطوبة المؤذية ، وشهى الطعام ، وبعث على الباه ،
وحرر الاسنان حتى تكون كأحمر ما يكون من حب الرمان ،
وأحدث في النفس طرباً وأريحية ، وقوى البدن ، واثار من النكهة
روائح طيبة خمرة ، والهند خواصها وعوامها تستقيح من اسنانه
بيض ، وتجتنب من لا يمضغ ما وصفنا ؛ فاذا طاف هذا المعذب لنفسه
بالنار في الاسواق وانتهى الى تلك النار وهو غير مكترث ولا متغير
في مشيته ولا متهيّب في خطوته ، ففيهم من اذا اشرف على النار
وقد صارت جمرأ كالثل العظيم يتناول بيده خنجراً - ويدعى الجريء
[الحرمي] عندهم - فيضعه في لبتة . وقد حضرت ببلاد صيمور من
بلاد الهند من أرض اللارمن مملكة البلهرا ، وذلك في سنة أربع
وثلاثمائة ، والملك يومئذ على صيمور المعروف بحاج ، وبها يومئذ من
المسلمين نحو من عشرة آلاف قاطنين بياسرة وسيرافين وعمانين
وبصريين وبغداديين وغيرهم من سائر الامصار ممن قد تأهل وقطن

في تلك البلاد ، وفيهم خلق من وجوه التجار مثل موسى بن إسحاق الصندالوني ، وعلى الهزمة يومئذ أبو سعيد معروف بن زكريا ، وتفسير الهزمة يراد به رئاسة المسلمين يتولاها رجل منهم عظيم من رؤسائهم تكون احكامهم مصروفة اليه ، ومعنى قولنا البياسة يراد به من ولدوا من المسلمين بأرض الهند ، يدعون بهذا الاسم ، واحدهم بيسر ، وجمعهم بياسة ، فرأيت بعض فتيانهم وقد طاف على ما وصفنا في أسواقهم ، فلما دنا من النار أخذ الخنجر فوضعه على فؤاده فشقه ، ثم أدخل يده الشمال فقبض على كبده فجذب منها قطعة وهو يتكلم فقطعها بالخنجر ، فدفعها الى بعض اخوانه تهاوناً بالموت ولذة بالنقلة ، ثم هوى بنفسه في النار ؛ واذا مات الملك من ملوكهم او قتل نفسه ، حرق خلق من الناس انفسهم لموته ، يدعون هؤلاء البلانجرية ، واحدهم بلانجري ، وتفسير ذلك المصادق لمن يموت ؛ فيموت بموته ، ويجيا بحياته .

وللهند أخبار عجيبة تجزع من سماعها النفس : من أنواع الآلام والمقاتل التي تالم عند ذكرها الأبدان ، وتقشعر منها الأبخار ، وقد أتينا على كثير من عجائب أخبارهم في كتابنا « أخبار الزمان » . فلنرجع الآن إلى خبر ملك الهند ومسيره إلى بلاد سجستان ، وقصده مملكة السريانيين ، ونعدل عما احتدنا من أخبار الهند ، فنقول :

كان هذا الملك من ملوك الهند يقال له زنبيل ، وكل ملك يلي هذا البلد من أرض الهند يسمى بهذا الاسم زنبيل إلى هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، وكان بين الهند وملوك السريانيين حروب عظام نحو من سنة ، فقتل ملك السريانيين ، واحتوى ملك الهند على الصقع ، وملك جميع ما فيه ، فسار إليه بعض ملوك

العرب ، فأتى عليه ، وملك العراق ، ورد ملك السريانيين ، فملكوا عليهم رجلاً منهم يقال له « تسر » وكان ولد لقتول ، فكان ملكه إلى أن ملك ثمان سنين .

ثم ملك بعده « أهريمون » وكان ملكه اثني عشرة سنة .

ثم ملك بعده ابن يقال له « هوريا » فزاد في العمارة ، وأحسن في الرعاية ، وغرس الأشجار ، وكان ملكه إلى أن ملك اثنتين وعشرين سنة .

ثم ملك بعده « ماروب » واستولى على الملك ، وكان ملكه مدة خمس عشرة سنة ، وقيل : ثلاثة وعشرين سنة .

ثم ملك بعده « أزور » و « خلنجاس » ويقال : إنها كانتا أخوين ؛ فأحسنا السيرة ، وتعاضدا على الملك ، ويقال : إن أحد هذين الملكين كان جالساً ذات يوم إذ نظر في أعلى قصره إلى طائر قد أفرخ هناك ، وإذا هو يضرب بجناحيه ويصيح ، فتأمل الملك ذلك ، فنظر إلى حية تنساب إلى الوكر صاعدة لأكل فراخ الطائر ، فدعا الملك بقوس فرمى به الحية فصرعها ، وسلمت فراخ الطائر ، فجاء الطائر بعد هنيهة يصفق بجناحيه وفي منقاره حبة وفي مخالبه حبتان ، وجاء إلى الملك وألقى ما كان في منقاره ومخالبه ، والملك يرمقه ، فوقع الحب بين يدي الملك فتأملته ، وقال : لأمر ما ألقى هذا الطائر ما ألقى ، لا شك أنه أراد مكافأتنا على فعلنا به ، فأخذ الحب وجعل يتأمله فلم يعرف مثله في إقليمه ، فقالت جليس من جلسائه حكيم وقد نظر إلى حيرة الملك في الحب : أيها الملك ، ينبغي أن يودع النبات أرحام الأرض فإنها تخرج كئنه

ما فيه ، فنقف على الغاية منه ، وأداء ما في مخزونه ومكتونه ،
فدعا بالأكثرة وأمرهم بزرع الحب ومراعاته ، وما يكون منه ،
فزرع ، فنبت وأقبل يلتف بالشجر ثم حصرم وأعنب ، وهم
يرمقونه ، والملك يراعيه ، إلى أن انتهى في البلوغ وهم لا يقدمون
على ذوقه خوفاً أن يكون متلفاً ، فأمر الملك بعصر مائه ، وأن
يودع في أواني ، وإفراد حب منه وتركه على حاله ، فلما صار في
الآنية عصيراً هَدَرَ وقذف بالزبد وفاحت له روائح عبقية ، فقال
الملك : عليّ بشيخ [كبيرم فان] فأتي به ، فلدد له من ذلك
في إناء فرآه لوناً عجيباً ، ومنظراً كاملاً ، ولوناً ياقوتياً أحمر ،
وشعاعاً نيراً ، ثم سقوا الشيخ فما شرب ثلاثاً حتى مال ، وأرخصي
من مآزره الفضول ، وصفق بيديه ، وحرك رأسه ، ووقع برجليه
على الأرض ، فطرب ، ورفق عقيرته يتغنى ، فقال الملك : هذا
شراب يذهب بالعقل ، وأخاف أن يكون محاقلاً ، ألا ترى إلى
الشيخ كيف عاد في حال الصبا وسلطان الدم وقوة الشباب ؟ ثم
أمر الملك به فزيد ، فسكر الشيخ ، فنام ، فقال الملك : هلك ، ثم
ان الشيخ أفاق وطلب الزيادة من الشراب ، وقال : لقد شربته
فكشف عني الغموم ، وأزال عن ساحتي الأحزان والهموم ، وما أراد
الطائر إلا مكافأتم بهذا الشراب الشريف ، فقال الملك : هذا اشرف
شراب أهل الأرض ، وذلك انه رأى شيخاً حسن لونه ، وقوي
حيله ، وانبسط في نفسه ، وطرب في حال طبيعة الحزن وسلطان
البلغم ، وجاد هضمه ، وجاءه النوم ، وصفا لونه ، واعترقه أريجية ،
فأمر الملك أن يكثر من غرس الكرم ، فكثر الغرس للكرم ،
وأمر ان يمنع العامة من ذلك ، وقال : هذا شراب الملوك ، وأنا
السبب فيه ، فلا يشربه غيري ، فاستعمله الملك بقية أيامه ، ثم نما

في أيدي الناس واستعملوه ، وقد قيل : ان نوحاً أول من زرعها ، وقد ذكرنا الخبر حين سرقها ابليس منه حين خرج من السفينة واستوى على الجودي في كتاب المبدأ وغيره من الكتب .

ذكر ملوك الموصل ونيوى وهم الاثوريون

ولم من أخبارهم وسيرهم

نيوى : هي مقابلة الموصل ، وبينهما دجلة ، وهي بين قردى ومازندى من كور الموصل ، ونيوى في وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - مدينة خراب فيها قرى ومزارع لأهلها ، وإلى أهلها أرسل الله يونس بن متى ، وآثار الصور فيها [بينة واضحة ، و^(١)] أصنام من حجارة مكتوبة على وجوهها ، وظاهر المدينة تل عليه مسجد ، وهناك عين تعرف بعين يونس النبي عليه السلام ، ويأوي إلى هذا المسجد النساك والعباد الزهاد .

بسوس : وكان أول ملك بنى هذه المدينة ، وسور سورها : ملك عظيم قد دانت له الملوك ودانت له البلاد ، ويقال له بسوس ابن بالوس ، فكانت مدة ملكه اثنتين وخمسين سنة .

وكان بالموصل ملك آخر محارب لهذا الملك ، وكانت بينهما حروب ووقائع ، ويقال : إن ملك الموصل كان في ذلك العصر سابق بن مالك رجل من اليمن .

سميرم : ثم ملك أهل نينوى عليهم بعده امرأة ، يقال لها سميرم ، فأقامت عليهم أربعين سنة تحارب ملوك الموصل ، وملكها من شاطيء دجلة إلى بلاد أرمينية ، ومن بلاد أذربيجان إلى حد الجزيرة

(١) زبارة في بعض النسخ .

والجودي ، وجبل التيتل الى بلاد الزوزان ، وغيرها من أرمينية ، وكان أهل نينوى من سميثا نبيطاً وسريانين ، والجنس واحد ، واللغة واحدة ، وإنما بان النبط عنهم بأحرف يسيرة في لغتهم ، والمقالة واحدة .

الارسييس : ثم مَلِكَ بعد هذه المرأة « الارسييس » ويقال : انه كان ابنها . وكان ملكه نحواً من أربعين سنة ، ورجعت إليه الأرمن ، وقد كانت الحروب . ثم سجالا في ملكه ، ثم غلبوا على أهل نينوى ؛ فكانت الحروب بين أهل أرمينية وبين ملوك الموصل .

ويقال : إن هذا الملك آخر ملوك نينوى ، وقيل : إنه مَلِكَ بعده عشرون ، وكان يؤدي الضريبة إلى مَلِكِ أرمينية ، ولهُؤلاء الملوك أخبار وسير وحروب قد أتينا على جميعها في كتابنا « أخبار الزمان » وفي الكتاب الأوسط .

ذكر ملوك بابل ، وهم ملوك النبط وغيرهم

المعروفين بالكلدانيين

ذكر جماعة من أهل التبصر والبحث ، ومن ذوي العناية بأخبار ملوك العالم أن ملوك بابل هم أول - ملوك العالم الذين مهدوا الأرض بالعمارة ، وأن الفرس الأولى إنما أخذت الملك من هؤلاء ، كما أخذت الروم الملك من اليونانيين .

نمروذ الجبار ، وكان أولهم « نمروذ » الجبار ، وكان ملكه نحواً من ستين سنة ، وهو الذي احتفر أنهاراً بالعراق ، آخذة من الفرات ؛ فيقال : إن من ذلك نهر كوثى بطريق من طرق الكوفة ، وهو

بين قصر ابن هبيرة وبغداد ، لا خفاء لخبره وشهرته ، وسنذكر فيما
يرد من هذا الكتاب كثيرا من أنهار العراق ، هذه ذكرها الملوك الفرس
الأولى والثانية ، وغيرهم من ملوك الطوائف ، وإنما المرض في هذا
الكتاب التلويح بتاريخ ملوك العالم ، والتنبيه على ما سلف من كتبنا .
بقية ملوك بابل ، وملك بعده « بولوس » نحواً من سبعين سنة ،
وكان عظيم البطش ، متجبراً في الأرض ، وكانت في أيامه حروب ؛
ثم ملك بعده « فيومنوس » نحواً من مائة سنة ، باغياً في الأرض
على أهلها ؛ ثم ملك بعده « سوموس » نحواً من تسعين سنة ؛ ثم
ملك بعده « كورش » نحواً من خمسين سنة ؛ ثم ملك بعده « اذفر »
نحواً من عشرين سنة ؛ ثم ملك بعده « سلا » نحواً من أربعين سنة ؛
وقيل أكثر من ذلك ؛ ثم ملك بعده « بوسميس » نحواً من سبعين سنة ؛
ثم ملك بعده « أنيوس » نحواً من ثلاثين سنة ؛ ثم ملك بعده
« أفلاوس » خمس عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده « الحلوس » نحواً من
أربعين سنة ؛ ثم ملك بعده « أومرنوس » نحو ثلاثين سنة ؛ ثم ملك
بعده « كلوس » نحو ثلاثين سنة ؛ ثم ملك بعده « سيفروس » نحو
أربعين سنة ، وقد قيل دون ذلك ، وهلك ؛ ثم ملك بعده
« مارنوس » نحو ثلاثين سنة ؛ ثم ملك بعده « وسطايم » أربعين سنة ؛
ثم ملك بعده « أمنوطوس » نحو ستين سنة ؛ ثم ملك بعده « تباوليوس »
نحواً من خمسين سنة ؛ ثم ملك بعده « العداس » نحو ثلاثين سنة ؛
ثم ملك بعده « أطيروس » نحو ستين سنة ؛ ثم ملك بعده « ساوساس »
نحو عشرين سنة ؛ ثم ملك بعده « فاربنوس » نحو خمسين سنة ،
وقيل : خمساً وأربعين سنة ؛ ثم ملك بعده « سوسا أدرينوس » نحو
أربعين سنة ، ففزاهم ملك من ملوك فارس ، من عقب دارا ؛ ثم ملك
بعده « مصروس » نحو خمسين سنة ؛ ثم ملك بعده « طاطايوس » نحو ثلاثين

سنة بثم ملك بعده «بطاطاوس» نحو أربعين سنة ؛ ثم ملك بعده «أفرومن»
 نحو أربعين سنة ؛ ثم ملك بعده «لاوسيس» نحو خمسين سنة ، وقيل :
 خمساً وأربعين سنة ؛ ثم ملك بعده «أفريقريص» نحو ثلاثين سنة ؛ ثم
 ملك بعده «منطوروس» نحواً من عشرين سنة ؛ ثم ملك بعده «قولاقصا»
 نحواً من ستين سنة ؛ ثم ملك بعده «هنقلس» خمساً وثلاثين سنة ، وقيل :
 خمسين سنة ، وكانت له حروب مع ملك من ملوك الصابئة ، كذلك
 ذكر في كتاب التاريخ القديم ؛ ثم ملك بعده «مرجد» نحو ثلاثين
 سنة ؛ ثم ملك بعده «مردوح» أربعين سنة ، وقيل : أقل من ذلك ؛
 ثم ملك بعده «سنجاريب» ثلاثين سنة ، وهو الذي أتى بيت
 المقدس ؛ ثم ملك بعده «نشوه منوشا» ثلاثين سنة ، وقيل أقل من
 ذلك ؛ ثم ملك بعده «بختنصر» الجبار خمساً وأربعين سنة ؛ ثم ملك
 بعده «فرمودوج» نحو سنة ؛ ثم ملك بعده «بنطسفر» نحو ستين
 سنة ، وقيل : أقل من ذلك ؛ ثم ملك بعده «منسوس» نحو ثمان
 سنين ، وقيل : عشرأ ؛ ثم ملك بعده «مهوسا» سنة ، وقيل أقل من
 ذلك ؛ ثم ملك بعده «داونوس» إحدى وثلاثين سنة ، وقيل : أكثر
 من ذلك ؛ ثم ملك بعده «كمرجوس» عشرين سنة ؛ ثم ملك بعده
 «مرطياسة» تسعة أشهر وقتل ؛ ثم ملك «فنجست» إحدى وأربعين
 سنة ؛ ثم ملك بعده «أحقرست» ثلاث سنين ، وقيل : سنتين وشهرين ؛
 ثم ملك بعده «شعرياس» سنة ، وقيل : تسعة أشهر ؛ ثم ملك بعده
 «داريوس» عشرين سنة ، وقيل : تسع عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده
 «أطحست» تسعاً وعشرين سنة ؛ ثم ملك بعده «دارو اليسع» خمس
 عشرة سنة ، وقيل : عشر سنين .

أعمال ملوك بابل ، قال المسعودي : فهؤلاء الملوك الذين أتينا على
 ذكرهم ، وأسمائهم ، ومدة مملكتهم ، وقد رسمت أسماؤهم هكذا في

كتب التواريخ السالفة ، وهم الذين شيدوا البنيان ، ومدنوا المدن ، وكوروا الكور ، وحفروا الأنهار ، وغرسوا الأشجار ، واستنبطوا المياه ، وأثاروا الأرضين ، واستخرجوا المعادن من الحديد والرصاص والنحاس وغير ذلك ، وطبعوا السيوف ، واتخذوا عدة الحرب ، وغير ذلك من الحيل والمكايد ، ونصبوا قوانين الحرب بالقلب والميمنة والميسرة والأجنحة ، وجعلوا ذلك مثلاً لأعضاء جسد الانسان ، ورتبوا لكل جزء نوعاً من الأمة لا يوازيها غيرها ، فجعلوا أعلام القلب على صورة الفيل والتنين وما عظم من أجناس الحيوان ، وجعلوا أعلام الميمنة والميسرة على صورة السباع على حسب عظمها واختلافها في أنواعها ، وجعلوا في الأجنحة صور ما لطف من السباع كالنمر والذئب ، وجعلوا صور أعلام الكمناء [الكيمياء] على صور الحيات والعقارب [والعقبان] ، وما خفي فعله من هوام الأرض ، وجعلوا ألوان كل نوع منها من السواد وغيره من الألوان الستة ، وهي : السواد ، والبياض ، والصفرة ، والحمرة ، والخضرة ، ولون السماء .

الالوان ، وقد ذكر قوم أن الألوان ثمانية على حسب الموضع المستحق لها ، ومنعوا أن تكون الحمرة تشوب شيئاً من ذلك إلا ما لطف من اجزائها داخلاً في جملة الأكثر من أشباه الحيوان من تلك الأعلام ، وزعموا أن قضية القياس توجب أن تكون سائر أعلام الحرب هراء ، إذ كانت أليق وأشكل بلون الدم ، وأكثر ملاءمة ، إذ كان لونها واحداً ، لكن منع من ذلك استعمالها في حال الزينة والطرب وأوقات السرور ، واستعمال النساء والصبيان لها ، وفرح النفوس بها ، وأوجب ترك ذلك ، وإن حس البصر مشاكل

للون الحمراء ، إذ كان من شأنه أنه إذا أدركها انبسط نوره في إدراكها ، وإذا وقع البصر على اللون الأسود اجتمع نوره ولم ينبسط في إدراكه انبساطه في الحمراء ، وأن النسبة الواقعة بين بصر الناظر وبين لون الحمراء الاشتراك ، والمباينة بالضدية بين نور البصر ولون السواد .

وتكلم هؤلاء القوم في مراتب الألوان من الحمراء والسواد والبياض وغيرها ، ومراتب الأنوار ، وما وجه ذلك من أسرار الطبيعة ، والحد المشترك بين نورية حس البصر وبين لون الحمراء والبياض ، والحد المبين بين السواد وبين نور البصر ، دون سائر الألوان من الحمراء والخضرة والصفرة والبياض ، وتغلغل القوم في هذه المعاني الى ما علا من الأجسام السماوية من النيرين والخمسة ، واختلافها في ألوانها ، وإلى غير ذلك من الأشخاص العلوية .

وقد أتينا على ما قالوه في ذلك فيما سلف من كتبنا ، وأتينا على سير هؤلاء الملوك وأخبارهم واختلافهم [وأخلاقها] في كتبنا وأخبار الزمان ، وفي الكتاب الاوسط .

وقد ذهبت طائفة من الناس إلى ان هؤلاء الملوك كانوا من النبط وغيرهم من الامم ، وأنه كان يرأس بعضهم غيره من ملوك الفرس ممن كان مقيماً ببلخ ، والأشهر ما قدمناه ، وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب لمعاً من أخبار النبط وانسابهم .

ذكر ملوك الفرس الأولى

وجل من أخبارهم وسيرهم

أصل الفرس : الفرس مخبر - مع اختلاف آرائها وبعد أوطانها وتباينها في ديارها وما ألزمته انفسها من حفظ انسابها ، ينقل ذلك باقٍ عن ماضٍ ، وصغير عن كبير ، أن أول ملوكهم « كيومرث » ثم تنازعوا فيه ؛ فمنهم من زعم انه ابن آدم ، والأكبر من ولده ، ومنهم من زعم - وهم الأقلون عدداً - أنه أصل النسل وينبوع الذرء ، وقد ذهب طائفة منهم إلى أن كيومرث هو أميم بن لاوذ ابن إرم بن سام بن نوح ، لأن أميا أول من حلّ بفارس من ولد نوح ، وكان كيومرث ينزل بفارس ، والفرس لا تعرف طوفان نوح ، والقوم الذين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام كان لسانهم سريانياً ، ولم يكن عليهم ملك ، بل كانوا في مسكن واحد . والله اعلم بذلك .

كيومرث : وكان كيومرث أكبر أهل عصره ، والمقدم فيهم ، وكان أول ملك نصب في الأرض - فيما يزعمون - وكان السبب الذي دعا أهل ذلك العصر إلى إقامة ملك ونصب رئيس انهم رأوا أكثر الناس قد جُبلوا على التباغض والتحاسد والظلم والعدوان ، ورأوا ان الشرير منهم لا يصلحه إلا الرهبة ، ثم تأملوا أحوال الخليقة ، وتصرف شأن الجسم ، وصورة الإنسان الحساس الدراك ، فرأوا الجسم في بنيته وكونه قد رتب بخواص [بحواس] تؤدي إلى معنى هو غيرها يوردها ويصدرها ويميزها بما تورده إليه من أخلاقها [مع اختلافها] في مداركها ، وهو معنى في القلب فرأوا صلاح الجسم بتدبيره ، وأنه متى فسد تدبيره فسد سائرته ، ولم تظهر أفعاله المتقنة المحكمة ، فك رأوا هذا العالم الصغير الذي هو جسد الإنسان المرئي [المردي]

لا تستقيم أموره ولا تنتظم أحواله إلا باستقامة الرئيس الذي قدمنا ذكره علموا أن الناس لا يستقيمون إلا بملك ينصفهم، ويوجه [ويوجب] العدل عليهم، وينفذ الأحكام على ما يوجبه العقل بينهم؛ فساروا إلى كيومرث بن لاوذ، وعرفوه حاجتهم إلى ملك وقيم، وقالوا: أنت أفضلنا وأشرفنا وأكبرنا، وبقية أبنينا، وليس في العصر من يوازيك، فرد أمرنا إليك، وكن القائم فينا، فإننا تحت سمعك وطاعتك، والقائلون بما تراه، فأجابهم إلى ما دعوه إليه، واستوثق منهم بأكيد العهود والمواثيق على السمع والطاعة وترك الخلاف عليه، فلما وضع التاج على رأسه، وكان أول من ركب التاج على رأسه من أهل الأرض، قام خطيباً وقال: إن النعم لا تدوم إلا بالشكر، وإننا نحمد الله على أياديه ونشكركه على نعمه، ونرغب إليه في مزيده، ونسأله المعونة على ما دفعنا إليه، وحسن الهداية إلى العدل الذي به يجتمع الشمل ويصفو العيش، فثقوا بالعدل منا، وانصفونا من أنفسكم، نوردكم إلى أفضل ما في هممكم، والسلام.

فلم يزل كيومرث قائماً بالأمر، حسن السيرة في الناس، والحال آمنة، والأمة ساكنة طول مدته إلى أن مات.

ولهم في وضع التاج على الرأس أسرار يذكرونها أعرضنا عن ذكرها، إذ كنا قد أتينا على ذلك في كتابنا « أخبار الزمان » وفي الكتاب الأوسط.

وذكروا أن كيومرث أول من أمر بالسكوت [بالسكون] عند الطعام، لتأخذ الطبيعة بقسطها فيصلح البدن بما يرد إليه من الغذاء، وتكن النفس عند ذلك، فتدبر كل عضو من الأعضاء تدبيراً يؤدي إلى ما فيه صلاحه من أخذ صفو الطعام، فيكو

الجزء الأول : ذكر ملوك الفرس الأولى ، وجل من أخبارهم ————— ٢٤٥

الذي يرد الى الكبد وغيره من الأعضاء القابلة للغذاء ما يناسبها ، وما فيه صلاحها ؛ فإن الإنسان متى شغل عن طعامه بضرب من الضروب انصرف قسط من التدبير وجزء من التقدير [وجزء من التغذية] إلى حيث انصباب الهمة ووقوع الاشتراك ، فأضر ذلك بالأنفس الحيوانية والقوى الإنسانية ، وإذا كان ذلك أدى الى مفارقة النفس الناطقة لهذا الجسد المرئي ، وفي ذلك ترك للحكمة ، وخروج عن الصواب .

ولهم في هذا الباب سر لطيف من أسرار السبب الذي بين النفس والجسم ليس هذا موضعه ، وقد أتينا على ذكره في الكتاب المترجم « بسر الحياة » ، وفي كتاب « الزلف » ، عند ذكرنا النفس الناطقة والنفس العلامة والنفس الحسية والمخيلة والنزاعية ، وما قال الناس في ذلك ممن تقدم وتأخر من الفلاسفة وغيرهم .

وقد تنوزع في مقدار عمر كيومرث هذا ؛ فمن الناس من رأى أن عمره ألف سنة ، وقيل : دون ذلك ؛ وللمجوس في كيومرث هذا خطب طويل في أنه مبدأ النسل ، وأنه نبت من نبات الأرض ، وهو الريباس [وأنه نبت مثل نبات الأرض ، وهو الريباس] ، هو وزوجته ، وهما شابة ومنشابة وغير ذلك مما يفحش إيرادها ، وما كان من خبره مع إبليس ، وقتله إياه وكان ينزل إصطخَرَ فارس ، وكانت مدة ملكه أربعين سنة ، وقيل : أقل من ذلك .

ثم ملك بعده « أوشهنج » بن فروال بن سيامك بن يرنيق بن كيومرث الملك ، وكان أوشهنج ينزل الهند ، وكان ملكه أربعين سنة ، وقيل : أكثر من ذلك ، وقد تنوزع فيه ؛ فمنهم من

رأى أنه أخ لكيومرث بن آدم ، ومنهم من رأى أنه ولد الملك الماضي .

ثم ملك بعده « طهمورث » بن نويجهان بن أرفخشذ بن أوشينج ، وكان ينزل سابور ، وظهر في سنة من ملكه رجل يقال له « بوداسف » أحدث مذاهب الصابئة ، وقال : ان معالي الشرف الكامل ، والصلاح الشامل ، ومعدن الحياة ، في هذا السقف المرفوع ، وان الكواكب هي المدبرات والواردات والصادرات ، وهي التي بمرورها في أفلاكها وقطعها مسافاتها واتصالها بنقطة وانفصالها عن نقطة ، يتم ما يكون في العالم من الآثار ، من امتداد الأعمار وقصرها ، وترك البسائط ، وانبساط المركبات ، وتتميم الصور ، وظهور المياه وغيبضها ، وفي النجوم السيارة وفي أفلاكها التدبير الأكبر ، وغير ذلك مما يخرج وصفه عن حد الإختصار والإيجاز ، واحتذى به جماعة من ذوي الضعف في الآراء ؛ فيقال : ان هذا الرجل أول من أظهر آراء الصابئة من الحرانيين والكيباريين ، وهذا النوع من الصابئة مباينون للحرانيين في نحلتهم ، وديارهم بين بلاد واسط [في بلاد وسط] والبصرة من أرض العراق نحو البطائح والآجام ، فكان ملك طهمورث الى ان هلك ثلاثين سنة ، وقيل غير ذلك .

ثم ملك بعده أخوه « جمشيد » ، وكان ينزل بفارس ، وقيل : انه كان في زمنه طوفان ، وذهب كثير من الناس الى أن النيروز في أيامه أحدث وفي ملكه رسم ، على حسب ما نوره فيما يرد من هذا الكتاب ، كذلك فكر أبو عبيدة معمر بن المثنى عن عمر المعروف بكسرى ، وكان هذا الرجل ممن اشتهر بملم فارس وأخبار ملوكها حتى لقب بعمر كسرى ، وكان ملك جمشيد الى

ان هلك ستمائة سنة ، وقيل : تسعمائة سنة وستة أشهر ، وأحدث في الأرض أنواعاً من الصناعات والأبنيه والمهن وادعى الإلهية .
ثم ملك بعده « بيوراسب » بن أرواسب بن رسوان بن نياداس ابن طاح ابن قروال بن ساهر فرس بن كيومرث ، وهو الده آك ، وقد عربت اسماءه جميعاً ، فسماه قوم من العرب الضحاك ، وسماه قوم بهراسب ، وليس هو كذلك ، وإنما اسمه على ما وصفنا بيوراسب ، وقتل جمشيد الملك ، وقد تنوزع فيه : أمن الفرس كان أم من العرب ؟ فزعمت الفرس انه منها ، وأنه كان ساحراً ، وانه ملك الأقاليم السبعة ، وان ملكه كان الف سنة ، وبغى في الأرض وتمرد ، وللفرس فيه خطب طويل ، وأنه مقيد مغلل في جبل دباوند بين الري وطبرستان ، وقد ذكرته شعراء العرب ممن تقدم وتأخر ، وقد افتخر ابو نواس به ، وزعم انه من اليمن ، لان أبا نواس مولى لسعد العشيرة من اليمن ، فقال :

وكان منا الضحاك تعبدُهُ الجامل والوحش في مساربها ، ثم ملك بعده « افريدون » بن أثقابان بن جمشيد ملك الاقاليم السبعة ، فأخذ بيوراسب ، فقيده في جبل دباوند على حسب ما ذكرنا ، وقد ذكر كثير من الفرس ومن عني بأخبارهم مثل عمر كسرى وغيره ان افريدون جعل هذا اليوم الذي قيد فيه الضحاك عيداً له ، وسموه المهرجان ، على حسب ما نورده بعد هذا الموضع من هذا الكتاب ، وما قيل في ذلك ، وكانت دار مملكة افريدون بابل وهذا الاقليم يسمى باسم قرية من قراه يقال لها بابل ، على شاطئ نهر من انهار الفرات بأرض العراق ، على ساعة من المدينة المعروفة بجسر بابل ، ونهر الفرس ، واليه تضاف الثياب النرسية ، وفي هذه القرية جب يعرف بـجب دانيال النبي عليه السلام ، تقصده النصارى واليهود في أوقات من السنة في

أعيادهم ، واذا اشرف الانسان على هذه القرية تبين فيها آثاراً عظيمة من ردم وهدم وبنيان قد صارت كالروابي ، وذهب كثير من الناس الى ان بها هاروت وماروت ، وهما الملكان المذكوران في القرآن على حسب ما قص الله تعالى من تسمية هذه القرية ببابل . وكان ملك أفريدون خمسمائة سنة ، وقيل : أقل من ذلك ، وقيل : أكثر ، وقسم الارض بين ولده الثلاثة ، وقد قال في ذلك بعض الشعراء بمن سلف من أبناء الفرس بعد الإسلام ، يذكر ولد أفريدون الثلاثة :

وقسّمنا ملكنا في دهرنا قسمة اللحم على ظهر وضمّ
وجعلنا الشام والروم إلى مغرب الشمس إلى الغطريف سلم
وأطوج جعل الترك له ببلاد الترك يحويها ابن عم
ولإيران جعلنا عنوة فارس الملك وفزنا بالنعمة

وللناس فيما ذكرنا خطب طويل ، وان مجلاد بابل أضيفت إلى ولد أفريدون وهو إيراج ، وقتله أخوه في حياة أفريدون ، وهلك ، ولم يخلص له الملك فيعد في الملوك .

وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب ، كيفية إضافة هذا الإقليم إلى إيراج وإسقاطهم الجيم وجعلهم النون بدلا منها ، فقالوا : إيران شهر ، والشهر : الملك .

ثم ملك بعد أفريدون « منوجهر » بن إيران بن أفريدون ، على حسب ما ذكرنا من التنازع في نسبه وإلحاقه بإيران بن أفريدون ، وكان ملكه عشرين سنة ، وكان ينزل ببابل ، وقد قيل : إنه في زمانه كان موسى بن عمران ويوشع بن نون عليهما السلام ، وكان لمنوجهر حروب مع عميه اللذين قتلأ أباه ، وهما أطوج وسلم ، وقد أتينا على ذكر حروبهم فما سلف من كتبنا .

ثم ملك بعد منوجهر « سهم » بن أبان بن ألقبان بن يود بن منوجهر ، فنزل بابل وملك ستين سنة ، وقيل أكثر من ذلك ، وكانت له حروب كثيرة وسير وسياسات كثيرة قد أتينا على ذكرها في كتابنا « أخبار الزمان » .

ثم ملك بعده « فراسياب » بن أطوج بن ياسر بن رامى بن آرس بن بورك بن ساسايب بن زسست بن فوح بن دوم بن سرور بن أطوج ابن افريدون الملك ، وكان مولد فراسياب ببِلد التُّرك [النزل] ؛ فلذلك غلط من غلط من أصحاب الكتب والتصنيفات في التاريخ وغيره فزعم أنه تركي ، وكان تملكه على ما غلب عليه من البلاد اثنتي عشرة سنة ، وعمره عند كثير من الناس اربعمائة سنة .

ولاثنتي عشرة سنة خلت من ملكه ، ظهر عليه زوبن بهاست بن كجهور ابن عداسة بن رايريج بن راع بن ماسر بن يود بن منوجهر الملك ، فهزمه وقتل أصحابه بعد حروب كثيرة ، وعمر ما خربته فراسياب

وقد تنوزع في المقدار الذي ملك فيه : فقيل ثلاث سنين ، وقيل أكثر من ذلك ، وكان مسكنه ببابل ، وللفرس كلام طويل في قتل فراسياب ، وكيفية قتله وحروبه ، وما كان بين الفرس والتُّرك من الحروب والغارات ، وما كان من قتل سیاوخس وخبر رستم بن دستان ، هذا كله مشروح في الكتاب المترجم بكتاب السكيكين ترجمة ابن المقفع من الفارسية الأولى الى العربية ، وخبر اسفنديار بن كشتاسب بن بهراسب ، وقتل رستم بن دستان له ، وما كان من قتل بهمن بن اسفنديار لرستم ، وغير ذلك من عجائب الفرس الأولى وخبارها ، وهذا الكتاب تعظمه الفرس ، لما قد تضمن من خبر اسلافهم وسير

ملوكهم ، وقد اتينا بحمد الله على كثير من أخبارهم فيما سلف من كتبنا .
 وقد قيل : ان اول من نزل من الملوك ببلخ وانتقل عن العراق
 كيكاووس ، وقد كان سار نحو اليمن - بعد ان كان له بالعراق
 تمرد على الله ، وبنيان بناء لحرب السماء - وكان ملك اليمن الذي
 سار اليه كيكاووس في ذلك الوقت ، شمر بن فريقس فخرج اليه شمر ،
 فأمره وحبسه في أضيقي محبس فهويته ابنة لشمر يقال لها سعدى ،
 كانت تحسن اليه في خفية من أبيها ، والى من كان معه من اصحابه ،
 ومكث في محبسه أربع سنين ، حتى أسرى رستم بن دستان من بلاد
 سجستان سرية فيها أربعة آلاف ، فقتل ملك اليمن شمر بن فريقس ،
 واستنقذ كيكاووس ورده الى ملكه وسعدى معه ، فاعتلت عليه ،
 وأغرته بولده سیاوخش ، حتى كان من أمره مع فراسياب التركي
 ما قد شهر من استئمانه اليه وتزوجه بابنته حتى حملت منه
 بكيخسرو ، وما كان من قتل فراسياب لسياوخش بن كيكاووس ،
 وقتل رستم بن دستان لسعدى ، وأخذه بطائلة سیاوخش ، فقتل من
 قتله من وجوه الترك ، وعند الفرس على ما في كتاب السكيكين أن
 كيخسرو كان قبله على الملك جده لأبيه ، وهو كيكاووس ، ولم يعلم من
 هو ولم يكن لكيخسرو عقب ؛ فجعل الملك في بهراسف ، وهؤلاء القوم
 كانوا يسكنون بلخ ، وكانت دار مملكتهم ، وكان يدعى نهر بلخ -
 وهو جيحون - بلغتهم كالف ، وكذلك يسميه كثير من أعاجم
 خراسان في هذا الوقت بهذا الاسم .

فلم يزالوا كذلك الى ان صار الملك الى « حاي » ابنة بهمن
 [حاية بنت بهمان] بن اسفنديار بن يستاسف بن بهراسف ، فانتقلت
 الى العراق ، وسكنت نحو المدائن .

ثم كان بعد كيخسرو بن سیاوخش بن كيكاووس الملك إلى

الجزء الاول : ذكر ملك الفرس الاولى ، وجل من أخبارهم ٢٥١

« هراسب » بن قنوج بن كيمس بن كيناسس بن كيناسة بن كيقباز الملك ، فعمر البلاد ، وأحسن السيرة لرعيته ، وشملهم عدله .

ولسنيين [ولستين] خلت من ملكه : قال بني إسرائيل منه مِحَنٌ ، وشكَّتْهم في البلاد ، وكانت له معهم أقاصيص يطول ذكرها . وذكر في بعض الروايات من أخبار الفرس أنه بنى بلخ الحسنة ، لما فيها من المياه والشجر والمروج .

وكان ملكه مائة وعشرين سنة ، وقد ذكر خبر مقتله مع الترك وما كان منهم في حصاره ومَن أخذ بثاره بعد قتله في كتب قدماء الفرس .

وقد ذكر كثير ممن عني بأخبار الفرس أن يختصروا مَرزُبَانَ العراق والمغرب ، كان من قبل هذا الملك ، وهو الذي وطىء الشام ، وفتح بيت المقدس ، وسبى بني إسرائيل ، وكان من أمره بالشام والمغرب ما قد اشتهر ، والعامية تسميه البخت ناصر ، واكثر الأخباريين والقصاص يغالون في أخباره ، ويبالغون في وصفه ، والمنجمون في زيجاتهم وأهل التواريخ في كتبهم يجعلونه ملكاً برأسه ، وإنما كان مَرزُبَانًا على ما وصفنا للملوك ممن ذكرنا ، وتفسير مَرزبان يراد به - صاحب رُبْع من المملكة وقائد عسكر ووزيراً وصاحب ناحية من النواحي وواليها - وقد كان حمل سبايا بني إسرائيل إلى الشرق ، وتزوج منهن امرأة يقال لها دينار ، فكانت سبب ردة بني إسرائيل إلى بيت المقدس .

وقيل : أن ديناراً أولدها هراسب بن كشتاسب ، وقيل غير ذلك من الوجوه ، وإن حماية من نسل بني إسرائيل من أمها .

وقيل : إن بهراسف قد كان أنفذ سنجاريب - وكان خليفته على العراق إلى حرب بني إسرائيل فلم يصنع شيئاً ، فعقب بعده بالبخت نصر ، وقيل في البخت نصر غير ما ذكرنا مما سنورده بعد هذا الموضع في ذكر ملك بهمن بن اسفنديار بن يستاسف بن بهراسف .

وقد أرخ بطليموس صاحب كتاب المجسطي ، تاريخ كتابه من عهد بخت نصر أمرزبان المغرب ، وأرخ ثاون صاحب كتاب القانون في النجوم من مملكة الإسكندر بن فيلبس المقدوني .

زرادشت : ثم ملك بعده ابنه يستاسف ، وكان منزله بلخ ، ولثلاثين سنة خلت من ملكه أتاه زرادشت بن أسبيان ، وقيل : إنه زرادشت ابن بورشف بن فذراسف بن أريكدسف بن هجدسف بن ححيش بن باتير بن أرحدس بن هرदार بن أسبيان بن واندست بن هايزم بن أرج بن دورشرين بن منوشهر الملك ، وكان من أهل أذربيجان ، والأشهر من نسبه أنه زرادشت بن أسبيان ، وهو نبي الميوس الذي أقام بالكتاب المعروف بالزميمة عند عوام الناس ، واسمه عند الميوس بستاه [نسياء] ، وأتى زرادشت عندهم بالمعجزات الباهرات للعقول ، وأخبر عن الكائنات من المغيبات قبل حدوثها من الكليات والجزئيات ، والكليات : هي الأشياء العامة ، والجزئيات : هي الأشياء الخاصة ، مثل زيد يموت يوم كذا ، ويمرض فلان في وقت كذا ، ويولد فلان في وقت كذا ، وأشبه ذلك ، ومعجم هذا الكتاب يدور على ستين حرفاً من أحرف المعجم ، وليس في سائر اللغات أكثر حروفاً من هذا ، ولهم خطب طويل قد أتينا على ذكره في كتابينا وأخبار الزمان ، والكتاب الأوسط ؛ وأتى زرادشت بكتابهم هذا بلغة يعجزون عن إيراد مثلها ، ولا يدركون كنه مرادها ،

وسنذكر بعد هذا الموضع من هذا الكتاب ما أتى به زرادشت ، وما جعل له من التفسير وتفسير التفسير ، وكتب هذا الكتاب في اثني عشر ألف مجلد بالذهب ، فيه وعد ووعد ، وأمر ونهي ، وغير ذلك من الشرائع والعبادات ؛ فلم تزل الملوك تعمل بما في هذا الكتاب إلى عهد الإسكندر وما كان من قتله لدارا بن دارا ، فأحرق الإسكندر بعض هذا الكتاب .

ثم صار الملك بعد الطوائف إلى أردشير بن بابك ، فجمع الفرس على قراءة سورة منه يقال لها إسناد ؛ فالفرس والمجوس إلى هذا الوقت لا يقرأون غيرها ، والكتاب الأول يسمى بشناه [نسياء] .

ثم عمل زرادشت تفسيراً عند عجزهم عن فهمه ، وسموا التفسير زنداً ، ثم عمل للتفسير تفسيراً ، وسماه بازند ، ثم عمل علماؤهم بعد وفاة زرادشت تفسيراً لتفسير التفسير وشرحاً لسائر ما ذكرنا ، وسموا هذا التفسير بارده ؛ فالمجوس إلى هذا الوقت يعجزون عن حفظ كتابهم المنزل ، فصار علماؤهم ومواظبتهم يأخذون كثيراً منهم بحفظ أسباع من هذا الكتاب وأرباع وأثلاث ، فيبتدئ كل واحد بما حفظ من جزئه فيتلوه ، ويبتدئ الثاني منهم فيتلو جزءاً آخر ، والثالث كذلك ، إلى أن يأتي الجميع على قراءة سائر الكتاب ، لمعجز الواحد منهم عن حفظه على الكمال ، وقد كانوا يقولون : ان رجلاً منهم بسجستان بعد الثلاثمائة مستظهر بحفظ هذا الكتاب على الكمال .

وكان ملك يستأسف إلى أن تمجس ثم هلك عشرين ومائة سنة . وكانت مدة نبوة زرادشت فيهم خمساً وثلاثين سنة ، وهلك وهو ابن سبع وسبعين سنة .

خاتامس : ولما هلك زرادشت ولي مكانه « خاتامس » العالم ، وكان من أهل أذربيجان ، وهذا أول موبد قام فيهم بعد زرادشت ، نصبه لهم يستاسف الملك .

ملك بهمن : ثم ملك بعده « بهمن » بن اسفنديار بن يستاسف بن بهراسف ، وكان له حروب كثيرة مع رستم صاحب سجستان الى ان قتل رستم ووالده دستان ؛ وقيل : ان أم بهمن كانت من بني اسرائيل من ولد طالوت الملك ، وإنه هو الذي بعث بالبختنصر مرزبان العراق الى بني اسرائيل ، فكان من أمرهم ما وصفنا ، وكان ملك بهمن الى ان هلك مائة واثنني عشرة سنة ، وقيل : ان في ملكه رد بقايا بني اسرائيل الى بيت المقدس ؛ فكان مقامهم ببابل الى ان رجعوا الى بيت المقدس سبعين سنة ، وذلك في أيام كورش الفارسي المملك على العراق من قبل بهمن ، وبهمن يؤمئذ ببلخ ، وقد قيل : ان أم كورش كانت من بني اسرائيل ، وكان دانيال الاصفر خاله ، وكانت مدة ملك كورش ثلاثاً وعشرين سنة ، وفي وجه آخر من الروايات ان كورشا كان ملكاً برأسه لا من قبل بهمن ، وذلك بعد انقضاء ملك بهمن ، وان كورشا من ملوك الفرس الأولى ، وليس هذا عاماً في كتب التواريخ القديمة ، ودانيال الاكبر كان بين نوح و ابراهيم الخليل عليها السلام ، وهو الذي استخرج العلم وما يحدث في الأزمان الى ان تنقضي الارض ومن عليها وعلوم ملوك العالم وما يحدث في السنين والشهور والايام من الحوادث ، ودلائل ذلك في الأفلاك واليه ينسب كتاب الجفر ، ولما رجعت بنو اسرائيل الى بيت المقدس استخرجوا التوراة وغيرها من المواضع التي خبثت فيها من الأرض على ما قدمنا .

الجزء الأول : ذكر ملوك الفرس الأولى ، وجل من أخبارهم ٢٥٥

حماية : ثم ملكت « حماية » بنت بهمن بن اسفنديار بن يستاسف بن بهراسف وكانت تعرف بأما شهرزاد ، ولهذا الملكة سير وحروب مع الروم وغيرهم من ملوك الارض ، وكانت حسنة السياسة لاهل مملكتها ، وكان ملكها بعد أبيها بهمن ثلاثين سنة ، وقيل غير ذلك . دارا : ثم ملك بعدها أخ لها يقال له « دارا » بن بهمن بن اسفنديار ، وكان ملكه اثني عشرة سنة ، وكان ينزل ببابل .

دارا بن دارا : ثم ملك « دارا » بن دارا بن بهمن بن اسفنديار ابن يستاسف بن بهراسف ، والفرس تسمي دارا هذا باللغة الأولى من لغاتهم داريوس ، وهو الذي قتله الاسكندر بن فليبس المقدوني ، وكان ملكه الى ان قتل ثلاثين سنة .

وقد ذكر ان منوشهر - حين انهزم من حرب فراسياب التركي - سار الى جبل طبرستان فتحصن به ، ثم تاب بعد ذلك ومعه خيل ، فعارب فراسياب التركي ، وقد وطىء العراق ، وغلب على الاقاليم ، فهرب الى ارض الترك ، وان الملك صار بعد منوشهر الى أخوين ، وقيل : بل كانا شريكين في الملك متظافرين متعاونين على عمارة الارض وما خربه فراسياب : أحدهما « بهاسف » بن كنجهر بن ورزق بن هومسف بن واحد سك بن دوس بن منوشهر ، والآخر « كرشاسف » ابن يمار بن طهاسف بن آشك بن فرسين بن أرج بن منوشهر ، وكان كرشاسف محاربا لفراسياب ومنازلا له ، والآخر وهو زاب بالعراق : يعمر ما خربه فراسياب من الارض ، واحتفر النهرين المعروفين بالزابين الصغير والكبير ، على ما قدمنا من ذكرهما في هذا الكتاب ، الخارجين من بلاد أرمينية الصابين في دجلة : الاكبر بين الموصل والحديثة ، والآخر ببلاد السن [الصين] وسماها باسمه ، وحفر بسواد العراق نهراً آخر وسماه بالزاب ، وجعل على هذا النهر بالعراق ثلاث

طسايح من الضياع والعمائر وأسمائها الزوابي ، وما ذكرنا فهو باقٍ الى هذه الغاية ، وأن مملكتها كانت ثلاث سنين ، وان كيوخسرو لما قتل جده ببلاد السرو والران من بلاد أذربيجان وهو فراسياب بن بشك بن نبت بن نشمر بن ترك ، وترك هذا جد سائر الترك عند طائفة من الناس من ولد يسب بن طوح بن افريدون ، وقد قدمنا وجهاً من الرواية في نسبه فيما سلف من هذا الكتاب ، وسار كيوخسرو في البلاد ووطىء الممالك ، وانتهى الى بلاد الصين ؛ فبنى هناك مدينة عظيمة وسماها كندر ، وقد نزلها خلق من ملوك الصين كنزولهم انما وغيرها من مدنهم ، وقد قيل : ان كندر هي انما بعينها ، وقد قيل : ان كيقاوس بنى مدينة كشمير المقدم ذكرها بأرض السند [بأرض الهند] ، وان سياوخس بنى في حياة أبيه كيقاوس مدينة القندهار من أرض السند المقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب .

ع

قال المسعودي : ولمن ذكرنا من هؤلاء الملوك أخبار وسير قد أتينا على شرحها فيما سلف من كتبنا ، وإنما نذكر في هذا الكتاب جوامع ، مُنَبِّهين [نبني ...] بها على ما سلف من مبسوطها ، وما نذكره من الوجوه فلاختلاف الروايات وتباين الناس في المصنفات من كتبهم فيما ذكرناه من أخبارهم ، ليعلم من قرأ - كتابنا هذا أنا قد بذلنا الجهود من أنفسنا ، وذكرنا سائر ما قالوه فيما وصفناه ، وبالله التوفيق ، ومنه الإعانة .

ذكر ملوك الطوائف

وهم بين الفرس الأولى والثانية

أصل ملوك الطوائف : قال المسعودي : وقد تنازع الناس في ملوك الطوائف ، أمِنَ الفرس كانوا أم من النبط أم من العرب ؟ فحكى جماعة من الأخباريين ممن عني بأخبار الماضين أنه لما قَتَلَ الإسكندر ابن فليبس دارا بن دارا تغلبَ كل رئيس ناحية على ناحيته ، وكاتبهم الإسكندر ، فمنهم فرس ونبط وعرب ، وكان مراد الإسكندر من ذلك تشتيت كلمتهم وتحزيبهم ، وغلبة كل رئيس منهم على الصقع الذي هو به ، فينعدم نظام الملك ، والانقياد الى ملك واحد يجمع كلمتهم ليرجع اليه الأمر ، إلا ان أكثرهم كانوا ينقادون ان الأشغانيين ، وهم ملوك الجبال من بلاد الدينور وناهوند وهمدان وماسبذان وأذربيجان ، وكان كل ملك منهم يلي هذا الصقع يسمى بالاسم الأعم أشغان ؛ فقبل لسائر ملوك الطوائف « الأشغانيون » ، إضافة لهم الى ملك هذا الصقع لانقيادهم اليه .

وقد حكى محمد بن هشام الكلبي عن ابيه وغيره من علماء العرب أنهم قالوا : أول ملوك الدنيا الأسكيان ، وهم من سميئا من ملوك من سلف من الفرس الأولى الى دارا بن دارا ؛ ثم الأردوان ، وهم ملوك النبط ، وكانوا من ملوك الطوائف ، وكانوا بأرض العراق مما يلي قصر ابن هبيوة وسقي الفرات والجامعين وسورا وأحمد آباد

والفرس الى حنبا وقل فحار والطفوف وسائر ذلك الصقع ، وكانت ملوك العرب من مضر بن نزار بن معد وربعة بن نزار وأنمار بن نزار ، والنضرية من بني نضر من اليمن وغيرهم من قحطان لهم ملوك ، وقد نصبت كل طائفة لها ملكا ، لعدم ملك يجمع كلمتهم ، وذلك أن الاسكندر أشار عليه معلمه ، وهو وزيره أرسطاطاليس ، في بعض رسائله اليه بذلك ، وكاتب الاسكندر ملك كل ناحية ، وملكه على ناحيته ، وتوجهه وحباه ، فاستبد كل واحد منهم بناحية ، فصار ملكه من بعده في عقبه ، ممانعا عما في يده ، وطالبا للازدياد من غيره .

وكان ملك الطوائف عند كثير من الناس ممن عني بأخبار الماضين ، ومعرفة سنيهم : خمائة سنة وسبع عشرة سنة ، وذلك من ملك الاسكندر الى أن ظهر أردشير بن بابك بن ساسان فغلب على ملوك الطوائف وقتل أردوان الملك بالعراق ، ووضع تاج أردوان على رأسه ، وكان قد قتله في مبارزة على شاطئ دجلة فهذا أول يوم يعد منه ملك أردشير لاستيلائه على سائر ملوك الطوائف ، وتمهدت له البلاد ، واستقامت دعائمها [دعائها] بملكه ، فمن ملوك الطوائف من قتل أردشير بن بابك ، ومنهم من انقاد [قاده] الى ملكه وأجاب دعوته .

وملوك الطوائف بين الفرس الأولى من سمينا ، وبين الفرس الثانية وهم الساسانية .

ملوك الطوائف : وقد ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي عن عمر كسرى في كتاب له في أخبار الفرس يصف فيه طبقات ملوكهم من سلف وخلف ، وأخبارهم ، وخطبهم وتشعب أنسابهم ،

ووصف ما بنوه من المدن ، وكوروه من الصحور ، واحتفروده من الأنهار ، وأهل البيوتات منهم ، وما وسم به كل فريق منهم ، من الشارجة وغيرهم : ان أول ملك من ملوك الطوائف « أشك » بن أشك بن أردوان بن أشغان بن آس الجبار بن سیاوش بن كيقاوس الملك عشرين سنة ، ثم ملك بعد أشك « سابور » بن أشك الملك ستين سنة ، وفي إحدى وأربعين من مملكته كان ظهور السيد المسيح عليه السلام ببلاد فلسطين بإيليا ، ثم ملك « جودرز » بن أشك بن أردوان بن أشغان عشر سنين ، ثم ملك « نيزر » بن سابور الملك بن أشك الملك إحدى وعشرين سنة ، وقيل : انه في ايامه سار تيطوس ابن أسفانيوس ملك رومية الى إيليا ، وذلك بعد ارتفاع المسيح بأربعين سنة فقتل وأسر وسبى وخرّب ، ثم ملك بعد نيزر بن سابور ابنه « جودرز » بن نيزر تسع عشرة سنة ، ثم ملك بعد جودرز نرس بن نيزر أربعين سنة ، ثم ملك بعده أخوه « هرمز » بن نيزر عشرين سنة ، ثم ملك « أردوان » بن هرمز بن نيزر خمس عشرة سنة ، ثم ملك بعد أردوان ابنه كسرى بن أردوان أربعين سنة ، ثم ملك بعد كسرى ابنه بلاس بن كسرى أربعاً وعشرين سنة ، ثم ملك بعد بلاس ابنه أردوان بن بلاس ثلاث عشرة سنة .

قال المسعودي : فهذا وجه آخر غير ما قدمنا ذكره ، وقد قيل في تاريخ سني ملوك الطوائف غير ما وصفنا ، وان مدتهم كانت أقل مما وصفنا ، والأول أشهر وأصح في مقدار ما ملكوا من السنين ، مع تباين التواريخ واختلافها وتضاد ما فيها ، غير أن الذي حكيناه هو ما اخذناه عن علماء الفرس ، وهم يراعون من تواريخ ما سلف ما لا يراعيه غيرهم لأن الفرس تدين بما وصفنا قولاً وعملاً ، وغيرهم من الناس يقول ذلك قولاً ولا ينقاد اليه عملاً لتباين أهل الشرائع ،

وقد أتينا فيما سلف من كتبنا على الفرر من أخبار الطوائف
وسيرهم ، وبالله التوفيق .

ذكر أنساب فارس ، وما قاله الناس في ذلك

تتفرع الناس في الفرس وأنسابهم : فمنهم من رأى أن فارس بن يسور
ابن سام بن نوح ، وكذلك النبط من ولد نبيط بن ياسور بن سام بن
نوح ، وهذا قول هشام بن محمد فيما حكاه عن أبيه وغيره من علماء
العرب ، ففارس ونييط أخوان وهما ابنا ياسور ، ومنهم من زعم أنه
من ولد يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل صلوات الله
عليهم ، ومنهم من ذكر أنه من لد إرم بن إرفخشذ بن سام بن
نوح ، وأنه ولد له بضعة عشر رجلاً كلهم كان فارساً شجاعاً ،
فسموا الفرس بالفروسية ، وفي ذلك يقول حطان بن المعلى الفارسي :

وَبِنَا سُمِّيَ الْفَوَّارِسُ فَرَسًا

نَا ، وَمِنَّا مَنَاجِبُ الْفَرَسَانِ

وَكَهُولٌ طَوَاهِمُ الرِّكْضِ وَالكَ

رُ كَمِثْلِ الْكُرَاتِ يَوْمَ الطَّعَانِ

وقد زعم قوم أن الفرس من ولد لوط من ابنتيه ، زهَى ورَعوى ،
ولأصحاب التوراة في هذا خبر طويل ، وذكر آخرون أنهم من ولد
بَوَّان بن إيران بن الأسود بن سام بن نوح ، وبَوَّان هذا هو الذي
ينسب إليه شُعبُ بَوَّان من بلاد فارس ، وهو أحد المواضع المشهورة
في العالم بالحسن ، وكثرة الأشجار وتدفق المياه وكثرة أنواع الأشجار ،
وقد ذكره بعض الشعراء فقال :

فشعب بوان ، فوادي الراهب ، فشم نلقى أرحلّ النجائب
ومنه من رأى أن الفرس من ولد إيران بن أفريدون ، وقد
قدمنا في صدر هذا الكتاب أخبار ولد أفريدون حين قسم الأرض
بينهم ، وما قاله الشاعر في ذلك من قوله :

ولإيران جعلنا عنوة فارس الملك وفزنا بالنعم

فأضيف الفرس إلى ذلك : وإيران تسميه الفرس أيرج إذا عرفوا
اسمه ، ولا تناكر بين الفرس جميعاً في أنها من ولد ايرج جميعاً ،
وأيرج هو إيران بن أفريدون هذا هو المستفيض بينهم ، والأغلب
عليهم : انهم من آل أيرج ، ومن الناس من ذهب الى أن سائر اجناس
الفرس واهل كور الأهواز من ولد عيلام ، ولا خلاف بين الفرس
في ان الجميع منهم من ولد كيومرث ، وهذا هو الأشهر ، وكيومرث
هو قبل أيرج بن أفريدون ، وايرج بن افريدون هو الذي ترجع إليه
فارس من ولد كيومرث ، ومن الناس من ذهب الى ان الفرس
الثانية - وهم الساسانية - دون من سلف من الفرس الأولى هم من
ولد منوشهر بن ايرج بن أفريدون ، ومنهم من ذهب إلى ان
منوشهر هو ابن مشجر بن فريقس بن ويرك ، وويرك هو إسحاق
ابن ابراهيم الخليل ، وسار مشجر إلى ارض فارس ، كان بها امرأة
متملكة يقال لها كورك ابنة أيرج ، فتزوجها ، فولدت له منوشهر
الملك ، وكثر ولده ، فملكوا الارض ، وغلبوا عليها ، وهابتهم الملوك ،
لما هم عليه من الشجاعة والفروسية ، ودثرت الفرس الأولى كدثور
الأمم الماضية والعرب العاربة .

قال المسعودي : واكثر حكماء العرب من نزار بن معد يقول هذا ،
ويعمل عليه في بدء النسب ، وينقاد إليه كثير من الفرس ، ولا

ينكرونه ، وقد ذكرته شعراء العرب من نزار بن معد ، وافتخرت
على اليمن من قحطان بالفرس ، وانها من ولد إسحاق بن ابراهيم
الخليل عليها السلام ، فقال في ذلك إسحاق بن سويد العدوي
عدي قريش :

إذا افتخرت قحطان يوماً بسؤدد ، أتى فخراً أعلى عليها وأسودا
ملكناهم بدءاً بإسحاق عمنا ، وصاروا لنا غرماً على الدهر أعبدا
فإن كان منهم تبع وابن تبع ، فأملاكهم كانوا لاملاكنا يدا
ويجمعنا والفر أبناء سارة ، أب لا يبالي بعده من تقردا
هم ملكوا شرقاً وغرباً ملوكهم ، وهم منحوم بعد ذلك سؤودا

وفي ذلك أيضاً يقول جرير بن الخطابي التميمي يفخر على قحطان بأن
الفرس والروم من اولاد اسحاق والانبياء من ولد يعقوب بن اسحاق
ابن ابراهيم عليهم السلام ، من كلمة طويلة يقول فيها :

وأبناء إسحاق ، الليوث ، إذا ارتدوا ، حمائل موت لابسين السنورا
إذا افتخروا ، عدوا الصبيذ منهم ، وكسرى ، وعدوا الهرمزان وقيصرا
وكانت كتاب الله فيهم ونوره ، وكانوا بإصطخّر الملوك وتسترا
ومنهم سليمان النبي الذي دعا ، فأعطي بنيانا وملكاً مقدرنا
أبونا أبو اسحاق ، يجمع بيننا ، أب كان مهدياً نبياً مطهرا
بني قبلة الله التي يهتدى بها ، فأورثنا عزاً وملكاً معمرا
وموسى وعيسى والذي خر ساجداً ، وأنبت زرعاً دمع عينيه أخضرا
ويعقوب منهم ، زاده الله حكمة ، وكان ابن يعقوب نبياً مطهرا
ويجمعنا والفر أبناء فارس ، أب لا يبالي بعده من تأخرا
أبونا خليل الله ، والله ربنا ، رضينا بما أعطى الاله وقدرنا

وفي ذلك يقول بشار بن برد :

نمتني الكرام بنو فارس قريش^١ ، وقومي قريش المعجم

وقال أحد شعراء الفرس يذكر أنه من ولد اسحاق ، وان إسحاق هو المسمى ويرك ، على حسب ما قدمنا قبل ، من كلمة له :

أبونا ويرك ، وبه أسامي اذا فخر المفاخر بالولاده
أبونا ويرك عبداً رسول له شرف الرسالة والزهاده
فمن مثلي اذا افتخرت قرون وبيني مثل واسطة القلاده ؟

ومن الفرس من يزعم ان ويرك هو ابن أيرك بن بورك بن سبع نسوة تولدن من غير ذكر الى ان يلحقن في نسبهن بأيرج بن أفريدون ، وهذا مما يدفعه العقل ، ويأباه الحس ، ويخرج عن العادة ، وتنبو عنه المشاهدة ، الا ما خص الله تعالى به السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ليري [ليؤدي] آياته ودلائله الخارجة عن العادة ، وعمما ذكرنا من المشاهدات .

وللفرس ها هنا منازعات في نسب منوشهر ، واضطراب في كيفية الحاقه بأفريدون وفي وطه أفريدون لبنت أيرج ، ووطه بنت البنت الى السبع منهن .

وقد كان بين ملك منوشهر على ما ذكرنا وبين ملك افريدون مدة خلت من الدهر ، وعدة من الملوك لتخرب كان بإقليم بابل ، وعدم ذي همة تنقاد اليه المملكة ، ويستقيم له الملك ، وتجتمع عليه الكلمة ، فانتقل الملك من ولد افريدون الى ولد إسحاق .

فان كان كل ما ذكرنا هو المعول عليه من قول هذه الطائفة فيجب - على ما يوجب الحساب - ان من كيومرث الى انتقال الملك الى ولد

إسحاق الفأ وتسعمائة واثنتين وعشرين سنة ، كذلك وجدت في كتب تواريخ هذه الطائفة بأرض فارس وبلاد كرمان .

قال المسعودي : وقد افتخر بعض أبناء الفرس بعد التسعين والمائتين بجده إسحاق بن إبراهيم الخليل ، على ولد إسماعيل ، بأن الذبيح كان إسحاق دون إسماعيل ، فقال من كلمة له :

'قل' لبني هاجر أبنتُ لكم ما هذه الكبرياء والعظمة؟
 ألم تكن في القديم أمكم لأمنا سارة الجمال أمه؟
 والملك فينا ، والأنبياء لنا ، إن تنكروا ذلك ، توجِدُوا ظلمةً
 إسحاق كان الذبيح ، قد أجمع الناس عليه إلا ادعاء له
 حتى إذا ما عهد أظهر الدين ، وجلّى بنوره الظلم
 قلم : قريش الأحساب مفخرة أصل لنا ، إن كنتم بنيه فمه
 أما بنو يعرب فليسوا كمن أسكنه الله آمنا حرمة
 ولا كأبناء فارس ، وهم في الأرض مثل الأسود في الأجمه

وهي قصيدة طويلة ، ذكر فيها كلاماً كثيراً لم يسعنا ذكره ، وقد أجابه عبد الله بن المعتز ، وكان قائل هذه القصيدة في عصره ، وعُمِّرَ إلى أن مضت الثلاثمائة ، يناقضه في أبيات منها ؛ فمن ذلك قوله :

أسمع صوتاً ولا أرى أحداً ، من ذا الشقي الذي أباح دمه؟
 حاشا لإسحاق أن يكون لكم أباً ، وإن كنتم بنيه فمه
 قولاً لكلب يرى لبطشته قد ففر الليث للفراس فه

والفرس ! تنقاد إلى القول بأن الملك كان فيها لأحد غير ولد أفريدون في عصر من الأعصار فيما سلف وخلف إلى أن زال عنهم

الملك ؛ إلا ان يكون دخل عليهم داخل على طريق الغصب
بغير حق .

وقد كانت أسلاف الفرس تقصد البيت الحرام ، وتطوف به ، تعظيماً
له ، ولجدهما إبراهيم عليه السلام ، وتمسكاً بهديه ، وحفظاً لأنسابها ،
وكان آخر من حج منهم ساسان بن بابك ، وهو جد أردشير بن بابك ،
وهو أول ملوك ساسان وأبوهم الذي يرجعون إليه كرجوع ملوك
المروانية إلى مروان بن الحكم ، وخلفاء العباسيين إلى العباس بن عبد
المطلب ، ولم يل الفرس الثانية أحد إلا من ولد أردشير بن بابك هذا ،
فكان ساسان إذا أتى البيت طاف به وزمزم على بشر إسماعيل ،
فقبل : إنما سميت زمزم لزمزمت عليها ، هو وغيره من فارس ، وهذا
يدل على ترادف كثرة هذا الفعل منهم على هذه البئر ، وفي ذلك
يقول الشاعر في قديم الزمان :

زَمَزَمَتِ الْفُرْسُ عَلَى زَمَزَمٍ

وذاك من سالفها الأقدم

وقد افتخر بعض شعراء الفرس بعد ظهور الإسلام بذلك ، فقال^٣
من كلمة :

وما زلنا نحج البيت قدماً ، ونلّفي بالأباطح آميننا

وساسان بن بابك ، سار حتى أتى البيت العتيق يطوف دينا

فطاف به ، وزمزم عند بشر لإسماعيل تروي الشاربينا

وكانت الفرس تهدي إلى الكعبة أموالاً في صدر الزمان ،
وجواهر ، وقد كان ساسان بن بابك هذا ، أهدى غزاليين من ذهب
وجوهرًا وسيوفًا وذهبًا كثيرًا فقذفه [فدفن في زمزم] في زمزم .

وقد ذهب قوم من مصنفي الكتب في التواريخ وغيرها من السير أن ذلك كان لجرم حين كانت بمكة ، وجرهم لم تكن ذات مال فيضاف ذلك اليها ، ويحتمل ان يكون لغيرها ، والله اعلم .

وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب ما كان من فعل عبد المطلب بهذه الأسياف وغيرها مما أودع في زمزم .

وللناس في هذه الأنساب تنازع في بدئها وتشعبها ، وقد ذكرنا من ذلك جملا ، وأوردنا منه جوامع يكتفي ذو المعرفة بالإشراف عليها عن كثير من مبسوطها .

ذكر ملوك الساسانية ، وهم الفرس الثانية واخبارهم

أردشير بن بابك شاه : كان أول من نسب اليه ملوكهم على حسب ما قدمنا في الباب الذي قبل هذا ، أردشير بن بابك شاه بن ساسان بن بابك بن ساسان بن بهاوند بن دارا بن ساسان بن بهمن ابن اسفنديار بن يستاسف بن بهراسف على حسب ما قدمنا من نسب بهراسف ، وقيل : انه أردشير بن بابك بن ساسان الاصغر بن بابك ابن ساسان بن بابك بن مهرمس بن ساسان بن بهمن بن اسفنديار بن يستاسف بن بهراسف ، ولا خلاف بينهم في أن أردشير من ولد منوشهر ، وكان مما حفظ من قوله يوم ملك وقتل أردوان وفرغ من ملوك الطوائف ووضع التاج على رأسه ، ان قال : الحمد لله الذي خصنا بنعمه ، وشملنا بفوائده وقسمه ، ومهد لنا البلاد ، وقاد الى طاعتنا العباد نحمده حمد من يعرف فضل ما آتاه ، ونشكره شكر الداري بما منحه واصطفاه ، ألا وإنا ساعون في اقامة منازل العدل ، وإدرار الفضل ، وتشيد المآثر ، وعمارة البلاد ، والرأفة بالعباد ،

وَرَمَّ أَقْطَارَ الْمَمْلُوكَةِ ، وَرَدَ مَا انْخَرَمَ فِي سَلْمِ الْأَيَّامِ مِنْهَا ، فَلْيَسْكُنْ طَائِرَكُمْ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، فَإِنِّي أَعْمُ بِالْعَدْلِ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ وَالِدُنْيَى وَالشَّرِيفِ ، وَاجْعَلِ الْعَدْلَ سَنَةً مَحْمُودَةً ، وَشَرِيعَةً مَقْصُودَةً ، وَاسْتَرِدُّونَ فِي سِيرَتِنَا إِلَى مَا تَحْمَدُونَنَا عَلَيْهِ ، وَتَصَدِّقُ أَعْمَالَنَا أَقْوَالَنا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَالسَّلَامُ .

قال المسعودي : وأردشير بن بابك المتقدم في ترتيب طبقات القدماء ، وبه اقتدى المتأخرون من الملوك والخلفاء ، وكان يرى ان ذلك من السياسة ، وبما يدعم [وبما يرم ...] عمود الرياسة ؛ فكانت طبقات خاصته ثلاثا : الأولى الأساورة وابناء الملوك ، وكان مجلس هذه الطبقة عن يمين الملك ، على نحو من عشرة أذرع ، وهم بطانة الملك وندماؤه ومحدثوه من اهل الشرف والعلم ؛ وكانت الطبقة الثانية على مقدار عشرة أذرع من الاولى وهم وجوه المرازبة وملوك الكور والمقيمون بباب اردشير والمرازبة وهم الإصبهذية ممن كانت مملكة الكور في أيامه ؛ والطبقة الثالثة كانت رتبها على قدر عشرة اذرع من حد مرتبة الطبقة الثانية ، واهل هذه الطبقة المضحكون واهل البطالة والهزل ، غير أنه لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خسيس الأصل ، ولا وضيع القدر ، ولا ناقص الجوارح ، ولا فاحش الطول أو القصر ، ولا مؤف ، ولا مرمي بابنة ، ولا ابن ذي صناعة دنيئة كابن حائك أو حجام ، ولو كان يعلم الغيب أو حوى كل العلوم مثلا .

وكان أردشير يقول : ما شيء أضر على نفس ملك أو رئيس أو ذي معرفة صحيحة من معاشرة سخي أو مخالطة وضيع لأنه كما ان النفس تصلح على مخالطة الشريف الأريب الحبيب ، كذلك تفسد بمعاشرة الخسيس ، حتى يقدح ذلك فيها ، ويزيلها عن فضيلتها ، ويثنيها عن محمود تريف اخلاقها ، وكما ان الريح اذا مرت بالطيب حملت طيباً

تحيا به النفوس وتتقوى [تقوى] به جوارحها ، كذلك اذا مرت
بالتن فحملته ألت به النفس ، وأضر بأخلاقها إضراراً تاماً ، والفساد
أسرع اليها من الصلاح إذ كان الهدم أسرع من البناء ، وقد يجد ذو
المعرفة في نفسه عند معاشره السفلة الوضعاء شهراً ، فساد عقله دهرأ .

وكان أردشير يقول : يجب على الملك ان يكون فائض العدل ،
فان في العدل جماع الخير ، وهو الحصن الحصين من زوال الملك
وتخرمه ، وان أول مخايل الادبار في الملك ذهاب العدل منه ، وانه
متى خفت رايات الجور في ديار قوم كافتحتها عقاب العدل فردتها على
العقب ، وليس أحد ممن يصحب الملوك ويخالطهم أولى باستجماع
محاسن الأخلاق وفضائل الآداب وظرائف الملح وغرائب التنف من
الينديم حتى انه ليجتاح [حتى انه يجتاح] ان يكون له مع شرف
الملوك تواضع العبيد ، ومع عفاف النساك مجون الفتاك ، ومع وقار
الشيخوخ مزاح الاحداث ، وكل واحدة من هذه الخلال هو مضطر اليها
في حال لا يحسن ان يجلب غيرها [في حال لا يحسن ان يجانبه
غيرها] والى ان يجتمع له من قوة الخاطر ما يفهم به ضمير الرئيس
الذي ينادمه على حسب ما يبئلوه من خلائقه ويعلم من معاني لحظه
واشاراته ما يعينه على شهوته ، ولا يكون نديماً حتى يكون له جمال
ومروءة ؛ فأما جماله فنظافة ثوبه ، وخطيب رائحته ، وفصاحة لسانه ؛
وأما مروءته فكثرة حياته في انبساطه الى الجميل ، ووقاره في مجلسه ،
مع طلاقة وجهه في غير سخف ، ولا يستكمل المروءة حتى يسلو
عن اللذة .

المراتب : ورتب أردشير المراتب فجعلها سبعة أفواج [أرواح] :
فأولها الوزراء ، ثم الموبدان وهو القائم بأمر الدين ، وهو قاضي

القضاة ، وهو رئيس الموازنة [المهرابذة] ومعناها القوام بأمر الدين في سائر المملكة ، والقضاة المنصوبون للأحكام ؛ وجعل الإصبهانيين أربعة : الأول بخراسان ، والثاني بالمغرب ، والثالث ببلاد الجنوب ، والرابع ببلاد الشمال [ببلاد الشام] ؛ فهؤلاء الأربعة هم أصحاب تدبير الملك ، كل واحد منهم قد أفرد بتدبير جزء من أجزاء المملكة ، فكل واحد منهم صاحب ربع منها ، ولكل واحد من هؤلاء مَرزُبَان ، وهم خلفاء هؤلاء الأربعة ؛ ورتب أردشير الطبقات الأربعة ؛ من أصحاب التدبير وَمَنْ إِلَيْهِمْ أزمِةُ الملك وحضور المشورة [وحصول المشورة] في إيراد الأمور وإصدارها ، ثم رتب طبقات المغنين وسائر المطربين وذوي الصنعة بالموسيقى .

فلم يزل على ذلك مَنْ طرأ بعده من ملوك آل ساسان إلى بهرام جور ؛ فإنه قرر [فإنه أقر] مراتب الأشراف وأبناء الملوك وسدنة بيوت النيران والنسك والزهاد وطبقات العلماء بالديانة وأنواع المهن الفلسفية على حالها ، وغير طبقات المغنين ؛ فرفع مَنْ كان بالطبقة الوسطى إلى الطبقة العليا ، والطبقة الدنيئة إلى الوسطى ، وغير المراتب على حسب إعجابه بالمطرب له منهم ، وأفسد ما رتبه أردشير بن بابك في طبقات المهين ، فسلك مَنْ ورد بعده من ملوكهم هذا المسلك ، حتى ورد كسرى أنو شروان فرداً مراتب المغنين إلى ما كانت عليه في عهد أردشير بن بابك .

وقد كانت ملوك الأعاجم كلها من عهد أردشير تحتجب عن الندماء ، وكان يكون بين الملك وبين أول الطبقات عشرون فراعاً ، لأن الستارة التي على الملك تكون منه على عشرة أذرع ، ومن الطبقة الأولى على عشرة أذرع ، وكان الموكل بالستارة رجلاً من

أبناء الأساورة يقال له : خرم باش ، فإذا غاب [فإذا مات هذا الرجل] هذا الرجل ، وكل بها آخر من أبناء الأساورة وذوي التحصيل ، وسمي بهذا الاسم ، وهذا الاسم عام لمن رتب في هذه المرتبة ووقف هذا الموقف ، وتفسير ذلك كن فرحاً مسروراً ، وكان خرم باش هذا إذا جلس الملك لندمائه ومعاقره [ومعاشرتهم] أمر رجلاً أن يرتفع على أرفع مكان في دار الملك ، فيرفع عقيرته ويغرد بصوت رفيع يسمعه كل من حضر فيقول : يا لسان احفظ رأسك ، فإنك تجالس في هذا اليوم الملك ، ثم ينزل ، وكان ذلك فعلهم في يوم جلوس الملك للهوه وطربه ، فيأخذ الندماء مراتبهم خافتة أصواتها ، غير مشيرة بشيء من جوارحها ، حتى يطلع المهكل بالستارة ، فيقول : غن أنت يا فلان كذا وكذا ، واضرب أنت يا فلان كذا وكذا ، من طريقة كذا وكذا ، من طرائق الموسيقى ، وقد كانت الأوائل من بني أمية لا تظهر للندماء ، وكذلك الأوائل من خلفاء بني العباس .

وكوّر أردشير بن بابك 'كوراً' ، ومدن 'مدناً' ، وله عهد في أيدي الناس .

زهد اردشير : ولما خلا من ملكه أربع عشرة سنة ، وقيل : خمس عشرة سنة ، واستقامت له الأرض ، ومهدما ، وصال [ومال على الملوك] على الملوك فانقادت الى طاعته ، زهد في الدنيا ، وتبين له عوارها ، وما هي عليه من الغرور والعناء [الغرور والفناء] ، وقلة المكث ، وسرعة الغيلة منها الى من أمنها ، ووثق بها ، واطمان إليها ، وبان له أنها غرارة ضرارة خاتلة زائلة بائدة ، وما اعتذوذب منها جانب لامرئ ، وحلا إلا تمرر منها عليه جانب وأوبى ورأى

أن من بنى قبله المدائن وحصن الحصون وساق الجموع وكان أعظم جيشاً وأشد جنوداً وأتم عديداً قد صار رمياً هتينا ، وتحت التراب مقياً؛ فأثر التفرد^(١) عن المملكة ، والترك لها ، واللحاق ببيوت النيران ، والافتراد بعبادة الرحمن ، والأنس بالوحدة ، فنصب ابنه و سابور ، لمملكته ، وتوجه بتاجه ، وذلك أنه رآه أرجح ولده حلاً ، وأكملهم علماً ، وأشدهم بأساً ، وأجزهم مراساً ، فعاش بعد ذلك في حال تهمده ، وخلوه بربه ، وكونه في بيوت النيران سنة ، وقيل شهراً ، وقيل : أكثر مما ذكرنا .

وأقام أردشير اثني عشرة سنة يحارب ملوك الطوائف ؛ فمنهم من يكاتبه فينقاد الى ملكه رهبة من صولته ، ومنهم من يمتنع عليه فيسير الى داره ويأتي عليه ، وكان آخر من قتل منهم ملكاً للنبط بناحية سواد العراق اسمه بابا بن بردينا صاحب قصر بن هبيرة ، ثم أردوان الملك ، وفي هذا اليوم سمي شاهنشاه ، وهو ملك الملوك .

وأما ساسان الأكبر من سبايا بني إسرائيل ، وهي بنت سانال ، ولأردشير بن بابك أخبار في بدء ملكه مع زاهد من زهادهم وابناء ملوكهم يقال له بيشر ، وكان أفلاطوني المذهب على رأيسقراط وأفلاطون ، أعرضنا عن ذكرها ، اذ كنا قد أتينا على جميع ذلك في كتابنا « أخبار الزمان » ، وفي الكتاب الأوسط مع ذكر سيره وفتوحه ، وما كان من أمره ، ولأردشير بن بابك كتاب يعرف بكتاب « الكرتامج » ، فيه ذكر أخباره وحروبته ومسيره في الارض وسيره .

(١) في بعض النسخ « فأثر التبرو من المملكة » .

وصايا أردشير وكتبه : وكان مما حفظ من وصية أردشير لابنه سابور عند نصبه إياه للملك أن قال له : يا بني ، ان الدين والملك أخوان ، ولا غنى لواحد منها عن صاحبه ؛ فالدين أس الملك ، والملك حارسه ، وما لم يكن له أس فهدوم^(١) ، وما لم يكن له حارس فضائع .

وكان مما حفظ من مكاتباته - أعني أردشير - إلى خواص من أنواع رعيته وعماله : من أرشيد بن بهمن ملك الملوك ، إلى الكتاب الذين بهم تدبير المملكة ، والفقهاء الذين هم عماد الدين ، والأساورة الذين هم حماة الحرب ، وإلى الحراث الذين هم عمرة البلاد ؛ سلام عليكم ، نحن بحمد الله صالحون ، وقد رفعنا إناوتنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا ورحمتنا ، ونحن كاتبون اليكم بوصية فاحفظوها : لا تستشعروا الحقد فيكم فيدهمكم العدو ، ولا تحبوا الاحتكار فيشلمكم القحط ، وكونوا لأبناء السبيل مأوى ترووا غداً في المعاد ، وتزوجوا في الأقارب فإنه أمس للرحم وأقرب للنسب ، ولا تركنوا للدنيا فإنها لا تدوم لأحد ، ولا تهتموا لها فلن يكون إلا ما شاء الله ، ولا ترفضوها مع ذلك فإن الآخرة لا تنال إلا بها .

وكتب أردشير إلى بعض عماله : بلغني أنك تؤثر اللين على الغلظة ، والمودة على الهيبة ، واللين على الجراءة ، فليشتد أولئك ، ولبين آخرك ، ولا تخلين قلباً من هيبة ، ولا تعطلنه من مودة ، ولا يبعد عليك ما أقول لك فإنها يتجاوزان .

سابور : ثم ملك بعد أردشير ابنه سابور ، وكان ملكه ثلاثاً وثلاثين سنة ، وكانت له حروب مع كثير من ملوك العالم ، وبني

(١) في بعض النسخ « فمهدوم » .

كوراً ، ومصر مدناً نسبت إليه ، كما نسب من الكور والمدن إلى آباءه ، والعرب تلقبه سابور الجند ، وفي أيامه ظهر ماني ، وقال بالاثنتين [بالآيتين] ، فرجع سابور عن الجوسية إلى مذهب ماني والقول بالنور والبراءة من الظلمة ، ثم عاد بعد ذلك إلى دين الجوسية ، ولحق ماني بأرض الهند ، لأسباب أوجبت ذلك قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا .

بين قيصر وسابور : وكتب ملك الروم إلى سابور بن أردشير : أما بعد ، فقد بلغني من سياستك لجندك ، وضبطك ما تحت يدك ، وسلامة أهل مملكتك بتدبيرك ، ما أحببت أن أسلك فيه طريقتك ، وأركب مناهجك .

فكتب إليه سابور : نلت ذلك بثان خصال : لم أهزل في أمر ولا نهي قط ، ولم أخلف وعداً ولا وعيداً قط ، وحاربت للغي لا للهوى ، واجتلبت قلوب الناس ثقة [مقه] بلا كره ، وخوفاً بلا مقت ، وعاقبت للذنب لا للغضب ، وعمت بالقوت ، وحسنت الفضول .

ويقال : ان سابور كتب الى بعض عماله : اذا استكثبت (١) رجلاً فأسن رزقه ، وشد بصالح الأعوان عضده ، وأطلق بالتدبير يده ؛ ففي إسناء رزقه حسم طمعه ، وفي تقويته بالأعوان نس وطأته على أهل العدوان ، وفي إطلاقه بالتدبير (٢) ما أخافه عواقب الأمور ، ثم قفه من أمره على ماله قدمته (٣) ليمثله إماماً ويحفظه كلاماً ،

(١) في بعض النسخ « اذا استكثبت رجلاً » .

(٢) « « « وفي اطلاق يده بالتدبير » .

(٣) « « « على ماله نديته ليمثله اماماً » .

فإن وقع أمره بما رسمت فأوله غرضك ، وأوجب زيادته عليك ،
وان حاد عن أمرك علقته حجتك ، واطلقت بالمعقوبة عليه
يدك ، والسلام .

وعهد سابور الى ولده هرمز ومن تلاه من الملوك بعده ، فقال :
اجعلوا علو أخلاقكم كعلو أخطاركم ، وارتفاع كرمكم كارتفاع
هممكم ، وفضل سعيكم كفضل جدكم .
وقيل : إن ملك سابور كان احدى وثلاثين سنة ونصفاً وثمانية
عشر يوماً .

هرمز : ثم ملك بعد سابور ابنه د هرمز ، بن سابور الملقب
بالبطل ، وكان ملكه سنة ، وقيل : اثنين وعشرين شهراً ، وبنى مدينة
رامهرمز من كور الأهواز .

وكتب الى بعض عماله : لا يصلح لسد الثغور وقود الجيوش وابرام
الأمور وتدبير الأقاليم إلا رجل تكاملت فيه خمس خصال : حزم
يتيقن به عند موارد الأمور حقائق مصادرها ؛ وعلم يحجبه عن التهور
في المشكلات إلا عند تجلي فرصتها ؛ وشجاعة لا تنقصها الملأ بتواتر
جوانحها ، وصدق في الوعد والوعيد يوثق بوفائه بها ، وجود يهون
عليه بتدبير (١) الأموال في حقها .

بهرام : ثم ملك بعده بهرام بن هرمز ثلاث سنين ، وصكانت له
حروب مع ملوك الشرق .

و١٠ ذكرنا أن بهرام أتاه ماني بن يزيد تليذ قاردون (٢) فعرض

(١) وفي نسخة « وجود يهريق عليه تدبير الاموال في حقها » .

(٢) في بعض النسخ « ماني بن فديك تليذ ماردون » .

عليه مذاهب الثنوية ، فأجابه احتيالا منه عليه الى أن أحضر دعائه المتفرقين في البلاد من أصحابه الذين يدعون الناس الى مذاهب الثنوية ، فقتله ، وقتل الرؤساء من أصحابه ، وفي أيام ماني هذا ظهر اسم الزنادقة الذي اليه أضيف الزنادقة ، وذلك أن الفرس حين أتاهم زرادشت بن أسبيان - على حسب ما قدمنا من نسبة فيما سلف من هذا الكتاب - بكتابتهم المعروف بالبستاه باللغة الأولى من الفارسية ، وعمل له التفسير ، وهو الزند ، وعمل لهذا التفسير شرحاً سماه البازند ، غلى حسب ما قدمنا ، وكان الزند بياناً لتأويل المتقدم المنزل ، وكان من أورد في شريعتهم شيئاً بخلاف المنزل الذي هو البستاه ، وعدل الى التأويل الذي هو الزند ، قالوا : هذا زندي ، فأضافوه الى التأويل ، وأنه منحرف عن الظواهر من المنزل إلى تأويل هو بخلاف التنزيل ، فلما أن جاءت العرب أخذت هذا المعنى من الفرس ، وقالوا : زنديق ، وعربوه ، والثنوية هم الزنادقة ، ولحق بهؤلاء سائر من اعتقد القدم ، وأبى حدوث العالم .

بهرام بن بهرام : ثم ملك بعده بهرام بن بهرام ، وكان ملكه سبع عشرة سنة ، وقيل غير ذلك ، وأقبل في أول ملكه على القصف واللذات والصيد والنزهة ، لا يفكر في ملكه ، ولا ينظر في أمور رعيته ، وأقطع الضياع لخواصه ومن لاذ به من خدمته وحاشيته ، فخربت الضياع ، وخرت من عمّارها ، وسكنوا الضياع المتعززة ، فقلت العمارة إلا ما أقطع من الضياع ، وسقطت عنهم المطالبة بالخراج بمايلة الوزراء خواص الملك ، وكان تدبير الملك مفوضاً الى وزرائه ؛ فخربت البلاد ، وقلت العمارة وقل ما في بيوت الأموال فضعف القوي من الجنود ، وهلك الضعيف منهم ، فلما كان في بعض الأيام ركب الملك إلى بعض متنزهاته وصيده ، فجنه الليل وهو

يسير نحو المدائن ، وكانت ليلة قمره ، فدعا بالموبدان^(١) لأمر خطر
ببالة فلحق به وسايره ، وأقبل على محادثته^(٢) ، مستخبراً له عن
سير أسلافه ، فتوسطوا في مسيرهم خربات كانت من أمهات الضياع
قد خربت في مملكته ، ولا أنيس بها إلا اليوم ، وإذا يوم يصبح
وآخر يجاوبه من بعض تلك الخربات . فقال الملك للموبدان : أترى
أحداً من الناس أعطى قهْمَ منطلق هذا الطير المصوت في هذا
الليل الهادي ؟ فقال له الموبدان : أنا أيها الملك ممن قد خصه الله
بفهم ذلك ، فاستفهمه الملك عما قال ، فأعلمه أن قوله صحيح ، فقال
له : فما يقول هذا الطائر ، وما الذي يقول الآخر ؟ قال الموبدان :
هذا يوم ذكر يخاطب بومة ، ويقول لها : أمتعيني من نفسك حتى
يخرج منا أولاد يسبحون الله ، ويبقى لنا في هذا العالم عقب يكثرون
ذكرنا والترحم علينا ؛ فأجابته البومة : إن الذي دعوتني إليه هو
الحظ الأكبر ، والنصيب الأوفر ، في العاجل والآجل ، إلا اني اشترط
عليك خصالاً إن انت اعطيتنيها أحببتك إلى ما دعوتني إليه ، فقال
لها الذكر : وما تلك الخصال ؟ قالت : أولها إن انا أجتك نفسي
وصرت إلى ما إليه دعوتني تضمن لي أن تعطيني من خربات أمهات
الضياع عشرين قرية مما قد خرب في أيام هذا الملك السعيد ، فقال
له الملك : فما الذي قال لها الذكر ؟ قال الموبدان : كان من قوله لها
إن دامت أيام هذا الملك السعيد جده أعطيتك^(٣) مما يخرب من
الضياع الف قرية ، فما تصنعين بها ؟ قالت : في اجتماعنا ظهور النسل ،
وكثرة الولد ، فنقطع كل واحد من أولادنا قرية من هذه الخربات ،

(١) في بعض النسخ « فدعا بالموبد » .

(٢) « « « : وأقبل عليه بمحادثته » .

(٣) « « « « أقطمتك » .

قال لها الذكر : هذا أسهل أمر سألتفيه ، وإيسر أمر طلبته مني ،
وقدمت لك الوعد وأنا مليء بذلك ، فهاتي ما بعد ذلك ؛ فلما سمع الملك
هذا الكلام من الموبدان عمل في نفسه ، واستيقظ من نومه ، وفكر فيما
خوطف به ، فنزل من ساعته ، وترجّل للناس ، وخلا بالموبدان فقال
له : أيها القيم بالدين ، والناصح للملك ، والمنبه على ما أغفله من أمور
ملكه ، وأضاعه من أمر بلاده ورعيته ، ما هذا الكلام الذي خاطبتني
به ؟ فقد حركت مني ما كان ساكناً ، وبعثتني على علم ما كنت عنه
غائباً ، قال الموبدان : صادفت من الملك السعيد جدّه وقت سعدٍ
للعباد والبلاد ، فجعلت الكلام مثلاً وموقظاً على لسان الطائر عند
طلب الملك مني جواب ما سأل ؛ ثم قال له الملك : أيها الناصح ،
اكشف لي عن هذا الغرض الذي إليه رميت ، والمعنى الذي له
قصدت ، ما المراد منه ؟ وإلى ماذا يؤول ؟ قال الموبدان : أيها
الملك السعيد جده ، ان الملك لا يتم عزه إلا بالشرعية والقيام لله تعالى
بطاعته ، والتصرف تحت أمره ونهيه ، ولا قوام للشرعية إلا بالملك ،
ولا عز للملك إلا بالرجال ، ولا قوام للرجال إلا بالمال ، ولا سبيل
إلى المال إلا بالعمارة ، ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل ، والعدل الميزان
المنصوب بين الخليقة ، نصبه الرب وجعل له قياً^(١) ، وهو الملك ؛
قال الملك : أما ما وصفت فحق ، فأبين لي عما تقصد ، وأوضح لي
في البيان ؛ قال الموبدان : نعم أيها الملك ، عمدت إلى الضياع
فانتزعتها من أربابها وعمّارها ، وهم أرباب الخراج ومن تؤخذ منهم
الأموال ، فأقطعتها الحاشية والخدم وأهل البطالة وغيرهم ، فعمدوا إلى
ما تعجل من غلاتها ، واستعجلوا المنفعة ، وتركوا العمارة والنظر في
العواقب وما يصلح الضياع ، وسومحوا في الخراج ، لقربهم من الملك ،

(١) في بعض النسخ « وجعله قديماً وهو الملك » .

ساسان الى هذا الملك - وهو هرمز بن نرسي - كانوا ينزلون جنديسابور من بلاد خوزستان ، وقد كان يعقوب بن الليث الصفار أراد سكنى جنديسابور متشبهاً بمن مضى من ملوك ساسان ، الى أن مات بها ، وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أخبار المعتمد حين سكناه إياها ووفاته فيها .

سابور ذو الأكتاف : ثم ملك بعد هرمز بن نرسي ابنه سابور ابن هرمز ، وهو سابور ذو الأكتاف وكان ملكه إلى أن هلك اثنتين وسبعين سنة ، وخلفه والده حملاً ، فغلبت العرب على سواد العراق ، وقام الوزراء بأمر التدبير ، وكانت جمرة العرب بمن غلب على العراق ولد إباد بن نزار ، وكان يقال لها « طبق » ، لاطباقها على البلاد ، وملكها يومئذ الحارث بن الأغر الأيادي ، فلما بلغ سابور من السن ست عشرة سنة أعدت أساورته بالخروج اليهم (١) والايقاع بهم ، وكانت إباد تصيف بالجزيرة وتشتو بالعراق ، وكان في حبس سابور (٢) رجل منهم يقال له لقيط فكتب إلى إباد شعراً يندرم به ، ويعلمهم خبر من يقصدهم ، وهو :

سلام في الصحيفة من لقيط على من في الجزيرة من إباد
بأن الليث يأتيكم دلاقا فلا يحسبكم شوك القتاد
أناكم منهم سبعون ألفاً ، يجرئون الكتاب كالجراد (٣)
على خيل سائتكم ، فهذا أو ان هلاككم كهلاك عاد (٤)

(١) في بعض النسخ « للخروج اليهم والايقاع بهم » .

(٢) « « « في جيش سابور » .

(٣) « « « يزجون الكتاب كالجراد » .

(٤) « « « على خيل قبيلكم » .

فلم يعبثوا بكتابه ، وسراياه تكرر نحو العراق وتغير على السواد ،
فلما تجهز القوم نحوهم أعاد اليهم كتاباً يخبرهم فيه أن القوم قد
عسكروا ، وتحشدوا لهم ^(١) ، وأنهم سائرون اليهم ، وكتب لهم
شعراً أوله :

يا دار عمرة من تذكراها الجوعا ،
هتجت لي الهم والأحزان والوجعا ^(٢)

أبلغ إياداً ، وحلل في سراتهم
أنى أرى الرأي إن لم أعصَ قد نصعا

ألا تخافون قوماً ، لا أبا لكم
مشوا إليكم كأمثال الدبى سرعا

لو أن جمعهم راموا بهدتهم شمّ الشاريخ من ثهلان لانصدعا
فقلدوا - أمرم الله درم رجب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

فأوقع بهم ، فعمهم القتل ، فما أفلت منهم إلا نفر لحقوا بأرض
الروم ، وخلع بعد ذلك أكتاف العرب ، فسمي بعد ذلك سابور
ذا الأكتاف .

وقد كان معاوية بن أبي سفيان راسل من العراق من تميم ،
ليشبوا بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ! فبلغ ذلك علياً رضوان
الله عليه ، فقال في بعض مقاماته في كلام له طويل :

إن حيا يرى الصلاح فساداً ، أو يرى النفي في الأمور رشاداً ^(٣)
لقريب من الهلاك كما أهلك سابور بالسواد إياداً

(١) في بعض النسخ « وحشدوا لهم » .

(٢) « « « يا دار علة » وفيها « الجزعا » .

(٣) « « « ان خبا » وفي نسخة أخرى « أو يرى النفي في الامور سداداً » .

وقد كان سابور في مسيره في البلاد أتى على بلاد البحرين ،
وفيه يومئذ بنو تميم ، فأمن في قتلهم ، وفرت بنو تميم ، وشيخها
يومئذ عمرو بن تميم بن مر ، وله يومئذ ثلاثمائة سنة ، وكان يعلق في
عمود البيت في قفة قد اتخذت له ، فأرادوا حمله ، فأبى عليهم إلا
أن يتركوه في ديارهم ، وقال : أنا هالك اليوم أو غداً ، وماذا بقي
لي من فسحة العمر ؟ ولعل الله ينجيك بي من صولة هذا الملك
المسلط على العرب ، فخلوا عنه ، وتركوه على ما كان عليه ، فصبت
خيل سابور الديار ، فنظروا الى أهلها وقد ارتحلوا ، ونظروا الى قفة
معلقة في شجرة ، وسمع عمرو صهيل الخيل ووقعها ، ومهمة الرجال ،
فأقبل يصيح بصوت ضعيف ، فأخذوه ، وجاءوا به الى سابور ، فلما
وضع بين يديه نظر الى دلائل الهرم ومرور الأيام عليه ظاهرة (١) ،
فقال له سابور : من أنت أيها الشيخ الفاني ؟ قال : أنا عمرو بن تميم
ابن مر ، وقد بلغت من العمر ما ترى ، وقد هرب الناس منك
لإسرافك في القتل وشدة عقوبتك إياهم ، وآثرتُ الفناء على يدك
ليبقى من مضي من قومي ، ولعل الله ملك السماوات والأرض يجري
على يدك فرجهم ، ويصرفك عما أنت بسبيله من قتلهم ، وأنا سائلك
عن أمر إن أذنت لي فيه ، فقال له سابور : قل يُسمع (٢) منك ،
فقال له عمرو : ما الذي يملك على قتل رعيتك ورجال العرب ؟
فقال سابور : أقتلهم لما ارتكبوا من أخذ بلادي وأهل مملكتي ،
فقال عمرو : فعلوا ذلك ولست عليهم بقيم ، فلما بلغت وقفوا عما
كانوا عليه من الفساد هيبة لك ، قال سابور : أقتلهم لأنا ملوك الفرمن
نجد في مخزون علمنا وما سلف من أخبار أوائلنا أن العرب ستُدال

(١) في نسخة « بينة » .

(٢) في بعض النسخ « قل لسمع منك » .

علينا ، وتكون لهم الغلبة على ملكنا ، فقال عمرو : هذا أمر تتحققه أم تظنه ؟ قال : بل أتحققه ولا بد أن يكون ذلك ، قال له عمرو : فإن كنت تعلم ذلك فلم تسيء الى العرب ؟ والله لأن تبقي على العرب جميعاً وتحسن اليهم فيكافئون عند إدالة الدولة لهم قومك بإحسانك ، وإن أنت طاليت بك المدة كافأوك عند مصير الملك اليهم ، فيبقون عليك وعلى قومك ، وإن كان الأمر حقاً - كما تقول - فهو أحزم في الرأي ، وأنفع في العاقبة ، وإن كان باطلا فلم تتمجل الإثم وتسفك دماء رعيتك ؟ فقال سابور : الأمر صحيح ، وهو كائن لكم ، والرأي ما قلت ولقد صدقت في القول ، ونصحت في الخطاب ، فنادى منادي سابور بأمان الناس ، ورفع السيف ، والكف عن قتلهم ، ويقال : ان عمراً بقي في هذا العالم بعد هذا الوقت ثمانين سنة ، وقيل : أقل من ذلك ، والله أعلم .

٤

وسار سابور نحو بلاد الشام ، فافتتح المدن ، وقتل خلائق من الروم ، ثم طالبتة نفسه بالدخول الى أرض الروم متنكراً ليعرف أخبارهم وسيرهم ، فتنكر ، وسار الى القسطنطينية ، فصادف وليمة لقيصر قد اجتمع فيها الخاص والعام منهم ، فدخل في جملتهم ، وجلس على بعض موائدهم ، وقد كان قيصر أمر مصوراً أتى عسكر سابور فصوره له ، فلما جاء قيصر بالصورة أمر بها فصورت على آنية الشراب من الذهب والفضة ، وأتى من كان على المائدة التي عليها سابور بكأس ، فنظر بعض الخدم الى الصورة التي على الكأس وسابور مقابل له على المائدة ، فعجب من اتفاق الصورتين ، وتقارب الشكلين^(١) فقام الى الملك ، فأخبره ، فأمر به ، فمثل بين يديه ، فسأله عن خبره ،

(١) في بعض النسخ « الشبيين » .

فقال : أنا من أساورة سابور استحققت العقوبة لأمر كان مني ، فدعاني ذلك الى الدخول إلى أرضكم ، فلم يقبل ذلك منه ، وقدم الى السيف فأقر ، فجعله في جلد بقرة ، وسار قيصر في جنوده حتى توسط العراق ، وافتتح المدائن ، وشن الغارات ، وعَضَدَ النخل (١) ، وانتهى الى مدينة جنديسابور ، وقد تحصن بها وجوه فارس ، فنزل عليها وحضر عيداً لهم في تلك الليلة التي أشرفوا على فتح المدينة في صبيحتها ، فأغفل الموكلون أمر سابور ، وأخذ الشراب منهم ، وكان بالقرب من سابور جماعة من أسارى الفرس ، فخاطبهم أن يحمل بعضهم بعضاً ، وشجعهم ، وأمرهم أن يصبوا عليه زقاقاً من الزيت كانت هناك ، ففعلوا ، فلان عليه الجلد وتخلص ، وأتى المدينة وهم يتحارسون على سورها فخاطبهم ، فعرفوه ورفعوه بالحبال اليهم ، ففتح ابواب خزائن السلاح ، وخرج بهم ففرقهم حول مواضع من الجيش ، والروم غارثون مطمثنون (٢) ، فكبس الجيش عند ضرب النواقيس ، فأتوه بقيصر أسيراً ، فاستحياه وأبقى عليه ، وضم اليه من أفلت من القتل من رجاله ، ففرس قيصر بالعراق الزيتون بدلا مما عضده من النخل فيها ، ولم يكن يعهد بالعراق الزيتون قبل ذلك ، وبنى شاذروان مدينة تستر لنهرها ، والشاذروان هو المسناة العظيمة ، والكر من الحجر والحديد والرصاص ، وعمر ما أخرج ، في اخبار يطول ذكرها ، وانصرف قيصر نحو الروم .

وقد ذكر في بعض الاخبار ان سابور ربق قيصر (٣) ، وقطع أعصاب عقبه أو رقبها ، وأن الروم لا تربق دوابها ، ولا تلبس الحفاف المعقبة ،

(١) في بعض النسخ « وعقر النخيل » .

(٢) « « « « والروم قارون مطمثنون » .

(٣) « « « « ربق قيصر » .

وفي ذلك يقول الحارس بن جندة المعروف بالهرمزان :

مُملِكُوا جميع الناس طراً ، وهم رَبَقُوا هرقلاً بالسواد
وهم قتلوا أبا قابوس غصباً ، وهم أخذوا البسيطة من إباد

وفي فعل سابور وتغريه بنفسه في دخوله الى أرض عدوه
متجسماً يقول بعض المتقدمين من شعراء أبناء فارس :

وكان سابور صَفْواً في أرومته اختير عنها ، فأضحى غير مختار
إذ كان بالروم جاسوساً يحول به حَزَمُ المنية من ذي كيد مكار
فاستأسروه وكانت كبوة عجباً ، وزلة سبقت من غير عَشَار (١)
فأصبح الملكُ الرومي معترضاً أرض العراق على هول وأخطار (٢)
فراطنَ الفرس بالأبواب ، فافترقوا ، كما تجاوب أسد الغاب في الغار (٣)
فجزَّ بالسيف أمر الروم ، فامتحقوا لله درك من طَلَّاب أوتار (٤)
إذ يفرسون من الزيتون ما عضدوا من النخيل وما حفوا بمنشار (٥)

وغزا سابور بعد ذلك بلاد الجزيرة وآمد وغيرها من بلاد الروم،
ونقل خلقاً من أهلها ، وأسكنهم بلاد السون وتستر وغيرها من مدن
كور الأهواز ، فتناسلوا وقطنوا تلك الديار ؛ فمن ذلك الوقت صار
الديباج التستري وغيره من أنواع الحرير يعمل بتستر ، والحز بالسوس ،
والستور والفرش ببلاد نصيبين ، ومبكت الى هذه الغاية ، وقد كان
من قبله من ملوك الساسانية ونشير ممن سلف من فارس الأولى

(١) في نسخة « من غير غمار » .

(٢) « « وأصبح الملك الرومي مقترباً » .

(٣) « « فراطن الفرس بالايوان » .

(٤) « « فجزذ بالسيف أصل الروم » .

(٥) « « ما عقروا من النخيل » .

يسكن بطيسون (١) ، وذلك بغربي المدائن من أرض العراق ، فسكن سابور في الجانب الشرقي من المدائن ، وبنى هناك الإيوان المعروف بابوان كسرى الى هذه الغاية ، وقد كان أبرويز بن هرمز أتم مواضع من بناء هذا الإيوان ، وقد كان الرشيد نازلاً على دجلة بالقرب من الإيوان ، فسمع بعض الخدم من وراء السرادق يقول لآخر : هذا الذي بنى هذا البناء ابن كذا وكذا ، أراد أن يصعد عليه الى السماء ، فأمر الرشيد بعض الأستاذين من الخدم أن يضربه مائة عصاً ، وقال لمن حضره : إن الملك نسبة ، والملوك به إخوة ، وإن الغيرة بعثتني على أدبه لصيانة الملك ، وما يلحق الملوك للملوك .

وذكر عن الرشيد بعد القبض على البرامكة أنه بعث الى يحيى ابن خالد بن برمك ، وهو في اعتقاله ، يشاوره في هدم الإيوان ، فبعث اليه : لا تفعل ، فقال الرشيد لمن حضره : في نفسه المجوسية ، والحنو عليها ، والمنع من إزالة آثارها ، فشرع في هدمه ، ثم نظر فإذا يلزمه في هدمه أموال عظيمة لا تضبط كثرة ، فأمسك عن ذلك ؛ وكتب الى يحيى يعلمه ذلك ، فأجابه بأن ينفق في هدمه ما بلغ من الأموال ، ويحرص على فعله ، فعجب الرشيد من تنافي كلامه في أوله وآخره ، فبعث اليه يسأله (٢) عن ذلك ، فقال : نعم ، أما ما أشرتُ به في الأول فإني أردت بقاء الذكر لأمة الإسلام وبعد الصيت ، وأن يكون من يرذُ في الأعصار ويطرأ من الأمم في الأزمان يرى مثل هذا البنيان العظيم ، فيقول : إن أمة قهرت أمة هذا بنيانها فأزالت رسومها واحتوت على ملكها لأمة عظيمة شديدة منيعة ؛ وأما جوابي الثاني فأخبرت أنه قد شرع في هدمه ثم عجز

(١) وفي نسخة « بطيسون » .

(٢) في بعض النسخ « ليسأله » .

عنه ، فأردت نفي العجز عن أمة الإسلام لئلا يقول من وصفت ممن يرد في الاعصار : إن هذه الأمة عجزت عن هدم ما بنته فارس^(١) فلما بلغ الرشيد ذلك من كلامه قال : قاتله الله تعالى ! فما سمعته قال شيئاً قط إلا صدق فيه ، وأعرض عن هدمه وسابور هو الذي بنى مدينة نيسابور ببلاد خراسان وغيرها بفارس والعراق .

سابور بن سابور : ثم ملك بعد سابور بن هرمز ، أخوه أردشير ابن هرمز ، وكان ملكه إلى أن خلع أربعين^(٢) سنة ، ثم ملك بعده سابور بن سابور ، خمس سنين وقيل : وأربعة أشهر ، وكانت له حروب كثيرة مع إياد بن نزار وغيرها من العرب ، وفيه يقول شاعر إياد :
على رغم سابور بن سابور أصبحت قباب إياد حولها الخيل والنعم

ويقال : ان هذا الشعر قاله نفر قد لحقوا بأرض الروم حين أوقع بهم سابور ذو الأكتاف على ما ذكرنا ، ثم تراجعوا إلى ديارهم ، وانضافوا إلى زبيعة^{زبيعة} من ولد بكر بن وائل ، وان ربيعة كانت قد غلبت على السواد ، وشنت الغارات في ملك سابور بن سابور ، فقال شاعر إياد في ذلك ما وصفنا ، وهم داخلون في جملة ربيعة ، وقيل غير ذلك ، والله أعلم بالصحيح منه .

بهرام : ثم ملك بعده بهرام بن سابور ، وكان ملكه عشر سنين^(٣) وقيل : إحدى عشرة سنة .

يزدجرد : ثم ملك بعده يزيدجرد بن سابور ، المعروف بالآثم ، وكان ملكه إلى أن هلك إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر

(١) في بعض النسخ « بنتها فارس »

(٢) في بعض النسخ « أربع سنين » .

(٣) وفي نسخة « عشرين سنة »

يوماً ، وقيل : اثنتين وعشرين سنة غير شهرين .

بهرام جور ، ثم ملك بعده بهرام بن يزدجرد وهو بهرام جور ، فكان ملكه ثلاثاً وعشرين سنة وقيل : تسع عشرة سنة وملك وهو ابن عشرين سنة ، وغاص هو وفرسه في حومة حماة في بعض أيام صيده ، فجزعت عليه فارس ، لما كان عمها من عدله ، وشملها من إحسانه ورأفته برعيته ، واستقامة الأمور في أيامه ، وقد كان خرج في أيامه خاقان ملك الترك الى الصفد ، وشن الغارات في بلاده ، وقيل : انه أتى الى بلاد الري ، وان بهرام كتب أجناده وتكعب الطريق في اليسير من جريدة أصحابه حتى أتى على خاقان في جنوده وسار نحو العراق برأسه ، فهابته ملوك الارض ، وهادنه قيصر ، وحمل اليه الأموال ، وقد كان بهرام قبل ذلك دخل إلى أرض الهند متنكراً ، ولأخبارهم متعرفاً ، واتصل بشيرمة ملك من ملوك الهند ، فأبلى بين يديه في حرب من حروبه ، وأمكنه من عدوه ، فزوجه ابنته على أنه بعض أساورة فارس ، وكان نشؤه مع العرب بالحيرة ، وكان يقول الشعر بالعربية ويتكلم بسائر اللغات ، وكان على خاتمه مكتوب : بالأفعال تعظم الأخبار ، وله أخبار في أخذه الملك بعد أبيه وتناوله التاج^(١) والراية ، وقد وضعنا بين سبعة^(٢) وأخبار غير ذلك ، وسير يطول ذكرها ، ولأية علة سمي بهرام جور ، وما أحدث من الرمي بالنشاب في أيامه ، ومن النظم^(٣) في داخل القوس وخارجها ، وقد أتينا على جميع ذلك في كتابنا « أخبار الزمان » والكتاب الأوسط ، وما قالت الفرس والترك في بنية القوس ، وأنها

(١) في بعض النسخ « التاج والبدنة » .

(٢) « « « « وضعنا بين يديه » .

(٣) « « « « ومن النظر في داخل القوس » .

مركبة على الطبائع الأربع كطبائع الانسان ، وما ذهبوا اليه من أنواع الرمي وكيفيته ، وما حفظ من شعر بهرام جور قوله يوم ظفروه بخاقان وقتله له :

أقول له لما فضضت جموعه : كأنك لم تسمع بصولات بهرام
فإني حامي ملك فارس كلها وما خير ملك لا يكون له حام؟
وقوله أيضاً :

لقد علم الأنام بكل أرض بأنهم قد أضعوا لي عبيدا
ملكتم ملوكهم ، وقهرت منهم عزيزم المسود والمسودا
فتلك أسودهم تقمي حذاري ، وترهب من مخافي الورودا (١)
وكنت إذا تشاوس ملك أرض عبات له الكتاب والجنودا (٢)
فيعطيني المقادة ، أو أوافي به يشكو السلاسل والقيودا

وله أشعار كثيرة بالعربية والفارسية أعرضنا عن ذكرها في هذا الموضوع طلباً للإيجاز .

يزدجرد بن بهرام : ثم ملك بعده يزيدجرد بن بهرام ، وكان ملكه تسع عشرة سنة ، وقيل : ثمان عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوماً ، وقد كان بني حائطاً باللين والطين بناحية الباب والأبواب على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في ذكرنا للباب والأبواب وجبل القبخ (٣) ، وأحضر يزيدجرد بن بهرام رجلاً من حكماء عصره كان في أقاصي مملكته آخذاً من أخلاقهم ومقتبس الرأي منه يسوس به رعيته ، فقال له يزيدجرد وقد مثل بين يديه : أيها الحكيم

(١) في بعض النسخ « تبغي حذاري »

(٢) « « « « تشاوش ملك أرض » (٣) في بعض النسخ « جبل الفتح »

الفاضل ، ما صلاح الملك ؟ فقال : الرفق بالرعية ، وأخذ الحق منهم من غير مشقة ، والتودد إليهم بالعدل ، وأمن السبل ، وإنصاف المظلوم من الظالم ، قال : فما صلاح أمر الملك ؟ فقال : وزراؤه وأعوانه فإنهم إن صلحوا صلح ، وإن فسدوا فسد ؛ وقال له يزدجرد : إن الناس قد أكثروا في أسباب الفتن ، فصف لي ما الذي يشبها وينشئها ، وما الذي يسكنها ويدفنها (١) ، قال : يشبها ضغائن وينشئها جرأة عامة ولدها استخفاف بخاصة ، وأكدها انبساط الألسن بضائر القلوب ، وإشفاق مواسر ، وأمل مُعسِر ، وغفلة ملتذ ، ويقظة محروم ، والذي يسكنها أخذ العُدَّة لما يُخاف قبل حلوله ، وإيثار الجد حين يلتذ الهزل ، والعمل بالحزم في الغضب والرضا .

ثم ملك بعده هرمز بن يزدجرد ، فنازعه أخوه فيروز ، فقتله ووليَّ الملك ، وهو فيروز بن يزدجرد بن بهرام ، وكان ملك فيروز إلى أن ملك على يدي ملك الهياطلة أخشنواز (٢) بمرور الروذ من بلاد خراسان سبعا وعشرين سنة (٣) والهياطلة هم الصفد ، وهم بين بخارى وسمرقند .

ثم ملك بلاس بن فيروز الملك ، وكان ملكه أربع سنين .
قباذ : ثم ملك قباذ بن فيروز ، وفي أيامه ظهر مزدك الزنديق ، وإليه تضاف المزدكية ، وله أخبار مع قباذ ، وما أحدثه في العامة من النواميس والحيل إلى أن قتله أنوشروان في ملكه ، وكان ملك قباذ إلى أن هلك ثلاثاً وأربعين سنة .

(١) في بعض النسخ « ويدفنها » .

(٢) « » « » « باحسران » .

(٣) « » « » « تسعا وعشرين سنة » .

أنوشروان : ثم ملك بعده ولده أنوشروان بن قباد بن فيروز ثانياً وأربعين سنة ، وقيل سبعمائة وأربعين سنة وثمانية أشهر ، وقد كان قباد خلع من ملكه وأجلس بدله أخ له يقال له جاماسب (١) نحواً من سنتين ، لأمر كان من مزدك وأصحابه ، فظاهر أنوشروان بزرجهر ابن سرحر (٢) حتى أعيد قباد إلى ملكه في خبر طويل ، ولما ملك أنوشروان قتل مزدك وأتبعه بثمانين ألفاً من أصحابه ، وذلك بين حادر والنهروان (٣) من أرض العراق ، فسمي من ذلك اليوم أنوشروان ، وتفسير ذلك جديد (٤) الملوك ، وجمع أهل مملكته على دين المجوسية ، ومنعهم النظر والخلاف والحجاج في الملل (٥) ، وسار نحو الباب والأبواب وجبل القبيخ (٦) لما كان من غارات من هنالك من الملوك على بلاده فبنى السور في البحر على أزقاق البقر المنفوخة بالصخر والحديد والرصاص ، فكلما ارتفع البناء نزلت تلك الأزقاق إلى أن استقرت في قرار البحر ، وقد ارتفع السور على الماء ، وغاصت الرجال حينئذ بالحناجر والسكاكين إلى تلك الأزقاق فشققتها ، وتمكن السور على وجه الماء في قرار البحر ، وهو باق إلى وقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، ويسمى هذا الموضع من السور في البحر العسد (٧) مانعاً للمراكب في البحر إن وردت من بعض الأعداء ، ثم مد السور في البر (٨) ما بين جبل القبيخ (٦) والبحر وجعل فيه الأبواب بما يلي الكفار ، ثم مد السور على جبل القبيخ (٦) على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا

(١) في بعض النسخ « جاماست ».

(٢) « فاسفر أنوشروان لزر مهر بن سوجرى » .

(٣) « بين جازر والنهروان » . (٦) في بعض النسخ « جبل الفتح » .

(٤) « جديد الملك » . (٧) « » « » « القيد » .

(٥) « » « » « الحجاج في الملك » . (٨) « » « » « مد السور في البحر » .

فقبل ذلك منه ، ونقل من الشام المرمر والرخام وأنواع الفسيفساء والأحجار ، والفسيفساء : هي شيء يطبخ من الزجاج والاحجار ذو بهجة وألوان يدخل فيما فرش من الأرض والبنيان كالفصوص ، ومنه على هيئة الجمامات شاف^(١) ، وحمل ذلك الى العراق ؛ فبنى مدينة نحو المدائن وسماها برومية ، وجعل بنيانها وما داخل سورها بما ذكرنا من انواع الاحجار ، يحكي بذلك أنطاكية وغيرها من المدن في الشام ، وهذه المدينة سورها من طين قائم الى هذا الوقت خراب ، وبقى يعرف بما ذكرنا ، وزوجها خاقان ملك الترك بابنته وابنة أخيه ، وهادنته ملوك الهند والشمال والجنوب وسائر الممالك ، وحملت اليه الهدايا ، ووفدت اليه الوفود خوفاً من صولته وكثرة جنوده وعظم مملكته ، ولما ظهر^(٢) الامن فعله بالممالك ، وقتله الملوك ، وانقياده الى العدل ، وكتب اليه ملك الصين : من فغفور^(٣) ملك الصين صاحب قصر الدر والجوهر ، الذي يجري في قصره نهران يسقيان العود والكافور الذي توجد رائحته على فرسخين ، والذي تخدمه بنات ألف ملك ، والذي في مربطه ألف فيل أبيض ، الى اخيه كسرى أنو شروان ، واهدى اليه فرساً من در منضداً ، عينا الفارس والفرس من ياقوت احمر ، وقائم سيفه من زمرد^(٤) منضد بالجوهر ، وثوب حرير صيني عسجدي^(٤) فيه صورة الملك جالساً في ابوانه ، وعليه حلته وتاجه ، وعلى رأسه الخدم ، وبأيديهم المذاب ، والصورة منسوجة بالذهب ، وأرض الثوب لازورد ، في سبط من ذهب ، تحمله جارية تغيب في شعرها ، تتلألاً جمالا ، وغير ما ذكرنا من عجائب ما يحمل

(١) في بعض النسخ « ولما يظهر » .

(٢) « » « » « يعبور » .

(٣) « » « » « من ثابت منضد بالجوهر » .

(٤) « » « » « عثريا » .

من ارض الصين وتهديه الملوك الى اكفائها ، وكتب اليه ملك الهند :
 من ملك الهند ، وعظيم اراكنة المشرق ، وصاحب قصر الذهب وابواب
 الياقوت والدر ، الى اخيه ملك فارس صاحب التاج والراية كسرى
 انوشروان ، وأهدى اليه الف من من عود هندي يذوب في النار كالشمع ،
 ويختم عليه كما يختم على الشمع فتبين فيه الكتابة ، وجاما من الياقوت
 الاحمر فتحه شبر مملوءاً دراً ، عشرة امنان كافور كالفتق واكبر
 من ذلك ، وجارية طولها سبعة أذرع (١) تضرب اشفار عينيها
 خدما ، وكان بين اجفانها لمعان البرق من بياض مقلتيها مع صفاء
 لونها ودقة تخطيطها وإتقان تشكيلها ، مقرونة الحاجبين لها صفائو
 تجرها ، وفرشاً من جلود الحيات الين من الحرير واحسن من الوشي ،
 وكان كتابه في لحاء الشجر المعروف بالكاذي ، مكتوب بالذهب
 الاحمر ، وهذا الشجر يكون بأرض الهند والصين وهو نوع من النبات
 عجيب ، ذو لون حسن وريح طيب ، لحاؤه أرق من الورق الصيني ،
 تتكاتب فيه ملوك الصين والهند ، وورد عليه وهو في عسكره
 محارباً لبعض أعدائه كتاب ملك التبت : من خاقان ملك تبت (٢) ،
 ومشارك الارض المتاخمة للصين والهند ، الى اخيه المحمود في السيرة
 والقدر ، ملك المملكة المتوسطة للاقاليم السبعة (٣) ، وأهدى اليه
 أنواعاً من العجائب التي تحمل من ارض تبت ، منها مائة جوشن
 تبتية ، ومائة قطعة تجافيف (٤) ، ومائة ترس (٥) تبتية مذهبة ،
 وأربعة آلاف من من المسك الخزائي في نوافج غزلانه .

وقد كان أنوشروان سار إلى ما وراء نهر بلخ ، وانتهى إلى

(١) في بعض النسخ « سبعة اشبار » .

(٢) « » « » « ملك تبتان » .

(٣) « » « » « المملكة المتوسطة والاقاليم السبعة » .

(٤) « » « » « تجافيف » . (٥) في بعض النسخ « ومائة برس » .

ختلان^(١) ، وقتل أخشنواز^(٢) ملك الهياطة بجده فيروز ، وملك مملكته فأضافها إلى ملكه .

وقد كان نقل إليه من الهند كتاب كلية وضمنة والشطرنج ، والخضاب الأسود المعروف بالهندي ، وهو الخضاب الذي يلمع سواده فيما يظهر من أصول الشعر سنة كاملة بصبغة سوداء ، ولا ينصل منه شيء . . .

ويحكى أن هشام بن عبد الملك بن مروان كان يخضب بهذا الخضاب .

وكان لأنو شروان مائة من الذهب عظيمة عليها أنواع من الجواهر مكتوب عليها من جوانبها : ليهنه طعامه من أكله من حله ، وعاد على ذوي الحاجة من فضله ، ها أكلته وأنت تشتهيه فقد أكلته ، وما أكلته وأنت لا تشتهيه فقد أكلك ، وكان له خواتم أربعة : خاتم للخراج ، فسه^(٣) من العقيق ونقشه العدل ، وخاتم للضياح ، فسه فيروزج نقشه العمارة ؛ وخاتم للمعونة ، فسه ياقوت كحلي نقشه التآني ؛ وخاتم للبريد ، فسه ياقوت أحمر يتقد كالنار نقشه الرجاء^(٤) ؛ ووضع أنو شروان على العراق وضائع الخراج ، فالزم كل جريب من السواد من مزارع الحنطة والشهير درهماً ، والأرز نصفاً وثلاثاً ، ولكل أربع نخلات فارسية درهماً ، وكل ست نخلات دقل درهماً ، وكل ست أصول زيتون درهماً ، والكرم ثمانية دراهم ، والرطب سبعة دراهم ، فهذه سبعة أنواع من الغلات ،

(١) في بعض نسخ «جيلان» . (٣) في بعض النسخ «فسه ياقوت أحمر يتقد كالنار» .

(٢) في بعض النسخ «أحوان» . (٤) في بعض النسخ «نقشه الرفاء» .

وترك ما عداها ، إذ كانت لقمم الناس^(١) والبهايم ، وكان أنو شروان يدعى كسرى الخير ، وقد ذكرته الشعراء في أشعارها ، ففي ذلك يقول عدي بن زيد العبادي من كلمة :

أين كسرى خير الملوك أنو شر وان ؟ أم أين قبله سابور ؟
لم يهبه ريب المنون ، فوق ي الملك عنه ، فبابه مهجور
حين ولتوا كأنهم ورق ج ف فالتوت به الصبا والدبور^(٢)

انواع السياميات الملوكية : وجلس أنو شروان يوماً للحكام ليأخذ من آدابهم^(٣) فقال لهم وقد أخذوا مراتبهم في مجلسه : دلثوني على حكمة فيها منفعة خاصة نفسي وعمامة رعيتي ؛ فتكلم كل واحد منهم^(٤) بما حضره من الرأي ، وأنو شروان مطرق يتفكر في أقاويلهم ؛ فانتهى القول إلى بزرجهر بن البختكان ، فقال : أيها الملك انا جامع لك ذلك في اثني عشرة كلمة ؛ فقال : هات ؛ فقال : أولهن تقوى الله في الشهوة والرغبة^(٥) والرغبة والغضب والهوى ، فاجعل ما عرض عن ذلك كله لله لا للناس ؛ والثانية الصدق في القول والعمل والوفاء بالعِدَاتِ والشروط والعهود والمواثيق ؛ والثالثة مشورة العلماء فيما يحدث من الأمور ؛ والرابعة إكرام العلماء والأشراف وأهل الثغور والقواد والكتّاب والخول بقدر منازلهم ؛ والخامسة التعهد للقضاة والفحص عن العمال بحاسبة عادلة ، ومجازاة المحسن منهم بإحسانه والمسيء على إساءته ؛ والسادسة تعهد أهل السجون بالعرض لهم في الأيام لتستوثق من المسيء وتطلق البريء ، والسابعة تعهد

(١) في بعض النسخ « تعم الناس والبهايم » .

(٢) « « « « كأنهم ورق ج ف تدرى به الصبا والدبور » .

(٣) « « « « من آرائهم » .

(٤) « « « « مما حضره » .

سبيل الناس وأسواقهم وأسعارهم وتجاراتهم ؛ والثامنة حسن تأديب الرعية على الجرائم وإقامة الحدود ؛ والتاسعة إعداد السلاح وجميع آلات الحرب ؛ والعاشر إكرام الولد والأهل والأقارب وتفقد ما يصلحهم ؛ والحادية عشرة إذكاء العيون في الثغور ليعلم ما يتخوف فيؤخذ له أهبة قبل هجومه ؛ والثانية عشرة تفقد الوزراء والخول والاستبدال بندي الفش والعجز^(١) عنهم ، فأمر أنوشروان أن يكتب هذا الكلام بالذهب ، وقال : هذا كلام فيه جوامع^(٢) انواع السياسات الملوكية .

وكان مما حفظ من كلام أنوشروان وحكمته أنه سئل : ما أعظم الكنوز قدراً ، وانفعها عند الاحتياج^(٣) اليها ؟ فقال : معروف أودعته الأحرار ، وعلم تورثه الأعقاب .

وقيل لأنوشروان : من أطول الناس عمراً ؟ فقال : من كثر علمه فتأدب به من بعده ، أو معروفه فيشرف به عقبه .

وأنوشروان الذي يقول : الإنعام لقاح ، والشكر ولادة ، والمنعم هو الجاعل للشاكر إلى شكره سبيلاً .

وهو الذي يقول : لا تعدن الحرساء في الأمناء ، ولا الكذابين في الأحرار .

وقال أنوشروان يوماً لبزرجهر : من يصلح من ولدي للملك فأظهر ترشيحه والإيماء إليه ؛ فقال : لا أعرف ولدك^(٤) ، ولكني

(١) في بعض النسخ « بنوي الفش والفجر » .

(٢) « « « جميع انواع السياسات »

(٣) « « « عند الحاجة اليها » .

(٤) « « « لا اعرف ذلك »

أصف لك من يصلح للملك : أسماهم للمعالي ، واطلبهم للأدب ، واجزهم من العامة ، وارأفهم بالرعية ، وأوصلهم للرحم ، وأبعدهم من الظلم ؛ فمن كانت هذه صفته فهو حقيق بالملك .

قال المسعودي : وقد ذكرنا في كتاب « الزلف » الخصال التي يستحق بها الملك من وجدت فيه ، وما ذكرنا عن حكماء الفرس وأسلافها في ذلك وغيرها من حكماء اليونانيين كأفلاطون ، وما ذكره في كتاب السياسة المدنية وغيره من تأخر عن عصره .

وذكر عن بزرجهر انه قال : رأيت من انو شروان خصلتين متباينتين لم أر مثلها منه ؛ جلس يوماً للناس فدخل رجل من خاصة اهله فنحاه وزيره ، فأمر به ان يقام ويحجب عنه سنة لتعديه المرتبة التي رسمت له وازدياده فيها عن مرتبة غيره في المجلس ، ثم رأته يوماً ونحن عنده في سر من تدبير شيء من المملكة ، وخدمته خلف فراشه وسرير ملكه يتحدثون ، فارتفعت اصواتهم حتى شغلونا عن بعض ما كنا فيه ، فقلت له واخبرته بتفاوت ما بين الحالتين ، فقال لي : لا تعجب (١) فنحن ملوك على رعيقتنا ، وخدمنا ملوك على ارواحنا ينالون (٢) منا في خلوتنا ما لا حيلة لنا في التحرز منهم .

وكان انو شروان يقول : الملك بالجند ، والجند بالمال ، والمال بالخراج ، والخراج بالعمارة ، والعمارة بالعدل ، والعدل باصلاح العمال ، واصلح العمال باستقامة الوزراء ، ورأس الكل تفقّد الملك أمور نفسه واقتداره على تأديبها حتى يملكها ولا تملكه .

(١) في بعض النسخ « لا تعجل » .

(٢) « « « يكون منا في خلوتنا » .

وكان يقول : صلاح أمر الرعية انصر من كثرة الجنود ، وهدل
الملك أنفع من خصب الزمان^(١) .

وكان يقول : ايام السرور كلعج البصر ، واينام الحزن تكاد
تكون شهوراً .

قال المسعودي : ولأنوشروان سير واخبار حسان ، قد اتينا على
ذكرها فيما سلف من كتبنا ، وما كان منه في مسيره في سائر اسفاره ،
وما بنى من المدن والحصون ، ورتب من المقاتلة في الثغور .

هرمز بن انوشروان : ثم ملك بعده « هرمز » بن انوشروان
ابن قباد ، وامه فاقم بنت خاقان ملك الترك ، وقيل : بل ملك من
ملوك الخزر مما يلي الباب والابواب ، فكان ملكه اثني عشرة سنة
وكان متحاملاً على خواص الناس ، مائلاً الى عوامهم ، مقويماً لهم^(٢) ،
مؤثراً للروبية^(٣) وتوابع العوام ، مغرياً لهم بخواص الناس ،
وقيل : إنه قتل في مدة ملكه من خواص فارس ثلاثة عشر ألف
رجل مذكور .

ولاثني عشرة^(٤) سنة من ملكه تخرم عليه الملك ، وقداعت
أركانه ، وزحفت إليه الأعداء ، وكثرت عليه الخوارج ، وقد كان
أزال أحكام الموزبدان ، فخرجت بذلك السنة المحمودة ، والشريعة

(١) في بعض النسخ « اخصب من عدل الزمان » .

(٢) « « « « مقرباً لهم » .

(٣) « « « « مهيناً للروبية وتوابع الأعوام »

(٤) « « « « ولاحدى عشرة » .

مثل ما كان في خزائن فراسياب من الأموال والجواهر التي كانت
أخذها من سیاوخش ، وما كان بأيدي الترك من تركت بهراسف^(١)
ملك الترك بما أخذه من خزائن يستاسف من مدينة بلخ وغيرها
من ذخائر ملوك الترك السالفة ، فلما انتهى ما وصفنا من الأموال
والجواهر وغير ذلك من الغنائم من قبل بهرام حسده وزير هرمز
أريخسيس^(٢) الخوزي ، وقد نظر إلى إعجاب هرمز بما حمل إليه بهرام
وسروره به ، فقال : أعظم هذه زلته ، وعرض لهرمز بخيانة بهرام ،
واستبداده بأكثر الجواهر والأموال والغنائم ، وأغراه به ، فعصاه بهرام
ثم احتال بهرام بدراهم ضرب عليها اسم كسرى أبرويز ، ودس أناساً
من التجار فأنفقوها بباب هرمز ، فتعامل بها الناس ، وكثرت في
أيديهم ، وعلم بها هرمز ، فلم يشك في أن ابنه أبرويز ضربها طلباً
للملك ، فهم به هرمز وهو لا يشك أن ذلك من فعله ، ولم يعلم
أن الحيلة في ذلك من بهرام ، فهرب أبرويز من أبيه لتغيره عليه ،
ولحق ببلاد أذربيجان وأرمينية والران والبيلقان ، وحبس هرمز
خالئ أبرويز بسطام وبنديويه^(٣) ، فأعملا الحيلة في محبسها وخرجها
فانضاف إليها خلق من الجيش فدخلا على هرمز فسَمَلَا عينيه
وأعمياه ، فلما نمي ذلك إلى أبرويز سار إلى أبيه فدخل عليه وأخبره
أنه لا ذنب له في ذلك ، وإنما هرب خوفاً على نفسه منه ، فتوجه
هرمز وسلم الملك إليه ، ونمي ذلك إلى بهرام جوبين^(٤) فسار في
عساكره يؤم الباب ودار الملك ، فخرج إليه أبرويز ، فالتقيا على
شاطئ النهروان ، والنهر بينهما فتواقعا ، وكان لهما خطب طويل من
تقاذف وتشاتم ، ثم كانت بينهما محروب انكشف فيها أبرويز لتخلف

(١) في بعض النسخ « هو حاسف » .

(٣) في بعض النسخ « ونقدويه » .

(٤) « « « « « إلى بهرام جور » .

(٢) « « « « « أرتيخسيس » .

أصحابه عنه وميلهم إلى بهرام ، فقام تحته فرسه المعروف بشبدار^(١) ، وهو المصور في الجبل ، وهو ببلاد قرماسين من أعمال الدينور من ماء الكوفة ، هو وأبرويز وغير ذلك من الصور ، وهذا الموضع من إحدى عجائب العالم^(٢) ، وغرائب ما فيه من الصور العجيبة المنقورة في الصخر ، والفُرسُ تذكر في أشعارها وغيرها من العرب هذا الفرس المعروف بشبدار ، وقد كان أبرويز على شبدار في بعض الأيام فانقطع عنائه ، فدعا بصاحب سروجه ولجه ، فأراد ضرب عنقه لما لم يتعهد العنان ، فقال : أيها الملك ، ما بقي سير يجيد^(٣) به ملك الإنس وملك الخيل ، فأطلقه وأجازته ، ولما بلح^(٤) هذا الفرس تحت أبرويز وقصر طلب إلى النعمان في المعركة أن يمن عليه بفرسه المعروف باليحموم ، فأبى عليه ، ونجا عليه بنفسه ، ونظر حسان بن حنظلة بن حية الطائي إلى أبرويز وقد خانت الرجل وأشرف على الهلاك ، فأعطاه فرسه المعروف بالصيب^(٥) ، وقال له : أيها الملك ، انج على فرسي فإن حياتك للناس خير من حياتي ، وأعطاه أبرويز فرسه شبدار فنجا عليه في جملة الناس ، ومضى أبرويز إلى أبيه ؛ ففي ذلك يقول حسان بن حنظلة الطائي :

وأعطيت كسرى ما أراد ، ولم أكن لأتركه في الخيل يعثر راجلا
بذلت له ظهر الصيب وقد بدت مسومة من خيل ترك ووائلا^(٦)

فكافاه أبرويز بعد ذلك ، وعرف له ما صنع ، ولما سار أبرويز من الهزيمة إلى أبيه هرمز أشار عليه أن يلحق بقيصر ويستنجده ؛

(١) في بعض النسخ « المعروف بشيداد » .

(٢) « « « « أحد عجائب ما فيها من الصور » .

(٣) « « « « ما بقي شيء يحتدبه » . (٥) في بعض النسخ « المعروف بالصيب »

(٤) « « « « ولما تلج » . (٦) « « « « النسخ « ترك وبابلا » .

فإن الملوك إذا استنجِدَتْ في مثل هذه الحالة أنجِدَتْ ، في خطب طويل جرى بينه وبين أبيه ، فمضى أبرويز وتبعه غيره من الخوادم ، وخاله بسطام وبندويه ، وعَبَرَ دجلة ، وقطع الجسر خوفاً من خيل بهرام ، ونظر في مسيره ذلك اليوم إلى خَائِيهِ ، وقد تأخرا عنه ، فاستراب بها وبمن انضاف إليها من كان معهم ، فسألها عن السبب ، فقالا : لسنا يآمنين أن يدخل بهرام إلى أبيك هرمز فيضع تاج الملكة على رأسه ، وإن كان أعمى ، ويصير هو الهرمزان (١) ، وتفسير ذلك أمير الأمراء ، والروم تسمى صاحب هذه المرتبة الدمستق ، فيكتب بهرام عن أبيك هرمز إلى قيصر : إن ابني أبرويز وجماعة انضافوا إليه وثبوا بي وسموا عيني ، فاحمله إلي ، فيحملنا قيصر إليه ، فيأتي علينا بهرام ، ولا بد لنا من الرجوع إلى أبيك وقتله ، فناشدهما الله أن لا يفعلا ذلك ، وأظهر فيما ذكر عنه البراءة من فعلها ، فرجعا من فورهما ، وهنّ تسرع معها إلى المدائن وقد صاروا على أميال منها ، فدخلا على هرمز فخنقاه ، ولحقا بأبرويز ، ولحقهم خيل بهرام ، وكانت بينهم حملة (٢) في بعض الديارات إلى أن تخلصوا من تلك الخيل ، وسار أبرويز ؛ ففي هرمز يقول ورقة بن نوفل :

لم يغن هرمز شيء من خزائنه والخلد قد حاولت عاداً فما خَلَدُوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح له والجن والإنس تجري بينها البردُ
وأسرع بهرام جوبين (٣) إلى المدائن من النهروان ، حين بلغه قتل هرمز فاحتوى على الملك ، ولحق أبرويز بالرها فنزلها ، وكاتب

(١) في بعض النسخ « القردمان » (٢) في بعض النسخ « بهرام جور » .

(٣) « « « « وكانت منهم حيلة » .

النبى صلى الله عليه وسلم للأنصار « أنا رجلٌ أحسيٌّ » ، ولما اجتمع لأبرويز ما وصفنا سار الى بلاد أذربيجان ، فاجتمع اليه هنالك من كان من العساكر بها ، وانضاف اليه كثير من الجنود والأمم ، وبلغ بهرام جوبين ما قد عزم عليه ، فسار اليه فيمن كان معه من عساكره ، فالتقى الجيشان جميعاً ، فتوجهت على بهرام ، فانكشف في نفر من أصحابه ، وانتهى الى أطراف خراسان ، وكاتب خاقان ملك الترك فأمنه وسار الى ملكه هو ومن خف معه من أصحابه وأخته كردية ، وكانت في الشجاعة والفروسية نحوه ، وعليها كان يعول في كثير من حروبه ، ومضى كسرى أبرويز الى دار مملكته ، وأمر لجنود موريقس بالأموال والمراكب والكساوى ، وكافأهم على ما كان منهم في معونته ، وحمل اليه ألفي ألف دينار ، وقرن ذلك بهدايا كثيرة واموال عظيمة من آلات الذهب والفضة ، ووفى له بكل ما وعده ، وخرج من كل ما أوجبه على نفسه ، واحتال ابرويز في قتل بهرام في ارض الترك ، فقتل هناك غيلةً ، وذكر ان رأسه حمل بعد أن احتيل عليه وأخرجه من الناووس الذي كان خاقان ملك الترك دفنه فيه ، وحمله اليه رجل تاجر فارسي ، فنصب على باب ابرويز في رحبة قصره ، وخرجت كردية فيمن كان معها من اصحاب بهرام من ارض الترك ، وقد كان لها أخبار في الطريق مع ابن خاقان ، وكاتبها أبرويز في قتل خاله بسطام ، وكان مرزبان الديلم وخراسان (١) فقتلته ، وقتل خاله الآخر بأبيه هرمز ، ثم صارت كردية اليه فتزوجها .

وللفرس كتاب مفرد في أخبار بهرام جوبين ، وما كان من مكابده

(١) في بعض النسخ « مرزبان الديلم بخراسان » .

ببلاد الترك حين سار اليها (١) ، واستنقاده لابنة ملك الترك من حيوان اسمه السمع نحو العنز (٢) الكبير كان قد احتملها من بين جوارها وعلا بها وقد خرجت لبعض متنزهاتها ، وما كان من بد، حاله الى مقتله ونسبه .

بين أبرويز وبزرجمهر ، وكان وزير ابرويز ، والغالب عليه ، والمدير لأمره ، حكيم من حكماء الفرس وهو بزرجمهر بن البختگان ، فلما خلا من ملكه ثلاث عشرة سنة اتهمه بالميل الى بعض الزنادقة من الثنوية ، فأمر بحبسه ، وكتب اليه : كان من ثمة علمك ونتيجة ما أداك اليه عقلك ، ان صرت أهلاً للقتل ، وموضعا للعقوبة ، فكتب اليه بزرجمهر : أما اذ كان معي الجد فقد كنت أنتفع بشمرة عقلي ؛ فالآن إذ لا جد معي فقد أنتفع بشمرة الصبر ، واذ قلت فقدت كثير الخير فقد استرحت من كثير من الشر ، وأغرى أبرويز ببزرجمهر ، فدعا به وأمر بكسر أنفه وفمه ، فقال بزرجمهر . فمي (٣) لأهل لما هو شر من هذا ، فقال أبرويز : ولم يا عدو الله المخالف ؟ فقال : لأنني كنت أصفك لخواص الناس وعوامهم بما ليس فيك ، وأقربك من قلوبهم ، وأرفع من محاسن أمورك ما لم تكن عليه ، اسمع مني يا شر الملوك نفساً ، وأخبثهم فعلاً ، وأسوأهم عشرة ، أتقتلني (٤) بالشك وترفع به اليقين الذي قد علمته من التمسك بالشريعة (٥) ؟ من ذا الذي يرجو عدلك ويشق بقولك ويطمئن اليك ؟ فغضب أبرويز ، وأمر به فضرب عنقه ، ولبزرجمهر في أيدي الناس قضايا وحكم

(١) في بعض النسخ « صارت اليه » . (٤) في بعض النسخ « لا تقتلني بالشك » .

(٢) « نحو المير الكبير » . (٥) « « « « بالتمسك بالشريعة »

(٣) « « « « اني لأهل » .

وراطنها الفيالون بالهندية ، فلما بصر بذلك أبرويز تأسف على ما
خص به اهل الهند من فضيلة الفيلة ، وقال : ليت أن الفيل لم يكن
هندياً وكان فارسياً ، انظروا اليها والى سائر الدواب وفضلوها
بقدر ما ترون من معرفتها وأدبها ، وقد افتخرت الهند بالفيلة
وعظم اجسامها ، ومعرفتها ، وحسن طاعتها ، وقبولها الرياضات ،
وفهمها المرادات ، وتمييزها بين الملك وغيره ، وان غيرها من الدواب
لا يفهم شيئاً من ذلك ولا يفصل بين شيئين ، وسنورد فيما يرد من
هذا الكتاب جملاً من الفصول في اخبار الفيلة وما قالته الهند
وغيرهم في ذلك وتفضيلها على سائر الدواب .

فكانت مدة ملك ابرويز الى ان خلع وسمت عيناه وقتل ثمانياً
وثلاثين سنة .

ملك قباد : ثم ملك بعده ولده « قباد » المعروف بشيروه القابض
على ابيه ، والجاني عليه ، والقاتل له ، والفرس تسميه المشوم^(١) ،
وفي ايامه كان الطاعون بالعراق وغيرها من الاقاليم ، فهلك فيه مائتا
الف من الناس^(٢) ، فالكثير يقول : هلك نصف الناس ، والمقل
يقول : الثلث ، وكان ملك شيروه الى ان هلك سنة وستة اشهر ،
وقيل : أقل من ذلك .

ولكسرى ابرويز ولابنه شيروه اخبار عجيبة ومراسلات قد اتينا
على ذكرها فيما سلف من كتبنا .

ملك اردشير : ثم ملك بعد شيروه ولده « اردشير » ولي عهد
الملك ، وهو ابن سبع سنين ، فسار اليه من انطاكية من بلاد

(١) في بعض النسخ «تسميه المشوم» (٢) في بعض النسخ «فهلك فيه مليونان من الناس»

الشام شهريار مرزبان المغرب المقدم ذكره مع ابرويز وملك الروم
فقتله ، فكان ملكه خمسة اشهر .

ملك شهريار : ثم ملك « شهريار » نحو من عشرين يوماً ،
وقيل : شهرين ، وقيل غير ذلك ، واغتالته ابنة لكسرى ابرويز يقال
لها أرزمى دخت ^(١) فقتلته .

ملك كسرى : ثم ملك كسرى بن قباد بن ابرويز ، وقيل : إنه
ابن لأبرويز ، وكان بناحية الترك ، فسار يريد دار الملك ، فقتل في
الطريق بعد ملكه ثلاثة أشهر .

ملك بوران : ثم ملكت بعده « بوران » بنت كسرى ابرويز ، فكان
ملكها سنة ونصفاً .

ثم ملك رجل من أهل بيت الملك من ولد سابور بن يزدجرد الأثيم ،
يقال له « فيروز خشنشده » ^(٢) ، فكان ملكه شهرين .

ثم ملكت ابنة لكسرى ابرويز يقال لها « أرزمى دخت » ^(١) ،
فكان ملكها سنة وأربعة أشهر .

ثم ملك فرحاد خسرو ^(٣) بن كسرى ابرويز ، وهو طفل ،
فكانت مدة ملكه شهراً ، وقيل اشهرأ .

ملك يزدجرد : ثم ملك يزدجرد بن شهريار بن كسرى ابرويز بن
هرمز بن أنو شروان بن قباد بن فيروز بن بهرام بن يزدجرد بن
سابور بن هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك بن ساسان ، وهو

(١) في بعض النسخ « أرزمى دخت » (٣) في بعض النسخ « فرخ زاد خسرو »

(٢) « « « « فيروز خشنش »

آخر ملوك الساسانية ، فكان ملكه إلى أن قتل بمرور من بلاد خراسان عشرين سنة ، وذلك لسبع سنين ونصف خلعت من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وهي سنة إحدى وثلاثين من الهجرة ، وقيل غير ذلك في مقدار ملكه وخبر مقتله .

ثلاثون ملكاً : قال المسعودي : وذهب الأكثر من الناس ممن عني بأخبار الفرس وأيامهم إلى أن جميع من ملك من آل ساسان من أردشير^(١) بن بابك إلى يزيدجرد بن شهريار من الرجال والنساء ثلاثون ملكاً : امرأتان ، وثمانية وعشرون رجلاً ، ووجدت في بعض التواريخ أن عدد ملوك الساسانية اثنان وثلاثون ملكاً ، وعدد الملوك الأول - وهم الفرس الأول - من كيومرث إلى دارا بن دارا تسعة عشر ملكاً ، منهم امرأة وهي جماية^(٢) بنت بهمن ، وفراسياب التركي ، وسبعة عشر رجلاً ، وعدد ملوك الطوائف الذين قدمنا ذكرهم من مقتل دارا بن دارا إلى أن ظهر أردشير بن بابك أحد عشر ملكاً ، وهم ملوك الشيز^(٣) والران ، ومن أجلهم سمي سائر ملوك الطوائف الأشغان ، فجميع الملوك من كيومرث بن آدم - وهو أول ملوك بني آدم عندهم ، على ما ذكرت الفرس - إلى يزيدجرد بن شهريار بن كسرى ستون ملكاً : منهم ثلاث نسوة ، ومدة ما ملكوا من السنين أربعة آلاف سنة وأربعمائة سنة وخمسون سنة ، وقيل : إن عدة الملوك من كيومرث إلى يزيدجرد ثمانون ملكاً

ورأيت جماعة من الأخباريين وأصحاب السير وأرباب الكتب المصنفة في التواريخ وغيرها يذهبون إلى أن سني الفرس إلى الهجرة

(١) في بعض النسخ « من آل ساسان بن أردشير » .

(٢) « « « جمانة » . (٣) في بعض النسخ « الشغن والران » .

ثلاثاً آلاف سنة وستائة وتسعون سنة : منها من كيومرث الى انتقال الملك الى منوشهر ألف وتسعمائة واثنان وعشرون سنة ، ومن منوشهر الى زرادشت خمسمائة وثلاث وثمانون سنة ، ومن زرادشت الى الاسكندر مائتان وثمان وخمسون سنة ، وملك الاسكندر خمس سنين^(١) ، ومن الاسكندر الى ملك أردشير خمسمائة سنة وسبع عشرة سنة ومن أردشير الى الهجرة أربعمائة سنة [وأربع سنين]^(٢)

وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملاً من تاريخ العالم والأنبياء والملوك في باب نفردة لذلك في الموضع المستحق له من هذا الكتاب ، دون ذكر الهجرة وخلافة أبي بكر ومن تلا عصره من الخلفاء ومن ملوك بني أمية وبني العباس ، لأننا قد أفردنا لما ذكرنا باباً آخر يرد من هذا الكتاب بعد انقضاء اخبار الامويين والعباسيين ترجمناه بذكر التاريخ الثاني

اجناس الفرس ، وكانت الفرس من بدء الدهر أربعة اجناس الى أن جاء الله تعالى بالإسلام فالصنف الأول يقال له الحداهان^(٣) وهم الرباب ، كما يقال : رب المتاع ، ورب الدار وذلك من كيومرث الى أقريدون ، ثم الكيان من أفريدون الى دارا بن دارا ، ثم الأشغان^(٤) وهم ملوك الطوائف بعد الاسكندر على ما ذكرنا في باب ذكر ملوك الطوائف ، ثم الساسانية وهم الفرس الثانية ، وقد ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه في اخبار الفرس ، الذي رواه عن عمر كسرى ان الفرس طبقات اربع من سلف وخلف : فالطبقة الاولى من كيومرث الى كرساسب^(٥) ، والطبقة الثانية من كيان

(١) في بعض النسخ « ست سنين » .
 (٢) زيادة في بعض النسخ .
 (٣) في بعض النسخ « الحداهان » .
 (٤) في بعض النسخ « الاشمان » .
 (٥) « « « « كوستاسب »

ابن كيقباز الى الاسكندر وآخرهم دارا ، والطبقة الثالثة وهم
 الاشغانية (١) ملوك الطوائف ، والطبقة الرابعة سماهم ملوك الاجتماع ،
 وهم الساسانية أولهم اردشير بن بابك ، ثم سابور بن اردشير ،
 هرمز بن سابور ، بهرام بن سابور ، بهرام بن بهرام ، نرسي بن سابور ،
 هرمز بن نرسي ، سابور بن هرمز ، اردشير بن هرمز ، سابور بن
 اردشير ، سابور بن سابور ، بهرام بن سابور ، يزدجرد بن بهرام ،
 بهرام بن يزدجرد ، فيروز بن يزدجرد ، بلاس بن يزدجرد ، قباد بن
 فيروز ، انوشروان ، هرمز ، ابرويز ، شيرويه ، اردشير ، شهربار ،
 بوران ، كسرى بن قباد ، فيروز ، خشنشده ، أرزمى دخت ،
 فرهاد خسرو ، يزدجرد .

وإنما ذكرنا هؤلاء بعد أن قدمنا ذكرهم فيما سلف من هذا الباب
 للخلاف الواقع وتبين الروايات والتواريخ في اعدادهم وأسمائهم ،
 فأوردنا ما قاله المتنازعون من الاخباريين ، وقد أتينا على أخبارهم
 وسيرهم ووصاياهم وعهودهم ومكاتباتهم وتوقيعاتهم وكلامهم عند عقد
 التيجان على رؤوسهم ورسائلهم وسائر ما كان من الحوادث في
 اعصارهم ، وما كوروه من الكور ، واحداثه من المدن ، وغير ذلك من
 أحوالهم ، فيما سلف من كتبنا ، وإنما نذكر في هذا الكتاب جوامع
 من تاريخهم واعداد ملوكهم ولعاً من أخبارهم ، وكذلك ذكرنا في
 كتابنا في « أخبار الزمان » خطب الطبقات الاربع ، وما حفر كل
 ملك منهم من الانهار وانفرد ببنائه من المدن ، وآراء الملوك واحكامها ،
 وكثيراً من قضاياها في خواصها ووصاياها ، وأنساب اصحاب خيل
 الملك ، ومن كان على خيل كل ملك منهم في الحروب ، وأنساب

(١) في بعض النسخ « الأشمان »

ذكر ملوك اليونانيين . ولمع من أخبارهم وما قاله الناس في بدء أنسابهم

تنازع الناس في أصل اليونانيين : قال المسعودي : تنازع الناس في فرق اليونانيين ؛ فذهب طائفة من الناس إلى أنهم ينتمون إلى الروم ، ويضافون إلى ولد إسحاق ، وقالت طائفة أخرى : إن يونان هو ابن يافت بن نوح ، وذهب قوم إلى أنهم من ولد آراش بن فاوان (١) بن يافت بن نوح ، وذهب قوم إلى أنهم قبيل متقدم في الزمان الأول ، وإنما وهم من وهم أن اليونانيين ينسبون إلى حيث تنسب الروم ، وينتمون إلى جدهم إبراهيم ؛ لأن الديار كانت مشتركة ، والمقاطن والمواطن كانت متساوية ، وكان القوم قد شاركوا القوم في السجية والمذهب ؛ فلذلك غلط من غلط في النسبة ، وجعل الأب واحداً ، وهذا طريق الصواب عند المفتشين ، وسبيل البحث عند الباحثين ، والروم قفّت في لغاتها ووضع كتبها اليونانيين فلم يصلوا إلى كنه فصاحتهم وطلاقة ألسنتهم ، والروم أنقص في اللسان من اليونانيين ، وأضعف في ترتيب الكلام الذي عليه نهج تعبيرهم وسنن خطابهم .

قال المسعودي : وقد ذكر [ذوو العناية بأخبار المتقدمين (٢)] أن يونان أخو قحطان ، وأنه من ولد عابر بن شالخ ، وأن أمره في الانفصال عن دار أخيه كان سبب الشك في الشركة في النسب ،

(١) في بعض النسخ « أوراس بن فاوان بن يافت » .

(٢) زيادة في بعض النسخ .

وانه خرج عن أرض اليمن في جماعة من ولده واهله وامن انضاف الى جملة حتى وافى اقاصي بلاد المغرب ، فأقام هنالك ، وانسل في تلك الديار ، واستمع لسانه ، ووازي من كان هنالك في اللغة الأعجمية من الافرنجة والروم ، فزالت نسبه (١) ، وانقطع سببه ، وصار منسياً في ديار اليمن .

وكان يونان جباراً عظيماً ، وسياً جسيماً ، وكان حسن العقل والخلق جزل الرأي ، كثير الهممة ، عظيم القدر .

وقد كان يعقوب بن إسحاق الكندي يذهب في نسب يونان الى ما ذكرنا من أنه أخ لقحطان ، ويحتج لذلك بأخبار يذكرها في بدء الأنساب ، ويوردها من حديث الآحاد والأفراد ، لا من حديث الاستفاضة والكثرة .

وقد ردّ عليه أبو العباس عبد الله بن محمد الناشيء في قصيدة له طويلة ، وذكر خلطه (٢) نسب يونان بقحطان ، على حسب ما ذكرنا آنفاً في صدر هذا الباب ، فقال :

أبا يوسف ، إني نظرت فلم أجد على الفحص رأياً صح منك ولا عقدا
وصرت حكياً عند قوم إذا امرؤ بلام جيماً لم يجد عندهم عندا
أتقرن إلحاداً بدين محمد ؟ لقد جئت شيئاً يا أخا كندة إذا
وتخلط يوناناً بقحطان ضلة لعمرى لقد باعدت بينهما جدا

مساكن يونان : ولما نشأ ولد يونان وكثر (٣) خرج يسير في الارض يطلب موضعاً يسكنه ، فانتهى الى موضع من الغرب ، فنزل بمدينة

(١) في بعض النسخ « وانقطع نسبه »
(٢) « « « « « روكد خلطه » (٣) في بعض النسخ « وكبر »

أثينا^(١) ، وهي المعروفة بمدينة الحكماء في ديار المغرب في صدر الزمان ، واقام بها هو ومن معه من ولده ، فكثرت نسله بها وبني بها البنيان العظيم ، الى ان ادركته الوفاة ، فجعل وصيته الى الأكبر من ولده ، واسمه حربيوس^(٢) ، فقال له : يا بني ، إني قد وافيت الأجل ، وقربت من الحتم الواجب ، واني راحل عنك ومفارقك ، ومفارق إخوتك وأهل بيتك ، وقد كانت احوالكم حسنة النظام بي ، وكنت لكم كهناً في الشدائد ، وعوناً على المحن ، ومجنتاً من الزمان ؛ فعليك بالجود فإنه قطب الملك ومفتاح السياسة ، وباب السيادة ، وكن حريصاً على اقتناء الرجال بالإنعام عليهم تكن سيداً رشيداً ، وإياك والحيد عن الطريق المثلى التي عليها بني العقل^(٣) فإن من ترك راي اللب وثمره العقل تورط في المهالك ، ووقع في مقابض المتالف :

حربيوس : ثم مات يونان ، واستولى ولده حربيوس على مكان أبيه ، وضم اليه اهله وولده [وعمل بما أمره]^(٤) ونما خبرهم ، وكثرت نسلهم ، فغلبوا على ديار المغرب من بلاد الافرنجة والنوكبرد^(٥) وأجناس الأمم من الصقالبة وغيرهم .

فيلبس : وكان اول ملوكهم من سماه بطليموس في كتابه : فيلبس ، وتفسيره محب الفرس ، وقيل : ان اسمه يابس^(٦) ، وقيل : فيلقوس ، وكانت مدة ملكه سبع سنين .

وقد قيل : ان اليونانيين لما سار البخت نصر من ديار المشرق نحو

(١) في بعض النسخ « أثينية » (٤) زيادة في بعض النسخ .

(٢) « « « حربيوس » . (٥) في بعض النسخ « والتوكير » .

(٣) « « « التي عليها يبني العقل » (٦) في بعض النسخ « ملبس »

الشام ومصر والمغرب وبندل السيف كانوا يؤدون الطاعة ويحملون
الخراج الى فارس ، وكان خراجهم بيضاً من ذهب عدداً معلوماً
ووزناً مفهوماً وضريبة محصورة ، فلما ان كان من امر الاسكندر
ابن فيلبس - وهو الملك الماضي الذي هو أول ملوك اليونانيين على ما
ذكره بطليموس - ما كان من ظهوره وهمته بعث اليه داريوس (١)
ملك فارس ، وهو دارا بن دارا ، يطالبه بما جرى من الرسم ،
فبعث اليه الاسكندر : اني قد ذبحت تلك الدجاجة التي كانت تبيض بيض
الذهب ، وأكلتها ، فكان من حروبهم ما دعا الاسكندر الى الخروج
الى ارض الشام والعراق ، فاصطلم من كان بها من الملوك ، وقتل
دارا بن دارا ملك الفرس ، وقد أتينا على خبر مقتله ومقتل غيره
من ملوك الهند ومن لحق بهم من ملوك الشرق في الكتاب الاوسط .

ونسب قوم الاسكندر انه الاسكندر بن فيلبس بن مصرم (٢)
ابن هرمس بن هردوس بن ميطنون بن رومي بن نويط بن نوفيل
ابن رومي بن ليطي بن يونان بن يافت بن نوح ، ونسبه قوم أنه
من ولد العيص بن اسحاق بن ابراهيم ، ومنهم من رأى انه الاسكندر
ابن (٣) يونه بن سرحون بن رومي بن قرمط بن نوفيل بن رومي
ابن الاصفر بن الينغز بن العيص بن اسحاق بن ابراهيم .

الاسكندر وذو القرنين : وقد تنازع الناس فيه : فمنهم من رأى أنه
ذو القرنين ، ومنهم من رأى أنه غيره ، وتنازعوا ايضاً في ذي

(١) في بعض النسخ دارانوس .

(٢) « « « فيلبس بن مضر بن هرمس بن مردش بن منظور بن رومي
ابن لبط بن يونان بن يافت بن نوح »

(٣) في بعض النسخ « الاسكندر بن بركة بن سرحون بن رومي بن بربط
ابن نوفل بن رومي بن الاصفر بن البمر بن العيص بن اسحاق بن ابراهيم » .

القرنين ، فمنهم من رأى انه سمي بزدي القرنين لبلوغه اطراف الارض ، وان الملك الموكل يجبل قاف سماه بهذا الاسم ، ومنهم من رأى انه من الملائكة ، وهذا قول يُعزى الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والقول الاول لابن عباس في تسمية الملك إياه ، ومنهم من رأى أنه كان بذؤابتين من الذهب ، وهذا قول يعزى الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقد قيل غير ذلك ، وانما نذكر تنازع الشرعيين من اهل الكتب ، وقد ذكره تبع في شعره وافتخر به ، وانه من قحطان ، وقيل : ان بعض التبابعة غزا مدينة رومية وأسكنها خلقاً من اليمن ، وان ذا القرنين الذي هو الاسكندر من أولئك العرب المتخلفين بها ، والله أعلم .

وسار الإسكندر بعد أن ملك بلاد فارس ، فاحتوى على ملوكها ، وتزوج بابنة ملكها دارا بعد ان قتله ، ثم سار الى ارض الهند والهند ، ووطىء ملوكها ، وحملت اليه الهدايا والحراج ، وحاربه ملكها فور ، وكانت أعظم ملوك الهند ، وكانت له معه حروب ، وقتله الاسكندر مبارزة .

ثم سار الاسكندر نحو بلاد الصين والتبت ، فدانت له الملوك ، وحملت اليه الهدايا والضرائب ، وسار في مفاوز الترك يريد خراسان من بعد أن ذلل ملوكها ورتب الرجال والقواد فيما افتتح من الممالك ، ورتب ببلاد التبت خلقاً من رجاله وكذلك ببلاد الصين ، وكور بخراسان كوراً ، وبنى مدناً في سائر أسفاره ، وكان معلمه أرسطاطاليس حكيم اليونانيين ، وهو صاحب كتاب المنطق وما بعد الطبيعة وتلميذ أفلاطون ، وأفلاطون تلميذ سقراط ، وصرف هؤلاء همهمهم الى تقييد علوم [الأشياء الطبيعية والنفسية ، وغير ذلك من علوم]^(١) الفلسفة واتصالها بالإلهيات ، وأبانوا عن الأشياء ، وأقاموا

(١) زيادة في بعض النسخ .

كنتَ لنا واعظاً فما وعظتنا موعظة أبلغ من وفاتك ، فمن كان له عقل فليعقل ، ومن كان معتبراً فليعتبر (١) ، وقال الثامن : رُبّ هائب لك كان يفتابك من ورائك ، وهو اليوم بحضرتك لا يخافك . وقال التاسع : رب حريص على سكوتك إذ لا تسكت ، وهو اليوم حريص على كلامك إذ لا تتكلم ، وقال العاشر : كم أماتت هذه النفس (٢) لثلاث موت ، وقد ماتت ، وقال الحادي عشر ، وكان صاحب خزانة كتب الحكمة : قد كنت تأمرني أن لا أبعث عنك ، فاليوم لا أقدر على الدنو منك ، وقال الثاني عشر : هذا اليوم عظيم العبر ، أقبل من شره ما كان مدبراً ، وأدبر من خيره ما كان مقبلاً ، فمن كان باكياً على مَنْ زال ملكه فليبك ، وقال الثالث عشر : يا عظيم السلطان اضمحل سلطانك كما اضمحل ظل السحاب ، وعَفَت آثار مملكتك كما عفت آثار الرباب (٣) ، وقال الرابع عشر : يا من ضاقت عليه الأرض طولاً وعرضاً ، ليت شعري كيف حالك فيما احتوى عليك منها ؟ وقال الخامس عشر : اعجب لمن كانت هذه سبيله كيف شرهت نفسه يجمع الحطام البائد والهشيم الهامد ، وقال السادس عشر : أيها الجمع الحافل (٤) الملتقى الفاضل ، لا ترغبوا فيما لا يدوم سروره وتنقطع لذته ؛ فقد بان لكم الصلاح والرشاد من الغي والفساد ، وقال السابع عشر : انظروا إلى حلم النائم كيف انقضى ؟ ا رطل الغمام كيف انجلى ؟! وقال الثامن عشر ، وكان من حكماء الهند : يا من كان غضبه الموت هلا غضبت على الموت ، وقال التاسع عشر : قد رأيتم أيها الجمع هذا الملك الماضي فليتعظ به الآن هذا الملك الباقي ، وقال

(١) في بعض النسخ ومن كان مغتراً فليغتر . (٣) في بعض النسخ « كما عفت آثار الذباب » .

(٢) « كم أقامت هذه النفس . » (٤) « الجمع الحافل » .

العشرون : هذا الذي دار كثيراً والآن يقر طويلاً ، وقال الحادي والعشرون : ان الذي كانت الآذان تنصت له قد سكت ، فليتكلم الآن كل ساكت ، وقال الثاني والعشرون : سيلحق بك من أمره موتك كما لحقت بمن سرك موته ، وقال الثالث والعشرون : ما لك لا تقل عضواً من أعضائك ، وقد كنت تستقل ملك الأرض ؟ بل ما لك لا ترغب بنفسك عن ضيق المكان الذي أنت به ، وقد كنت ترغب بها عن رحب البلاد ؟ وقال الرابع والعشرون ، وكان من نساك الهند وحكائها : ان دنيا يكون هكذا آخرها فالزهد أولى أن يكون في أولها ، وقال الخامس والعشرون ، وكان صاحب مائدته : قد فرشت النارق ، ونضدت الوسائد ^(١) ، وهيتت الموائد ، ولا أرى عيد المجلس ، وقال السادس والعشرون ، وكان صاحب بيت ماله : قد كنت تأمرني بالجمع والادخار فإلى من أدفع ذخائرك ؟ وقال السابع والعشرون ، وكان خازناً من خزانه ، هذه مفاتيح خزائنتك ، فمن يقضها قبل أن أوخذ بما لم آخذ منها ؟ وقال الثامن والعشرون : هذه الدنيا الطويلة العريضة قد طويت منها في سبعة أشبار [ولو كنت بذلك موقناً لم تحمل على نفسك في الطلب] ^(٢) ، القول التاسع والعشرون قول زوجته روشنك بنت دارا بن دارا ملك فارس : ما كنت أحسب ان غالب دارا الملك يغلب ، وإن كان هذا الكلام الذي سمعت منكم معاشر الحكماء فيه شماتة ^(٣) فقد خلف الكأس الذي تشرب به الجماعة ، القول الثلاثون ما يحكى عن أمه أنها قالت حين جاءها نعيه : لئن فقدت من ابني أمره ، فما فقدت من قلبي ذكره .

(١) في بعض النسخ « ونضدت النضائد » . (٢) في بعض النسخ « فيه شرابه » .

(٣) زيادة في بعض النسخ .

وقبض الإسكندر وهو ابن ست وثلاثين سنة ، وكان ملكه تسع سنين قبل قتله لدارا بن دارا ، وست سنين بعد قتله لدارا ابن دارا وتملكه على سائر ملوك الأرض ، وملك وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، وذلك بمقدونية ، وهي مصر ، وعهد إلى ولي عهده بطليموس بن أريت^(١) أن يحمل تابوته إلى والدته بالإسكندرية ؛ وأوصاه أن يكتب إليها إذا أتاها نعيه أن تتخذ وليمة تنادي في مملكتها أن لا يتخلف عنها أحد ، وأن لا يجيب دعوتها من قد فقد محبوباً أو مات له خليل ؛ ليكون ذلك ماتم الإسكندر بالسرور ، خلاف ماتم الناس بالحزن ، فلما ورد نعيه إليها ، ووضع التابوت بين يديها ، نادى في أهل مملكتها على ما به أمرها ، فلم يجيب أحد دعوتها ، ولا يادر إلى فدائها ، فقالت لحشمها : ما بال الناس لم يجيبوا دعوتي ؟ فقالوا لها : أنت منعتهم^(٢) من ذلك ، قالت : وكيف ؟ قيل لها : أمرت أن لا يجيبك من فقد محبوباً ، أو عدم خليلاً ، أو فارق حبيباً وليس فيهم^(٣) أحد إلا وقد أصابه بعض ذلك ، فلما سمعت ذلك استيقظت وعلمت ما به سئلت ، وقالت : لقد عزاني ولدي أحسن العزاء ، وقالت يا إسكندر ما أشبه أواخرك بأوائلك ، وأمرت به فجعل في تابوت من المرمر ، وطلاي بالأطلية الماسكة لأجزائه ، وأخرجته عن الذهب ، لعلها أن من يطرأ بعدها من الملوك والأمم لا يتركونه في ذلك الذهب ، وجعل التابوت المرمر على أحجار نضدت ، وصخور نصبت من الرخام والمرمر قد رصفت ، وهذا الموضع من الرخام والمرمر باقٍ ببلاد الإسكندرية من أرض مصر يعرف بقبر الإسكندر

(١) في بعض النسخ « بن أذينة » .

(٢) في بعض النسخ « وليس منهم أحد » .

(٣) كذا وردت بالأصل .

إلى هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جوامع من أخبار الإسكندرية وعجائبها ، ومصر وأخبارها ونيلها ، في الموضع المستحق له من ذلك في كتابنا ، إن شاء الله تعالى .

ذكر جوامع

من حروب الاسكندر^(١) بأرض الهند

قال المسعودي : لما قتل الإسكندر فور صاحب مدينة المانكير من ملوك الهند ، وانقاد إليه جميع ملوك الهند ، على حسب ما ذكرناه من حمل الأموال والخراج إليه ؛ بلغه أن في أقاصي أرض الهند ملكاً من ملوكهم ذا حكمة ، وسياسة ، وديانة ، وإلصاف للرعية ، وأنه قد أتى عليه من عمره مئتان من السنين وأنه ليس بأرض الهند من فلاسفتهم وحكماهم مثله ، يقال له : كند ، وكان قاهراً لنفسه ، ميمناً لصفاته من الشهوية والغضبية وغيرها ، حاملاً لها على خلق كريم ، وأدب زائن^(٢) ، فكتب إليه كتاباً يقول فيه : أما بعد ، فإذا أتاك كتابي هذا فإن كنت قائماً فلا تقعد ، وإن كنت ماشياً فلا تلتفت ، وإلا مزقتُ ملكك ، وألحقتك بمن مضى من ملوك الهند ، فلما ورد عليه الكتاب أجاب الإسكندر أحسن جواب ، وخاطبه بملك الملوك ، وأعلمه أنه قد اجتمع له قبله أشياء لا يجتمع عند غيره مثلها [إلا من صارت إليه عنه]^(٣) فمن ذلك ابنة^(٤) له لم تطلع الشمس على أحسن صورة منها ، وفيلسوف يخبرك بمرادك

(١) في بعض النسخ « جوامع من أخبار جرت للاسكندر بأرض الهند » .

(٢) « وأدب فائق » .

(٣) زيادة في بعض النسخ . (٤) في بعض النسخ « فمن ذلك ابنة له » .

قبل أن تسأله ، لِحِدَّة مزاجه ، وحسن قريحته ، واعتدال بنيته ، واتساعه في علمه ، وطبيب لا تخشى معه داء ، ولا شيئاً من العوارض ، إلا ما يطرأ من الفناء والدثور الواقع بهذه البنية ، وحل العقدة التي عقدها المبدع لها المخترع لهذا الجسم الحسي ، وإن كانت بنية الإنسان وهيكله قد نصبت في هذا العالم غرضاً للآفات والختوف والبلايا ، وَقَدَحٌ عندي إذا أنا ملأته شرب منه عسكرك يجمعه ولا ينقص منه شيء ، ولا يزيد الوارد عليه إلا دهاقاً ، وأنا مُنْفَذٌ جميع ذلك إلى الملك وصائر إليه ؛ فلما قرأ الإسكندر هذا الكتاب ووقف على ما فيه قال : تكون هذه الأشياء الأربعة عندي ، ونجاة هذا الحكيم من صولتي أحب من أن لا تكون عندي ويهلك ، فأنفذ إليه الإسكندر جماعة من حكماء اليونانيين والرم في عدة من الرجال ، وتقدم إليهم : إن كان صادقاً فيما كتب به فاحملوا ذلك إلي ، ودعوا الرجل في موضعه ، وإن تبينتم أن الأمر بخلاف ذلك وأنه أخبر عن الشيء على خلاف ما هو به فقد خرج عن حد الحكمة فأشخصوه إلي ؛ فمضى القوم حتى انتهوا إلى الملك (١) فتلقاهم بأحسن لقاء ، وأنزلهم أحسن منزل ، فلما كان في اليوم الثالث جلس لهم مجلساً خاصاً للحكماء منهم دون من كان معهم من المقاتلة ، فقال بعض الحكماء لبعض : إن صدقنا في الأولى صدقنا فيما بعدها مما ذكر ، فلما أخذت الحكماء مراتبها ، واستقرت بها مجالسها ، أقبل عليهم مباحثاً لهم في أصول الفلسفة والكلام في الطبيعيات وما فوقها من الإلهيات ، وعلى شماله جماعة من حكمائه وفلاسفته ، فطال الخطب في المبدأ (٢) الأول ، وتشاح القوم ، ونظروا في موضوعات العلماء

(١) في بعض النسخ « فلما انتهوا إلى مملكته تلقاهم » .

(٢) « » « » « المبادئ الأولى وتشاحوا القوم » .

وترتيبات الحكماء على غير مراء^(١) وتناهى بهم الكلام إلى غاية كان إليها صدورهم من العلويات^(٢) ، ثم أخرج الجارية فلما ظهرت لأبصارهم رَمَقُوها^(٣) بأعينهم فلم يقع طرف واحد منهم على عضو من أعضائها مما ظهر فأمكنه أن يتعدى ببصره إلى غيره ، وشغله تأمل ذلك وحسنه وحسن شكلها وإتقان صورتها ، فخاف القوم على عقولهم لما ورد عليهم عند النظر إليها ، ثم إن كل واحد منهم رجع إلى نفسه وفهمه وقهر سلطان هواه ودواعي طبيعه ، ثم أراهم بعد ذلك ما تقدم الوعد به ، وسيرهم^(٤) وسير الفيلسوف والطبيب والجارية والقدر معهم ، وشيعهم مسافة من أرضه ، فلما وردوا على الإسكندر أمر بإنزال الطبيب والفيلسوف ، ونظر إلى الجارية ، فعار عند مشاهدتها ، وبهرت عقله ، وأمر قيِّمة جواريه بالقيام عليها ، ثم صرف همه إلى الفيلسوف ، وإلى علم ما عنده ، وإلى علم الطبيب ومحلته من صنعة الطب وحفظ للصحة ، وقص الحكماء عليه ما جرى لهم من المباحثة مع الملك الهندي ، ومن أحضره^(٥) من فلاسفته وحكمائيه ، فأعجبه ذلك ، وتأمل أغراض القوم ومقاصدهم والغاية التي إليها كان أصدرهم^(٦) ، وأقبل ينظر إلى مطاردة الهند في علمها ومعلولاتها وما يصفه اليونانيون^(٧) من علمها وصحة قياسها على ما قدمنا من أوضاعها ، ثم أراد محنة الفيلسوف على حسب ما أخبر عنه ، فخلا بنفسه ، وأجال فكره ، فسنع له سانح من الفكر بإيقاع معنى يختبره به ، فدعا بقدر فملاه سمناً وأدهقه ، ولم يجعل للزيادة عليه سبيلاً ، ودفعه إلى رسول له ، وقال له : امض به إلى الفيلسوف ،

(١) في بعض النسخ « على غير منزلة » . (٤) في بعض النسخ « وصرفهم وسير - الخ » .
 (٢) « من العلويات » . (٥) « ومن حضره » .
 (٣) « رَمَقُوها بأعينهم » . (٦) « إليها كان صدورهم » .
 (٧) « وما نصه اليونانيون من علمها وصحته من قياسها » .

ولا تخبره بشيء ، فلما ورد الرسول بالقدح ودفعه إلى الفيلسوف قال بصحة فهمه وتبينه للأمور^(١) المتقنة المحكمة في نفسه : لأمر ما بعث هذا الملك الحكيم بهذا السمن إلي ، وأجال فكره ، وسبّر المراد به ، ثم دعا بنحو ألف إبرة فغرز أطرافها في السمن ، وأنفذها إلى الإسكندر ، فأمر الإسكندر بسبكها كرة مدورة مللمة متساوية الأجزاء ، وأمر بردها إلى الفيلسوف ، فلما نظر إليها الفيلسوف وتأمل فعل الإسكندر فيها أمر ببسطها ، وبأن يتخذ منها مرآة بحضرتة ، وصقلها ، فصارت جسماً صقيلاً ترد صورة من قابلها من الأشخاص ؛ لشدة صفائها ، وزواك اللون عنها ، وأمر بردها إلى الإسكندر ، فلما نظر إليها ، وتأمل حسن صورته فيها ، دعا بطست فجعل للمرآة فيه ، وأمر بإراقة الماء فيه عليها حتى رسبت فيه ، وأمر بحمل ذلك إلى الفيلسوف ، فلما نظر الفيلسوف إلى ذلك أمر بالمرآة فجعل منها مشربة كالطرجهارة ، وجعلها في الطست فوق الماء ، فطفت فوقه ، وأمر بردها إلى الإسكندر ، فلما نظر الإسكندر إلى ذلك أمر بتراب ناعم فملى منه ، وردها إلى الفيلسوف ، فلما نظر الفيلسوف إلى ذلك تغير لونه وحال ، وجزع وتغيرت صفاته ، وأسبل دموعه على صحن خده ، وكثر شيقه ، وطال أنيه ، وظهر حنينه ، وأقام بقية يومه غير منتفع بنفسه ، ثم أفاق من ذلك حال ، وزجر نفسه ، وأقبل عليها كالمعاتب لها ، وقال : ويحك يا نفس ! ما الذي قذف بك في هذه السُدفة وأصارك إلى هذه الغمة ، ووصلك بهذه الظلمة ؟ أنسيت^(٢) وأنت في النور تسرحين وفي العلو تمرحين ، وتنظرين في الضياء الصادق ، وتنفسحين في العالم المشرق ؟ أنزلت إلى

(١) في بعض النسخ « وثأنيه للأمور » .

(٢) « » « » « ألت وأنت في النور - الخ » .

عالم الظلم والمعاندة ، والغشم والمفاسدة ، تخطفك الخواطف ، وتنتهرك^(١) ،
 العواصف ، قد حرمت علم الغيوب ، والكون في العالم المحبوب ،
 ورميت بشدائد الخطوب ، ورفضت كل مطلوب ، أين مصادرك الطبية
 وراحتك القوية ؟ حلت في الأجساد ، فقوي عليك الكون والفساد ،
 حلت يا نفس بين السباع القاتلة والأفاعي المهلكة ، [والمياه الحاملة]^(٢) ،
 والنيران المحرقة ، والريح العاصفة ، وصيرتك الأعمار^(٣) في قرارات
 الأجسام ، لا تشاهدين إلا غافلاً ، ولا تترين إلا جاهلاً ، قد زهد
 في الخيرات ورغب عن الحسنات ، ثم رفع طرفه نحو السماء فرأى
 النجوم تزهر ، فقال بأعلى صوته : يا لك من نجوم سائرة ، وأجسام
 زاهرة ، من عالم شريف طلعت ، ولشيء ما وضعت ، إنك من عالم
 نفيس قد كانت النفس في أعاليه ساكنة ، وفي أكنافه قاطنة^(٤) ،
 فقد أصبحت منه ظاعنة ، ثم أقبل على الرسول وقال . خذه ورده
 إلى الملك ، يعني التراب ، ولم يحدث فيه حادثة ، فلما ورد الرسول
 على الإسكندر أخبره بجميع ما شاهده ، فتعجب الإسكندر من ذلك ،
 وعلم مرامي الفيلسوف ومقاصده وغاية مراده فيما وقع بالنفوس من
 النقلة بما علا من العوالم إلى هذا العالم .

ولما كان في صبيحة تلك الليلة جلس له الإسكندر جلوساً خاصاً ،
 ودعا به ، ولم يكن رآه قبل ذلك ، فلما أقبل ونظر إلى صورته
 وتأمل قامته وخلقه ، نظر إلى رجل طويل الجسم ، رَحْب
 الجبين ، معتدل البنية ، فقال في نفسه : هذه بنية تضاد الحكمة ،
 فإذا اجتمع حسن الصورة وحسن الفهم كان أوحد زمانه ، ولست

(١) في بعض النسخ «تنتهرك العواصف» .
 (٢) في بعض النسخ «تسير بك الأعمار» .
 (٣) « وفي خزائنه قاطنة » .
 (٤) « وفي خزائنه قاطنة » .

أشك أن هذا الشخص [قد اجتمع له الأمران جميعاً ، فإن كان هذا الشخص^(١)] قد علم كل ما راسلته به ، وأجابني عليه من غير مخاطبة ولا موافقة ولا مباحثة ، فليس في وقته أحد يدانيه في حكمته ، ولا يلحقه في علمه ، وتأمل الفيلسوف الإسكندر فأدار اصبعه السبابة على وجهه ، ووضعها على أرنبه أنفه ، وأسرع نحو الإسكندر وهو جالس على غير سرير ملكه ، فحياه بتحيةة الملوك ، فأشار إليه الإسكندر بالجلوس ، فجلس حيث أمره ؛ فقال له الإسكندر : ما بالك حين نظرت إلي ورميت بطرفك نحوي أدبرت اصبعك حول وجهك ووضعتها على أرنبه أنفك ؟ قال : تأملتك أيها الملك بنورية عقلي وصفاء مزاجي ، فتبينت فكرك في ، وتأملتك لصورتي ، وأنها قلما تجتمع مع الحكمة ، فإذا كان ذلك كان صاحبها أوحده أهل زمانه ، فأدبرت اصبعي مسداقاً لما منح لك ، وأريتك مثلاً شاهداً ، كما أنه ليس في الوجه إلا أنف واحد فكذلك ليس في دار مملكة الهند غيري ، ولا يلحق أحد من الناس بي في حكمتي ، فقال له الإسكندر : ما أحسن ما تأتي لك ما ذكرت ، وانتظم لك بحسن الخاطر ما وصفت ، فدع عنك هذا ، وأخبرني ما بالك^(٢) حين أنفدت إليك قدحاً مملوءاً سمناً غرزت فيه إبراً ورددته إلي ؟ قال الفيلسوف : علمت أيها الملك أنك تقول : إن قلبي قد امتلأ وعلمي قد انتهى كامتلاء هذا الإناء من السمن ، فليس لأحد من الحكماء فيه مستزاد ، فأخبرت الملك أن علمي سيزيد^(٣) في علمك ، ويدخل فيه دخول هذه الإبر في هذا الإناء ، قال : فأخبرني ما بالك^(٢) حين عمل

(١) زيادة في بعض النسخ . (٢) في بعض النسخ « أن علمي يستزيد في علمه » .

(٢) في بعض النسخ « ما بدا لك » .

من الإبر كرة وأنفذتها إليك صيرتها^(١) مرآة ورددتها إلي صقبة .
 قال : قد علمت أنها الملك أنك تريد أن قلبك قد قسا من
 سفك الدماء والشغل بسياسه هذا العالم كقسوة هذه الكرة ، فلا يقبل
 العلم ، ولا يرغب في فهم الغايات في العلوم والحكمة ، فأخبرتك
 مجيباً متمثلاً^(٢) بسبك الكرة والحيلة في أمرها يجعلني منها مرآة
 صقبة مؤدية إلى الأجسام عند المقابلة لحسن الصفاء ، قال له
 الإسكندر : صدقت ، قد أجبته عن مرادي ، فأخبرني أنها
 الفيلسوف حين جعلت المرآة في الطست ورسبت في الماء : لم
 جعلتها قدحاً فوق الماء طافية ثم رددتها إلي ، قال الفيلسوف :
 علمت أنك تريد بذلك أن الأيام قد انقضت وقصرت ، والأجل قد
 قرب ، ولا يدرك العلم الكثير في المهل القليل ، فأجبت الملك
 متمثلاً^(٣) اني سأعمل الحيلة في إيراد العلم الكثير في المهل القليل إلى
 قلبه وتقريبه من فهمه ، كاحتياي للمرآة بمن بعد كونها راسبة في
 الماء حتى جعلتها طافية عليه ، قال له الإسكندر : صدقت ، فأخبرني
 ما بالك حين ملأت الإناء تراباً رددته إلي ولم تحدث فيه حادثة
 كفعلك فيما سلف ، قال : علمت أنك تقول : ثم الموت وأنه لا
 بد منه ، ثم لحوق هذه البنية بهذا العنصر البارد اليابس الثقيل^(٤)
 الذي هو الأرض ، ودورها وتفرق أجزاءها ومفارقة النفس الناطقة
 الصافية الشريفة اللطيفة لهذا الجسد المرئي ، قال له الإسكندر :
 صدقت ، ولأحسن إلى الهند من أجلك ، وأمر له بجوائز كثيرة ،
 وأقطعه قطائع واسعة ، فقال له الفيلسوف : لو أحببت المال لما
 أردت العلم ، ولست أدخل على علمي ما يضاده وينافيه ، واعلم

(٣) في بعض النسخ « المعتل »

(١) في بعض النسخ « ضربتها » .

(٢) » » » » متمثلاً .

أما الملك أن القنية توجب الخدمة^(١) ، ولنا نجد عاقلا من خدم غير ذاته ، واستعمل غير ما يصلح نفسه ، والذي يصلح النفس الفلسفة ، وهي صقلها وغذاؤها ، وتناول اللذات الحيوانية وغيرها من الموجودات ضد لها ، والحكمة سبيل إلى العلو وسلم إليه ، ومن عدم ذلك عدم القربة من بارئه ، واعلم أيها الملك أن العدل أركب جميع العالم بميزانيته ، ولا يقوم بالجور ، والعدل ميزان الباريء جل وعز ، فكذلك حكمته مبرأة عن كل ميل^(٢) وزلل وأشبه الأشياء من أفعال الناس بأفعال بازئهم الإحسان إلى الناس ، وقد ملكت أيها الملك بسيفك وصولة ملكك وتأتبك في أمورك وانتظام سياستك أجسام رعيتك ، فتحرر أن تملك قلوبهم بإحسانك إليهم ، وإنصافك لهم ، وعدلك فيهم ، فهي خزانة سلطانك ، فإنك إن قدرت أن تقول قدرت أن تفعل ، فاحترز من أن تقول تأمن من أن تفعل ، فالملك السعيد من تمت له رياسة أيامه^(٣) ، والملك الشقي من انقطعت عنه ، فمن تحرى في سيرته العدل استنار قلبه بعدوبة الطهاره .

قال المسعودي رحمه الله : وخلى الإسكندر عن الفيلسوف لإبائه المقام معه فلحق بأرضه ، وللاسكندر مع هذا الفيلسوف مناظرات كثيرة في انواع من العلوم ومكاتبات ، ومراسلات ، جرت بين الاسكندر وبين كئند ملك الهند ، وقد اتينا على مبسوطها والغرر من معانيها والزهر^(٤) من عيونها في كتابنا « اخبار الزمان » .

وأما القَدْحُ فامتحنه حين أدهقه بالماء وأورد عليه الناس فلم ينقص شربهم منه شيئا ، وكان معمولا بضرب من خواص الهند

(١) في بعض النسخ « أن القنية » . (٢) في بعض النسخ « من دامت رياسة أيامه » .

(٣) « عيب وزلل » . (٤) « والرمز من عيونها » .

والروحانية والطبائع التامة والتوهم ، وغير ذلك من العلم مما يدعيه الهند ، وقد قيل : إنه كان لآدم أبي البشر عليه السلام بأرض سرنديب من بلاد الهند مبارك له فيه فورث عنه ، وتداولته الملوك ، إلى أن انتهى إلى كند هذا الملك العظيم سلطانه ، وما كان عليه من الحكمة ، وقيل غير ذلك من الوجوه ، بما قد أتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا .

وللطبيب معه أخبار ظريفة ، ومناظرات عجيبة في أوائل المعرفة وصناعة الطب وترقيه معه إلى مبسوط الصنعة من الطبيعيات وغيرها ، أعرضنا عن ذكرها خوفاً من الإطالة وميلاً إلى الاختصار في هذا الكتاب (١) ؛ لتعلق الكلام بالتوهم الذي تدعيه الهند في صنعة الطب وغيرها .

وقد كان للاسكندر في أسفاره وتوسطه الممالك وقطعه الأقاليم ومشاهدته الأمم وملاقاته الحكماء مع تنائي ديارهم ، وبعد أوطانهم ، واختلاف لغاتهم ، وعجائب صورهم ، وتباينهم في شيمهم وأخلاقهم . أخبار كثيرة من حروب ومكايد وحيل وفنون من السير ، وما أحدث من الأبنية ، وقد أتينا على شرح ذلك فيما سلف من كتبنا بما سميناه ، وغير ذلك مما عن وصفه (٢) أمسكنا ، وإنما ذكرنا اليسير من أخباره ، لئلا يعرَى (٣) كتابنا هذا من شيء منها مع ذكرنا لمسيره ووفاته وبالله التوفيق .

(١) في بعض النسخ « في هذا المكان » .

(٣) في بعض النسخ « لئلا يخلو كتابنا »

(٢) « « « « عن وصفها أمسكنا » .

وغيرهم ، وثنى مَنْ بعده من ملوك الروم بلعب الشواهين والاصطياد بها ، وقد قيل : إن اللذارقة^(١) وهم ملوك الاندلس من الأشبان أول من لعب بالشواهين وصاد بها ، وكذلك اليونانيين أول من صاد بالعقبان ولعب بها ، وقد ذكر أن ملوك الروم أول من صاد بالعقبان .

قال المسعودي : وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لجبل القبع^(٢) والباب والابواب جملا من اخبارها واخبار من لعب وقد كان من سلف من حكماء اليونانيين يقولون : ان الجوارح اجناس خلقها الله تعالى ، وانشأها على منازلها ودرجاتها ، وهي : أربعة اجناس ، وثلاثة عشر شكلا ، فاما الاجناس الاربعة فهي : البازي ، والشاهين^(٣) ، والصقر والعقاب ؛ وقد ذكرنا هذه الاجناس والاشكال على طريق الخبر في الكتاب الاوسط على مراتبها من سائر انواع الحيوان الجوارح ، ودلائلها وما قاله الناس في ذلك .

هيفلوس : ثم ملك بعد بطليموس « هيفلوس » وكان رجلا جباراً ، وفي أيامه عملت الطلسمات وظهرت عبادة التماثيل والاصنام لشبه دخلت عليهم ، وانها وسائط بينهم وبين خالقهم تقربهم اليه وقدنيهم منه ، وكان ملكه ثمانياً وثلاثين^(٤) سنة ، وقيل : أربعين سنة .

وقد قيل : ان الذي تملك بعد خليفة الإسكندر بطليموس الثاني ، محب الأخ ، وغزا بني إسرائيل ببلاد فلسطين وإيليا من أرض الشام ، فسباهم ، وقتل منهم ، وطلب العلوم ، ثم رد بني إسرائيل الى فلسطين ، وحمل معهم الجواهر والاموال ، وآلات الذهب والفضة

(١) في بعض النسخ « الازارقة » .
(٢) « « « جبل القبع »
(٣) في بعض النسخ « والشواهين »
(٤) « « « ثمانياً وثلاثين سنة » .

لهيكل بيت المقدس ، وكان ملك الشام يومئذ أبطنجنس (١) ، وهو الذي بنى مدينة أنطاكية ، وكانت دار ملكه ، وجعل بناء سورها أحد عجائب العالم في البناء على السهل والجبل ، ومسافة السور اثنا عشر ميلا ، عدة الابراج فيه مائة وستة وثلاثون برجاً ، وجعل عدد شرفاته أربعة وعشرين ألف شرفة ، وجعل كل برج من الابراج ينزله (٢) بطريق برجاله وخيله وجعل كل برج منها طبقات الى اعلاه ، فرباط الخيل في أسفله ، وأرضه ، والرجال في طبقاته ، والبطريق في أعلاه ، وجعل كل برج منها كالحصن عليه أبواب حديد ، وآثار الأبواب ومواضع الحديد بين الى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - واطهر فيها مياهاً من أعين وغيرها ، لا سبيل الى قطعها من خارجها ، وجعل اليها مياهاً منصبة في قنى مخرقة إلى شوارعها ودورها ، ورأيت فيها من هذه المياه ما يستحجر في مجاريها المعمولة من الخنزف لترادف التقن (٣) فيها فيتراكم طبقات ويمنع الماء من الحريان بانسداده ، فلا يعمل الحديد في كسره ، وقد ذكرنا ذلك في كتابنا المترجم بـ « القضايا والتجارب » ما شاهدناه حساً ، ونمي اليها خبراً ، مما يورده ماء انطاكية في اجساد الحيوان الناطق واجوافهم ، وما يحدث في معدم ، من الرياح السوداء الباردة والقولنجية الغليظة ، وقد اراد الرشيد سكتها فقبل له بعض ما ذكرنا من اوصافها ، وترادف الصدا على السلاح من السيوف وغيرها بها ، وعدم بقاء ريح انواع الطيب بها ، واستحالت على اختلاف انواعه فامتنع من سكتها .

(١) في بعض النسخ « انطيوخس » .

(٢) « « « « وجعل على كل برج من الابراج بتولة بطريق - الخ » .

(٣) « « « « لترادف البصر » .

من ملوك اليونانيين ، ثم ملك على اليونانيين بعد هيفلوس « بطليموس » الصانع ستاً وعشرين سنة .

ثم ملك بعده عليهم « بطليموس » المعروف بمحب الأب ، تسع عشرة سنة (١) .

وكانت له حروب مع ملوك الشام ، وصاحب أنطاكية الإسكندروس ، وهو الذي بنى مدينة فامية بين حصص وانطاكية .

ثم ملك بعده على اليونانيين « بطليموس » صاحب علل علم الفلك والنجوم ، وكتاب المجسطي وغيره ، اربعاً وعشرين سنة .

ثم ملك بعده « بطليموس » محب الأم ، خمساً وثلاثين سنة .

ثم ملك بعده « بطليموس » الصانع الثاني سبعمائة وعشرين سنة .

ثم ملك بعده « بطليموس » المخلص ، سبع عشرة سنة .

ثم ملك بعده « بطليموس » الإسكندراني ، اثنتي عشرة سنة .

ثم ملك بعده « بطليموس » الجديد (٢) ، ثمان سنين .

ثم ملك بعده « بطليموس » الجوال (٣) ، ثمانياً وستين (٤) سنة ،

وكانت له حروب كثيرة .

ثم ملك بعده « بطليموس » الحديث (٥) ، ثلاثين سنة .

قلبيرة : ثم ملكت بعده ابنته « قلبيرة » وكان ملكها اثنتين

وعشرين سنة ، وكانت حكيمة متفلسفة ، مقربة للعلماء معظمة للحكام

ولها كتب مصنفة في الطب والرؤية (٦) وغير ذلك من الحكمة ،

مترجمة باسمها ، منسوبة معروفة عند صنعة أهل الطب ؛ وهذه الملكة

(١) في بعض النسخ « سبع عشرة سنين » (٤) في بعض النسخ « ثمان سنين » .

(٢) « « « بطليموس الجديد » . (٥) « « « « الحديد » .

(٣) « « « بطليموس الجوال » . (٦) « « « « الطب والزينة » .

آخر ملوك اليونانيين الى ان انقضى ملكهم ودرت أيامهم ، واهت آثارهم ، وزالت علومهم ، إلا ما بقي في أيدي حكمائهم وقد كان هذه الملكة خير ظريف في موتها وقتلها لنفسها ، وقد كان لها زوج يقال له أنطونيوس^(١) مشارك لها في ملك مقدونية ، وهي بلاد مصر من الاسكندرية وغيرها ، فسار اليهم الثاني من ملوك الروم ، من بلاد رومية ، وهو أغسطس ، وهو أول من سمي قيصر ، وإليه تنسب القيصرية بعده ، وسنذكر خبره في باب ملوك الروم بعد هذا الموضع ، وكانت له حروب بالشام ومصر مع قلبطرة الملكة ومع زوجها أنطونيوس ، إلى أن قتله ، ولم يكن لقلبطرة في دفع أغسطس ملك الروم عن ملك مصر حيلة ، وأراد أغسطس إعمال الحيلة فيها^(٢) لعله بحكمتها ، ولبتعلم منها إذ كانت^(٣) بقية الحكماء اليونانيين ، ثم بعدها يقتلها^(٤) ، فراسلها ، وعلمت مراده فيها وما قد وترها به من قتل زوجها وجنودها ، فطلبت الحية التي تكون بين الحجاز ومصر والشام وهي نوع من الحيات : تراعي الإنسان ، حتى إذا تمكنت من النظر إلى عضو من أعضائه قفزت أذرعاً كثيرة كالرمح^(٥) فلم تخطيء ذلك العضو بعينه ، حتى تتقل عليه سماً ، فتأتي عليه ، ولا يعلم بها ، لمخوده من فوره ، ويتوهم الناس أنه قد مات فجأة حتف أنفه ، ورأيت نوعاً من هذه الحيات بين بلاد خوزستان من كور الأهواز لمن أراد بلاد فارس من البصرة ، وهو الموضع المعروف بخان مردويه بين مدينة دورق وبلاد الباسيان والغندم في الماء ، وهي حيات شبرية ، وتدعى هناك الفترية^(٦) ، ذات رأسين

(١) في بعض النسخ « افطنيوس » (٤) في بعض النسخ « ثم يهدبها ويقتلها ».

(٢) » » » » (٥) » » » » « كالريح ».

(٣) » » » » « لأنها كانت - الخ » (٦) » » » » « القبرية ».

تكون في الرمل وفي جوف تراب الأرض ، فإذا أحست بالإنسان أو غيره من الحيوان وثبت من موضعها أذرعاً كثيرة فضربت بإحدى رأسها إلى أي موضع من ذلك الحيوان ، فتلحقه من ساعته ضد الحياة وعدمها لحينه ، فبهشت قلبطرة هذه الملكة فاحتمل لها حية من هذه المقدم ذكرها التي توجد بأطراف الحجاز ، فلما أن كان اليوم الذي علمت أن أغسطس يدخل قصر ملكها أمرت بعض جوارها ومن أحببت فنأها قبلها ، وأن لا يلحقها العذاب بعدها ، فسمتها في إنائها فخدمت من فورها ، ثم جلست قلبطرة الملكة على سرير ملكها ، ووضعت تاجها على رأسها ، وعليها ثيابها وزينة ملكها ، وجعلت أنواع الرياحين والزهر والفاكهة والطيب وما يجتمع بمصر من عجائب الرياحين وغيرها مما ذكرنا ، مبسوطة في مجلسها وقُدّام سريرها ، وعهدت بما احتاجت إليه من أمورها ، وفرقت حشمها من حولها ، فاشتغلوا بأنفسهم عن ملكتهم ، لما قد غشيتهم من عدوهم ودخوله عليهم في دار ملكهم ، وأدنت يدها من الإناء الزجاج الذي كانت فيه الحية ، فقربت يدها من فيه فتفلت عايتها الحية ، فبجفت مكانها ، وانسابت الحية وخرجت من الإناء ، ولم تجد جحراً ولا مذهباً تذهب فيه لإتقان تلك المجالس بالرخام والمرمر والأصباغ ، فدخلت في تلك الرياحين ، ودخل أغسطس حتى انتهى إلى المجلس ؛ فنظر إليها جالسة والتاج على رأسها ، فلم يشك في أنها تنطق ، فدنا منها فتبين له أنها ميتة ، وأعجب بتلك الرياحين ، فد يد إلى كل نوع منها يلمسه ويتبينه (١) ويمجب خواص من معه به ، ولم يدر سبب موتها وهو يتأسف على ما فاته منها ، فبينما هو كذلك من تناول تلك الرياحين وشمها إذ قفزت عليه تلك

(١) في بعض النسخ « ويلشمه » .

الحية فرمته بسما ، فيبس شقه الأيمن من ساعته ، وذهب بصره الأيمن وسمعه ، فتمجب من فعلها وقتلها لنفسها وإيثارها للموت على الحياة مع الذل ، ثم ما كادته به من إلقاء الحية بين الرياحين ، فقال في ذلك شعراً بالرومية يذكر حاله وما نزل به وقصتها ، وأقام بعد ما نزل به ما ذكرنا يوماً وهلك ، ولولا أن الحية كانت قد أفرغت سمها على الجارية ثم على قلبطرة الملكة لكان أغسطس قد هلك من ساعته ، ولم تمهله هذه المدة ، وهذا الشعر معروف عند الروم إلى هذه الغاية يذكرونه في نوحهم^(١) ويرثون به ملوكهم وموتاهم ، وربما ذكروه في أغانيهم ، وهو متعال معروف عندهم ، وقد ذكرنا في ملف من كتبنا سير هؤلاء الملوك وأخبارهم وحروبهم وطوافهم البلاد^(٢) ، وأخبار حكمائهم ، وما أحدثوه من الآراء والنحل ، ومقائل فلاسفتهم ، وغير ذلك من أسرارهم وعجيب أخبارهم .

عدد ملوك اليونانيين ، والذي يعول عليه من عدد ملوكهم ، واتفق على ذلك^(٣) أهل المعرفة بأخبارهم ان جميع عدد ملوك اليونانيين أربعة عشرة ملكاً آخرهم الملكة قلبطرة ، وان جميع عدد سني ملوكهم ومدة أيامهم وامتداد سلطانتهم ثلاثمائة سنة وسنة واحدة ، وكان كل ملك يملك على اليونانيين بعد الاسكندر بن فيلبس يسمى بطليموس وهذا الاسم الأعم الشامل للملكهم^(٤) ، وتسمية ملوك الفرس كسرى ، وتسمية ملوك الروم قيصر ، وتسمية ملوك اليمن تبع ، وتسمية ملوك الحبشة النجاشي ، وتسمية ملوك الزنج فليمي^(٥) ، وقد ذكرنا جملاً من مراتب ملوك العالم وسماتهم واسمهم الأعم الشامل

(١) في بعض النسخ « يومهم » .

(٢) « » « » « » وطروقهم البلاد .

(٣) « » « » « » واتفق فيه أهل المعرفة .

(٤) في بعض النسخ « ملوكهم » .

(٥) « » « » « » وهلمن .

لهم فيما سلف من كتابنا هذا ، وسنورد بعد هذا الموضع - في الموضع المستحق له من هذا الكتاب - جملا عند ذكرنا الملوك والممالك ؛ ان شاء الله تعالى .

ذكر [ملوك]^(١)

الروم ، وما قاله الناس في انسابهم

وعدد ملوكهم وتاريخ سنينهم

تنازع الناس في نسب الروم ؛ تنازع الناس في الروم ، ولأية علة سموا بهذا الاسم ، فمنهم من قال : سموا روما لإضافتهم الى مدينة رومية ؛ واسمها روماس بالرومية ، وعرب هذا الاسم فسمي من كان بها روما ، وكذلك الروم في لغتهم لا يسمون انفسهم ولا يدعوم اهل الثغور الا رومينس^(٢) ، ومنهم من رأى ان هذا الاسم اسم للأب ، وهو روم بن سماحلي بن هربان بن عقلا بن العيص بن إسحاق بن ابراهيم الخليل^(٣) عليه السلام ، ومنهم من رأى انهم سموا باسم جدم ، وهو^(٤) رومي بن ليطن بن يوتان بن يافت بن بويه بن سرحون بن رومية بن مربط بن نوفل بن روين بن الاصفر بن اليفز بن العيص بن إسحاق بن ابراهيم عليه السلام [وقد قيل من الوجوه غير ما ذكرنا ، وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب في باب اليونانيين نسب الاسكندر واتصاله بهذا النسب ، على ما ذكره الناس في ذلك ، والله اعلم .

(١) لا توجد هذه الكلمة في بعض النسخ .

(٢) نبي بعض النسخ « روميس » .

(٣) « » « » « وهو روم بن سماحليق بن هربان بن عقلاء بن العيص - الخ » .

(٤) « » « » « وهو روم بن لبطن بن يوتان بن يافت بن نوفل بن سرحون بن رومية بن

مربط بن نوفل بن رومن بن الاصفر بن الثغر بن العيص بن اسحاق - الخ » .

وقد ولد للميص ثلاثون رجلاً ، فالروم الآخرة بنو الأصفر بن النفر^(١) بن الميص بن إسحاق [^(٢)] ، وقد ذكر جماعة ممن سلف من شعراء العرب قبل ظهور الاسلام ذلك لاشتهار ما وصفنا فيهم ، منهم عدي بن زيد العبادي حيث يقول :

وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذکور

وقد كان الميص بن إسحاق ، وهو عيصو ، تزوج من بنات الكنعانيين ، فأكثر اولاده منهم ، وقد قيل : ان العماليق - وهم العرب البادية الذين كانوا بالشام - من ولد النفر^(١) بن عيصو ، [وكذاك رعوثيل بن عيصو]^(٢) وهذا ما لا ينقاد اليه علماء العرب إلا في الروم دون ما ذكرنا من العماليق وغيرهم ، وهذه الانساب كلها تتعلق بما في التوراة وغيرها من كتب العبرانيين .

ساطوخاس : قال المسعودي : وغلبت الروم على ملك اليونانيين لاخبار يطول ذكرها ويتعذر في هذا الكتاب شرحها ، وكان أول من ملك من ملوك الروم فيها ساطوخاس^(٣) ، وهو جاليوس الأصفر بن روم ابن سماحليق^(٤) ، فكان ملكه اثنتين وعشرين سنة ، وقد قيل : ان اول من ملك من ملوك الروم قيصر ، واسمه غالوس ابن كوليوس^(٥) ، ثمان عشرة سنة ، وفي نسخة اخرى أن أول من ملك من ملوك الروم بعد اليونانيين تولىس^(٦) ، سبع سنين ونصفاً ، وكانت مدينة رومية بنيت قبل الروم بأربعمائة سنة .

اغسطس قيصر : ثم ملك بعده « أغسطس » قيصر^(٧) ، ستاً

(١) في بعض النسخ « اليفز » (٥) في بعض النسخ « هالوس بن أفليوس » .

(٢) هذه الجمل كلها ساقطة من بعض النسخ (٦) « » « » « بوليس » :

(٣) في بعض النسخ « ساطوحاس وهو جانيوس » . (٧) « » « أغسطس بن قيصر » .

(٤) « » « سماحلين »

وخمسين سنة ، وهذا الملك هو أول من سمي من ملوك الروم قيصر ، وهو الثاني من ملوكهم ، وتفسير قيصر بـقير أي شق عنه ، وذلك ان ماتت وهي حامل به فشق بطنها ؛ فكان هذا الملك يفتخر في وقته بأن النساء لم تلده ، وكذلك من حدث بعده من ملوك الروم ممن كان من ولده يفتخرون بهذا الفعل ، وما كان من أمهم ، فصارت سمة لمن طرأ بعده من ملوك الروم ، والله أعلم .

وغزا هذا الملك الشام ومصر والاسكندرية ، وازال من بقي من ملوك الاسكندرية ومقدونية وهي مصر ، وقد قدمنا ان كل ملك كان يلي مقدونية والاسكندرية يسمى بطليموس ، واحتوى هذا الملك - اعني أغسطس - على خزائن ملوك الاسكندرية ومقدونية ، ونقلها الى رومية ، وكانت له حروب كثيرة في الارض ، وقد اتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا ، وكان يعبد الاوثان ، وبنى بأرض الروم مدناً وكوثر كوراً نسبت تلك المدن اليه : منها قيسارية ، وكذلك بالشام بساحل فلسطين مدينة قيسارية ، وكان مولد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بها ، وهو يسوع الناصري على حسب ما قدمنا ، لاثنين واربعين سنة خلت من ملك قيصر أغسطس هذا ، فكان من ملك الاسكندر الى مولد المسيح ثلاثمائة سنة وتسع وستون (١) سنة ، ورأيت في مدينة انطاكية في بعض تواريخ الروم الملكية في كنيسة القسبان (٢) انه كان من ملك الاسكندر الى مولد المسيح ثلاثمائة سنة وتسع سنين (٣) ، وكان مولد يسوع الناصري [لاحدى وعشرين سنة خلت من ملك هيردوس ملك بني اسرائيل في ذلك العصر] (٤) بإيليا من بلاد فلسطين ، وهي اورشليم

(١) في بعض النسخ « وتسع وتسعون سنة » . (٢) في بعض النسخ « وتسع وستون سنة » .

(٣) سقطت هذه العبارة من بعض النسخ . (٤) « البستان » .

بالعبرانية . فمن هبوط آدم الى مولد المسيح في تواريخ أصحاب الشرائع من اهل الكتب خمسة آلاف سنة وخمسمائة سنة [وخمسون سنة]^(١) .

وأقام أغسطس وهو قيصر ملكاً بعد مولد المسيح أربع عشرة سنة ونصفاً وكان مدة ملكه على الروم برومية وفي سائر اسفاره ستاً وخمسين سنة ، على ما قدمنا من موته ولسع الحية إياه بمقدونية ، وجفاف نصفه ، وذهاب سمعه وبصره عند ذكرنا لفعل قلبطرة بنفسها في الباب الذي قبل هذا الباب .

طيباريوس : ثم ملك الروم بعده « طيباريوس »^(٢) ، وكان مدة ملكه اثنتين وعشرين سنة ، ولثلاث سنين بقيت من ملكه رفع المسيح عليه السلام ، ولما هلك هذا الملك برومية اختلفت الروم وتحزت ؛ فأقاموا على اختلاف الكلمة والتنازع في الملك مائتي سنة وثمانياً وتسعين سنة ، لا نظام لهم ، ولا ملك يجمعهم .

ولما انقضى ما ذكرنا من المدة ملكوا عليهم « طباريس غانس »^(٣) ، بمدينة رومية ، فكان ملكه أربع سنين ، والقوم لا يعرفون غير عبادة التائيل والصور .

قلوديس : ثم ملك بعده « قلوديس »^(٤) ، أربع عشرة سنة ، وذلك برومية ، وهو أول ملك من ملوك الروم شرع في قتل النصارى واتباع المسيح . وقيل : إن في أيامه قتل برومية بطرس ، واسمه باليونانية شمعون ، والعرب تسميه سمعان ، هو وبولص ، وصلبا

(١) عبارة « وخمسون سنة » لا توجد في بعض النسخ . (٤) في بعض النسخ طباريوس .

(٢) في بعض النسخ « طباريس » .

(٣) « » « بطاريس » .

منكسين ، وما كان من خبرهما مع سببا^(١) الساحر برومية ، وهما بمن
أتى إلى أنطاكية وأخبر الله عز وجل عنها في سورة يس ، ثم كان
لها بعد ذلك نبأ عظيم ، وذلك بعد ظهور دين النصرانية برومية ،
فجعلوا في أجربة^(٢) من البلور ، فيها على ذلك بمدينة رومية في
بعض الكنائس إلى هذه الغاية ، على حسب ما قدمنا آنفاً فيما سلف
من هذا الكتاب ، وأكثر من عني بأخبار العالم وسير ملوكهم وتاريخهم ،
يذهب إلى أنها قتل برومية في ملك الخامس من ملوك الروم ،
وتفرق تلاميذ يسوع الناصري في الأرض ، فسار ماري^(٣) إلى ما
دلاً من العراق فمات بمدينة دير قنسى^(٤) والصافية على شاطئ دجلة
بين بغداد وواسط ، وهذا البلد بلد علي بن عيسى بن داود بن
الجراح ومحمد بن داود بن الجراح وغيرهما من الكتاب فقبره هناك
في كنيسة إلى وقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، يعظمه
أهل دين النصرانية ، ومضى توما ، وكان من الاثني عشر ، إلى بلاد
الهند داعياً إلى شريعة المسيح ، فمات هناك ، وسار آخر إلى آخر
مدينة بخراسان ، فمات هنالك وموضع قبره مشهور يعظمه النصارى ،
ومنهم من رأى أنه مات ببلاد دقوقا وخانيجار وكرخ حدان^(٥)
في تخوم العراق ، وموضعه مشهور ، ومات ماركس بالإسكندرية من
أرض مصر ، وقبره هناك ، وهو أحد التلاميذ الأربعة الذين ألفوا
الإنجيل ، وقد كان لمارقس مع أهل مصر خبر ظريف في مقتله ،
وقد أتينا على السبب في ذلك في كتابنا الأوسط الذي كتبتنا هذا
قال له ، وأتينا على قصته مع أهل مصر ووصيته لهم حين زاد

(١) في بعض النسخ « سبمن الساحر » . (٢) في بعض النسخ « فسار مارا » .
(٣) « » « » « أخزفة » . (٤) « » « » « بمدينة برمي » .
(٥) « » « » « ومنهم أردمات ببلاد قوف وحا البحار وكرخ حران » .

عبادة التماثيل والأصنام ، ويقال : إنه قتل في ملكه بطرس وبولس برومية على حسب ما قدمنا ونمي دين النصرانية إلى الروم ، فكثرت فيهم الدعوة إليه ، فقتل هذا الملك منهم خلائق كثيرة ، وكان ملكه أربع عشرة سنة وأشهرأ .

طيطش وأسباسيانوس : ثم ملك بعده « طيطش وأسباسيانوس »^(١) ، مشتركين في الملك ثلاث عشرة سنة ، وذلك بمدينة رومية ، ولسنة خلت من ملك هذين الملكين سارا إلى الشام ، وكانت لهما مع بني إسرائيل حروب عظيمة ، وقتل فيها من بني إسرائيل ثلثمائة ألف ، وخربا بيت المقدس ، وأحرقا الهيكل بالنار ، وحرثاه بالبقر ، وأزالا رسمه ، ومحووا أثره ، وكانت عبادتها للأصنام .

ووجدت في بعض كتب التواريخ أن الله عاقب الروم من ذلك اليوم الذي خربت فيه بيت المقدس أن يسب كل يوم منهم سبي ، يفعل ذلك من أطاف ببلادهم من الأمم ، فلا يأتي يوم من أيام العالم إلا والسبي واقع بهم ، قل ذلك أو كثير .

دو بطياس : ثم ملك الروم بعدهما « دو بطياس »^(٢) ، خمس عشرة سنة ، عابداً للتماثيل معظماً لها ، ولتسع سنين من ملكه نفى يوحنا التلميذ أحد الأربعة من أصحاب الإنجيل إلى بعض جزائر البحر ، ثم رده بعد ذلك .

ثم ملك بعده « بيرنوس » سنة .

بعض ملوك الروم : ثم ملك بعده « طريانوس » سبع عشرة

(١) في بعض النسخ « ططس وأسفيانوس » . (٢) في نسخة « ذو نسطاس » .

الرقيم ، وزعموا أن الرقيم هو ما رقم من أسماء أهل الكهف في لوح من حجر على باب تلك المغارة ، ومنهم من رأى أن أصحاب الرقيم غير أصحاب الكهف ، وقد ذكرنا كلا الموضعين بأرض الروم ، وقد حكى أحمد بن الطيب^(١) بن مروان السرخسي تلميذ يعقوب بن إسحاق الكندي عن محمد بن موسى المنجم - حين أنفذه الواثق بالله من 'سر' من رأى إلى بلاد الروم حتى أشرف على أصحاب الرقيم وهو الموضع المعروف من بلاد الروم بجارمي^(٢) ، وقد ذكرنا في الكتاب الأوسط قصة أصحاب الكهف ، وموضعهم ، وكيفية أحوالهم ، إلى هذه الغاية ، وخبر أصحاب الرقيم ، وما حكاه محمد بن موسى المنجم من خبرهم ، وما لحقه من الموكل بهم حين أراد قتله بالسهم ، وقتل من كان معه من المسلمين ، وأخبرنا عن خبر السد الذي بناه ذو القرنين مانعاً لياجوج وماجوج .

قال المسعودي : ووجدت في كتاب صور الأرض ، وما عليها من الأبنية المعظمة والهياكل المشيدة ، قد صور مقدار عرض السد فيما بين الجبلين دون الطول والذهاب في الصعد تسع درج ونصف من درج الفلك ؛ فمقدار ذلك من الجبل إلى الجبل خمسون ومائة فرسخ ، وهذا عند جماعة من أهل النظر والبحث مستحيل كونه ، وقد أنكر ذلك محمد بن كثير الفرغاني المنجم ، وتكلم عليه ، وبرهن على فساد ، وأفرد أحمد بن الطيب^(٣) الذي قتله المعتضد بالله لما ذكرنا من الكهف والرقيم رسائل ، وقد أتينا على جميع ما قيل في ذلك في كتابنا المترجم بالكتاب الأوسط .

(١) في بعض النسخ « أحمد بن الطيب عن مروان » . (٢) في بعض النسخ « وأفرد محمد بن الطيب » .

(٢) « » « » « بجاري » .

[ثم ملك « جالنوس » ثلاث سنين^(١)] .
 ثم ملك بعده « يدنوس » نحواً من عشرين سنة ، وقيل :
 خمس عشرة سنة .
 [ثم ملك بعده « فورس » نحواً من عشرين سنة^(٢)] .
 ثم ملك بعده ولد له يقال له « فارس » نحواً من سنتين .
 ثم ملك بعده « قليطانس » عشر سنين .
 ثم ملك بعده « قسطنطين » .

عدد ملوك الروم : قال المسعودي : والذي وجدت في الأكثر من كتب التواريخ بما اتفقوا عليه أن عدة ملوك الروم الذين ملكوا بمدينة رومية ، وهم الذين قدمنا ذكرهم في هذا الباب ، تسعة وأربعون ملكاً ، وجميع عدد سني ملكهم من أول ملك ملكهم على حسب ما ذكرنا من الخلاف في صدر هذا الكتاب إلى قسطنطين هذا ، وهو ابن هلاني ، أربعائة وسبع وثلاثون سنة وسبعة أشهر وسبعة أيام^(٣) ، ونسخ كتب التواريخ في هذا المعنى مختلفة ، غير متفقة في أسماء ملوكهم ، ومدة ملكهم ، وأكثرها بالرومية ؛ فحكينا من ذلك ما تأتي لنا وصفه ، ولهؤلاء الملوك أخبار وسير ، هي موجودة في كتب النصارى الملكية ، وقد أتينا على مبسوطها ، والغرض منها في كتابنا « أخبار الزمان » وما شئدوا من البنيان ، وما كان لهم في هذا العالم من الأسفار ، وبالله التوفيق .

(١) هذه العبارة لا توجد في بعض النسخ .

(٢) في بعض النسخ « وستة أيام » .

(٣) هذه العبارة لا توجد في بعض النسخ .

خمسة أحرف ، فالأول إمالة ، وهو بحساب الجمل خمسة ، والثاني - وهو اللام - ثلاثون ، والثالث إمالة أيضاً ، وهي خمسة أيضاً ، والرابع النون وهي خمسون ، والخامس ياء ، وهو في حساب الجمل عشرة ؛ فذلك مائة اختصاراً على ما ذكرنا ، وهذه صورة الحرف الذي هو مائة بالرومية ، ولتسع عشرة سنة ^(١) خلت من ملك قسطنطين بن هلاني اجتمع ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً بمدينة نيقيا بأرض الروم ، فأقاموا دين النصرانية ، وهذا الاجتماع أول الاجتماعات الستة [التي يذكرها الروم في صلواتهم ويسمونها القوانين ، ومعنى هذا الاجتماعات الستة] ^(٢) بالرومية السنودسات ^(٣) ، واحدها سنودس ، فالأول بنيقية على ما ذكرنا من العدد ، وكان الاجتماع فيه على أريوس وهذا اتفاق من سائر أهل دين النصرانية من الملكية والمشاركة ، وهم العباد الذين تسميهم الملكية وعامة الناس النسطورية ، واتفاق من اليعاقبة على هذا السنودس أيضاً ، والسنودس الثاني بالقسطنطينية على مقدونس ، وعدة المجتمعين فيه من الأساقفة مائة وخمسون رجلاً ، والسنودس الثالث بأفسوس وعددهم مائتا رجل ؛ والسنودس الرابع بخلقيدونية ^(٤) ، وعددهم ستائة وستون رجلاً ، والسنودس الخامس بقسطنطينية وعددهم مئة وستة وأربعون رجلاً ^(٥) والسنودس السادس كان في مملكة المدائن ، وعددهم مائتان وتسعة وثمانون رجلاً ، وسنذكر بعد هذا الموضع في تركيب ملوك الروم هذه السنودسات ، وغلبة دين النصرانية ، وزوال عبادة التائيل والصور. سبب تنصر قسطنطين : وكان السبب في دخول قسطنطين بن هلاني في دين النصرانية والرغبة فيه ان قسطنطين خرج في بعض حروب بروجان ، أو غيرهم من الأمم ، وكانت الحرب بينهم سجلاً نحواً من سنة ، ثم كانت

(١) في بعض النسخ « ولسبع عشرة سنة » . (٤) في بعض النسخ « بخلقيدونية » .

(٢) سقطت في بعض النسخ . (٥) « » « » « مائة وستون رجلاً » .

(٣) في بعض النسخ « السنودسات واحدها سنودس » .

عليه في بعض الأيام ، فقتل من أصحابه خلق كثير ، فخاف البوار ، فرأى في النوم كأن رماحاً نزلت من السماء ، فيها عذاب ، وأعلاماً على رؤوسها صلبان من الذهب والفضة والحديد والنحاس ، وأنواع الجواهر والخشب وقيل له : خذ هذه الرماح ، وقاتل بها عدوك تنصر فجعل يحارب بها في النوم ، فرأى عدوه منهزماً ، وقد نصر عليه ، وولاه الدبر ، فاستيقظ من رقدته ، ودعا بالرماح فركب عليها ما ذكرنا ، ورفعها ^(١) في عسكره ، وزحف الى عدوه ، فولوا وأخذهم السيف ، فرجع الى مدينة نيقية ، وسأل عن أهل الخبرة عن تلك الصلبان ، وهل يعرفون ذلك في شيء من الآراء والنحل ؟ فقيل له : إن بيت المقدس من أرض الشام يجمع لهذا المذهب ، وأخبر بما فعل بمن قبله من الملوك من قتل النصرانية ، فبعث الى الشام ، وإلى بيت المقدس ، فحشد له ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً ، فأتوه وهو بنيقية فقص عليهم أمره ، فشرعوا له دين النصرانية ، فهذا هو السنودس ^(٢) الأول ، وهو الاجتماع على ما ذكرنا ، وقد قيل : إن أم قسطنطين هلاكي كانت قد تنصرت وأخفت ذلك عنه قبل هذه الرؤيا .

وكان ملك قسطنطين الى ان هلك إحدى وثلاثين سنة ، وفي وجه آخر من التاريخ أنه ملك خمساً وعشرين سنة ، وقد أتينا على أخباره وحروبه وخروجه مرثاداً لموضع القسطنطينية ، ووروده إلى هذا الخليج الآخذ من بحر مايطس ونيطس في كتابنا « أخبار الزمان » وفي الكتاب الاوسط ، وان خليج القسطنطينية يأخذ من هذا البحر ، ويجري فيه الماء جرياً ، ويصب إلى بحر الشام ، ومسافة هذا الخليج ثلاثمائة وخمسون ميلاً ، وقيل : أقل من ذلك ، وعرضه

(١) في بعض النسخ « ودفعا في عسكره » .

(٢) « » « » « السنودس » .

في الموضع الذي يأخذ من بحر مايطس نحو من عشرة أميال ، وهناك عمائر ، ومدينة للروم تدعى سباه^(١) ، تمنع من يرد في هذا البحر من مراكب الروس ، وغيرها ، ثم يضيق هذا الخليج عند القسطنطينية ، فيصير عرضه - وهو موضع العبور من الجانب الشرقي الى الموضع الغربي الذي فيه قسطنطينية - نحواً من أربعة أميال ، وعليه العمائر ، وينتهي في ضيقه الى الموضع المعروف بالاندلس ، وهناك جبال وعين ماء كثير ، ماؤها موصوف تعرف بعين مسلمة بن عبد الملك وكان نزوله عليها حين حاصر القسطنطينية ، وافته مراكب المسلمين ، وفم هذا الخليج مما يلي بحر الشام ، ومنتهى مصبه مضيق ، وهناك برج يمنع من فيه من يرد من مراكب المسلمين في الوقت الذي كانت للمسلمين فيه مراكب تغزو الروم ، واما الآن فمراكب الروم تغزو بلاد الإسلام ، والله الامر من قبل ومن بعد ، واخبرني أبو عمير عدي بن أحمد^(٢) بن عبد الباقي الأزدي - وهو شيخ الثغور الشامية قديماً وحديثاً الى وقتنا هذا ، وهو من أهل التحصيل - أنه لما عبر الى القسطنطينية في هذا الخليج حين دخل لاقامة الهدنة والفداء كان يتبين جرية هذا الماء وتردده^(٣) مما يلي بحر مايطس ، وربما يتبين في الماء الذي يلي بحر الشام فيجده فاتراً ، وهذا يدل على اتصال ماء هذين البحرين ، وانه قد دخل في بحر الروم الى هذا الخليج أيضاً ، وسمعت غير واحد من أهل التحصيل ممن غزا غزاة سلوقية مع غلام زرافة^(٤) - وقد كانوا قد دخلوا الى خليج القسطنطينية ، وساروا فيه مسافة بعيدة - انهم وجدوا الماء في هذا الخليج يقل في اوقات من الليل والنهار ويكثر كالمد والجزر ، وعليه العمائر والمدن ، فلما أحسوا بنقص الماء بادروا

(١) في بعض النسخ : تدعى مساه .
 (٢) في بعض النسخ : عدي بن حاتم بن عبد الباقي الأزدي .
 (٣) في بعض النسخ : ويرده .
 (٤) « » « : غلام أزرافة .

بالخروج منه الى البحر الرومي ، وان في مدخله من بحر الروم مدينة تقرب من فم الخليج ، والخليج يطيف بالقسطنطينية من جهتين مما يلي الشرق ومما يلي الشمال ، وفي الجانب الجنوبي البر^(١) ، وفيه باب الذهب مطلي على صفائح النحاس ، [وهو عدة اسوار مما يلي الغرب ، وفيه قصر]^(٢) واعلى اسوارها الغربية نحو من ثلاثين ذراعاً ، وقد ذكر انه أقل من ذلك ، وان أقصر موضع فيه عشرة اذرع ، واعلى موضع من سورها ما كان مما يلي الجنوب ، فاما ما كان مما يلي الخليج فسور واحد ، وفيه قصر وبواشير وأبراج كثيرة ، ولها أبواب كثيرة مما يلي البر والبحر ، وحوطها كنائس كثيرة ، وقد قيل : ان لها ثلاثين باباً ، ومنهم من زعم ان عليها مائة باب صغاراً وكباراً ، وهو بلد عفن مختلف المهاب مرطب للأبدان لكونه بين ما وصفنا من هذه البحار .

قال المسعودي : ولم تزل الحكمة باقية عالية^(٣) زمن اليونانيين ، وبرهة من مملكة الروم ، تعظم العلماء ، وتشرف الحكماء ، وكانت لهم الآراء في الطبيعيات والجسم والعقل والنفس ، والتعاليم الأربعة - أعني : الإرتقاطيقي ، وهو علم الأعداد ، والجومطريقي ، وهو علم المساحة والهندسة ، والاسترونوميا ، وهو علم النجوم ، والموسيقى وهو علم تأليف اللحن - ولم تزل العلوم قائمة السوق ، مشرقة الأقطار^(٤) قوية المعالم ، شديدة المقاوم ، سامية البناء ، إلى أن تظاهرت ديانة النصرانية في الروم ، فحفوا معالم الحكمة ، وأزالوا رسمها ، ومحووا^(٥) سبلها ، وطمسوا ما كانت اليونانية أبانته ، وغيروا ما كانت القدماء منهم أوضحته .

(١) في بعض النسخ : ويلى منها الجانب الغربي البر .

(٢) سقطت هذه العبارة من بعض النسخ . (٤) في بعض النسخ : مشرقة الاقطار .

(٣) في بعض النسخ « نامية عالية » . (٥) « » : وحطوا سبلها .

الموسيقى ، وكان من شريف ما تركته المعرفة بعلم الموسيقى ، لأنه غذاء للنفس ، ومطرب لها ، وملهبها ، تبتهج عند سماعه ، وتحن إلى تأليف أوضاعه ، وقد نظقت الحكماء بشرفه ، ونهت على نقاسة محله ، فقال الإسكندر : مَنْ فهم الألحان استغنى عن سائر اللذات ، وقد قالت الفلاسفة : إن النغم والأغاني فضيلة شريفة كانت تعذرت (١) عن المنطق ليست في قدرته ، فلم يقدر على إخراجها ، فأخرجتها النفس ألياناً ، فلما أظهرتها سُرَّتْ بها وعشقتها وطربت إليها ، ورتبت الحكماء الأوتار الأربعة بإزاء الطبائع الأربع ، فجعلوا الزير بإزاء المرة الصفراء ، والمثنى بإزاء الدم ، والمثلث بإزاء البلغم ، واليمّ بإزاء المِرَّة السوداء ، وقد أشبعنا القول في الموسيقى وأصحاب الملامي والإيقاع وأصناف الرقص والطرب والنغم ونسب النغم وما استعملته كل أمة من الأمم ، من أصناف الملامي ، من اليونانيين والروم والسرانيين والنبط والسند والهند والفرس وغيرهم من الأمم ، وذكرنا مناسبة النغم للأوتار ، وممازجة النفس والألحان ، وكيفية تولد الطرب وأنواع السرور (٢) وذهاب النغم وزوال الحزن ، وعلل ذلك الطبيعية والنفسية ، وما أحاط بذلك من جميع الوجوه ، في كتابنا المترجم بكتاب « الزلف » وأتينا على ظريف أخبارهم وأنواع لهوم وملاهيهم في كتاب « أخبار الزمان » وفي الكتاب الأوسط ، فأغنى ذلك عن إعادته هنا ؛ إذ هذا الكتاب في غاية الإيجاز ، وإن سنع لنا سأنح ذكرنا لمعاً من هذه الجوامع فيما يرد من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ، وإن تعذر ذلك فقد قدمنا التنبيه على ما سلف من كتبنا ، على الشرح والإيضاح .

(١) في بعض النسخ « كانت تغيب عن المنطق » .

(٢) « » « : وإيقاع السرور .

قسطنطين : ثم ملك الروم بعد قسطنطين بن هلاني الملك المنتصر « قسطنطين بن قسطنطين » وهو ابن الملك الماضي ، وكان ملكه أربعاً وعشرين سنة ، وبني كنائس كثيرة ، وشيد دين النصرانية .

لليانس : ثم تملك ابن أخي قسطنطين الأول « لليانس »^(١) فرفض دين النصرانية ، ورجع إلى عبادة الأوثان ، وهو لليانس^(٢) المعروف بالحنيفي . وأهل دين النصرانية لبغضهم فيه لرجوعه عن النصرانية وتغييره لرسومها يسمونه « لليانس » البزطاط^(٣) وغزا العراق في ملك سابور بن أردشير بن بابك ، فأناه سهم غرّب فذبحه ، وقد كان سار إلى العراق في جنود لا تحصى ، ولم يكن لسابور حيلة في دفعه ولقائه لمفاجأته إياه ، فانصرف سابور عن اللقاء إلى الحيلة في دفعه ، وكان من أمره ما وصفنا من سهم الغرب . وكان ملكه إلى أن هلك سنة ، وقيل أكثر من ذلك ، وهو الملك الثالث من بعد ظهور دين النصرانية .

يونياس : ولما هلك لليانس جزع من كان معه من الملوك ، والبطارقة ، والجيوش ، ففزعوا إلى بطريق كان معظماً فيهم ، يقال له يونياس^(٤) ، وقيل إنه كان كاتب الماضي ، فأبى عليهم أن يملك إلا أن يرجعوا إلى دين النصرانية ، فأجابوه إلى ذلك وضائق سابور القوم ، وأحاط بعساكرهم ؛ فكان ليونياس مع سابور مراسلات ومهادنة واجتماع ومحادثة ومعاشرة ، ثم افترقا ، وانصرف بجيوش النصرانية مودعاً لسابور ، وأخلف عليه ما أتلّف من أرضه بأموال حملها إليه ، وهدايا من لطائف الروم ، وشيد هياكل في دين النصرانية ،

(١) في بعض النسخ « بوليانس » . (٢) في بعض النسخ « مريانس » .

(٣) « » « » : البزطاط .

وردها إلى ما كانت عليه ، ومنع من الأصنام والتماثيل ، وقتل على عبادتها ، وكان ملكه سنة .

ثم ملك بعده « أوالس » (١) وهو على دين النصرانية ، ثم رجع عنها ، وهلك في بعض حروبه ، وكان ملكه إلى أن هلك أربع عشرة سنة .

يقظة أهل الكهف : وقيل : ان في أيامه استيقظ أصحاب الكهف من رقدتهم على حسب ما أخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم بَعَثُوا أَحَدَهُمْ يَبْرُقُهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَهَذَا الْمَوْضِعُ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ فِي الشِّمَالِ ، وَلِلنَّاسِ مِنْ عِنِّي بَعْلُ الْفَلَكَ فِي إِزْوِرَّارِ الشَّمْسِ عَنْ كَهْفِهِمْ فِي حَالِ طُلُوعِهَا وَغُرُوبِهَا لِمَوْضِعِهِمْ مِنَ الشِّمَالِ كَلَامٌ كَثِيرٌ ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُّ عَنْ كَهْفِهِمْ - الْآيَةُ) وَكَانُوا مِنْ أَهْلِ مَدِينَةِ أَفْسِسِ (٢) مِنْ أَرْضِ الرُّومِ .

غراطياس : ثم ملك بعد أوالس « غراطياس » (٣) خمس عشرة سنة ، ولسنة من ملكه كان اجتماع النصرانية ، وهو أحد الاجتماعات فَأَتَمُّوا الْقَوْلَ (٤) فِي رُوحِ الْقُدُسِ عِنْدَهُمْ وَأَحْرَقُوا مَقْدُونِسَ بَطْرِيْقَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَهُوَ السُّنْدُوسُ الثَّانِي .

تدوسيس : ثم ملك بعده « تدوسيس » (٥) الأكبر ، وتفسير هذا الاسم عندهم عطية الله وقام بدين النصرانية ، وعظّم منها ، وبنى كنائس ، ولم يكن من أهل بيت الملك ولا من الروم ، وإنما كان أصله من الأشبان ، وهم بعض الأمم السالفة ، وقد كانت ممن ملك

(١) في بعض النسخ : أوانس . (٢) في بعض النسخ : بامم القوم في روح القدس .

(٣) « » : أفسس . (٤) « » : بدرسيس .

(٥) « » : عرامطناس .

الشام ومصر والمغرب والأندلس ، وقد تنازع الناس فيهم : فذكر الواقدي في كتابه فتوح الأمصار أن بدأهم من أهل أصفهان ، وأنهم ناقة من هنالك ، وهذا يوجب أنهم من قبل ملوك فارس الأولى ، وذكر عبيد الله ^(١) بن خرداذبة نحو ذلك وساعدهما على ذلك جماعة من أهل السير والاختبار ، والاشهر من أمرهم أنهم من ولد يافت ابن نوح ، وهم ملوك الأندلس من اللذارقة ^(٢) واحدم لذريق ، وقد تنوزع في دياناتهم ، فمنهم من رأى أنهم كانوا على دين الجوس ، ومنهم من رأى أنهم كانوا على مذهب الصابئة وغيرهم من عبدة الاصنام ، وقد قلنا : إن الأشهر من أنسابهم أنهم من ولد يافت بن نوح ، فكان مدة ملك تدوسيس إلى أن هلك عشر سنين ^(٣) بعض ملوكهم : ثم ملك بعده « أرقاديس » ، أربع عشرة سنة ، وكان على دين النصرانية .

ثم ملك بعده ابنه « تدوسيس » الأصغر ، وذلك بمدينة أفسيس ، وجمع مائتي أسقف ، وهذا الاجتماع الثالث الذي قدمنا ذكره آنفاً ؛ ولعن فيه نسطورس البطرك ؛ وقد ذكرنا في كتابنا « أخبار الزمان » الحيلة التي وقعت على نسطورس بطرك القسطنطينية من صاحب الكرسي بالإسكندرية ، وما كان من نسطورس ، وثقيه ليوحنا المعروف بالراهب ^(٤) ، وما كان من يدوقيا ^(٥) زوجة الملك إلى أن نفي نسطورس من القسطنطينية إلى انطاكية ثم منها إلى صعيد مصر ، والمشاركة من النصارى أضيفوا إلى نسطورس لأنهم اتبعوه وقالوا

(١) في النسخ : عبد الله .

(٢) « » « » : وم الأزارقة واحدم أذريق .

(٣) « » « » : سبع عشرة سنة . (٥) في بعض النسخ : المعروف بفهم الذهب .

(٤) « » « » : أوباديس . (٦) « » « » : بدريا .

بقوله ، وإنما وسمتهم الملكية بهذا الاسم لتعيرهم وتعيبهم بذلك ، وقد كانت المشاركة بالحيرة وغيرها من الشرق تدعى بالعباد ، وسائر نصارى المشرق يأبون هذه الإضافة الى نسطورس ، ويكرهون أن يقال لهم نسطورية ، وقد أيد برصوما مطران نصيبين رأي المشاركة الثالث ، وهو الكلام في الأقاليم الثلاثة والجوهر الواحد وكيفية اتحاد اللاهوت القديم بالناسوت المحدث ، وكان ملك تدوسيس الأصغر الى أن هلك اثنتين وأربعين سنة .

ثم ملك بعده « مرقيانوس » ثم ملك الروم « بلخاريا » ، زوجة مرقيانوس^(١) وكانت ملكة معه ، وفي أيامها كان خبر اليعاقبة من النصارى ، ووقوع الخلاف بينهم في الثالث فكان ملكها سبع سنين ، وأكثر اليعاقبة بالعراق وبلاد تكريت والموصل والجزيرة ومصر وأقباطها إلا اليسير فإنهم ملكية ، والنوبة والأرمن يعاقبة ، ومطران اليعاقبة بتكريت بين الموصل وبغداد ، وقد كان لهم بالقرب من رأس العين واحد فمات ، وصاحبهم اليوم بناحية حلب ببلاد قنشرين والعواصم ، وكروسي اليعاقبة رسمه أن يكون بمدينة أنطاكية ، وكذلك لهم كروسي بمصر ، ولا أعلم لهم غير هذين الكرسيين ، وهما مصر وانطاكية .

ثم ملك بعدهما « أليون » الأصغر بن اليون^(٢) ، وكان ملكه ست عشرة سنة ، وفي أيامه أحرم مسعرة اليعقوبي^(٣) بطرك الإسكندرية ، واجتمع له من الأساقفة ستمائة وثلاثون أسقفاً^(٤) ، وفي

(١) في بعض النسخ « مرقيانوس وزوجته بلخاريا ، وكانت ملكة ، وفي - الخ » .

(٢) « » « : اليون الأكبر بن اليون .

(٣) « » « : بسفرة اليعقوبي .

(٤) « » « : ستمائة وستون أسقفاً .

تاريخ الروم أن عدة المجتمعين ستمائة وستون رجلاً ، وذلك بخلقودنية^(١) ، وهذا الاجتماع هو السنودس الرابع عند الملكية ، واليعاقبة لا تمتد بهذا السنودس ، ولهم خبر ظريف في قصة سوارى البطرك ، وما كان من أمره ، وخبر تلميذه يعقوب البراذعي^(٢) ، ودعوته إلى مذهب سوارى ، واليعاقبة أضيفت إلى مذهب البراذعي هذا ، وبه عرفت وكان من أهل أنطاكية يعمل البراذع .

ثم ملك بعده اليون الأصغر ابن اليون ، سنة على دين الملكية .

ثم ملك بعده « زينو »^(٣) ، وهو من بلاد الأرمينيان ، وكان يذهب إلى رأي اليعقوبية ، وكان ملكه سبع عشرة سنة ، وكانت له حروب مع خوارج خرجوا عليه في دار الملك ، فظفر بهم .

ثم ملك بعده « نسطاس » ، وكان يذهب إلى مذهب اليعقوبية ، وبنى مدينة عمورية ، وأصاب كنوزاً ودقائق عظيمة ، وكان ملكه إلى أن هلك تسعاً وعشرين سنة .

ثم ملك بعده « يوسطاناس »^(٤) ، تسع سنين .

ثم ملك بعده « يوسطانياس »^(٥) ، تسعاً وثلاثين سنة ، وقيل : أربعين ، وبنى كنائس كثيرة ، وشيد دين النصرانية ، وأظهر مذهب الملكية ، وبنى كنيسة الرها ، وهي إحدى عجائب العالم ، والهيكل المذكورة ، وقد كان في هذه الكنيسة منديل يعظمه النصارى ؛ وذلك أن يسوع الناصري - حين أخرج من ماء

(١) في بعض النسخ « بخلقودية » .

(٢) في بعض النسخ : البردعاني .

(٣) في بعض النسخ : بير .

(٤) في بعض النسخ : يوسطيانوس .

(٥) في بعض النسخ : سطايلس .

المعمودية - تنشف به ؛ فلم يزل هذا المندبل يتداول إلى أن قرر
بكنيسة الرها ، فلما اشتد أمر الروم على المسلمين وحاصروا الرها في
هذه السنة - وهي سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - أعطي هذا المندبل
للروم ، فجنحوا إلى الهدنة ، وكان للروم عند تسليم هذا المندبل
فرح عظيم .

ثم ملك بعده ابن أخيه « نوسطيس »^(١) ، ثلاث عشرة سنة ، على
رأي الملكية .

ثم ملك بعده « طباريس » أربع سنين ، وأظهر في ملكه
أنواعاً من اللباس والآلات وآنية الذهب والفضة وغير ذلك من آلات الملوك .

ثم ملك بعده « موريقس » عشرين سنة ؛ ونصر كسرى
أبرويز على بهرام جوبين^(٢) ، فقتل غيلة^(٣) ؛ وبعث أبرويز غضباً له
بجيوش إلى الروم ، وكانت لهم حروب على حسب ما قدمنا .

ثم ملك بعده « فوقاس »^(٤) ثمان سنين إلى أن قتل أيضاً .

ثم ملك بعده « هرقل » وكان بطريقاً في بعض الجزائر قبل ذلك ،
فعمر بيت المقدس ، وذلك بعد انكشاف الفرس عن الشام ، وبني
الكنائس ، ولسبع سنين من ملكه كانت هجرة النبي صلى الله عليه
وسلم من مكة إلى المدينة شرفها الله تعالى .

(١) في بعض النسخ : فرسطيس . (٢) في بعض النسخ : فقتل بجية .

(٣) « « « (٤) « « « : توماس .

ذكر ملوك

الروم بعد ظهور الاسلام

قال المسعودي : وجدتُ في كتب التواريخ تنازعاً في مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي عصر مَنْ كان من ملوك الروم : فمنهم من ذهب الى ما قدمنا من مولده وهجرته ، ومنهم من رأى أن مولده عليه الصلاة والسلام كان في ملك يوسطينوس^(١) الأول ، وكان ملكه تسعاً وعشرين سنة .

ثم ملك « يوسطينوس » الثاني ، وكان ملكه عشرين سنة .
[ثم ملك « هرقل » بن يوسطينوس ، وهو الذي ضرب الدنانير والدرام الهرقلية ، وكان ملكه خمس عشرة سنة .
ثم ملك بعده ابنه « مورق » بن هرقل]^(٢) .

والذي في كتب الزيجات في النجوم وعليه يعمل أهل الحساب ، وفي تواريخ ملوك الروم ممن سلف وخلف ، أن ملك الروم كان في وقت ظهور الاسلام وأيام أبي بكر وعمر « هرقل » وليس هذا الترتيب فيما عداها من كتب التواريخ وأصحاب الأخبار والسير ، إلا في السير منها ، وفي تواريخ أصحاب السير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر وملك الروم قيصر بن مورق^(٣) .

(١) في بعض النسخ « يسطورس » .

(٢) سقطت هذه الجملة من بعض النسخ .

(٣) في بعض النسخ قيصر بن فوق .

الجزء الأول : ذكر ملك الروم بعد ظهور الاسلام..... ٣٦٣

في عهد خلفاء الاسلام : ثم ملك بعده « قيصر » بن قيصر ، وذلك في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

ثم ملك على الروم « هرقل » بن قيصر ، وذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو الذي حاربه أمراء الاسلام الذين فتحوا الشام مثل أبي عبيدة بن الجراح ، وخالد بن الوليد ، ويزيد بن أبي سفيان وغيرهم من أمراء الاسلام ، حين أخرجوه من الشام .

وكان الملك على الروم « مورك » بن هرقل في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

ثم ملك « مورك » بن مورك^(١) في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأيام معاوية بن أبي سفيان .

ثم ملك بعده قلفط بن مورك^(٢) بقية أيام معاوية ، وكان بينه وبين معاوية مراسلات ومهادنات ، وكان المختلف بينهما فناق الرومي^(٣) غلام كان لمعاوية ، وقد كان معاوية هادن أباه مورك بن مورك حين سار الى حرب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان بشره بالملك ، واعلمه ان المسلمين تجتمع كلمتهم على قتل صاحبهم يعني عثمان ، ثم يؤول الملك الى معاوية ، وقد كان معاوية يومئذ اميراً على الشام لعثمان في خبر طويل قد أتينا على ذكره في الكتاب الأوسط ، وان ذلك من علم الملاحم يتوارثه ملوك الروم عن اسلافهم ، وكان ملك قلفط بن مورك^(٢) في الآخر من أيام معاوية ، وأيام يزيد

(١) في بعض النسخ : فوق بن مورك . (٣) في بعض النسخ « بناق الرومي » .

(٢) « » « » : فلنظ بن فوق .

ابن معاوية وأيام معاوية بن يزيد وأيام مروان بن الحكم وصدرأ
من أيام عبد الملك بن مروان .

في عهد الدولة المروانية : ثم ملك « لاون » بن قلفط^(١) في أيام
عبد الملك بن مروان ، وكان الملك بعده « جيرون » بن لاون في
أيام الوليد بن عبد الملك وأيام سليمان بن عبد الملك وخلافة عمر بن
عبد العزيز ، ثم اضطرب ملك الروم لما كان من أمر مسلمة بن
عبد الملك وغزو المسلمين إيّاهم في البر والبحر ، فملكوا عليهم رجلاً
من غير أهل بيت الملك من أهل مرعش ، يقال له جرجيس ،
وكان ملكه تسع عشرة سنة .

في عهد الدولة العباسية : ولم يزل ملك الروم مضطرباً الى
ان ملكهم « قسطنطين » بن اليون ، وذلك في خلافة أبي العباس
السفاح وأبي جعفر المنصور أخيه ، ثم ملك بعده « اليون » بن
قسطنطين ، وذلك في أيام المهدي والهادي ، ثم ملك بعده
« قسطنطين » بن اليون ، وكانت أمه أريش^(٢) ملكة معه ،
مشاركة له في الملك ، لصغر سنه في أيام هارون الرشيد ، فمات
قسطنطين بن اليون وسميت عينا أمه بعد ذلك لاخبار يطول ذكرها ،
ثم ملك على الروم « يعفور »^(٣) بن اسدراق^(٤) ، وكانت بينه
وبين الرشيد مراسلات ، وغزاه الرشيد ، فاعطاه القود من نفسه بعد
بغى كان منه في بعض مراسلاته ، فانصرف الرشيد عنه ، ثم غدر
ونقض ما كان اعطاه من الانقياد ، وكنتم عن الرشيد امره ،
لعارض علة كان وجدها بالرقعة ، وفي انقياد يعفور الى الرشيد

(١) في بعض النسخ « لاري بن فلنط » .

(٢) « » : أربين .

(٣) في تاريخ ابن خلدون « نففور » وفي بعض كتب التاريخ « نففور » .

(٤) في بعض النسخ « بن استبرق » .

وحمله الأموال والهدايا والضريبة اليه يقول ابو العتاهية :

إمام الهدى أصبَحْتَ بالدين معنيًا وأصبَحْتَ تسقي كل مستمطرٍ ريثًا
لك اسمانُ شقًا من رشادٍ ومن هدى فأنت الذي تدعى رشيداً ومهديثُ
إذا ما سخطتَ الشيءَ كانُ مسخطًا وإن ترض شيئاً كان في الناس مرضياً
بسطت لنا شرقاً وغرباً يدَ العلا فأوسعت شرقياً وأوسعت غربياً
وغشيت وجه الأرض بالجوود والندی فأصبح وجه الأرض بالجوود مغشياً
وأنت ، أميرَ المؤمنين ، فقى التقى نشرت من الإحسان ما كان مطبوعاً
قضى الله ان صفى لهارون ملكه وكان قضاء الله في الخلق مقضياً
تجلبت الدنيا لهارون بالرضا وأصبح يعفور لهارون ذمياً^(١)

فلما عوفي الرشيد من علته دخل عليه بعض الشعراء وقد هاب
الناس أن يخبروه بغدر يعفور ، فقال :

نقض الذي اعطاكه يعفور فعليه دائرة البوار تدورُ
أبشر ، أميرَ المؤمنين ، فإنه فتحُ أذاك به الإله كبيرُ
فتح يزيد على الفتوح ، يؤمنا بالنصر فيه لواءك المنصور
فلقد تباشرت الرعيّة أن أتى بالغدر عنه وافد وبشيرُ^(٢)
ورجّت بينك أن تُعجّل غزوةً تشفي النفوس ، نكالها مذكورُ^(٣)
يعفور ، إنك حين تغدرُ أن نأى عنك الإمام لجاهل مغرور
أظننت حين غدرت أنك مُفليتُ هيلتكَ أمك ماظننت غرورُ^(٤)
إن الإمام على اقتسارك قادر قرُبتُ ديارك أم نأت بك دور
ليسَ الإمامُ وإن غفلنا غافلاً عما يسوس بحزمه ويدبر

(١) في بعض النسخ : تجلبت الدنيا « وفيها » وأصبح نفور .

(٢) في بعض النسخ : ورجت بينك .

(٣) » » » : لظنت حين غدرت .

ملك تجرداً للجهاد بنفسه فَعَدَّوهُ أبدأً به مقهور
يا من يريد رضا الإله بسعيه والله لا يخفى عليه ضمير
لا نصح ينفع من يَفُشُّ إمامه والنصح من نصحاياه مشكور
نُصِحُ الإمام على الأنام فريضة ولأهله كفارة وظهور

وهي طويلة ، فلما انشده إياها قال الرشيد : أوقد فعل ؟ وعلم ان
الوزراء قد احتالوا ، فتجهز وغزاه ، ونزل على هرقة ، وذلك في سنة
تسعين ومائة .

الرشيد يحاصر هرقة : واخبرني أبو عمير عدي بن احمد بن عبد
الباقي الازدي أن الرشيد لما أراد النزول على حصن هرقة - وكان
معه أهل الثغور ، وفيهم شيخا الثغور الشامية مخلد بن الحسين ، وأبو
إسحاق الفزاري صاحب كتاب السير - فخلا الرشيد بمخلد بن الحسين ،
فقال : أي شيء تقول في نزولنا على هذا الحصن ؟ فقال : هذا أول
حصن لقيت من حصون الروم ، وهو في نهاية المنعة والقوة ؛
فإن نزلت عليه وسهل الله فتحه لم يتعذر عليك فتح حصن بعده ؛
فأمره بالانصراف ، ودعا بأبي إسحاق الفزاري فقال له مثل ما قال
لمخلد ، فقال : يا أمير المؤمنين هذا حصن بنته الروم في نحر الدروب^(١) ،
وجعلته لها ثغراً من الثغور ، وليس بالأهل ؛ فإن أنت فتحته
لم يكن فيه ما يعم المسلمين من الغنائم ، وإن تعذر فتحه كان ذلك
نقصاً في التدبير ، والرأي عندي ان يسير أمير المؤمنين الى مدينة عظيمة
من مدن الروم ؛ فإن فتحت عمت غنائمها المسلمين ، وإن تعذر ذلك
قام العذر ، فمال الرشيد الى قول مخلد ، فنزل على هرقة ، ونصب
حولها الحرب تسعة عشر^(٢) يوماً ، فأصيب خلق كثير من المسلمين ،

(١) في بعض النسخ : بحر الدروب .

(٢) » » » : سبعة عشر يوماً .

وفنيت الأزواد والعلوفات ، وضاق صدر الرشيد من ذلك ، فأحضر
أبا إسحاق الفزاري ، فقال : يا ابراهيم قد ترى ما نزل بالمسلمين ، فما
الرأي الآن عندك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، قد كنت أشفتت من
هذا ، وقدمت القول فيه ، ورأيت ان يكون الجد والحرب من
المسلمين على غير هذا الحصن ، وأما الآن فلا سبيل الى الرحيل عنه
من بعد المباشرة ؛ فيكون ذلك نقصاً في الملك ، ووهناً في الدين ،
وإطعاماً لغيره من الحصون في الامتناع عن المسلمين ؛ والمصابرة لهم ،
لكن الرأي يا أمير المؤمنين ان تأمر بالنداء في الجيش أن أمير
المؤمنين مقيم على هذا الحصن الى ان يفتحه الله عز وجل على المسلمين ،
وتأمر بقطع الخشب وجمع الاحجار وبناء مدينة بإزاء هذا الحصن
الى ان يفتحه الله عز وجل ، ولا يكون هذا الخبر ينمو إلى أحد
من الجيش إلا على المقام ؛ فان النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« الحرب خدعة » وهذه حرب حيلة لا حرب سيف ؛ فأمر الرشيد
من ساعته بالنداء ؛ فحملت الاحجار وقطع الاخشاب من الشجر ،
واخذ الناس في البناء ؛ فلما رأى أهل الحصن ذلك جعلوا يتسللون
في الليل ، ويهدلون أنفسهم بالحبال .

وفي خبر أبي عمير بن عبد الباقي زيادات ، منها خبر الجارية
التي سبأها الرشيد من هذا الحصن ، وهي إينة بطريقه ، وكانت
ذات حسن وجمال ، فزاید^(١) فيها صاحب الرشيد في المغنم ، وبالغ
فيها حتى اشتراها له ، فبلغت من قلبه ، وبنى لها نحو الرافقة بأميال
على طريق بالس حصناً سماه هرقة [على الفرات^(٢)] ، بجاكي به
حصن هرقة ببلاد الروم ، في خبر طويل قد أتينا على جميعه في

١ في بعض النسخ « فزاد فيها » .

٢ سقطت من بعض النسخ .

كتابنا الأوسط .

وهذا الحصن باقى الى هذه الغاية هنالك خراب يعرف بهرقلة .

واخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد ، قال : أخبرني أبو العيناء ، قال : أخبرني شبل الترجمان ، قال : كنت مع الرشيد حين نزل على هرقلة وفتحها ، فرأيت بها حجراً^(١) منصوباً مكتوباً عليه باليونانية ، فجعلت أترجمه والرشيد ينظر إلي ، وأنا لا أعلم ، فكانت ترجمته : « بسم الله الرحمن الرحيم ، يا ابن آدم غافص الفرصة عند إمكانها ، وكل الأمور الى وليها ، ولا يحملنك افراط السرور على المآثم ، ولا تحمل على نفسك هم يوم لم يأت ، فإنه إن يك من أجلك وبقية عمرك يأت الله فيه برزقك ، ولا تكن من المفورين يجمع المال ، فكم قد رأينا جامعاً لبعل حليلته ، ومقتراً على نفسه ، موفراً لخزانة غيره ، وقد كان تاريخ هذا الكتاب في ذلك اليوم زائداً على ألفي سنة .

وباب هرقلة 'مطلّ على واد وخذق يطيف بها ، وذكر جماعة من أهل الخبرة من أهل الثغور ان أهل هرقلة لما اشتد بهم الحصار ، وعضتهم الحرب بالحجارة والسهام والنار ، فتحوا الباب ، فاستشرف المسلمون لذلك ، فاذا رجل من أهلها كأجل الرجال قد خرج في أكمل السلاح ، فنادى : يا معشر العرب ، قد طالت موافقتكم إيانا ، فليخرج الي منكم الرجل والعشرة الى العشرين مبارزة ، فلم يخرج اليه من الناس أحد ، ينتظرون اذن الرشيد ، وكان الرشيد قائماً [فعاد الرومي الى حصنه]^(٢) ، فلما استيقظ أخبر بذلك ، فتأسف ولام خدمه على تركهم إيقاظه ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، ان امتناع

(١) في بعض النسخ « بابها حجرا » . (٢) سقطت من بعض النسخ .

الناس منه اليوم يُطمعه ويطغيه ويجرته ان يخرج في غد فيطلب
المبارزة ويعود لمثل قوله ، فطالت على الرشيد ليلته ، واصبح كالمنتظر
له ، إذ فتح الباب ، فاذا الفارس قد خرج ، وعاد الى كلامه ،
فقال الرشيد: من له ؟ فابتدره جلة القواد ، فعزم على إخراج بعضهم ،
فضج اهل الثغور والمتطوعة بباب المضرب ، فأذن لبعضهم ، وفي مجلسه
مخلد بن الحسين و ابراهيم الفزاري ، فدخلوا ، فقالوا : يا أمير
المؤمنين ، قوادك مشهورون بالبأس ، والنجدة ، وعلو الصيت ، ومباشرة
الحرب ومتى خرج واحد منهم وقتل هذا العليج لم يكبر ذلك ، وان
قتله العليج كانت وصمة ^(١) على العسكر عظيمة ، وثلمة لا تنسد ، ونحن
عامة لا يرتفع لأحد منا صيت فان رأى أمير المؤمنين ان يختار
رجلاً منا يخرج إليه فعل ، فصبوب الرشيد ^(٢) رأيهم وقال مخلد و ابراهيم :
صدقوا يا أمير المؤمنين ، فأومؤا الى رجل منهم يعرف بابن الجزري ^(٣)
مشهور في الثغور ، موصوف بالنجدة ، فقال له الرشيد : اتخرج اليه ؟
قال : نعم ، واستعين بالله عليه ، فقال : أعطوه فرساً وسيفاً ورحلاً
وترساً ، فقال : يا أمير المؤمنين أنا بفرسي أوثق ، ورحلي في يدي
أشد ، ولكن قد قبلت السيف والترس . فلبس السلاح ، واستدناه
الرشيد فودعه وأتبعه بالدعاء ، وخرج معه عشرون من المتطوعة ،
فلما انقضى في الوادي قال لهم العليج وهو يعدم واحداً واحداً : إنما
كان الشرط عشرين ، وقد ازددتم رجلاً ، ولكن لا بأس ، فنادوه :
ليس يخرج لك منا إلا رجل واحد ، فلما فصل ^(٤) منهم ابن
الجزري تأمله العليج ، وقد اشرف اكثر الروم من الحصن يتأملون

(١) في بعض النسخ : كانت وضيمة على العسكر .
(٢) « « « : فاستصوب الرشيد الرأي .
(٣) « « « : يعرف بابن الجزري .
(٤) في بعض النسخ : فلما انفصل .

صاحبهم ، فقال له الرومي : أتصدقني عما أسألك عنه ؟ قال : نعم ، قال : أنت ابن الجزري بالله ؟ قال : اللهم نعم ، فكفء لك (١) ؟ قال : بلى 'كفء' (٢) ، ثم اخذا في شأنها ، فتطاعنا حتى طال الأمر بينهما ، وكاد الفرسان أن يقوموا تحتها ، وليس واحد منها خدش صاحبه ، ثم رميا برمحيهما (٣) هذا نحو أصحابه وهذا نحو حصنه ، وانتضيا سيوفهما وقد اشتد الحر عليهما (٤) ، وتبدل جواداهما ، فجعل ابن الجزري يضرب الرومي الضربة التي يظن أنه قد بالغ فيها فيتقيها الرومي ، وكانت درقته حديداً ، فيسمع لها صوت منكر ، ويضربه الرومي فيفوص سيفه (٥) لأن ترس ابن الجزري كان درقة تبتية (٦) ، وكان العليج يخاف أن يفوص (٧) السيف فيعطب ، فلما يش كل واحد منها من صاحبه انهزم ابن الجزري ، فداخلت الرشيد والمسلمين من ذلك كآبة لم يصبهم مثلها ، وعططت المشركون (٨) من حصنهم ، وإنما كانت حيلة من ابن الجزري ، فاتبعه العليج وعلا عليه ، فلما تمكن منه ابن الجزري رماه برهق (٩) فاختطفه من سرجه ، ثم عطف عليه ، فما وصل الى الارض جسده حتى فارقه رأسه ، وكبر المسلمون ، وانكسر المشركون ، وبادروا الباب ليغلقوه ، واتصل الخبر بالرشيد ، فصاح بالقواد أن يجعلوا في حجارة الجحانيق النار ، فليس عند القوم دفع بعدها ، وعاجلهم المسلمون الى الباب فدخنوها بالسيف ، وقيل : انهم نادوا بالامان ، فأمنوا ، وافتتاحها عنوة أشهر من قول من قال : إنها فتحت صلحاً ، فقال في ذلك الشاعر الحكمي (١٠)

(وهو أبو نواس) :

(١) في بعض النسخ : فكفء له . (٢) في بعض النسخ : كانت يمانية .
 (٣) قال : مثلي كفء لك . (٤) » » » (٧) : يخاف أن يعض السيف .
 (٥) ثم زجا برمحيهما . (٦) » » » (٨) : وغطت المشركون .
 (٧) وقد اشتدت الحرب عليهما . (٨) » » » (٩) : رماه برهق .
 (٩) فينفرز سيفه . (١٠) » » » : الشاعر الحكمي .

هَوَتْ هِرْقَلَةُ لَمَّا أَنْ رَأَتْ عَجَبًا جَوَانِمًا تَرْتَمِي بِالنَّفْطِ وَالنَّارِ
كَأَنَّ نِيرَانَنَا مِنْ جَنْبِ قَلْعَتِهِمْ كَشَعَلَاتٍ عَلَى أَرْسَانِ قِصَارِ
وهذا كلام ضعيف ولكن قد عظم قدره في ذلك الوقت للمعنى ،
وعظمت لصاحبه الجائزة ، وصبت الأموال على ابن الجزري ، وقوّد ،
وخلع عليه ، فلم يقبل شيئاً من ذلك ، وسأل أن يُعفى ويترك على
ما هو عليه ، ففي هذا يقول الشاعر أبو العتاهية :

أَلَا نَادَتْ هِرْقَلَةُ بِالْخَرَابِ مِنْ الْمَلِكِ الْمَوْفِقِ لِلصَّوَابِ
غدا هرون يرعد بالمنايا ويبرق بالذكورة العضاب
ورايات يحمل النصر فيها تمر كأنها مرء السحاب
أمير المؤمنين ظفرت فاسلم وأبشر بالغنيمة والإياب

وللرشيد مع يعفور (١) هذا بعد ذلك أخبار كثيرة ، قد أتينا
على مبسوطها في كتابنا الأوسط ، وما كان من خبره في إرساله
ليحيى بن الشيخير حين امره أن يتطارش على يعفور وما كان من يعفور
وإخباره لبطارفته أن الرشيد بعث بهذا متصامماً ، وما طالبه ابن الشيخير
بدينار أو درهم عليه صورة الملك حين عرضت عليه الخزائن ، وما
كان من انقياد يعفور بعد ذلك إلى طاعة الرشيد ، وشرطه
عليه أن يحمل إليه أينما كان من ماء عين العشيّة ، وهي عين
البريدون (٢) ، وهي في نهاية الصفاء والرقّة ، وغير ذلك مما عنه
أمسكنا طلباً للاختصار .

ثم ملك بعد يعفور « استراق بن يعفور بن استراق » (٣) في

(١) في بعض النسخ : نففور .

(٢) » » : اليبيدون .

(٣) » » : استراق بن نففور بن استراق .

أيام محمد الأمين فلم يزل ملكاً حتى غلب على الملك قسطنطين بن قلفط^(١) ، وكان ملك قسطنطين هذا في خلافة المأمون .

ثم ملك بعده « توفيل »^(٢) وذلك في خلافة المعتصم ، وهو الذي فتح زبطرة ، وغزاه المعتصم بالله ففتح عمورية ، وسنورد خبره فيما يرد من هذا الكتاب في أخبار المعتصم ، ان شاء الله تعالى .

ثم ملك بعده « ميخائيل بن توفيل » ، وذلك في خلافة الواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين .

ثم كان بين الروم تنازع في الملك ، فملكوا عليهم « توفيل بن ميخائيل بن توفيل »^(٣) ، ثم غلب على الملك بسيل الصقلي^(٤) ولم يكن من أهل بيت الملك ، وكان ملكه أيام المعتز والمهتدي ، وبعض خلافة المعتد .

[ثم ملك بعده ابنه « اليون بن بسيل » بقية أيام المعتد وصدرأ من أيام المعتضد^(٥)] .

ثم هلك فملكوا عليهم ابناً له يقال له « الإسكندروس » فلم يحمدا أمره ، فخلعوه وملكوا عليهم أخاه « لاوي بن اليون بن بسيل الصقلي^(٦) » ، وكان ملكه بقية أيام المعتضد والمكتفي وصدرأ من أيام المقتدر .

(١) في بعض النسخ : بن فلنط .

(٢) « » « : نظر توفيل .

(٣) « » « : توفيل بن ميخائيل بن توفيل .

(٤) « » « : بسيل الصقلي .

(٥) هذه الجملة ساقطة من بعض النسخ .

(٦) في بعض النسخ : لاوي بن بسيل الصقلي .

ثم هلك وخلف ولداً صغيراً يقال له « قسطنطين ، فملك وغلب على مشاركته في الملك « ارمنوس ، بطريق البحر وصاحب غزوه وحروبه ، فزوجَ قسطنطين الصبي بابنته ، وذلك في بقية أيام المقتدر وأيام القاهر والراضي والمتقي ، الى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - في خلافة أبي اسحاق المتقي لله بن المقتدر .

وملوك الروم في هذا الوقت المؤرخ ثلاثة ، والأكبر منهم والمدير للامور ارمنوس المتغلب ، ثم الثاني وهو قسطنطين بن لاوي بن اليون ابن بسيل^(١) ، والملك الثالث ابن^٢ لأرمنوس ، يخاطبُ بالملك ، واسمه اسطفنوس^(٢) ، وجمعل أرمنوس ابناً له آخر صاحب الكرسي بالقسطنطينية ، وهو البطرک الأكبر الذي يأخذون عنه دينهم ، وقد كان خصّاه قبل ذلك ، وقرّبه الى الكنيسة ، وأمر الروم يدور في وقتنا هذا على من ذكرنا من ملوكهم .

قال المسعودي : وإلى هذا الوقت انتهت أخبار ملوك الروم ، على حسب ما ذكرنا ، والله أعلم ما يكون من أمرهم في المستقبل من الزمان .

مدة ملك الروم : فعدد سني ملوك الروم المنتصرة من قسطنطين ابن هلاني ، وهو المظهر لدين النصرانية على ما ذكرنا ، الى هذا الوقت ، خمسمائة سنة وسبع سنين ، والذي أجمع عليه من عدد ملوكهم - من قسطنطين الى هذا الوقت المؤرخ - أحد وأربعون ملكاً ، ولم يعد بعد ابن أرمنوس^(٣) ، ووقع العمد على قسطنطين وأرمنوس اللذين هما ملكا الروم في هذا الوقت المؤرخ ، وإن أدخلنا في هذا

(١) في بعض النسخ : لاوي بن بسيل الصقلي . (٢) في بعض النسخ : أرميوس .

(٢) « » : واسمه اسطفانس .

العدد ابن أرميوس^(١) فعدد ملوك الروم من بدء النصرانية - وهو الملك قسطنطين بن هلافي - اثنان وأربعون ملكاً ، في مدة هذه السنين المذكورة .

وقد ذهب جماعة ممن عني بأخبار العالم الى ان من حين كعبط آدم عليه السلام الى هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، ستة آلاف سنة ومائتين وتسعاً وخمسين سنة ، وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جلا من تاريخ سني العالم والأنبياء والملوك في باب نفرد له ذلك ، ان شاء الله تعالى .

ذكر مصر

وأخبارها ، ونيلها ، وعجائبها ، وأخبار ملوكها

وغير ذلك مما اتصل بهذا الباب

مصر في القرآن : قال المسعودي : ذكر الله جل ثناؤه مصر في مواضع من كتابه فقال عز وجل : (وقال الذي اشترأ من من مِصر) وقال (ادخلوا مِصرَ إن شاء الله آمين) وقال تعالى (وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومِكُمَا بِمِصرَ بيوثاً) وقال : (امبطوا مِصرأ فإن لكم ما سألتم) وقال تعالى : (وقال نِسوةٌ في المدينة امرأةُ العزيرِ تراوِدُ فتَاها عن نَفْسِهِ) .
وصف مصر : ووصف بعض الحكماء مصر فقال : ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء ، وثلاثة أشهر مسكة سوداء ، وثلاثة أشهر زمردة حضراء ، وثلاثة أشهر سبيكة [ذهب]^(٢) حمراء ، فأما اللؤلؤة البيضاء فإن مصر في شهر أبيب - وهو تموز - وميسرى - وهو

(١) في بعض النسخ « ارميوس » . (٢) مقطعات هذه الكلمة من احدي النسخ .

آب - وتوت - وهو أيلول - يركبها الماء فتري الدنيا برياض ،
وضياعها على روابي وتلال مثل الكواكب ، قد أحاطت المياه بها من
كل وجه ؛ فلا سبيل لبعض البلاد الى بعض الا في الزوارق ، وأما
المسكة السوداء فإن في شهر بايه - وهو تشرين الأول - وهاتور -
وهو تشرين الثاني - وكيهك - وهو كانون الأول - ينكشف الماء
عنها ، وينضب عن أرضها (١) ، فتصير أرضاً سوداء ، وفيها تقع
الزراعات ، وللأرض روائح طيبة تشبه روائح المسك ، وأما الزمردة
الخضراء ؛ فإن في شهر طوبة - وهو كانون الثاني - وأمشير - وهو
شباط - وبرمهات - وهو آذار - تلع ويكثر عشبها (٢) ونباتها ؛
فتصير كالزمردة الخضراء ، وأما السبيكة الحمراء فإن في شهر برمودة
- وهو نيسان - وبشنس - وهو أيار - وبؤونه - وهو حزيران -
يبيضُ الزرع ، ويتورد العشب ، فهو كسبيكة الذهب منظرأ ومنفعة .

وسنذكر هذه الشهور بالسريانية والعربية والفارسية ، ونسمي كل
شهر منها بعد هذا الموضع من هذا الكتاب ، وإن كنا قد أتينا على
جميع ذلك في الكتاب الأوسط .

ووصف آخرُ مصر فقال : نيلها عجب ، وأرضها ذهب ، وخيرها
جلب ، وملكها لمن سلب ، وما لها رغب ، وفي أهلها صخب ،
وطاعتهم رهب ، وسلامهم شغب ، وحروبهم حربٌ ، وهي لمن غلب .
نهر النيل : ونهرها النيل من سادات الأنهار ، وأشرف البحار ؛
لأنه يخرج من الجنة على حسب ما ورد به خبر الشريعة ان النيل
وسيحان ، وهو نهر أذنة [من الثغر الشامي ، ويصب الى البحر الرومي

(١) في بعض النسخ : وتنصب عن أرضها .

(٢) « « « : تلع بكثرة عشبها ونباتها فتصير الدنيا خضراء كالزمردة .

وخرجه على ثلاثة أيام من ملطية ، ويحري في بلاد الروم ، وليس للمسلمين عليه الا مدينة أذنة^(١) [بين طرسوس والمصيصة وجيجان ، وخرجه من عيون تعرف بعيون جيجان على ثلاثة أيام^(٢) من مدينة مرعش ، ويطرح الى البحر الرومي ، فليس للمسلمين عليه من المدن الا المصيصة وكفربيا^(٣) ومجراه بينهما ، والفرات ، وقد قدمنا الأخبار عنه وعن النيل ومبدها ومقدار جريانها على وجه الارض ومصبتها ، فيما سلف من هذا الكتاب ، وأنه يخرج من الجنة ، وكذلك الدجلة وغيرها مما اشتهر من الأنهار الكبار .

وقد قالت العرب في النيل : انه اذا زاد غاضت له الأنهار ، والأعين والآبار ، وإذا غاض زادت ؛ فزياداتها من غيظه ، وغيظه من زياداتها .

[قال البصري :

يفيض ان زادت له الأنهار في الارض ذات العرض والمقدار^(٤)]

وقالت الهند : زيادته ونقصانه بالسيول ، ونحن نعرف ذلك بتوالي الأنواء ، وكثرة الأمطار ، وركود السحاب .

وقالت الروم : لم يزد قط ولم ينقص ، وإنما زيادته ونقصانه من عيون^(٥) كثرت واتصلت .

وقالت القبط : زيادته ونقصانه من عيون في شاطئه ، يراها من سافر ، ولحق بأعاليه .

(١) سقطت هذه الجملة من بعض النسخ .

(٢) في بعض النسخ : ثلاثة أميال .

(٣) « » « » : وكفربيا .

(٤) سقط هذا البيت من احدى النسخ .

(٥) في بعض النسخ « وإنما زيادته بالشمال اذا كثرت واتصلت » .

[وقيل : لم يزد قط ، وإنما زيادته بريح الشمال إذا كثرت واتصلت به ، فتحبسه ، فيفيض على وجه الأرض]^(١).

وقد ذكرنا التناسع في النيل وزيادته من سلف وخلف ، على الشرح والايضاح ، وغيره من الانهار الكبار والبحار والبحيرات الصغار ، في كتاب اخبار الزمان ، في الفن الثاني ، فأغنى ذلك عن اعادةها في هذا الكتاب .

ومصر من سادات القرى ، ورؤساء المدن ، قال الله تعالى [حاكياً عن فرعون : (اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي ، أفلا تبصرون) وقال عز وجل]^(١) حاكياً عن يوسف عليه السلام : (اجعلني على خزائن الأرض ، إني حفيظ عليم) وهي مصر ، وليس في أنهار الدنيا نهر يسمى بحراً وإنما غير نيل مصر لكبره واستبحاره ، وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا الخبر عن جبل القمر الذي بدء النيل منه ، وما يظهر من تأثير القمر فيه عند زيادته ونقصانه من النور والظلام في البدر والمحاق^(٢).

وقد روي عن زيد بن أسلم في قوله تعالى (فان لم يصبها وابل فطل) ، قال : هي مصر ، إن لم يصبها وابل زكت^(٣) ، وابل أصابها مطر ضعفت ، وقال بعض الشعراء يصف مصر ونيلها :

مصر ، ومصرٌ شأنها عجيب ونيلها تجري به الجنوب

وهي مصر ، واسمها كعناها ، وعلى اسمها سميت الامصار ، ومنه

(١) سقطت هذه الجملة من احدى النسخ .

(٢) وفي نسخة « البدء والمحاق » .

(٣) في بعض النسخ « ان لم يصبها مطر أذكت » .

اشتق هذا الاسم عند علماء البصريين^(١) ، وقد قال عمرو بن معد يكرب :

ما النيل أصبح زاخراً بمدوده وجرت له ريح الصبا فجرى لها^(٢)
[هودت كندة عادة محودة فاصبر لجاهلها ورو^(٣) سجالها]

زيادة النيل ونقصانه : قال المسعودي : ويبتدىء نيل مصر بالتنفس والزيادة بقية بثونة - وهو حزيران - وأبيب - وهو تموز - ومسرى - وهو آب - فاذا كان الماء زائداً زاد شهر توت كله - وهو أيلول - الى انقضائه ، فاذا انتهت الزيادة الى ست عشر ذراعاً ؛ ففيه تمام الخراج ، وخصب الارض ، وريح للبلد عام^(٤) ، وهو ضار للبهائم لعدم المرعى والكلا ، وأتم الزيادات كلها العامة النفع للبلد كله سبع عشر ذراعاً ، وفي ذلك كفايتها ، ورعى جميع أراضيها ، واذا زاد على السبع عشر وبلغ ثمان عشرة ذراعاً وغلقها استبحر من ارض مصر الربع ، وفي ذلك ضرر لبعض الضياع ؛ لما ذكرنا من وجه الاستبحار وغير ذلك ، وان كانت الزيادة ثمان عشرة ذراعاً كانت العاقبة في انصرافه حدوث وباء بمصر ، واكثر الزيادات ثمان عشرة ذراعاً ، وقد كان النيل بلغ في زيادته تسع عشرة ذراعاً ، وذلك سنة تسع وتسعين في خلافة عمر بن عبد العزيز ، ومساحة الذراع الى ان تبلغ اثني عشر ذراعاً ثمان وعشرون اصبعاً ، ومن اثني عشر ذراعاً الى ما فوق يصير الذراع اربعاً وعشرين اصبعاً ، واقل ما يبقى في قاع المقياس من الماء ثلاثة اذرع ، وفي مثل تلك السنة يكون الماء قليلاً ، والاذرع التي يستسقى عليها بمصر هي

(١) في بعض النسخ « المصريين » .

(٢) في نسخة « فالنيل » وفي نسخة أخرى « أصبح واحداً » .

(٣) هذا البيت لا يوجد في احدى النسخ .

(٤) في بعض النسخ « ففيه تمام خراج السلطان ، وخصب الناس ، وفيه ظمأ ، ربح البلاد » .

فراغان تسميان منكرأ ونكيراً ، وهي الذراع الثالث عشر ، والذراع الرابع عشر ؛ فاذا انصرف الماء عن هاتين الذراعين - اعني ثلاث عشرة وأربع عشرة - وزيادة نصف ذراع من الخمس عشرة ، استسقى الناس بمصر ، وكان الضرر شاملاً لكل البلدان ، الا ان يأذن الله (١) عز وجل في زيادة الماء ، واذا تم خمس عشرة ودخلت في ست عشرة ذراعاً كان فيه صلاح لبعض الناس ، ولا يستسقى فيه ، وكان ذلك نقصاً من خراج السلطان ، والترع التي بفيضة مصر أربع أمهات ؛ أسماؤها : ترعة ذنب التماسح ، وترعة بلقينة ، وخليج سردوس ، وخليج ذات الساحل ، وتفتح هذه الترع اذا كان الماء زائداً في عيد الصليب ، وهو لاربع عشرة تخلو من توت وهو ايلول ، وقد قدمنا خبر تسمية هذا اليوم بعيد الصليب فيما سلف من هذا الكتاب ، والنبيد الشيراري (٢) يتخذ بمصر من ماء طوبة ، وهو كانون الآخر بعد الغطاس ، وهو لعشر تمضي من طوبة ، واصفى ما يكون النيل في ذلك الوقت ، واهل مصر يفتخرون بصفاء النيل في هذا الوقت ، وفيه تحتزن المياه اهل تنيس ودمياط وتونه وسائر قرى البحيرة .

ليلة الغطاس : وليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها ، لا ينام الناس فيها ، وهي ليلة إحدى عشرة تمضي [من طوبة وستة من] (٣) كانون الثاني .

ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلثمائة ليلة الغطاس بمصر ، والإخشيد همد بن طنج في داره المعروفة بالختارة في الجزيرة الراكبة للنيل والنيل يطيف بها ، وقد أمر فأسرج من جانب الجزيرة وجانب القساطط

(١) في بعض النسخ : الى أن يأذن الله .

(٢) الشيرازي .

(٣) ليلة عشر تمضي . وقد سقطت الزيادة المشار إليها .

ألف مشعل^(١) غير ما اسرج أهل مصر من المشاعل والشمع ، وقد حضر النيل في تلك الليلة مئو آلاف من الناس من المسلمين والنصارى ، منهم في الزوارق ومنهم في الدور الدانية من النيل ، ومنهم على الشطوط ، لا يتناكرون الحضور ، ويحضرون كل ما يمكنهم إظهاره من المآكل والمشرب والملابس وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهي والعزف والقصف ، وهي احسن ليلة تكون بمصر ، واشملها سروراً ، ولا تغلق فيها الدروب ، وينغطس أكثرهم في النيل ، ويزعمون أن ذلك أمان من المرض ومبرئ للداء^(٢).

مقاييس لمعرفة زيادة النيل : قال المسعودي : وأما المقاييس الموضوعه بمصر لمعرفة زيادة النيل ونقصانه فاني سمعت جماعة من اهل الخبرة يخبرون أن يوسف النبي صلى الله عليه وسلم ، حين بنى الاهرام ، اتخذ مقياساً لمعرفة زيادة النيل ونقصانه ، وأن ذلك كان بمنف ، ولم يكن الفسطاط يومئذ ، وأن دلوكة الملكة المعجوز وضعت مقياساً بأقصى الصعيد ، ووضعت أيضاً مقياساً آخر ببلاد إخم؛ فهذه المقاييس الموضوعه قبل مجيء الإسلام ، ثم ورد الإسلام ، وافتتحت مصر ، وكانوا يعرفون زيادة النيل بما ذكرنا ونقصانه بما وصفنا ، إلى أن ولي عبد العزيز بن مروان ، فاتخذ [مقياساً بحلوان ، وهو صغير الذراع ، وحلوان فوق الفسطاط ، ثم اتخذ أسامة بن زيد التنوخي^(٣)] مقياساً بالجزيرة التي تدعى جزيرة الصناعة ، وهي الجزيرة التي بين الفسطاط والجزيرة ، والمعبر عليها من الفسطاط على الجسر ، ثم منها على جسر آخر إلى الجزيرة ، وهو الجانب الغربي ؛ لأن الفسطاط من الجانب الشرقي ، وهذا المقياس الذي اتخذته أسامة بن زيد التنوخي هو أكثرها استعمالاً ،

(١) في بعض النسخ : ألفا مشعل . (٣) سقطت هذه للعبارة من احدى النسخ .

(٢) « » : ونشرة من الداء .

واتخذ ذلك في أيام سليمان بن عبد الملك بن مروان ، وهو المقياس الذي يعمل عليه في وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثائة - بالفسطاط ، وقد كان من سلف يقيسون بالمقياس الذي بمنف ، ثم ترك استعماله ، وعمل على مقياس الجزيرة المعمول في أيام سليمان بن عبد الملك ، وفي هذه الجزيرة مقياس آخر لأحمد بن طولون ، فالعمل عليه عند كثرة الماء ، وترادف الرياح ، واختلاف مهايها ، وكثرة الموج ، وقد كانت أرض مصر كلها تروى من ست عشرة ذراعاً عامرها وغامرما ، لما أحكموا من جسورها ، وبناء قناطرها ، وتنقية خلجانها ، وكان بمصر سبع خلجانات : فمنها خليج الاسكندرية ، وخليج سخا ، وخليج دمياط ، وخليج منف ، وخليج الفيوم ، وخليج سردوس ، وخليج المنهى .

وكانت مصر فيما يذكر أهل الخبرة أكثر البلاد جناثا ، وذلك أن جناثا كانت متصلة بجافتي النيل من أوله إلى آخره ، من حد أسوان إلى رشيد ، وكان الماء إذا بلغ في زيادته تسعة أذرع دخل خليج المنهى وخليج الفيوم وخليج سردوس وخليج سخا ، وكان الذي ولي حفر خليج سردوس لفرعون عدو الله هامان ، فلما ابتداء في حفره أتاه أهل القرى يسألونه أن يُجري الخليج إلى تحت قراهم ، ويعطوه على ذلك ما أراد من المال ، وكان يعمل ذلك حتى اجتمعت له أموال عظيمة ، فحمل تلك الأموال إلى فرعون ، فلما وضعها بين يديه سأله عنها فأخبره بما فعل ، فقال فرعون : إنه ينبغي للسيد أن يعطف على عبيده ، ويفيض عليهم معروفه ، ولا يرغب نيا في أيديهم ، ونحن أحق من فعل هذا بعبيده ، فاردد على أهل كل قرية ما أخذته منهم ، [ففعل ذلك هامان ، ورد على أهل

كل قرية ما أخذ منهم^(١)] ، فليس في الخلجان التي بأرض مصر أكثر عطوفاً وعزاقيل^(٢) من خليج سردوس ، وأما خليج الفيوم وخليج المنهى فإن النبي حفرها يوسف بن يعقوب صلى الله عليها وسلم ، وذلك أن الريان بن الوليد ملك مصر لما رأى رؤياه في البقر والسنابل وعبرها يوسف عليه السلام استعمله على ما كان يلي من أرض مصر ، وقد أخبر الله بذلك عند إخباره عن نبيه يوسف بقوله (اجعلني على خزائن الأرض ، إني حفيظ عليم) .

قال المسعودي : وقد تنازع أهل الملة في تصرف المؤمنين مع الكاسقين : فمنهم من رأى أن الملك كان مؤمناً ، ولولا ذلك ما وسع يوسف معاونة الكفار والتصرف في أوامرهم ونواهيهم ، ومنهم من رأى أن ذلك جائز على ما توجبه أحوال الوقت والأصلح للحال ، وقد ذكرنا قول كل فريق من هؤلاء في كتابنا في « المقالات في أصول الديانات » .

الفيوم : وأما أخبار الفيوم من صعيد مصر وخلجانها من المرتفع والمطاطي ومطاطي المطاطي ، وهذه عبارة أهل مصر ، يريدون بذلك المنخفض ، وكيفية فعل يوسف فيها وعمارتها أرضها بعد كونها خربة^(٣) ومصفاة لمياه الصعيد ، وهي جزيرة قد أحاط الماء حينئذ بأكثر أقطارها^(٤) ، فقد أتينا على ذلك في الكتاب الأوسط فأغنى عن إعادته في هذا الكتاب ، وكذلك في تسمية الفيوم فيوماً ، وأن ذلك ألف يوم ، وما كان من خبر يوسف مع الوزراء وحسبهم إياه .

(١) ما بين المقوفين ساقط من احدي النسخ .

(٢) في بعض النسخ : وعواقيل .

(٣) في بعض النسخ : وعمارتها لأرضها بعد كونها جوبة .

(٤) « » : أطرافها .

وقد كانت مصر - على ما زعم أهل الخبرة والعناية بأخبار
 شأن هذا العالم - يركب أرضها ماء النيل وينبسط على بلاد الصعيد
 إلى أسفل الأرض ، وموضع الفسطاط في وقتنا هذا ، وقد كان
 بدء ذلك من موضع يعرف بالجنادل بين أسوان والحبشة (١) وقد
 قدمنا ذكر هذا الموضع فيما سلف من هذا الكتاب ، إلى أن
 عرض لذلك موانع من انتقال الماء وجريانه ، وما ينقل من التربة (٢)
 بتياريه من موضع إلى موضع فيصب من بعض المواضع من بلاد
 مصر على حسب ما وصفنا عن صاحب المنطق في عمران الأرض
 وخرابها فيما سلف من هذا الكتاب ، فسكن الناس بلاد مصر ،
 ولم يزل الماء ينصب عن أرضها قليلا قليلا حتى امتلأت أرض مصر
 من المدن والعمائر ، وطرقوا للماء ، وحفروا له الخللجانا ، وعقدوا
 في وجهه المسننة ، إلا أن ذلك خفي على ساكنيها ، لأن طول
 الزمان أذهب معرفة أول سكنائهم كيف كان ذلك ، ولم تتعرض
 في هذا الكتاب لذكر العلة الموجبة لامتناع المطر بمصر ولا لكثير من
 أخبار الإسكندرية وكيفية بنائها ، والأمم التي تداولتها والملوك التي
 سكنتها من العرب وغيرهم ؛ لأننا قد أتينا على ذلك في الكتاب
 الأوسط ، وسنذكر بعد هذا الموضع جملا من أخبارها ، وجوامع
 من كيفية بنائها ، وما كان من أمر الإسكندر فيها .

بين ابن طولون ورجل مصر : قال المسعودي : وقد كان أحمد بن
 طولون بمصر ببلغه في سنة نيف وستين ومائتين أن رجلا بأعالي
 بلاد مصر من أرض الصعيد له ثلاثون ومائة سنة من الاقباط ،
 من يشار اليه بالعلم من لدن حدائته ، والنظر والاشراف على الاراء

(١) في بعض النسخ : من أسوان الحبشة . (٢) في بعض النسخ : وما ينقل من النوبة بتياريه .

والنحل من مذاهب المتفلسفين وغيرهم من اهل الملل ، وأنه علامة
بمصر وأرضها من برها وبحرها وأخبارها وأخبار ملوكها ، وأنه
من سافر في الارض ، وتوسط الممالك ، وشاهد الامم من انواع
البيضان والسودان ، وأنه ذو معرفة ببيئات الافلاك (١) والنجوم
وأحكامها ، فبعث أحمد بن طولون برجل من قواده في أصحابه ،
فعمله في النيل إليه مكرما ، وكان قد انفرد عن الناس في بنیان
اتخذه ، وسكن في أعلاه ، وقد رأى الولد الرابع عشر من ولد
ولده ، فلما مثل بحضرة أحمد بن طولون نظر إلى رجل دلائل
الهرم فيه بينة ، وشواهد ما أتى عليه من الدهر ظاهرة ، والحواس
سليمة والقضية (٢) قائمة ، والعقل صحيح ؛ يفهم عن مخاطبه (٣)
ويحسن البيان والجواب عن نفسه ، فأسكنه بعض مقاصيره ، ومهد له
وحمل إليه لذيذ المآكل والمشارب ، فأبى أن يتوطأ (٤) على شيء ،
وأن يتغذى إلا بغذاء كان حمله معه من كعك وغيره ، وقال :
هذه بنية قوامها بما ترون من هذا الغذاء ، وهذا الملبس ، فإن انتم
سُمتموها النقلة عن هذه العادة وتناول ما أوردتموه عليها من
المآكل والمشارب والملابس كان ذلك سبب انحلال هذه البنية ،
وتفريق هذه الصورة ، فترك على ما كان عليه ، وما جرت به
عادته ؟ واحضر له أحمد بن طولون من حضره من اهل الدراية (٥)
وصرف همه عليه ، واخلى نفسه له في ليال وأيام كثيرة ، يسمع
كلامه وإيراداته وجواباته فيما يسأل (٦) عنه ؛ فكان مما سئل عنه الخبر عن
بحيرة تنيس ودمياط ، فقال : كانت أرضاً لم يكن بمصر مثلها استواء

(١) في بعض النسخ : بيئة الافلاك .
(٢) » » : والغصبة قائمة .
(٣) » » : يفهم من مخاطبه .
(٤) في بعض النسخ : فأبى أن لا يتوطأ .
(٥) » » : أهل الديار .
(٦) » » : فبما سئل عنه .

وطيب تربة وثراوة ، وكانت جنانا ونخلا وكرماً وشجراً ومزارع ، وكانت فيها مجار (١) على ارتفاع من الأرض وقرى على قرارها ، ولم ير الناس بلداً كان أحسن من هذه الأرض ، ولا أحسن اتصالاً من جنانها وكرومها ، ولم يكن بمصر كورة يقال إنها تشبهها إلا الفيوم ، وكانت أكثر خيراً من الفيوم وأخصب وأكثر فاكهة ورياحين من الأصناف الغريبة ، وكان الماء منحدرأ إليها لا ينقطع عنها صيفاً ولا شتاء ، يسقون منه جنانهم إذا شاؤوا ، وكذلك زروعهم ، وسائره يصب الى البحر من سائر خلجاناه ، ومن الموضع المعروف بالأشتوم ، وقد كان بين البحر وبين هذه الأرض نحو مسيرة يوم ، وكان فيما بين العريش وجزيرة قبرس طريق مسلوكة الى قبرس تسلكه الدواب يئساً ، ولم يكن فيما بين العريش وجزيرة قبرس إلا مخاضة ، وجزيرة قبرس اليوم بينها وبين العريش في البحر سير طويل ، وكذلك فيما بينها وبين أرض الروم ؛ وقد كان بين الأندلس وبين الموضع الذي يسمى الخضراء - وهو قريب من فاس المغرب وطنجة - قنطرة مبنية بالحجارة والطوب تمر عليها الإبل والدواب من ساحل المغرب من بلاد الأندلس الى المغرب (٢) ، وماء البحر تحت تلك القنطرة متقطع خلجانات صفاراً تجري تحت قناطرها وما عقد من الطاقات تحتها على صخور صم ، وقد عقد من كل حجر الى جر طاق ، وهو مبدأ بحر الروم الآخذ من أوقيانوس ، وهو البحر المحيط الأكبر ، فلم يزل البحر يزيد ماؤه ويعلو أرضاً فأرضاً في طول عمر السنين ، يرى زيادته أهل كل زمان ، ويتبينه أهل كل عصر ،

(١) في بعض النسخ : قرى على ارتفاع من الأرض وقرى على قرارها .

(٢) « « « : من ساحل المغرب الى بلاد الأندلس ومنه الى المغرب .

ويقفون عليه ، حتى علا الماء الطريق الذي كان بين العريش وبين قبرس وعلا القنطرة التي كانت بين الأندلس وبرطنجة^(١) ، وما وصفتُ فين^٢ ظاهر عند أهل الأندلس وأهل فاس من بلاد المغرب من خبر هذه القنطرة ، وربما بدا الموضع لأهل المراكب تحت الماء ، فيقولون : هذه القنطرة ، وكان طولها نحو اثني عشر ميلاً ، في عرض واسع ، وسمو بين ، فلما مضت لديقلطيانوس^(٣) من ملكه مائتان وإحدى وخمسون سنة هجم الماء من البحر على بعض المواضع التي أتسمى اليوم بحيرة تنيس فأغرقه ، وصار يزيد في كل عام حتى غرقها بأجمعها ، فما كان من القرى التي في قرارها غرق ، وأما التي كانت على ارتفاع من الأرض فبقيت منها بونة وسمنود^(٤) وغير ذلك مما هي باقية إلى هذا الوقت ، والماء يحيط بها ، وكان أهل القرى التي في هذه البحيرة ينقلون موتاهم إلى تنيس فيقبرونهم واحداً فوق آخر^(٥) ، وهي الأكوام الثلاثة التي تسمى اليوم أبو الكوم ، وكان استحكام غرق هذه الأرض بأجمعها وقد مضى لديقلطيانوس الملك مائتان وإحدى وخمسون سنة ، وذلك قبل أن تفتح مصر بمائة سنة ، وقال : وقد كان ملك من ملوك الأمم كانت داره الفرما مع أركون من أراكنة البلينا وما اتصل بها من الأرض حروب^(٦) وخنادق وخلجانات فتحت من النيل إلى البحر ، يمنع كل واحد من الآخر ، وكان ذلك داعياً لتشعب الماء من النيل واستيلائه على هذه الأرض .

وسئل عن ملوك^(٦) الأحابش على النيل وبمالكهم ، فقال : لقيت

(١) في بعض النسخ : بين الأندلس وبين خضراء فاس .

(٢) » » : دقلطيانوس .

(٣) » » : بونة وسمنود .

(٤) » » : فيصبرونهم واحداً فوق واحد .

(٥) » » : خروق وخنادق - الخ .

(٦) » » : عن طول الاحابيش .

من ملوكهم ستين ملكاً في ممالك مختلفة ، كل ملك منهم ينازع من يليه من الملوك ، وبلادهم حارة يابسة مسودة ليبسها وحرارتها ولاستحكام النارية فيها تغيرت الفضة ذهباً لطبخ الشمس إياها لحرارتها ويبسها وتآزيتها فتحولت ذهباً ، وقد يطبخ الذهب الذي يؤتى به من المعدن خالصاً صفائح بالملح والزاج^(١) والطوب فيخرج منه فضة خالصة بيضاء ، وليس يدفع هذا الأمر إلا من لا معرفة له بما وصفنا ، ولا قارب شيئاً مما ذكرنا .

قيل له : فما منتهى النيل في أعاليه ؟ قال : البحيرة التي لا يدرك طولها وعرضها ، وهي نحو الأرض التي الليل والنهار فيها متساويان طول الدهر ، وهي تحت الموضع الذي يسميه المنجمون الفلك المستقيم ، وما ذكرت فمعروف غير منكر .

الأهرام : وسئل عن بناء الأهرام ، فقال : إنها قبور الملوك ، وكان الملك منهم إذا مات وضع في حوض حجارة ويسمى بمصر والشام الجرن^(٢) ، وأطبق عليه ، ثم يبني من الهرم على قدر ما يريدون من ارتفاع الأساس ، ثم يحمل الحوض فيوضع وسط الهرم ، ثم يقنطر عليه البنيان والأقباء ، ثم يرفعون البناء على هذا المقدار الذي ترونه ويجعل باب الهرم تحت الهرم ، ثم يحفر له طريق في الأرض بعقد أزج ، فيكون طول الأزج تحت الأرض مائة ذراع وأكثر ، ولكل هرم من هذه الأهرام باب يُدخل منه على ما وصفت ، فقيل له : فكيف بنيت هذه الأهرام المملسة ؟ وعلى أي شيء كانوا يصعدون ويبنون ؟ وعلى أي شيء كانوا يحملون هذه الحجارة العظيمة التي لا يقدر أهل زماننا هذا على أن يحركوا الحجر

(١) في بعض النسخ « والزجاج » . (٢) في بعض النسخ « الجرون » .

الواحد إلا يجهد إن قدروا؟ فقال : كان القوم يبنون الهرم مُدْرَجاً
 ذا مراقي كالدرج ، فإذا فرغوا منه نحتوه من فوق الى أسفل ،
 فهذه كانت هيئتهم ، وكانوا مع هذا لهم صبرٌ وقوة وطاعة
 لملوكهم ديانة^(١) .

فقيل له : ما بال هذه الكتابة التي على الأهرام والبرابي لا تقرأ ؟
 فقال : دَثَرَ الحكماء وأهل العصر الذين كان هذا قلمهم ، وتداول
 أرض مصر الأمم ، فغلب على أهلها القلم الرومي ، وأشكال الأحرف
 للروم ، والقبط تقرأه على حسب تعارفها إياه ، وخلطها لأحرف الروم
 بأحرفها ، على حسب ما ولتدوا من الكتابة بين الرومي والقبطي
 الأول ؛ فذهبت عنهم كتابة آبائهم .

فقيل له : فمن أول من سكن مصر ؟ قال : أول من نزل هذه
 الأرض مصر بن بيصر بن حام بن نوح ، ومر في أنساب ولد
 نوح الثلاثة وأولادهم ، وتفرقهم في الأرض .

فقيل له : أتعرف بمصر مقاطع رخام ؟ قال : نعم في الجانب الشرقي
 من الصعيد جبل رخام عظيم كانت الأوائل تقطع منه العمدة وغيرها ،
 وكانوا يجلون ما عملوا^(٢) بالرمل بعد النقر ، فأما العمدة والقواعد والرؤوس
 التي تسميها أهل مصر الأسوانية ، ومنها حجارة الطواحين ، فتلك
 نقرها الأولون بعد حدوث النصرانية بمئين من السنين ، ومنها العمدة
 التي بالإسكندرية ، والعمود الذي بها الضخم الكبير لا يعلم بالعالم عمود
 مثله ، وقد رأيت في جبل اسوان أخاً لهذا العمود قد هندس ونقر
 ولم يفصل من الجبل ، ولم 'يحك' ما ظهر^(٣) منه ، وإنما كانوا ينتظرون

(١) في بعض النسخ : ديانة . (٢) في بعض النسخ : يجلون ما عملوا .

(٣) » » » : ولم يحل ما ظهر منه .

أن يفصل من الجبل ثم يحمل الى حيث يريد القوم .
 وسئل عن مدينة العقاب ، فقال : هي غربي أهرام بوسير الجيزة (١)
 وهي على خمسة أيام بلياليها للراكب المجد ، وقد وعرت (٢) طريقها
 وعميت المسالك اليها ، والسمت الذي يؤدي نحوها ، وذكر ما فيها
 من عجائب البنيان والجواهر والاموال والعلة التي لها سميت مدينة
 العقاب ، ووصف مدينة اخرى غربي أخيم من أرض الصعيد ذات
 بنيان عجيب اتخذتها الملوك السالفة (٣) ، وذكر من شأن هذه المدينة
 الاخرى عجائب من الاخبار ، وزعم أن بينها وبين إخم من أرض
 الصعيد مسيرة ستة أيام .

وسئل عن النوبة وأرضها ، فقال : هم أصعاب إبل وُبخت (٤) وبقر
 وغنم ، وملكهم يستعد الخيل العتاق ، والأغلب من ركوب عوامهم
 البراذين ، ورميهم بالنبل عن قسي عربية ، وعنهم أخذ الرمي أهل
 الحجاز واليمن وغيرهم من العرب ، وهم الذين يسميهم العرب رماة
 الحدق ، ولهم النخل والكرم والذرة والموز والحنطة ، وأرضهم كأنها
 جزء من أرض اليمن ، وللنوبة أترج كأكبر ما يكون بأرض الإسلام ،
 وملوكهم تزعم أنهم (٥) من حمير ، وملكهم يستولي على مقرا ونوبة
 وعلوة ، ووراء علوة (٦) أمة عظيمة من السودان تدعى بكنة (٧) وهم
 عرّاة كالزنج ، وأرضهم تنبت الذهب ، وفي مملكة هذه الأمة

- (١) في بعض النسخ : في بوسير والجيزة .
 (٢) » » : وقد غور طريقها .
 (٣) » » : أحدثها الملوك السالفة .
 (٤) » » : نجب وابل وبقر وغنم .
 (٥) » » : أنها من حمير .
 (٦) » » : وملكهم يستولي على معرد ونوبة ، ووراء علوة - الخ .
 (٧) » » : بنكنة .

يفترق^(١) النيل فيتشعب منه خليج عظيم ، ثم يخضر الخليج بعد انفصاله من النيل ، وينحدر الأكثر الى بلاد النوبة ، وهو النيل لا يتغير ، فإذا كان في بعض الأزمنة انفصل الأكثر من الماء في ذلك الخليج ، وابيض الأكثر ، واخضر الأقل ؛ فيشق ذلك الخليج في أودية وخلجان وأعماق مأنوسة حتى يخرج الى جلاشق والجنوب^(٢) ، وذلك على ساحل الزنج ، ومصبه في بحرهم .

ثم سئل عن الفيوم والمنهى وحجر اللاهون ، فذكر كلاماً طويلاً في أمر الفيوم ، وأن جارية من بنات الروم وابنها^(٣) نزلوا الفيوم ، وكانوا البدء في عمارتها وعمارة أرضها ، وإنما كان الماء يأتي الفيوم من المنهى أيام جري النيل ، ولم يكن حجر اللاهون بني ، وإنما كان مصب الماء من المنهى من الموضع المعروف بدمونة ، ثم بني اللاهون على ما هو اليوم عليه ، ويقال : إن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ، بناه أيام العزيز ، ودبر من أمر الفيوم ما هو اليوم قائم بين من الخليج المرتفعة والمطاطية ، وهو خليج فوق خليج فوق خليج ، وبني القنطرة^(٤) المعروفة بسفونة^(٥) ، وأقام العمود الذي في وسط الفيوم وهو غائص في الأرض لا يُدرك منتهاه منها ، وهو أحد عجائب الدنيا مربع الشكل قد جهد أناس من الأمم ممن ورد بعد يوسف أن ينتهوا الى آخره في الأرض حفرأ فلم يأت لهم ذلك ، ولا قدروا عليه وغلبهم الماء فمجزم ، ورأس هذا العمود مساوٍ لأرض المنهى ، قال : وأما حجر اللاهون فإن من سطح الحجر الذي

(١) في بعض النسخ : يفترق النيل . (٤) في بعض النسخ : وهي القنطرة .

(٢) » » » الى خلايش الجنوب . (٥) » » » بنو سفية .

(٣) » » » وأماها .

فيا بين القبتين ^(١) الى ناحية اللاهون ، واللاهون هي القرية بعينها ، ففي ما بين ^(٢) السطح الى القرية ستون درجة ^(٣) وربما قل الماء في المنهى ، وظهر بعض الدرج ، وفي حائط الحجر فوارات بعضها اليوم يخرج منه الماء ، وبعض لا يرى ، وفيما بين سطح الحجر الذي بين القبتين وبين القرية شاذروان ، وهو من أسفل الدرج ، وانما يدخل الماء الفيوم بوزن ^(٤) الحجر ، وجعلت الإسقالة - وهي القناطر ليخرج الماء منها ، ولا يعلو الماء الحجر أيام سده ، فبالتقدير بني حجر اللاهون ^(٥) ، وبقدر ما يكفي الفيوم من الماء يدخل إليها ، وبناء حجر اللاهون من أعجب الأمور ، ومن احكم البنيان ، ومن البناء الذي يبقى على وجه الارض لا يتحرك ولا يزول ، بالهندسة 'عمل' ، وبالفلسفة أتقن ؛ وفي السعيد نصب ، وقد ذكر كثير من أهل بلدنا ان يوسف عليه السلام عمل ذلك بالوحي ، والله اعلم .

ولم تزل ملوك الارض - اذا غلبت على بلادنا ، واحتوت على ارضنا ؛ صارت الى هذا الموضع فتأملته ؛ لما قد نمي اليها من أخباره ، وسار في الخليقة من عجائب بنيانه واتقانه .

وكان هذا الرجل من اقباط مصر ، ممن يظهر دين النصرانية ورأي اليعقوبية ، فأمر السلطان احمد بن طولون في بعض الأيام ، وقد احضر مجلسه بعض أهل النظر ، ان يسأله عن الدليل على صحة دين النصرانية ، فسأله عن ذلك ، فقال : دليبي على صحتها وجودي

(١) في بعض النسخ : فيما بين الفرش .

(٢) » » : ففيها من السطح الى القرية .

(٣) » » : ستون ذراعاً .

(٤) » » : بدرج الحجر .

(٥) » » : فالتقدير بناء حجر اللاهون .

اياها متناقضة متنافية ، تدفعها العقول ، وتنفر منها النفوس ، لتباينها وتضادها ، لا نظر يقويها ، ولا جدل يصححها ولا برهان يعضدها من العقل والحس عند التأمل لها والفحص عنها ، ورأيت مع ذلك أمما كثيرة ، وملوكا عظيمة ذوي معرفة وحسن^(١) رأي ، قد انقادوا اليها وتدينوا بها ، فعلت انهم لم يقبلوها ، ولم يتدينوا بها - مع ما ذكرت من تناقضها في العقل - إلا لدلائل شاهدها ، وآيات علموها ، ومعجزات عرفوها ، اوجبت انقيادهم اليها والتدين بها ، قال له السائل : وما التضاد الذي فيها ؟ قال : وهل يدرك أو يعلم غايته ؟ منها قولهم بأن الواحد ثلاثة ، والثلاثة واحد ، ووصفهم الاقانيم والجوهر وهو الثالث ، وهل الاقانيم في انفسها قادرة عالمة أم لا ؟ وفي اتحاد ربهم القديم بالانسان المحدث ، وما جرى في ولادته وقتله وصلبه ، وهل في التشنيع أكبر وأفحش من إله صلب ، وبُصق في وجهه ، ووضع على رأسه الإكليل من الشوك ، وضرب رأسه بالقضيب ، وسمرت يدها ، ونخس بالأسنة والخشب جنباه ، وطلب الماء فسقي الخل في بطيخ الحنظل ؟ فأمسكوا عن مناظرته ، وانقطعوا عن مجادلته ، لما قد أعطاهم من تناقض مذهبه وفساده ووهنيه.^(٢)

بين يهودي ونصراني : فقال طيب لابن طولون يهودي وقد حضر المجلس : ياأذن لي الامير في مخاطبته ؟ قال : شأنك ، فأقبل القبطي مسائله ، فقال له القبطي : وما انت أيها الرجل ؟ وما نخلتك ؟ فقال له^(٣) : يهودي ، فقال له : مجوسي إذا ؟ قال له : كيف ذلك وهو يهودي ؟ قال : لأنهم يرون نكاح البنات في بعض الحالات ؛ اذ

(١) في بعض النسخ : ذوي معرفة وحسن . (٢) في بعض النسخ « قيل له يهودي » .

(٣) « » « : روهاته .

كان في دينهم أن الاخ يتزوج بنت اخيه ، وعليهم ان يتزوجوا نساء اخوتهم اذا ماتوا ، فاذا وافق اليهودي ان تكون امرأة أخيه ابنته لم يجد بدأ من ان يتزوجها ، وهذا من اسرارهم ، وما يكتُمونه (١) ولا يظهرونه ، فهل في الميوسية أشنع من هذا ؟ فانكر اليهودي ذلك ، وجعد ان يكون في دينه أو يعرفه أحد من اليهود ، فاستخبر ابن طولون عن صحة ذلك ، فوجد ذلك الطبيب اليهودي قد تزوج امرأة أخيه ، وكانت بنته ، ثم أقبل القبطي على ابن طولون ، فقال : أيها الامير ، هؤلاء يزعمون - وأشار الى اليهودي - أن الله آدم على صورته ، وعن نبي من أنبيائهم سماه قال في كتابه : إنه رآه في قديم الزمان أبيض الرأس واللحية ، وان الله تعالى قال : اني أنا النار المحرقة ، والحمى الآخذة (٢) ، وأنا الذي آخذ الأبناء بذنوب الآباء ، ثم في توراتهم أن بنات لوط سقيته الخمر حتى سكر وزنى بهن ، وحملن منه ، وولدن ، وان موسى ردّ على الله الرسالة مرتين حتى اشتد غضب الله عليه . وان هارون صنع العجل الذي عبده بنو إسرائيل . وان موسى أظهر معجزات لفرعون وفعلت السحرة مثلها . ثم قالوا (٣) في ذبائح الحيوان والتقرب الى الله بدمائها ولحومها وتحكمهم على العقل ومنعهم من النظر بغير برهان ، وهو قولهم : ان شريعتهم لا تنسخ ، ولا يقبل قول احد من الانبياء بعد موسى اذا انحرف عما جاء به موسى ولا فرق في قضية العقل بين موسى وغيره من الانبياء اذا أتى ببرهان ، وبان بحجة . ثم الاكبر من كفرهم قولهم في يوم عيد الكفور ، وهو يوم الاستغفار وذلك لعشر تخلو من تشرين الأول : ان الرب الصغير ويسمونه ميظطرون (٤) - يقوم في

(١) في بعض النسخ : بما يكتُمونه . (٢) في بعض النسخ : ثم ما قالوا في ذبائح الحيوان .

(٣) » » » : والحمى الآكلة . (٤) » » » : ويسمونه منتظرون .

هذا اليوم قائماً ، وينتف شعور رأسه ، ويقول : وبلي اذا خربت بيتي ، وأيتمت بنتي ، قامتي منكسة لا ارفعها ، حتى آتي بنتي (١) ، وذكر عن اليهود أقاصيص وتخاليط كثيرة ، ومناقضات واسعة .

ولهذا القبطي مجالس كثيرة عند احمد بن طولون مع جماعة من الفلاسفة والديسانية والثنوية والصابئة والمجوس ، وعدة من متكلمي الاسلام ، وقد أتينا على ما احتمال منها إيرادها في كتابنا في أخبار الزمان ، وذكرنا جميع ذلك في كتابنا « المقالات » ، في أصول الديانات ، وكان هذا القبطي - على ما نفي الينا من خبره ، وصح عندنا قوله - يذهب الى فساد النظر ، والقول بتكافؤ المذاهب ، واقام عند ابن طولون نحو سنة ، فأجازته ، وأعطاه ، فأبى قبول شيء من ذلك ؛ فردته الى بلده مكرماً ، واقام بعد ذلك مدة من الزمان ، ثم هلك وله مصنفات تدل من كلامه على ما ذكرنا عنه ، والله اعلم بكيفية ذلك .

[واليهود تأبى ما ذكره القبطي في نكاح بنت الأخ ، وأكثرهم يقر بالتزويج ببنت الأخ] (٢) .

عجائب مصر ونيابها : قال المسعودي : وفي نيل مصر وأرضها عجائب كثيرة من أنواع الحيوان بما في البر والبحر ، من ذلك السمك المعروف بالرعاد ، وهو نحو الذراع ، إذا وقعت في شبكة الصياد رُعِدَت يداه وعضداه ، فيعلم بوقوعها ، فيبادر إلى أخذها وإخراجها عن شبكته ، ولو أمسكها بخشب أو قصب فعلت ذلك ، وقد ذكرها جالينوس ، وأنها إن جعلت على رأس من به صداع شديد أو شقيقة وهي في الحياة هدأ من ساعته . والفَرَسُ الذي يكون في

(١) في بعض النسخ « حتى أبني بيتي » . (٢) سقطت هذه العبارة من بعض النسخ .

نيل مصر إذا خرج من الماء وَاَنْتَهَى وَطَوَّاهُ إِلَى بَعْضِ الْمَوَاضِعِ مِنَ الْأَرْضِ عِلْمُ أَهْلِ مِصْرَ أَنَّ النَّيْلَ يَزِيدُ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ بَعِيْنَهُ غَيْرَ زَائِدٍ عَلَيْهِ وَلَا مُقْصَرٍ عَنْهُ ، لَا يَخْتَلِفُ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ بِطَوْلِ الْعَادَاتِ وَالتَّجَارِبِ ، وَفِي ظَهْرِهِ مِنَ الْمَاءِ ضَرَرٌ بِأَرْبَابِ الْأَرْضِ وَالفلاحة (١) لِرَعِيَةِ الزَّرْعِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَظْهَرُ مِنَ الْمَاءِ فِي اللَّيْلِ فَيَنْتَهِي إِلَى مَوْضِعٍ مِنَ الزَّرْعِ ، ثُمَّ يُولِي عَائِدًا إِلَى الْمَاءِ ، فَيَرْعَى فِي حَالِ رَجُوعِهِ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَهَى إِلَيْهِ سِيْرَهُ (٢) ، وَلَا يَرْعَى مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فِي مَمَرِهِ ، كَأَنَّهُ يَحْدُدُ مَقْدَارَ مَا يَرْعَاهُ ، فَمِنْهَا مَا إِذَا رَعَتْ وَرَدَتْ إِلَى النَّيْلِ فَشَرِبَتْ ثُمَّ تَقْدِفُ مَا فِي أَجْوَافِهَا فِي مَوَاضِعِ شَتَى ، فَيَنْبِتُ ذَلِكَ مَرَّةً ثَانِيَةً ؛ فَإِذَا كَثُرَ ذَلِكَ مِنْ فَعْلِهِ وَاتَّصَلَ ضَرَرُهُ بِأَرْبَابِ الضِّيَاعِ طَرَحَ لَهُ التَّرْمَسُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَعْرِفُ خُرُوجَهُ مِنْهُ مَكَائِكُ (٣) كَثِيرَةٌ مَبْدَأٌ مَبْسُوطًا ، فَيَأْكُلُهُ ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الْمَاءِ فَيَرْبُو فِي جَوْفِهِ ، وَيَزْدَادُ فِي انْتِفَاحِهِ فَيَشْتَقُ جَوْفَهُ ، فَيَمُوتُ وَيَطْفُو عَلَى الْمَاءِ ، وَيَقْدِفُ بِهِ إِلَى السَّاحِلِ وَالْمَوْضِعِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ لَا يَكَادُ يَرَى فِيهِ تَمْسَاحٌ ، وَهُوَ عَلَى صُورَةِ الْفَرَسِ إِلَّا أَنَّ حَوَافِرَهُ وَذَنَبَهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ ، وَالجبهة أوسع .

من نزل مصر من أبناء نوح : قال المسعودي : وقد ذكر جماعة من الشرعيين أن بيصر بن حام بن نوح لما انفصل عن أرض بابل بولده وكثير من أهل بيته غرب نحو مصر ، وكان له أولاد أربعة : مصر ابن بيصر ، وفارق بن (٤) بيصر ، وماح وياح ، فنزل بموضع يقال له منف ، وبذلك يسمى إلى وقتنا هذا ، وكان عددهم ثلاثين فسميت

(١) في بعض النسخ : بأرباب الأرضين والفلات .

(٢) : انتهى إليه في مسيره .

(٣) : مكاي كثيرة .

(٤) : وقوف بن بيصر وماح وياح .

[ثلاثين]^(١) بهم ، كما سميت مدينة ثمانين من أرض الجزيرة وبلاد الموصل من بلاد بني حمدان ، وإنما نسبت إلى عدد ساكنيها ممن كان مع نوح في السفينة ، وكان بيصر بن حام قد كبر سنه ، فأوصى إلى الأكبر من ولده ، وهو مصر ، واجتمع الناس إليه وانضافوا إلى جملتهم ، وأخصبت البلاد ، فتملك عليهم مصر بن بيصر ، وملك من حد رفح من أرض فلسطين من بلاد الشام ، وقيل : من العريش ، وقيل : من الموضع المعروف بالشجرة ، وهو آخر أرض مصر ، والفرق بينها وبين الشام ، وهو الموضع المشهور بين العريش ورفح - إلى بلاد أسوان من أرض الصعيد طولاً ، ومن أيلة - وهي تخوم الحجاز - إلى برقة عرضاً ، وكان لمصر أولاد أربعة ، وهم قبط ، وأشمون ، وإتريب ، وصا ، فقسم مصر الأرض بين أولاده الأربعة أرباعاً ، وعهد إلى الأكبر من ولده - وهو قبط - وأقباط مصر يضافون في النسب إلى أبيهم قبط بن مصر ، وأضيفت المواضع إلى ساكنيها ، وعرفت بأسمائهم ، فمنها أشمون وقبط ، وصا ، وإتريب ، وهذه أسماء هذه المواضع إلى هذه الغاية ، واختلطت الأنساب ، وكثر ولد قبط ، وهم الأقباط ، فغلبوا على سائر الأرض ، ودخل غيرهم في أنسابهم ؛ لما ذكرنا من الكثرة ، فقيل لكل قبط مصر وكل فريق منهم يعرف نسبه واتصاله بمصر بن بيصر بن حام بن نوح إلى هذه الغاية .

جملة من ملوك مصر : ولما ملك قبط بن مصر ملك بعده أشمون ابن مصر ، ثم ملك بعده صا بن مصر ، وملك بعده « إتريب » ابن مصر ، ثم ملك بعده « ماليق بن دارس » ثم ملك بعده

(١) هذه الكلمة لا توجد في إحدى النسخ.

« حرايا بن ماليق » ، ثم ملك بعده « كلكي »^(١) بن حرايا ، وأقام في الملك نحواً من مائة سنة ، ثم ملك بعده أخ يقال له « ماليا بن حرايا »^(٢) ، ثم ملك بعده « لوطس بن ماليا »^(٣) ، نحواً من سبعين سنة ، ثم ملكت بعده ابنة له يقال لها « حوريا بنت لوطس » ، نحواً من ثلاثين سنة ، ثم ملكت بعدها امرأة أخرى يقال لها « ماموم » ، وكثر ولد بصر بن حام بأرض مصر ، فتشعبوا ، وملكوا النساء ، فطمعت فيهم ملوك الأرض ، فسار إليهم من الشام ملك من ملوك العماليق ، يقال له الوليد بن دومع ، فكانت له حروب بها ، وغلب على الملك ، فانقادوا إليه ، واستقام له الأمر إلى أن ملك ، ثم ملك بعده « الريان بن الوليد » العملاقي ، وهو فرعون يوسف ، وقد ذكر الله تعالى خبره مع يوسف وما كان من أمرهما في كتابه العزيز ، وقد أتينا على شرح ذلك في كتابنا الأوسط ، ثم ملك بعده « دارم بن الريان » العملاقي ، ثم ملك بعده « كامس بن معدان » العملاقي ، ثم ملك بعده « الوليد بن مصعب » ، وهو فرعون موسى ، وقد تنوزع فيه : فمن الناس من رأى أنه من العماليق ومنهم من رأى أنه من لحم من بلاد الشام ، ومنهم من رأى أنه من الأقباط من ولد مصر بن بصر ، وكان يعرف بظلمة ، وقد أتينا على ذلك في الكتاب الأوسط . وملك فرعون غرقاً حين خرج في طلب بني إسرائيل حين أخرجهم موسى ابن عمران وجعل الله لهم طريقاً في البحر يبساً ، ولما غرق فرعون ومن كان معه من الجنود وخشي من بقي بأرض مصر من الذراري والنساء والعبيد أن يغزوهم ملوك الشام والمغرب فملكوا عليهم امرأة

(١) في بعض النسخ : كلبي بن حرايا . (٢) في بعض النسخ « لوطيس بن باليا » .

(٣) « » « » : باليا بن حرايا .

ذات رأي وحزم ؛ يقال لها « دلوكا » فبنت على بلاد مصر حائطاً يحيط بجميع البلاد ؛ وجعلت عليه المحارص والأجراس^(١) والرجال متصلة أصواتهم يقرب بعضهم من بعض ، وأثر هذا الحائط باقٍ إلى هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، يعرف بحائط المعجوز ، وقيل : إنما بنته خوفاً على ولدها وكان كثير القنص ، فخافت عليه من سباع البر والبحر واغتيال مَنْ جاور أرضهم من الملوك والبوادي ، فحوطت الحائط من التاسيح وغيرها ، وقد قيل في ذلك من الوجوه غير ما ذكرنا ، فملكتم ثلاثين سنة ، وقيل : أقل من ذلك ، واتخذت بمصر البرابي والصور ، وأحكمت آلات السحر ، وجعلت في البرابي صور مَنْ يرد من كل ناحية ، ودوابهم إيلاً كانت أو خيلاً ، وصورت ما يرد في البحر من المراكب من بحر المغرب والشام ، وجمعت في هذه البرابي العظيمة المشيدة البنيان أسرار الطبيعة وخواص الأحجار والنبات والحيوان ، من الجاذبة والدافعة^(٢) ، وجعلت ذلك في أوقات حركات فلكية واتصالها بالمؤثرات العلوية ، وكانوا إذا ورد إليهم جيش من نحو الحجاز أو اليمن عورت تلك الصورة التي في البرابي من الإبل وغيرها ، فيتعمرون ما في ذلك الجيش ، وينقطع عنهم ناسه وحيوانه ، وإذا كان الجيش من نحو الشام فعل في تلك الصور التي من تلك الجهة التي أقبل منها جيش الشام ما فعل بما وصفنا قبلها فيحدث في ذلك الجيش من الآفات في ناسه وحيوانه ما صنع في تلك الصور التي من تلك الجهة ، وكذلك ما ورد من جيوش الغرب ، وما ورد في البحر من رومية والشام وغير ذلك من الممالك ، فهابتهم الملوك

(١) في بعض النسخ « والأجراس » . (٢) في بعض النسخ « من الحادية والبادية » .

والأمم ، ومنعوا قاحتهم^(١) من عدوهم ، واتصل ملكهم بتدبير هذه المعجوز وإتقانها لزم أقطار الملكة وإحكامها السياسة^(٢) .

وقد تكلم الناس من سلف وخلف في هذه الخواص ، وأسرار الطبيعة التي كانت ببلاد مصر ، وهذا الخبر من فعل المعجوز عند المصريين مستفيض لا يشكون فيه ، والبرابي بمصر من صعيدها وغيره . باقية إلى هذا الوقت ، وفيها أنواع الصور بما إذا صورت في بعض الأشياء أحدثت أفعالاً على حسب ما رسمت له ووضعت من أجله^(٣) ، على حسب قولهم في الطباع التام ، والله أعلم بكيفية ذلك .

كتابة على البرابي : قال المسعودي واخبرني غير واحد من بلاد اخميم من صعيد مصر ، عن أبي الفيض ذي النون [بن ابراهيم]^(٤) المصري الاخيمي الزاهد ، وكان حكياً ، وكانت له طريقة يأتيها ونحلة يعصدها^(٥) ، وكان ممن يقرأ عن اخبار^(٦) هذا البرابي ودارها وامتحن كثيراً مما صور فيها ورسم عليها من الكتابة والصور ، قال : رأيت في بعض البرابي كتاباً تدبرته ؛ فاذا هو و احذروا العبيد المعتقين ، والاحداث المغترين^(٧) والجند المتعبدين ، والنسب المستعربين ، قال : ورأيت في بعضها كتاباً تدبرته فاذا فيه و يقدر المقدور والقضاء يضحك ، وزعم أنه رأى في آخره كتابة وتبينها بذلك القلم الاول فوجدتها :

- (١) في بعض النسخ: ومنعوا أجنتهم من عدوهم .
- (٢) » » » : لزوم أقطار هذه الملكة وأحكامها السياسية .
- (٣) » » » : وضعت من أجله .
- (٤) زيادة في بعض النسخ .
- (٥) في بعض النسخ : يقصدها .
- (٦) » » » : وكان ممن يفسر أخبار - الخ .
- (٧) » » » : احذر العبيد المعتقين ، والأحداث المقربين .

'تَدَبَّرُ' بالنجوم ولستَ تَدْرِي وربُّ النجمِ يفعلُ ما يريد

وكانت هذه الأمة التي اتخذت هذه البرابي لهجة بالنظر في أحكام النجوم ، مواظبة على معرفة أسرار الطبيعة ، وكان عندها بما دلت عليه أحكام النجوم ان طوفاناً سيكون في الارض ، ولم تقطع بأن ذلك الطوفان ما هو : أثار تأتي على الارض فتحرق ما عليها ، أو ماء فيغرقها ، أو سيف يبيد أهلها ؟ فخافت دثور العلوم وفناءها بفناء أهلها ، فاتخذت هذه البرابي ، واحداً بربا ، ورسمت فيها علومها من الصور والتماثيل والكتابة ، وجعلت بنيانها نوعين : طيناً ، وحجراً وفرزت ما يبني بالطين مما يبني بالحجر ، وقالت : ان كان هذا الطوفان ناراً استحجر ما يبني من الطين وانحرق ، وبقيت هذه العلوم ، وان كان الطوفان الوارد ماء أذهب ما يبني بالطين ، ويبقى ما يبني بالحجارة ، وان كان الطوفان سيفاً بقي كلاً النوعين ما هو بالطين وما هو بالحجر ، وهذا على ما قيل - والله أعلم - كان قبل الطوفان ، وقيل : ان ذلك كان بعد الطوفان وان الطوفان الذي كانوا يرقبونه ولم يتيقنوا^(١) أثار هو أم ماء ام سيف ، كان سيفاً أتى على جميع أهل مصر من أمة غشيتها وملك نزل عليها فأباد أهلها ومنهم من رأى ان ذلك الطوفان كان وباء عم أهلها ، ومصداق ذلك ما يوجد ببلاد تنيس من التلال المنضدة من الناس من صغير وكبير ، وذكر وأنثى ، كالجبال العظام ، وهي المعروفة ببلاد تنيس من أرض مصر بأبي الكوم^(٢) وما يوجد ببلاد مصر وصعيدها من الناس المنكسين^(٣) بعضهم على بعض في كهوف وغيرها^(٤) ونواويس ، ومواقع كثيرة من الارض لا يدري من أي الأمم هم ، فلا

(١) في بعض النسخ : لم يعينوه .

(٢) في بعض النسخ : المكسين .

(٣) في بعض النسخ : » » » (٤) : وغديران .

(٢) » » » : ذوات العكرم .

النصارى تخبر عنهم أنهم من أسلافهم ، ولا اليهود تقول عنهم أنهم من أوائلهم ، ولا المسلمون يدرون من هم ولا تاريخ ينسب عن حالهم ، عليهم أثوابهم ، وكثيراً ما يوجد في تلك الروابي والجبال من حلبيهم ، والبرابي ببلاد مصر بنيان قائم عجيب : كالبربا المتخذة بأنصناء من صعيد مصر ، وهو احد الموصوفين منها ، والبربا التي ببلاد أخميم ، والبربا التي ببلاد سمنود ، وغير ذلك .

والاهرام وطولها عظيم ، وبنيانها عجيب ، عليها انواع من الكتابات بأقلام الأمم السالفة ، والممالك الدائرة ، لا يدري ما تلك الكتابة ولا ما المراد بها ، وقد قال من عني بتقدير ذرعها ان مقدار ارتفاع ذهابها في الجو نحو من اربعمائة ذراع ، او اكثر ، وكلما علا به الصعداء دق ذلك ، والعرض نحو ما وصفنا ، عليها من الرسوم ما ذكرنا ، وان ذلك علوم وخواص وسحر واسرار للطبيعة ، وان من تلك الكتابة مكتوب : إنا بنيانها فمن يدعي موازنتنا^(١) في الملك وبلوغنا في القدرة وانتهانا من السلطان فليهدمها ، وليزل رسمها ؛ فان الهدم أيسر من البناء ، والتفريق أيسر من التأليف وقد ذكر ان بعض ملوك الاسلام شرع في هدم بعضها فاذا خراج مصر وغيرها من الارض لا يفي بقلعها ، وهي من الحجر والرخام ، والغرض في كتابنا هذا الاخبار عن جمل الاشياء وجوامعها ، لا عن تفصيلها وبسطها ، وقد أتينا على سائر ما شاهدناه حساً في مطافتنا الارض والممالك ، وما نمي اليها خبراً من الخواص وأسرار الطبيعة

(١) في بعض النسخ « موازاتنا » .

من الحيوان والنبات والجماد في عجائب البلدان والآثار والبقاع ، في كتابنا المترجم بكتاب « القضايا والتجارب » .

ولا تمنع بين ذوي الفهم أن في مواضع من الأرض مدناً وقرى لا يدخلها عقرب ولا حية ، مثل مدينة حمص ومَعْرَةَ وبُصْرَى (١) وانطاكية ، وقد كان ببلاد انطاكية ، اذا اخرج انسان يده خارج السور وقع عليها البق ، فإذا جذبها الى داخل لم يبقَ على يده من ذلك شيء ، الى أن كسر عمود من الرخام في بعض المواضع بها ، فأصيب في أعلاه 'حق' من نحاس في داخله بق مصور من نحاس نحو كف ، فما مضت أيام - او على الفور من ذلك - حتى صار البق في وقتنا هذا يعم الأكثر من دورهم ، وهذا حجر المغنطيس يجذب الحديد ، ولقد رأيت بصرة حية مصورة من حديد ، أو نحاس توضع على شيء ويدهن منها حجر المغنطيس فتحدث فيها حركة تباعد منه ، وحجر المغنطيس اذا أصابته رائحة الثوم بطل فعله في الحديد ، وإذا غسل بشيء من الخل أو ناله شيء من عسل النحل عاد الى فعله الأول من جذب الحديد ، وللمغنطيس في الحديد (٢) خواص عجيبة غير ما ذكرنا كالحجر الماص للدم (٣) ، والله عز وجل قد استأثر بعلم الأشياء ، وأظهر للعباد ما شاء بما لهم فيه الصلاح على قدر الوقت وحاجتهم فيه اليه وأشياء استأثر بعلمها لم يظهرها لخلقها ؛ فلا تقف العقول على كنهها ، وكما يجمع بين أشياء فيحدث لاجتماعها (٤) معنى هو غيرها ، كما يحدث من ماء العفص والزاج عند الاجتماع من شدة السواد ،

(١) في بعض النسخ : ومصر مكان وبصرى .

(٢) « » : وللمغنطيس والحديد .

(٣) « » : كالحجر الناقص للدم .

(٤) « » : فيحدث باجتماعها .

وكحدوث جوهر الزجاج عند جمعنا بين الرمل والمغنيسيا والقلبي عند الطبخ والسبك لذلك ، وكذلك لو جمع بين ماء القلي وماء المرتك وهو المراداسنج خرج الحادث من مزاجيهما كالزبد بياضا ، واذا مزج ماء القلي بماء الزجاج خرج من مزاجيهما لون أحمر كالعصفر ، وكجمعنا في النتاج بين الفرس الأنثى والحمار فتحدث بطلا ، ولو نتج دابة على أتان لخرج منها بغل أفطس ذو خبث ودهاء ، يسمى الكودن .

وقد ذكرنا النتاج الذي كان بصعيد مصر مما يلي الحبشة ، وما كان ينتج من الثيران على الأتن ، والحمير على البقر ، وما كان يحدث من ذلك من الدواب العجيبة التي ليست بحمير ولا بقر كالبغل الذي ليس بدابة ولا حمار .

وقد ذكرنا ضروب التوليدات في أنواع الحيوان والنبات من تطعيمهم الغروس والأشجار وما تولد من الطعوم في المذاق في كتابنا المترجم بكتاب « القضايا والتجارب » ، في أنواع الفلاحة وغيرها ، وذكرنا باب خواص الأشياء ومعرفتها والطلسمات وعجائبها ، وهو باب كبير في ذكر بعضه نيابة عن بعض ، والجزء منه يوهك الكل ، واليسير منه يدلئك على معرفة الكثير .

ويمكن - والله أعلم - أن تكون هذه الخواص والطلسمات والأشياء المحدثه في العالم للحركات مما وصفنا والدافعة والمانعة والمنفردة^(١) والجاذبة والفاعلة في الحيوان وغير ذلك مثل الطرد والجذب - كانت دلالة لبعض الأنبياء في الامم الخالية ، جعلها الله

(١) في بعض النسخ « والمنفرة » .

كذلك لذلك النبي دلالة ومعجزة تدل على صدقه وتنبئته^(١) من غير، ليؤدي عن الله أمره ونهيه وما فيه من الصلاح لخلق في ذلك الوقت، ثم رفع الله ذلك النبي^(٢)، وبقيت علومه، وما أبانه الله عز وجل مما ذكرنا، في أيدي الناس، وأصل ذلك إلهي كما وصفنا؛ إذ كان ما ذكرنا ممكناً غير واجب ولا ممتنع في القدرة.

قال المسعودي: فلنرجع إلى ما كنا فيه من أخبار ملوك مصر.

بقية ملوك مصر: وكان الملك بعد انقضاء ملك دلوكة المعجوز «دركوس بن بلوطس»^(٣)، ثم ملك بعده «بورس بن دركوس»^(٤)، ثم ملك بعده «فغامس»^(٥) بن بورس، نحواً من خمسين سنة، ثم ملك بعده «دنيا بن بورس»^(٦)، نحواً من عشرين سنة، ثم ملك بعده «نماريس» بن مرينا عشرين سنة، ثم ملك بعده «بلوطس» ابن ميناكيل أربعين سنة، ثم ملك بعده «مالوس بن بلوطس» عشرين سنة، ثم ملك بعده «بلوطس» بن ميناكيل بن بلوطس، ثم ملك بعده «بلوتا» بن ميناكيل وكانت له حروب ومسير في الأرض، وهو فرعون الأعرج الذي غزا بني إسرائيل وخرب بيت المقدس، ثم ملك بعده «مريئوس» وكانت له حروب كثيرة بالمغرب، ثم ملك بعده «نقاس بن مريئوس» ثمانين سنة، ثم ملك بعده «قوميس بن نقاس» عشر سنين، ثم ملك بعده «كابيل» وكانت له حروب مع ملوك المغرب، وغزاه البخت ناصر مرزبان المغرب من قبل ملوك فارس، فخرّب أرضه وقتل رجاله، وسار

(١) في بعض النسخ: وتنبئته من غيره.
 (٢) « ذلك الشيء. »
 (٣) « دركوش بن بلوطس. »
 (٤) في بعض النسخ: نورش بن دركوش.
 (٥) « لس بن نورش. »
 (٦) « دسا بن نورش. »

البيختم ناصر نحو المغرب ، وقد أتينا على أخباره في كتاب «راحة الأرواح» ، لأن هذا الكتاب رسمناه بأخبار مسير الملوك للأرض ، وأخبار مقاتلتهم ، دون ما ذكرناه في كتابنا «أخبار الزمان» .

ولما زال أمر البيختم ناصر ومن معه من جنود فارس ، ملكت الروم مصر وغلبت عليها ؛ فتنصر أهلها ، فلم يزالوا على ذلك إلى أن ملك كسرى أنوشروان ، فغلبت جيوشه على الشام ؛ وسارت نحو مصر ، فلكوها ، وغلبوا على أهلها ، نحواً من عشرين سنة^(١) ، وكانت بين الروم وفارس حروب كثيرة فكان أهل مصر يؤدون خراجين : خراجاً إلى فارس ، وخراجاً إلى الروم ، عن بلادهم .

ثم انجلت فارس عن مصر والشام لأمر حدث في دار مملكتهم ، فغلب الروم على مصر والشام ، وأشهروا النصرانية ، فشمّل ذلك من بالشام ومصر ، إلى أن أتى الله بالاسلام ، وكانت من أمر المقوقس صاحب القبط مع النبي صلى الله عليه وسلم من الهدايا ما كان إلى أن افتتحها عمرو بن العاص ، ومن كان معه في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فبنى عمرو بن العاص القسطنطينية وهي قسبة مصر في هذا الوقت ، وكان ملك مصر - وهو المقوقس صاحب القبط - ينزل الإسكندرية في بعض فصول السنة ، وفي بعضها ينزل مدينة منف ، وفي بعضها قصر الشمع ، وهو اليوم يعرف بهذا الاسم في وسط مدينة القسطنطينية .

ولعمرو بن العاص في فتح مصر أخبار ، وما كان بينه وبين المقوقس وفتح قصر الشمع ، وغير ذلك من أخبار مصر والإسكندرية ،

(١) في بعض النسخ : نحواً من عشر سنين .

وما كان من حروب المسلمين في ذلك ، ودخول عمرو بن العاص الى مصر والإسكندرية في الجاهلية ، وما كان من خبره مع الراهب والكثرة الذهب التي كانوا يظهرونها للناس في أعيادهم ، ووقوعها في حجر عمرو بن العاص ، وذلك قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم ، قد أتينا على جميع ذلك في كتابنا « أخبار الزمان » والكتاب الأوسط .

عدة ملوك مصر : قال المسعودي : والذي اتفقت عليه التواريخ - مع تباين ما فيها - أن عدة ملوك مصر من الفراعنة وغيرها اثنان وثلاثون فرعوناً ، ومن ملوك بابل ممن تملك على مصر خمسة ، ومن ملوك بابل^(١) - وهم العماليق الذين طرأوا^(٢) إليها من بلاد الشام - أربعة ، ومن الروم سبعة ، ومن اليونانيين عشرة ، وذلك قبل ظهور السيد المسيح عليه السلام ، وملكها أناس من الفرس من قبل الأكاسرة ، وكان مدة من ملك مصر من الفراعنة والفرس والروم والعماليق واليونانيين الف سنة^(٣) وثلثمائة سنة .

قال المسعودي : سألت جماعة من أقباط مصر بالصعيد وغيره من بلاد مصر من أهل الخبرة عن تفسير « فرعون » فلم يخبروني عن معنى ذلك ، ولا تحصل لي في لغتهم ، فيمكن - والله أعلم - أن هذا الاسم كان سمة ملوك تلك الأعصار^(٤) وأن تلك اللغة تغيرت كتغير الفهلوية ، وهي الفارسية الأولى ، إلى الفارسية الثانية ، وكاليونانية إلى الرومية ، وتغير الحميرية ، وغير ذلك من اللغات .

دفائن أرض مصر : ولمصر أخبار عجيبة من الدفائن والبنيان وما

(١) في بعض النسخ : ومن ملوك مارب وهم العماليقون .

(٢) « : الذين ظهوروا إليها .

(٣) « : ألفي سنة وثلثمائة سنة .

(٤) « : الأمصار .

يوجد في الدفائن من ذخائر الملوك التي استودعوها الأرض وغيرهم من الأمم من سكن تلك الأرض ، وتدعى بالمطالب الى هذه الغاية ، قد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا .

فمن عجيب أخبارها ما ذكره يحيى بن بكير ، قال : كان عبد العزيز بن مروان عاملاً على مصر لأخيه عبد الملك بن مروان فأناه رجل متنصح ، فسأله عن نصحه ، فقال : بالقبلة الفلانية كنز عظيم ، قال عبد العزيز : وما مصداق ذلك ؟ قال : هو أن يظهر لنا بلاط من المرمر والرخام عند يسير من الحفر ، ثم ينتهي بنا الحفر إلى قلع باب من الصفر ، تحته عمود من الذهب ، على أعلاه ديك من الذهب عيناه ياقوتتان تساويان ملك الدنيا ^(١) ، وجناحاه مضرجان بالياقوت والزمرد ، برائته على ^(٢) صفائح من الذهب على أعلى ذلك العمود ، فأمر له عبد العزيز بنفقة ألوف من الدنانير لأجرة من يحفر من الرجال في ذلك ويعمل فيه ، وكان هنالك تل عظيم ، فاحتفروا حفرة عظيمة في الأرض ، والدلائل المقدم ذكرها من الرخام والمرمر قظهر ، فازداد عبد العزيز حرصاً على ذلك ، وأوسع في النفقة ، وأكثر من الرجال ، ثم انتهوا في حفرهم إلى ظهور رأس الديك ، فبرق عند ظهوره لمعان عظيم كالبرق الخاطف لما في عينيه من الياقوت وشدة نوره ولمعان ضيائه ^(٣) ، ثم بانق قوائمه ، وظهر حول العمود عامود من البدين بأنواع من الأحجار والرخام ، وقناطر مقنطرة ، وطاقات على أبواب معقودة ، ولاحت منها تماثيل وصور أشخاص من أنواع الصور والذهب وأجربة من الاحجار قد أطبقت عليها أغطيتها وشبكت ^(٤) ، وقيد

(١) في بعض النسخ : خراج الدنيا .

(٢) » » : على رأسه صفائح الذهب .

(٣) » » : واشراق ضيائه ، ثم بان جناحاه ، ثم بان برائته وظهر - الخ .

(٤) » » : وشبكت .

ذلك بأعمدة الذهب ؛ فركب عبد العزيز بن مروان حتى أشرف على
الموضع ، فنظر إلى ما ظهر من ذلك فأصرع بعضهم فوضع قدمه
على درجة منسبكة (١) من نحاس تنتهي الى ما هنالك ، فلما استقرت
قدمه على المرقاة الرابعة ظهر سيفان عظيمان عاديان عن يمين الدرجة
وشمالها ، فالتفتا على الرجل (٢) ، فلم يدرك حتى جزأه كقطعا وهوى
جسمه سفلا ، فلما استقر جسمه على بعض الدرج اهتز العمود وصفر
الديك تصفيراً عجبياً سمعه مَنْ كان بالبعد من هنالك ، وحرك
جناحيه فظهرت من تحته أصوات عجيبة ، وقد عملت باللوالب (٣)
والحركات ، اذا ما وقع على بعض تلك الدرج شيء او ماسها تهافت
من هنالك من الرجال الى أسفل تلك الحفرة ، وكان ممن يحفر
ويعمل وينقل التراب ويبصر ويتحرك ويأمر وينهي ، نحو الف رجل (٤) ،
فهلكوا جميعاً ، فجزع عبد العزيز ، وقال : هذا ردم عجب الأمر
ممنوع النئيل ، نعوذ بالله منه ! وأمر جماعة من الناس فطرحوا ما
أخرج من التراب على من هلك من الناس ؛ فكان الموضع قبراً لهم .

قال المسعودي : وقد كان جماعة من أهل الدفائن والمطالب ، ومن
قد اغرى بحفر الحفائر وطلب الكنوز ودخائر الملوك والأمم السالفة
المستودعة بطن الارض ببلاد مصر ، وقع اليهم كتابٌ ببعض الاقلام
السالفة ، فيه وصف موضع بلاد مصر ، على أذرع يسيرة من بعض
الامرام المقدم ذكرها ، بأن فيه مطلباً عجيباً ، فاخبروا الاخشيذ
محمد بن طنج بذلك ، فأذن لهم في حفره ، وابعثهم استعمال الحيلة
في اجراجه ، فحفروا حفراً عظيماً الى ان انتهوا الى أزج وأقباء

(٣) في بعض النسخ : بالكواكب .
(٤) » » : نحو الف رجل .

(١) في بعض النسخ : مشبكة .
(٢) » » : فالتقيا .

وحجارة مجوفة في صخر منقور فيه تماثيل قائمة على أرجلها من أنواع الخشب قد طليت بالأطلية المانعة من سرعة البلى وتفرق الأجزاء ، والصور مختلفة : منها صور شيوخ وشبان ونساء واطفال ، أعينهم من أنواع الجواهر ، كالياقوت والزمرد والفيروزج والزبرجد ، ومنها ما وجوها ذهب وفضة ، فكسروا بعض تلك التماثيل ، فوجدوا في أجوافها ربما بالية ، واجساماً فانية ، وإلى جانب كل تمثال منها نوع من الآنية كالبراني^(١) وغيرها من الآلات من المرمر والرخام^(٢) ، وفيه نوع من الطلاء الذي قد طلي منه ذلك الميت الموضوع في تمثال الخشب ، وما بقي من الطلاء متروك في ذلك الإناء ، والطلاء دواء مسهوق وأخلط معمولاً لرائحة لها ، فجعل منه على النار ، ففاح منه روائح طيبة مختلفة لا تعرف في نوع من الأنواع التي للطيب^(٣) ، وقد جعل كل تمثال من الخشب على صورة من فيه من الناس على اختلاف أسنانهم^(٤) ، ومقادير أعمارهم ، وتباين صورهم ، وبإزاء كل تمثال من هذه التماثيل تمثال من الحجر المرمر ، أو من الرخام الأخضر ، على هيئة الصنم على حسب عبادتهم للتماثيل والصور ، وعليها أنواع من الكتابات لم يقف على استخراجها أحد من أهل الملل ، وزعم قوم من ذوي الدراية منهم أن لذلك القلم ، من حين فقد من الأرض - أعني أرض مصر - أربعة آلاف سنة ، وفيها ذكرناه دلالة على أن هؤلاء ليسوا بيهود ولا بنصاري ، ولم يؤدم الحفر إلا إلى ما ذكرناه من هذه التماثيل ، وكان ذلك في سنة ثمان وعشرين وثلثمائة .

(١) في بعض النسخ : من الآنية كالبراني .

(٢) : من الزمرد والرخام .

(٣) : لا تعرف في نوع من أنواع الطيب .

(٤) : على اختلاف أنسابهم .

وقد كان لمن سلف وخلف من ولاية مصر الى أحمد بن طولون وغيره الى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - أخبار عجيبة ، فيما استخرج في أيامهم من الدفائن والأموال والجواهر ، وما أصيب في القبور من المطالب والخزائن ، وقد أتينا على ذكرها فيما سلف من تأليفنا ، وتقدم من تصنيفنا ، وبالله التوفيق .

ذكر أخبار

الاسكندرية ، وبنائها ، وملوكها ، وعجائبها

وما ألحق بهذا الباب

أخبار الاسكندرية : ذكر جماعة من أهل العلم ان الاسكندر المقدوني لما استقام ملكه في بلاده سار يختار ارضاً صحيحة الهواء والتربة والماء ، حتى انتهى الى موضع الاسكندرية ، فأصاب في موضعها آثار بنيان عظيم وعمداً كثيرة من الرخام ، وفي وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المسند - وهو القلم الاول من أقلام حمير وملوك عاد - أنا شداد بن عاد بن شداد بن عاد ، شددت بساعدي البلاد ، وقطعت عظيم العماد ، من الجبال والأطواد ، وأنا بنيت إرم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد ، وأردت أن أبني هنا كإرم ، وأنقل اليها كل ذي إقدام وكرم^(١) ، من جميع العشائر والأمم ، وذلك اذ لا خوف ولا هرم ، ولا اهتمام ولا سقم ، فأصابني ما أعجلني^(٢) ، وعا أردت قطعني^(٣) ، مع وقوع ما أطال^(٤) هي وشجني ، وقل^(٥) نومي وسكني ، فارتحلت بالأمس^(٥) عن داري لا لقهر ملك

(١) في احدى النسخ : كل ذي قدم وكرم . (٤) في احدى النسخ : ومع وقوعه طال هي

(٢) » » : من أعجلني . (٥) » » : فارتحلت بالأمس .

(٣) » » : عما أردت أحالي .

جبار ، ولا لخوف جيش جرار ، ولا عن رهبة ولا عن صفار ،
لكن لتام المقدار ، وانقطاع الآثار ، وسلطان العزيز الجبار ، فمن
رأى أثري ، وعرف خبري ، وطول عمري ، ونفاذ بصري ، وشدة
حذري ، فلا يفتخر بالدنيا بعدي ، [فإنها غرارة تأخذ منك ما تعطي ،
وتسترجع ما تولي] ^(١) . وكلام كثير يُري فناء الدنيا ويمنع من
الاغترار بها والسكون اليها .

ونزل الاسكندر متفكراً يتدبر هذا الكلام ويعتبره ، ثم بعث
فحشر الصناع من البلاد ، وخط الاساس ، وجعل طولها وعرضها اميالاً ،
وحشد اليها العمد والرخام ، وأتته المراكب فيها انواع الرخام ،
وانواع المرمر والاحجار ، من جزيرة صقلية ، وبلاد إفريقية ، وإفريطش ،
وأقاصي بحر الروم مما يلي مصبه من بحر أوقيانوس ، وحمل اليه أيضاً
من جزيرة رودس وهي جزيرة مقابلة للاسكندرية على ليلة منها في
البحر ، وهي اول بلاد الافرنجة ، وهذه الجزيرة في وقتنا هذا ،
وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، دار صناعة الروم ، وبها تنشأ
المراكب الحربية ، وفيها خلق كثير من الروم ، ومراكبهم تطرق
بلاد الاسكندرية وغيرها من بلاد مصر فتغير وتأسر وتسي .

وأمر الاسكندر الفعلة والصناع أن يدوروا بما رسم لهم من اساس
سور المدينة ، وجعل على كل قطعة من الأرض خشبة قائمة ، وجعل
من الخشبة الى الخشبة حبلاً منوطة بعضها ببعض ، وأوصل جميع
ذلك بعمود من الرخام ، وكان أمام مضربه ، وعلق على العمود جرساً
عظيماً مصوتاً ، وأمر الناس والقوام على البنائين والفعلة والصناع
أنهم اذا سمعوا صوت ذلك الجرس وتحركت الحبال وقد علق على

كل قطعة منها جرساً صغيراً حرصوا على أن يضعوا أساس المدينة دفعة واحدة من سائر أقطارها وأحب الاسكندر أن يجعل ذلك في وقت يختاره ذي طالع سعيد^(١) ، فحقق الاسكندر برأسه وأخذته سِنَّةً في حال ارتقابه الوقتَ المأمودَ المأخوذَ فيه الطالعُ ، فجاء غراب فجلس على حبل الجرس الكبير الذي فوق العمود فحركه ، وخرج صوت الجرس وتحركت الحبال ، وخفقت ما عليها من الاجراس الصفار ، وكان ذلك معمولاً بحركات فلسفية وحيل حكيمية ، فلما رأى الصناع تحرك تلك الحبال وسمعوا تلك الاصوات وضعوا الاساس دفعة واحدة ، وارتفع الضجيج بالتحميد والتقديس ، فاستيقظ الاسكندر من رقدته وسأل عن الخبر ، فأخبر بذلك ، فعجب وقال : أردتُ أمراً وأراد الله غيره ، ويأبى الله الا ما يريد ، أردت طول بقائها ، وأراد الله سرعة فناؤها وخرابها وتداول الملوك إياها .

وإن الاسكندرية لما أحكم بنيانها وأثبت أساسها وجن الليل عليهم خرجت دواب من البحر فأتت على جميع ذلك البنيان فقال الإسكندر حين أصبح : هذا بدء الخراب في عمارتها ، وتحقق مراد الباري في زوالها ، وتطير من فعل الدواب ، فلم يزل البناء يُبْنَى في كل يوم ويحكم ، ويوكل به من يمنع الدواب اذا خرجت من البحر ، فيصبحون وقد أخرب البنيان ، فقلق الإسكندر لذلك ، وراعه ما رأى ، فأقبل يفكر ما الذي يصنع ، وأي حيلة تنفع^(٢) في دفع الأذية عن المدينة ، فساحت له الحيلة في ليلته عند خلوته بنفسه وإيراده الأمور وإصدارها ، فلما أصبح دعا بالصناع فاتخذوا له تابوتاً من الخشب طوله عشرة أذرع في عرض خمس ، وجعلت فيه

(١) في بعض النسخ : وطالع سعد يأخذه . (٢) في بعض النسخ : وأي حيلة يوقع .

جامات من الزجاج قد أحاط بها خشب التابوت باستدارتها ، وقد أمسك ذلك بالقار والزفت وغيره من الأطلية الدافعة للماء ، حذراً من دخول الماء الى التابوت . وقد جعل فيها مواضع للحبال ، ودخل الاسكندر في التابوت هو ورجلان معه من كتابه ممن له علم بإتقان التصوير ومبالغة فيه وأمر أن تسد عليهم الأبواب ، وأن تطلّى بها ذنونا من الأطلية ، وأمر فأتى بمركبين عظيمين ، فأخرجوا الى لجة البحر ؛ وعلق على التابوت من أسفله مثقلات الرصاص والحديد والحجارة لتهوي بالتابوت سفلاً ؛ إذ كان من شأنه لما فيه من الهواء أن يطفو فوق الماء ولا يرسب في أسفله ، وجعل التابوت بين المركبين (١) [فألصقها بخشب بينها لئلا يفترقا ، وشد حبال التابوت الى المركبين] (٢) وطول حباله ، ففاص التابوت حتى انتهى إلى قرار البحر ، فنظروا إلى دواب البحر وحيوانه من ذلك الزجاج الشفاف في صفاء ماء البحر ؛ فإذا هم بشياطين (٣) على مثال الناس رؤوسهم على مثال رؤوس السباع ، وفي أيدي بعضهم الفؤوس ، وفي أيدي بعض المناشير والمقارع ، يحاكون بذلك صناع المدينة والفعلة وما في أيديهم من آلات البناء ، فأثبت الإسكندر ومن معه تلك الصور وأحكموها (٤) بالتصوير في القراطيس ، على اختلاف انواعها وتشوه خلقتهم وقدودهم وأشكالهم ؛ ثم حرك الحبال ، فلما أحسن بذلك من في المركبين جذبوا الحبال وأخرجوا التابوت ، فلما خرج الإسكندر من التابوت وسار الى مدينة الاسكندرية أمر صناع الحديد والنحاس والحجارة فصنعوا تماثيل تلك الدواب على ما كان صورته الاسكندر وصاحبه ،

(١) في بعض النسخ : الى المركبين .

(٢) زيادة في احدى النسخ .

(٣) في بعض النسخ : فاذا بصور شياطين .

(٤) » » : وحكموها بالتصوير من القراطيس .

فلما فرغوا منها وضعت الصور على العمدة بشاطئ البحر ، ثم أمرهم فبنوا ، فلما جن الليل ظهرت تلك الدواب والآفات من البحر ، فنظرت إلى صورها على العمدة مقابلة إلى البحر ، فرجعت إلى البحر ولم تعد بعد ذلك .

ثم لما بنيت الاسكندرية وشيدت ، أمر الاسكندر ان يكتب على أبوابها هذه الاسكندرية ، أردت ان أبنيتها على الفلاح والنجاح واليمن والسعادة والسرور والثبات في الدهور^(١) ، فلم يرد الباري عز وجل ملك السموات والارض ومفني الأمم أن نبنيتها كذلك ، فبنيتها وأحكمت بنيانها ، وشيدت سورها ، وآتاني الله من كل شيء علماً وحكماً ، وسهل لي وجوه الأسباب ، فلم يتعذر علي شيء في العالم بما أردته ، ولا امتنع عني شيء مما طلبته ، لطفاً من الله عز وجل ، وصنعاً بي ، وصلاحاً لي ولعباده من أهل عصري ، والحمد لله رب العالمين ، لا إله إلا الله رب كل شيء .

ورسم الاسكندر بعد هذه الكتابة كل ما يحدث ببلده من الاحداث بعده في مستقبل الزمان : من الآفات^(٢) ، والعمران ، والخراب ، وما يؤول إليه الى وقت دثور العالم .

وكان بناء الاسكندرية طبقات ، وتحتها قناطر مقنطرة ، عليها دور المدينة^(٣) ، يسير تحتها الفارس وبيده رمح لا يضيق به حتى يدور جميع تلك الآزاج والقناطر التي تحت المدينة ، وقد عمل لتلك العقود والآزاج مخاريق وتنفسات للضياء^(٤) ، ومنافذ للهواء .

(١) في بعض النسخ : على الدهور . (٢) في بعض النسخ : كما تدور المدينة .
(٣) » » : من الأحداث . (٤) » » : ومتنفسات للضياء .

وقد كانت الاسكندرية تضيء بالليل بنير مصباح ، لشدة بياض الرخام والمرمر ، واسواقها وشوارعها وأزقتها مقنطرة بها لئلا يصيب^(١) أهلها شيء من المطر ، وقد كان عليها سبعة أسوار من أنواع الحجارة المختلفة ألوانها ، بينها خنادق ، وبين كل خندق وسور فصلان^(٢) ، وربما علق على المدينة شقاق الحرير الاخضر ؛ لاختطاف بياض الرخام أبصار الناس لشدة بياضه .

فلما أحكم بناؤها ، وسكنها أهلها ، كانت آفات البحر وسكانه - على ما زعم الاخباريون من المصريين والاسكندريين - تختطف بالليل أهل هذه المدينة ، فيصبحون وقد فقد منهم العدد الكثير ..

المسال : ولما علم الاسكندر بذلك اتخذ الطلسمات على أعمدة هنالك تدعى المسال^٣ ، وهي باقية الى هذه الغاية ، وكل واحد من هذه الاعمدة على هيئة السُرْوَة ، وطول كل واحد منها ثمانون ذراعاً ، على عمد من نحاس ، وجعل تحتها صوراً وأشكالاً وكتابة ، وذلك عند انخفاض درجة من درجات الفلك وقربها من هذا العالم ، وعند أصحاب الطلسمات من المنجمين والفلكيين أنه اذا ارتفع من الفلك درجة وانخفض أخرى في مدة يذكرونها من السنين نحو ستمائة سنة تأتي في هذا العالم فعل الطلسمات [النافعة]^(٣) المانعة والدافعة ، وقد ذكر هذا جماعة من أصحاب الزيجات والنجوم وغيرهم من مصنفى الكتب في هذا المعنى ، ولهم في ذلك سر من أسرار الفلك ليس كتابنا هذا موضعاً له ، ولغيرهم ممن ذهب الى ان ذلك للطف قوى الطبائع

(١) في بعض النسخ : مقنطرة كلها لا يصيب أهلها شيء من المطر .

(٢) » » : بين كل خندق وسور فصول .

(٣) سقطت هذه الكلمة من احدى النسخ .

انتام^(١) وغير ذلك مما قاله الناس ، وما ذكرنا من درج الفلك فوجود في كتب من تأخر من علماء المنجمين والفلكيين ، كأبي معشر البلخي ، والخوازمي ، ومحمد بن كثير الفرغاني ، وما شاء الله ، وحبس^(٢) ، واليزيدي ، ومحمد بن جابر البتاني في زيجه الكبير ، وثابت بن قرة ، وغير هؤلاء ممن تكلم في علوم هيات الفلك والنجوم .

منارة الاسكندرية : قال المسعودي : فأما منارة الإسكندرية فذهب الاكثر من المصريين والإسكندرانيين - ممن عني بأخبار بلدهم - إلى أن الإسكندر بن فيلبس^(٣) المقدوني هو الذي بناها على حسب ما قدمنا في بناء المدينة ، ومنهم من رأى أن دلوكة الملكة هي التي بنتها ، وجعلتها مرقباً لمن يرد من العدو إلى بلدهم ، ومنهم من رأى أن العاشر من فراعنة مصر هو الذي بناها ، وقد قدمنا ذكر هذا الملك فيما سلف من هذا الكتاب ، ومنهم من رأى أن الذي بنى مدينة رومية هو الذي بنى مدينة الإسكندرية ومنارتها والأهرام بمصر ، وإنما أضيفت الإسكندرية إلى الإسكندر لشهرته بالاستيلاء على الأكثر من ممالك العالم فشهرت به ، وذكروا في ذلك أخباراً كثيرة ، يدلون بها على ما قالوا ، والإسكندر لم يطره في هذا البحر عدو ، ولا هاب ملكاً يرد إليه في بلده ويفزوه في داره ؛ فيكون هو الذي جعلها مرقباً ، وإن الذي بناها جعلها على كرسي من الزجاج على هيئة السرطان في جوف البحر وعلى طرف اللسان الذي هو داخل في البحر من البر ، وجعل على اعلاها تماثيل من النحاس وغيره ،

(١) في بعض النسخ : الى أن ذلك أطف قوى الطبائع التامة .

(٢) » » : وحسن . (٣) في بعض النسخ : الاسكندر بن فيلبس .

وفيها تمثال (١) قد أشار بسبابته من يده اليمنى نحو الشمس أينما كانت من الفلك (٢) ، وإذا علت في الفلك فاصبمه مشيرة نحوها فإذا انخفضت انخفضت يده سفلا يدور معها حيث دارت ، ومنها تمثال يشير بيده إلى البحر إذا صار العدو منه على نحو من ليلة ، فإذا دنا وجاز أن يرى بالبصر لقرب المسافة سمع لذلك التمثال صوت هائل يسمع من ميلين أو ثلاثة ، فيعلم أهل المدينة ان العدو قد دنا منهم ، فيرمقونه بأبصارهم ، ومنها تمثال كلما مضى من الليل والنهار ساعة سمعوا له صوتاً بخلاف ما صوت في الساعة التي قبلها ، وصوته مطرب .

جميلة لهدم المنارة : وقد كان ملك الروم في مدة الوليد (٣) بن عبد الملك ابن مروان أنفذ خادماً من خواص خدمه ذا رأي ودهاء [سرا] (٤) ، وجاء مستأمناً إلى بعض الثغور ، فورد بآلة حسنة ، ومعه جماعة ، فجاء إلى الوليد فأخبره أنه من خواص الملك ، وأنه أراد قتله لمؤجدةٍ وحالٍ بلفته عنه لم يكن لها أصل ، وأنه استوحش منه ، ورجب في الإسلام ، فأسلم على يدي الوليد ، وتقرب من قلبه ، وتنصح إليه في دفائن استخرجها له من بلاد دمشق وغيرها من الشام ، بكتب كانت معه فيها صفات تلك الدفائن ، فلما رأى الوليد تلك الأموال والجواهر شرهت نفسه ، واستحکم طمعه ، فقال له الخادم : يا أمير المؤمنين ، ان ههنا أموالاً وجواهر ودفائن للملوك ، فسأل الوليد عن الخبر ، فقال : تحت منارة الإسكندرية أموال الأرض ، وذلك أن الاسكندر احتوى على الأموال والجواهر التي كانت لشداد بن عاد وملوك العرب بمصر والشام ، فبنى لها الآزاج تحت الأرض ، وقنطر

(١) في احدى النسخ : فمما تمثال . (٢) في بعض النسخ : في ملك الوليد بن عبد الملك .

(٣) » » : أن كانت من الفلك . (٤) سقطت هذه الكلمة من احدى النسخ .

لها الاقباء والقناطر والسراديب ، وأودعها تلك الذخائر من العين والورق والجواهر ، وبنى فوق ذلك هذه المنارة ، وكان طولها في الهواء الف ذراع ، والمرآة على علوها والديابذة جلوس^(١) حولها ، فاذا نظروا الى الحدو في البحر [في ضوء تلك المرآة]^(٢) صوتوا بمن قرب منهم ، ونصبوا ونشروا أعلاماً فيراها من بعد منهم فيحذّر الناس وينذر البلد ، فلا يكون للعدو عليهم سبيل ، فبعث الوليد مع الخادم يجيش وأناس من ثقافته وخواصه فهدم نصف المنارة من أعلامها ، وأزيلت المرآة ؛ فضجّ الناس من اهل الاسكندرية وغيرها ، وعلموا انها مكيدة وحيلة في أمرها ، ولما علم الخادم استفاضة ذلك ، وأنه سينمى الى الوليد ، وانه قد بلغ ما يحتاج اليه ، هرب في الليل في مركب كان قد أعده ، وواطأ قوماً على ذلك من أمره ، فتمت حيلته ، وبقيت المنارة على ما ذكرنا الى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - وكان حوالي منارة الاسكندرية في البحر مفاص^(٣) ، يخرج منه قطع من الجواهر تتخذ منه فصوص للخواتم يشبه انواعاً من الجواهر : منه الكركهن والأدرك^(٤) واشباد جشم ، ويقال : إن ذلك من الآلات التي كانت اتخذها الاسكندر للشراب فلما مات كسرتها أمه ورمت بها في تلك المواضع من البحر ، ومنهم من رأى ان الاسكندر اتخذ ذلك النوع من الجوهر وغرّقه حول المنارة لكيلا يخلو من الناس حولها ؛ لأن من شأن الجوهر ان يكون مطلوباً أبداً في كل عصر في معدنه^(٤) ، برأ كان أو بجرأ ، فيكون الموضع على دوام الاوقات بالناس معموراً ،

(١) جلوس : الدبابد جلوس .

(٢) هذه عبارة لا توجد في احدى النسخ .

(٣) في احدى النسخ : منه الكركن والأدرك والاسباد جشم .

(٤) « » : في سائر الأعصار في معدنه .

والأكثر مما يستخرج من الجواهر حول منارة الاسكندرية الأشهاد
جشم ، وقد رأيت كثيراً من أصحاب التلوينات ومن أعني بأعمال
الجواهر المنسوبة بالمغرب^(١) يعمل هذه الجواهر المعروفة بالأشهاد
جشم ، ويتخذ منه الفصوص^(٢) وغيرها ، وكذلك الفصوص المعروفة
بالباقلون ، وهي تري ألواناً مختلفة من حمرة وخضرة وصفرة ، تتلون في
المنظر ألواناً مختلفة على حسب ما قدمنا ، والتلون من ذلك على
حسب الجواهر في صفاته واختلاف نظر البصر في إدراكه ، وتلون
هذا النوع من الجواهر - أعني الباقلون - نحو تلون ريش صدر
الطواويس ، فإنها تتلون ألواناً مختلفة بأذنانها وأجنحتها - أعني الذكور
دون الإناث - وقد رأيت منها بأرض الهند ألواناً تظهر لحس البصر
عند تأملها ، لا تدرك ولا تحصى ، ولا تشبه بلون من الألوان ،
لما يترادف^(٣) من توج الألوان في ريشها ، ويتأتى ذلك منها لعظم
خلقها وكبر أجسامها وسعة ريشها ؛ لأن للطواويس بأرض الهند شأنًا
عجيبًا ، والذي يحمل منها إلى أرض الإسلام ويخرج عن أرض الهند
فيبيض ويفرخ تكون صغيرة الاجسام ، كدرّة الألوان ، لا تخطف
أنوار الأبصار بإدراكها^(٤) ، وإنما تشبه بالهندية بالشبه اليسير ، هذا
في الذكور منها دون الإناث .

وكذلك شجر النارج والأترج المدور ، حمل من أرض الهند إلى
أرض غيرها بعد الثلاثمائة ، فزرع بعمان ثم نقل إلى البصرة والعراق والشام ،
حتى كثر في دور الناس بطرسوس وغيرها من الثغور الشامية

- (١) في بعض النسخ : المشبهة بالمعدنية .
(٢) » » : النصول وغيرها .
(٣) » » : لما يترادف من توج الألوان .
(٤) » » : لا تعطي أنواراً للأبصار بإدراكها .

وأنطاكية وسواحل الشام وفلسطين ومصر ، وما كان يمهده ولا يعرف ، فعدمت منه الروائع الحمزية^(١) الطيبة ، واللون الحسن الذي يوجد فيه بأرض الهند ؛ لعدم ذلك الهواء والتربة والماء وخاصة البلد .

مر بناء المنارة : ويقال ان هذه المنارة إنما جعلت المرآة في أعلاها ؛ لان ملوك الروم بعد الاسكندر كانت تحارب ملوك مصر والاسكندرية^(٢) ، فجعل من كان بالاسكندرية من الملوك تلك المرآة تحمي من يرد في البحر من عدوم ، إلا أن من يدخلها يتيه فيها إلا ان يكون عارفاً بالدخول والخروج فيها لكثرة بيوتها وطبقاتها ومما رقبها^(٣) ، وقد ذكر ان المغاربة حين وافوا في خلافة المقتدر في جيش صاحب المغرب دخل جماعة منهم على خيولهم الى المنارة فتأهوا فيها ، وفيها طرق تؤول الى مهاور تهوي الى سرطان الزجاج^(٤) ، وفيها مخارق^(٥) الى البحر فتهاووا بدوابهم ، وفقد منهم عدد كثير ، وعلم بهم بعد ذلك ، وقيل : ان تهورم كان في كرسي^(٦) بها قدامها ، وفيها مسجد في هذا الوقت يربط فيه [في الصيف]^(٧) متطوعة المصريين وغيرهم .

ولبلاد مصر والاسكندرية [والمغرب]^(٧) وبلاد الأندلس ورومية وما في الشرق واليمن والمغرب^(٨) أخبار كثيرة في عجائب البلدان والأبنية والآثار وخواص البقاع وما يؤثر في ساكنيها وقطانها اعرضنا عن ذكرها ؛ إذ كنا قد أتينا على الأخبار عنها فيما سلف من كتبنا

(١) في احدى النسخ : الروائع الحمزية . (٥) في احدى النسخ : مخاريق الى البحر .
 (٢) » » : على الاسكندرية . (٦) » » : كرسي لها قدامها .
 (٣) » » : ومما رقبها . (٧) هذه الكلمة سقطت من احدى النسخ .
 (٤) » » : السرطان الزجاج . (٨) في بعض النسخ : وما في الشرق والغرب واليهدي واليمن

الجزء الاول : ذكر الاسكندرية ، وأخبارها ————— ٤١١

من عجائب العالم وحيوانه وبره وبحره ، فأغنى ذلك عن إعادة ذكره .
ولم تتعرض فيما سلف من هذا الكتاب لذكر بيوت النيران والهباء كل
المعظمة والبيوت المشرفة وغير ذلك مما يليق بمعناها^(١) . بل نذكرها
في الموضع المستحق لها^(٢) من هذا الكتاب ، إن شاء الله تعالى .



(١) في احدى النسخ : مما يلحق بمعناها .

(٢) في احدى النسخ : المستحق بها .

ذكر السودان

وأنسابهم ، واختلاف أجناسهم ، وأنواعهم

وتباينهم في ديارهم ، واخبار ملوكهم

ولد كوش : قال المسعودي : ولما تفرق ولد نوح في الارض سار ولد كوش بن كنعان نحو المغرب حتى قطعوا نيل مصر ، ثم افترقوا فسارت منهم طائفة ميمنة^(١) بين المشرق والمغرب وهم النوبة والبجة والزنج ، وسار فريق منهم نحو المغرب وهم أنواع كثيرة نحو الزغاوة والكانم ومركه وكوكو وغانة وغير ذلك من أنواع السودان^(٢) والدمادم ، ثم افترق الذين مضوا بين المشرق والمغرب ، فصارت الزنج من المكير والمشكر^(٣) وبربرا وغيرهم من انواع الزنج ، وقدمنا فيما سلف عند ذكرنا للبحر الحبشي ، الخليج البربري وما عليه من أنواع السودان واتصالهم في ديارهم الى بلاد الدهلك والزيلع وناصع ، وهؤلاء القوم أصحاب جلود النمر الحمراء^(٤) وهي لباسهم ، ومن أرضهم تحمل الى بلاد الاسلام ، وهي أكبر ما يكون من جلود النمورة وأحسنها للسروج ، وبحر الزنج والأحابش هو عن يمين بحر الهند ، وإن كانت مياهها متصلة ، ومن أرضهم يحمل الذبل^(٥) من ظهور السلاحف ، وهو الذي تتخذ منه الامشاط كالقرون ، وأكثر ما تكون الدابة المعروفة بالزرافة في أرضهم ، وإن كانت عامة الوجود في أرض النوبة دون سائر بلاد الأحابش .

(١) في بعض النسخ : متيمين .

(٢) » » : نحو الزغاوة والفافو ومرتك وكوكو والحى وغانة وغير ذلك من أنواع الأحابش والدمادم .

(٤) في بعض النسخ : النمر والحير .

(٣) في بعض النسخ : من المكين والمسكون وبربر . (٥) » » : الذجل .

الزرافة : وقد تنوزع في نتاج هذا النوع من الدواب المعروفة بالزرافة ؛ فمنهم من رأى ان بدء نتاجها من الابل ، ومنهم من رأى ان ذلك كان يجمع بين الابل والنمورة^(١) وأن الزرافة ظهرت من ذلك ، ومنهم من زعم أنه نوع من الحيوان قائم بذاته كقيام الخيل والحمير والبقر ، وأن ايس سبيلها كسبيل البغال المولدة من النتاج بين الخيل والحمير ، وتدعى الزرافة بالفارسية اشتركاو^(٢) ، وقد كانت تهدي الى ملوكهم من أرض النوبة كما تحمل الى ملوك العرب ومن مضى من خلفاء بني العباس وولاية مصر ، وهي دابة طويلة اليدن والرقبة ، قصيرة الرجلين ، لا ركبتين لرجليها وإنما الركبتان ليديها ، وقد ذكر الجاحظ في كتاب الحيوان عند ذكر الزرافة كلاماً كثيراً في نتاجها ، وأن في أعالي بلاد النوبة يجتمع سباع ووحوش ودواب كثيرة في حمارة القيظ^(٣) الى شرائع المياه ، فتتسافد هنالك ، فيلقح منها ما يلقح ويمتنع منها ما يمتنع ، فيجيء من ذلك خلق كثير مختلفون في الصور والأشكال ، منها الزرافة ذات الأظلاف ، وهي دابة منحنية الى خلفها ، منصوبة الظهر الى مؤخرها ، وذلك لقصر رجليها ، وللناس في الزرافة كلام كثير على حسب ما قدمنا في بدء نتاجها ، وأن النمور ببلاد النوبة عظيمة الخلق ، وأن الابل صغيرة الخلق قصيرة القوائم ، وأن ذلك كاتساع أرحام القلاص العربية ، لفوالج كرمان^(٤) وغيرها من ابل خراسان ، فيظهر بينها ويتولد عنها الجمال البُختُ والجمازات^(٥) ، ولا ينتج بين بختي وبختية ، وإنما يصح هذا النوع من الابل بين فوالج الابل^(٦) ، وهي ذات السنامين ، وبين

(١) في بعض النسخ : كان يجمع بين الابل والزرافة ، وأن النمور .

(٢) » » : اشتركا . (٥) في احدى النسخ : الجمارات .

(٣) » » : حمارة القيظ . (٦) » » : بين نوائح الابل .

(٤) » » : لحوائح الزمان .

قِلاص الإبل ، وهي النوق العربية ، وكنّاج البُخْت بين البجاوية والمهرية ، وللزرافة أخبار كثيرة قد ذكر ذلك صاحب المنطق في كتابه الكبير في الحيوانات ومنافع أعضائها وغير ذلك من سائر أعضاء الحيوان ، وقد أتينا على جميع ما يحتاج إليه من ذلك في كتابنا المترجم بـ « القضايا والتجارب » .

والزرافة عجيبة الفعل في إلفها ، وتودّدها إلى أهلها ، وهي كالقيلة: منها وحشية ، ومنها مستأنسة أهلية ، مع من قدمنا ذكره من الزوج والأجناس من الأحابش الذين صاروا عن يمين النيل ، ولحقوا بأسافل البحر الحبشي ، وقطعت الزنج دون سائر الأحابش الخليج المنفصل من أعلى النيل الذي يصبُّ إلى بحر الزنج ، فسكنت الزنج في ذلك الصقع ، واتصلت مساكنهم إلى بلاد سفالة ، وهي أقاصي بلاد الزنج ، وإليها تقصد مراكب العمانيين والسيرافيين ، وهي غاية مقاصدنا في أسافل بحر الزنج كما أن أقاصي بحر الصين متصل ببلاد السيلي ، وقد تقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب ، وكذلك أقاصي بحر الزنج هو بلاد سفالة^(١) ، وأقاصيه بلاد الواق واق ، وهي أرض كثيرة الذهب ، كثيرة العجائب ، خصبة^(٢) حارة .

وقليمي ملك الزنج ؛ واتخذها الزنج دار مملكة ، وملكوا عليهم ملكاً سواه وقليمي^(٣) ، وهي سمة لسائر ملوكهم في سائر الأعصار على ما قدمنا آنفاً ، ويركب وقليمي - وهو يملك ملوك سائر الزنج - في ثلاثمائة ألف فارس ، ودوابهم البقر ، وليس في أرضهم خيل ولا بغال ولا إبل ، ولا يعرفونها ، وكذلك لا يعرفون الثلج والبرد ،

(١) في بعض النسخ : وكذلك أقاصي بحر الزنج وبلاد سفالة وأقاصي بلاد واق واق .

(٢) : حصينة حارة . (٣) في بعض النسخ : لوقليمين .

ولا غيرهم من الأحباش ، ومنهم أجناس محددة الأسنان يأكل بعضهم بعضاً .

ومساكن الزنج من حد الخليج المتشعب من أعلى النيل إلى بلاد سفالة والواق واق ، ومقدار مسافة مساكنهم واتصال مقاطنهم في الطول والعرض نحو سبعمائة فرسخ أودية وجبال ورمال .

صيد الفيلة : والفيلة في بلاد الزنج في نهاية الكثرة ، وحشية كلها غير مستأنسة ، وللزنج لا تستعمل منها شيئاً في حروب ولا غيرها ، بل تقتلها ، وذلك أنهم يطرحون لها نوعاً من ورق الشجر ولحائه واغصانه يكون بأرضهم في الماء ، ويختفي رجال الزنج ، فتزد الفيلة لشربها ، فاذا وردت وشربت من ذلك الماء حرقها وأسكرها ، فتقع ، ولا مفاصل لقوائمها ولا ركب على حسب ما قدمنا ، فيخرجون اليها بأعظم ما يكون من الحراب فيقتلونها لأخذ أنيابها ؛ فمن أرضهم تجهز أنياب الفيلة ، في كل ناب منها خمسون ومائة من ، بل أكثر من ذلك [والاثنتان منها ثلاثمائة من ، وأكثر من ذلك]^(١) فيجهز الأكثر منها من بلاد عمان إلى أرض الصين والهند ، وذلك أنها تحمل من بلاد الزنج إلى عمان ، ومن عمان إلى حيث ذكرنا ، ولولا ذلك لكان العاج بأرض الإسلام كثيراً ، وأهل الصين يتخذ ملوكها وقوادها واراكتها الأعمدة من العاج ، ولا يدخل قوادها ولا أحد من خواصها على ملوكها بشيء من الحديد ، بل بتلك الأعمدة المتخذة من العاج ، ورغبتهم فيما استقام من أنياب الفيلة ولم يتقوس ؛ لاتخاذ الأعمدة منها على ما ذكرنا ، ويستعمل العاج في دخن بيوت أصنامها وأبجزة هياكلها ، كاستعمال النصارى في الكنائس الدخنة

(١) هذه الزيادة لا توجد في إحدى النسخ .

المعروفة بدخنة مريم وغيرها من الأبخرة ، وأهل الصين لا يتخذون الفيلة في أرضهم ، ويتطيرون من اقتنائها [عندهم]^(١) والحرب عليها ؛ لخير كان لهم في قديم الزمان في بعض حروبهم .

لعب الشطرنج ومقامرة الهند به . والهند كثيرة الاستعمال لما يجهز اليهم من العاج في نصب الخناجر ، وهي الحراري^(٢) ، واحدها حرّي ، وفي قوائم سيوفها ، وهي القراطيل ، واحدها قرطل ، وهي سيوف معوجة ، والاعلب في استعمال الهند العاج اتخذها منه الشطرنج والنرد ، والشطرنج ذو صور واشكال على صور الحيوان من الناطقين وغيرهم ، كل قطعة من الشطرنج كالشبر في عرض ذلك بل أكثر ، فاذا لعبوا بها فانما يقوم الواحد منهم قائماً فينقلها في بيوتها ، والاعلب عليهم القمار في لعبهم بالشطرنج والنرد على الثياب والجواهر ، وربما أنفذ الواحد منهم ما معه فيلعب في قطع عضو من أعضاء جسمه ، وهو أن يجعلوا بحضرتهم قدرأ من النحاس صغيرة على نار فحم فيها دهن لحم أحمر فيغلي ذلك الدهن المدمل للجراح والماسك لسيلان الدم ، فاذا لعب في اصبع من اصابعه وقميراً قطعها بذلك الخنجر ، وهو مثل النار ، ثم غمس يده في ذلك الدهن ، فكواها ، ثم عاد إلى لعبه ، فاذا توجه عليه اللعب أبان اصبعاً ثانية ، وربما توجه عليه اللعب في قطع الأصابع والكف ثم الذراع والزند وسائر الأطراف وكل ذلك يستعمل فيه الكي بذلك الدهن ، وهو دهن عجيب يعمل من أخلاط وعقاقير بأرض الهند عجيب المعنى ، لما ذكرنا ، وما ذكرناه عنهم فستفيض من فعلهم .

(١) هذه الكلمة لا توجد في احدى النسخ . (٢) في احدى النسخ: الحراري واحدها حروري .

الفيل : والهند تتخذ الفيلة [في بلادها]^(١) وتتذبح في أرضها ، ليس فيها وحشية ، وإنما هي حربية ومستعملة كاستعمال البقر والإبل ، وأكثرها يأوي إلى المروج [والضياح]^(٢) والفياض كالجواميس في أرض الإسلام ، والفيلة تهرب من المكان الذي يكون فيه الكركدن على حسب ما قدمنا ، فلا تدعى في موضع تسم فيه رائحة الكركدن ، ويعمر الفيل بأرض الزنج^(٣) نحواً من أربعمئة سنة ، كذلك يذكر الزنج ؛ لأنها تعرف في ديارها ومفاوزها ، والفيل العظيم بما لا يتأتى لهم قتله ، ومنها الأسود والأبيض والأبلق والأغبر ، وفي أرض الهند منها ما يعمر المائة سنة والمائتين ، ويضع حمله في كل سبع سنين .

الزبرق : ولها بأرض الهند آفة عظيمة من نوع من الحيوان يعرف بالزبرق^(٤) وهي دابة أصغر من الفهد أحمر ذو زغَب وعينين براقتين [عجيبة]^(١) سريع الوثبة ، يبلغ في وثبته الثلاثين والأربعين والخمسين ذراعاً وأكثر من ذلك ، فإذا أشرف على الفيل رشش عليه بوله بذنبه فيحرقها . وربما لحق الإنسان فأتى عليه ، وفي الهند من إذا أشرفت عليه هذه الدابة تعلق بأكبر ما يكون من شجر الساج ، وهي أكبر من النخل وأكبر من شجر الجوز ، تكن الشجرة منها الخلق الكثير من الناس وغيرهم من الحيوان على حسب ما يحمل إلى البصرة والعراق ودصر من خشب الساج في طوله ، فإذا تعلق الإنسان بأعلى تلك الشجرة وعجز هذا الحيوان عن إدراكه لصق بالأرض^(٤) ووثب إلى أعلى الشجرة ، فإن لم يلحق الإنسان في

(١) هذه الكلمة سقطت من إحدى النسخ . (٢) في بعض النسخ : بالزبرقان .
(٣) في بعض النسخ : بأرض الهند . (٤) » » : لطفه بالأرض .

وكتبتة رثش من بوله إلى أعلى الشجرة ، وإلا وضع رأسه في الأرض وصاح صياحاً عجيباً ، فيخرج من فيه قطع دم ويموت من ساعته ، وأي موضع من الشجر سقط عليه بوله أحرقه ، وإن أصاب الإنسان شيء من بوله أتلفه ، وكذلك سائر الحيوان .

وملوك الهند تتخذ في خزائنها مرارة هذه الدابة ، ومذاكيره ، ومواضع من أعضائه ، وهو السم القاتل من ساعته ، ومنه ما يسقى به السلاح فيتلف من فوره ، ومذاكير هذه الدابة كمذاكير كلب الماء الذي يخرج منه الجندبادستر ، وهذا الكلب أمره مشهور عند الصيادلة^(١) وغيرهم ، وهو اسم فارسي معرب ، وإنما هو كند وتفسير ذلك الحصية ، فمرب فقيل جندبادستر .

والدابة المتقدم ذكرها المعروفة بالزبرق لا تأتي إلى موضع يكون فيه النوشان - وهو الكركدن - وتهرب منه كما يهرب منه الفيل أيضاً ، والفيل يهرب من السنانير - وهي القطاط - ولا يقف لها البتة إذا أبصرها ، وقد ذكر عن ملوك الفرس أنها كانت توقي الفيلة المقاتلة بالرجالة حولها ومراعاة حيل الأعداء عند الحرب بتخلية السنانير عليها ، وكذلك أفعال ملوك السند والهند إلى هذه الغاية ، وقد ذكر أن الخنازير ربما تهرب منها الفيلة .

وقد كان رجل بالمولتان من أرض السند يدعى هارون بن موسى مولى الأزدي ، وكان شاعراً شجاعاً ذا رياسة في قومه ومنعة بأرض السند مما يلي أرض المولتان ، وكان في حصن له ، فالتقى مع بعض ملوك الهند وقد قدمت الهند أمامها الفيلة ، فبرز هارون بن

(١) في بعض النسخ : عند الصيادين وغيرهم .

موسى أمام الصف ، وقصد لعظيم من الفيلة وقد خبا تحت ثوبه
سنوراً ، فلما دنا في حملته من القيل خلى القط عليه ، فولتى
القيل منهزماً لما بصر بذلك الهر ، وكان ذلك سبب هزيمة الجيش ،
وقتل الملك ، وغلبة المسلمين عليهم ، ولهارون بن موسى قصيدة
يصف فيها ما ذكرناه ، وهي :

أليس عجيباً بأن تلقه	له فطن الأسد في جرم فيل ^(١)
وأطرف من نسه زوله	بحلم يحل عن الخنثيل
أليس عجيباً بأن تلقه	غليظ الدراك لطيف الحويل
وأرقص مختلف خلقه	طويل النيوب قصير النصيل
ويخضع لليث ليث العرين	فإن ناشب الهر من رأس ميل
ويلقى العدو بناب عظيم	وجوف رحيب وصوت ضئيل
وأشبه شيء إذا قسته	بختزير بر وجاموس غيل
ينازعه كل ذي أربع	فما في الأنام له من عديل
ويعصف بالبر بعد النمر	كما تعصف الريح بالمندبيل
وشخص ترى يده أنفه	فإن وصلوه فسيف صقيل
وأقبل كالطود هادي الخميس	بصوت شديد أمام الرعيل
فمر بسيل كسيل الأتي	بخطو خفيق وجرم ثقيل
فإن سمته زاد في هوله	بشاعة أذنين في رأس غول
وقد كنت أعددت هراً له	قليل . التهب للزندبيل
فلما أحس به في المعجاج	أنا الإله بفتح جليل
وطار وراغم فياله	بقلب نخيب وجسم ثقيل
فسبحان خالقه وحده	إله الأنام ورب الفيول

(١) في بعض النسخ : فطن الانس .

العندبيل : طائر صغير يكون بأرض السند والهند ، تذكره
الشمرلا في أشعارها تمثلاً به لصفه ، والزندبيل : هو العظيم من
القبيلة والمقدم فيها ، وقد قيل : إن الزندبيل هو اسم لما اشتد في
الحرب من إناث القبيلة ، وقد ذكر بعض الشعراء في هذا المعنى
الزندبيل عند ذكره للقبيل فقال :

ذاك الذي مشفره طويل وهو من الأفيال زندبيل

وقال آخر :

وفيلته كالطود زندبيل^(١)

وقد ذكر عمرو بن بحر الجاحظ في كتاب الحيوان هذه القصيدة
وفسر بعض أبياتها ، وذكر في معنى الخنشيل وتفسيره قول الأنصاري
في صفة النحل .

[تبيض العشاء بأذناها وفي مدرة الأرض عنها فضول]^(٢)
ويشبعها المص مص الثرى إذا عاجت الشاة والخنشيل^(٣)

قال : وهذا غير قوله :

قد علمت جارية عطبول أني بنصل الصيف خنشيل

والقبيلة لا تنتج ولا تتوالد إلا بأرض الزنج ، والهند ، ولا تعظم
أنيابها بأرض السند والهند على حسب ما تعظم بأرض الزنج ، والزنج
تتخذ من جلود القبيلة الدرق وكذلك الهند ، ولا يلحق ذلك في
المنعة شيء من الدرق الصيني والتبتي ، واللمطي والبجاوي ، ولا ما
نقع في اللبن وغير ذلك من أنواع الدرق .

(١) في بعض النسخ: وفيله ذو الطول زندبيل (٣) في بعض النسخ: إذا جاءت الشاة للخنشيل.

(٢) سقط هذا البيت من إحدى النسخ .

وخرطومه أنفه ، وبه يوصل الطعام والشراب إلى جوفه ، وهو شيء بين الغضروف واللحم والعصب ، وبه يقاتل ويضرب ، ومنه يصيح ، وليس صوت الفيل على مقدار عظم جسمه وكبر خلقه .

عناية المنصور بالفيلة ، وقد كان المنصور عني يجمع الفيلة لتعظيم الملوك السالفة إياها واقتنائها لها ، وإعدادها للحروب والزينة في الأعياد وغيرها ؛ فإنها أوطأ مراكب الملوك وأمهدها ، وأخبرني بعض الكتاب ممن يرجع إلى أدب وعقل ومعرفة بأيام الناس بمدينة السلام ، أنه اشترى بغلة في غاية الفراهة والحسن^(١) ، فكان يركبها في مهماته وتصرفاته ، وكانت إذا رأت الجمال البُختَ أو العراب من العمالة أو غيرها في الطريق نفرت وشبّت ، وكان يلقي منها جهداً جهيداً فيصبر على ذلك المكروه ؛ لما هي عليه من الفراهة والحسن^(٢) ، وأنه لا يحملة غيرها لعظم جسمه وكبر بطنه وسمنه ، قال : فلما كان في بعض الأيام اجتزت بباب الطاق - وذلك في أيام المقتدر ، وقد أخرج الفيلة للرياضة والتمهيد وليحمل عليها الليث ابن علي الصفار وأصحابه ، وقد كان مؤنس المظفر الخادم أسره ببلاد فارس حين خرج على السلطان - قال : فأشرفت على قطار من الجمال البخت منهزمة خائفة من الفيل ، تجمر في مشيتها ، لا سبيل ان عليها أن يجبسها^(٣) لما قد لحقها من الجزع ، فلما رأت البغلة ذلك شبّت وولت على عقبها ، ورمت بي الأرض فوقعت كجلد ثور منفوخ ، ودخلت الجمال إلى درب لا ينفذ ، وقد كانت البغلة حين رمت بي ونفرت من الجمال دخلت ذلك الدرب ، وجاءت

(١) في بعض النسخ : في نهاية من الحسن والفراهية .

(٢) » » : من الفراهية والنضارة .

(٣) » » : لا سبيل لمن عليها الى ردها .

الفيء على أمر ذلك ، فلما نظرت البغلة إلى الفيء وعظم خلقها لحقت بالجمال ودخلت بينها كأنها لم تزل معها وتزلزلت كتزلزل الجمال ، إذ رأيت جماعة من الناس ، فرفعوني^(١) ، ودخل الغلام فأخرج البغلة ، وما استطاع إخراجها حتى مضت الفيء ، وأخرجت في وسط بعض الجمال ، فوالله ما تترت بعد ذلك من جمل ، ولقد ألفت الجمال حتى كأنها بعضها ؛ لاستنصارها صورة الجمل عندما شاهدت من عظم صورة الفيل .

وكل حيوان ذي لسان فأصل لسانه إلى داخل ، وطرفه إلى خارج ، إلا الفيل ؛ فإن طرف لسانه إلى داخل وأصله إلى خارج ، والهند تزعم أنه لولا أن لسانه مقلوب ثم لقن الكلام لتكلم ، والهند تشرف الفيل وتفضله على سائر الحيوان ، لما اجتمع فيه من الخصال المحمودة : من علو سمكه ، وعظم صورته ، وبديع منظره ، وانصال صهوته^(٢) ، وطول خرطوميه ، وسعة أذنه ، وكبير غرموله ، مع خفة وطئه ، وطول عمره ، وثقل جسمه ، وقلة اكترائه بما وضع على ظهره ، وأنه - مع كبر هذا الجسم وعظم هذه الصورة - يمر بالإنسان فلا يحس بوطنه ، ولا يشعر به حتى ينشأه لحسن خطوته واستقامة مشيه .

وقد وصف عمرو بن بحر الجاحظ الفيل في كتاب الحيوان فاغرق في وصفه ، وأكثر في مدحه ، وعدد معاني^(٣) كثيرة في صفة الفيل وهيئته ، وما هو عليه من عجيب التركيب وغريب التأليف ،

(١) في بعض النسخ : فرفعوني .

(٢) في بعض النسخ : ووعد ايراد معان .

(٣) » » : وتضال صوته .

والمعاني الصحيحة ، والإحساسات اللطيفة ، وفي قبولها التأديب
وصحة تمييزها وسرعتها إلى التلقين والتقويم ، وما في ابدانها من
الأعضاء الكريمة ، والأجزاء الشريفة ، وكم مقدار منافعتها ،
ومبلغ مضارها ، وبتلك الفضيلة من الإحساس فاقت تلك الأجناس ،
وما فيها من الآيات والبرهانات والعلامات النيرات التي جلاها الله
لميون خلقه ، وفرق بينها وبين عقول عباده . ، وقيدها عليهم ،
وحفظها لهم ، لتكثر لهم ، وتزيد بهم ^(١) إلى وضوح الحجة ،
وتسخرم إتمام النعمة ، وما ذكر الله في الكتاب الناطق والخبر
الصادق ، وفي الآثار المعروفة ، والأمثال المضروبة ، والتجارب
الصحيحة ، وما قالت الشعراء فيه ، ونطقت به الفصحاء ، وميزته
العلماء ، وعجبت منه الحكماء ، وحالها عند الملوك ، وموضع نفعها
عند الحروب ، وتباينها في العلوم ، وجلالتها في الصدور ، وفي
طول أعمارها ، وقوة أبدانها ، وفي اعتزامها ^(٢) وتصميمها وأحقادها
وشدة اكترائها ، وطلبها بطوائفها ، وارتفاعها عن ملك السقطات
واقتناء السفلة والأراذل وعن ارتخائها في الثمن ، وارتباطها على
الحسف ، وابتذالها ، واذلالها ، وعن امتناع طبائعها ، وتمنع غرائزها
ان تصلح أبدانها وتثبت أنبيائها وتعظم جوارحها وتتسافد وتتلاقح إلا
في معادنها وبلادها ومغارس أعراقها ، مع التماس الملوك ذلك منها ،
وطمع القوم عليها بالتقرب بذلك منها ، حتى أعجزت الحيل ، وخرجت
عن حد الطمع ، وعن الاخبار عن حملها ووضعها ومواضع أعضائها ،
والذي خالفت فيه الأشكال الأربعة التي تحيط بالجميع مما يستناخ ^(٣)
أو يقوم أو يمشي أو يطير ، وجميع ما ينتقل عن أولية خلقه ،

(١) في بعض النسخ : وحفظها لهم ليزيدم في وضوح الحجة .

(٢) « » : وفي اعتراضها وتصميمها . (٣) في بعض النسخ : مما يسبح .

وما يبقى على الطبع الأول من صورته ، و عما يتنازعه من شبه الحيوان ، وما يخالف فيه جميع الحيوان ، وعن القول في شدة قلبه وأمره وفي حديثه^(١) على ما هو أعظم بدناً وأشد قلباً^(٢) وأحد ظفراً وأذرب لساناً^(٣) وهربه مما هو أصغر جسماً ، وأكله حداً ، وأضعف أسراً ، وأخمل ذكراً ، وعن الأخبار عن إخصاله المذمومة ، وأموره الحمودة ، وعن القول في لونه وجلده وشعره ولحمه وشحمه وعظمه وبوله ونجثوه ، وعن لسانه وفمه ، مع غير ذلك من المواعيد الكثيرة التي تضمن إيرادها ، فلما انتهى إلى موضع نظمها وإيراد وصفها وما أسلفه من القول في هذه المعاني التي قدمها أورد جوامع متفرقة ، ولما غير متسقة في الفيلة وغيرها ، وأعرض عن إيراد خواص أعضائها ، وأكثر منافعها ، وعجيب خصائصها ، وما ذكر من أسرار الطبيعة فيها ، وما قالته فلاسفة الهند في بدنها ، وما أئرت عن تقدم من حكمائها في بدء أوليتها وعلتها تكونها في أرض الزنج والسند ، دون سائر البقاع من الأرض ، والسبب المانع لتكونها في غيرها ، والتضاد الذي بينها وبين الكركدن مع عظم خلقها ، وفرارها من السنور ، مع صغر حجم جسمه ولطافة منظره ، وعن كثرة الطرب الذي يوجد في الفيل دون غيره من الحيوان ، وقبولها الرياضة والدربة^(٤) والمعرفة عند المحاورة ، والدهاء ، والخبث ، والتمييز .

وقد ذكر صاحب المنطق في كتاب الحيوان جملاً كثيرة من خصال الفيل ومنافع أعضائه ، وسلك طريقة لم يسلكها من تقدم من حكماء الهند في الفيل ، وما ذهب إليه حكماء الهند من أن العالم بما في من الأجسام على جهات ثلاث : متفق ، ومختلف ، ومضاد ، وإن

(١) في بعض نسخ : وفي جرائه .

(٢) في بعض النسخ : وأذرب أنياباً .

(٣) في بعض النسخ : وأشد كلاً .

(٤) في بعض النسخ : الدراية .

ذلك في الجملة هو جماد وثام ، واخراجهم عن العالم الافلاك والنجوم والبروج وغير ذلك من الأجسام السماوية ، وانها ليست يجهاد ولا تام ، وانها أحياء ناطقة^(١) .

البقر والجواميس : قال المسعودي : فانرجع الآن الى ما كنا فيه آنفاً في صدر هذا الباب ، من ذكر الزنج وبلادهم وغيرهم من أنواع الأحابش ؛ فالزنج - مع كثرة اصطيادها لما ذكرنا من الفيلة وجمعها لعاجها - غير منتفعة بشيء من ذلك في آلاتها ، وانما تتحلى الزنج بالحديد بدلا عن الذهب والفضة ، وما ذكرنا من دوابهم أنها بقر ، وأنهم عليها يتقاتلون بدلا من الابل والخيول ، وهي بقر تجري كالخيل بسروج ولجم ، ورأيت بالري نوعاً من هذا البقر يبرك كما يبرك الجمل^(٢) ويشور بحمله كما تشور الابل اذ استقلت بأحمالها ، وهذا النوع من البقر يحمل عليه الميتة من الحيوان كالخيل والابل والحمر والبغال ، وملا^(٣) كما نوع من الجحوس مزدقية^(٤) ، ولهم خارج الري قرية لا يسكن معهم فيها غيرهم ، فاذا مات بالري أو قزوين شيء مما ذكرنا من البهائم ورد الواحد منهم مع ثوره فأناخه وحمل عليه تلك الجيفة وسار بها الى قرينته ، فأكلهم منها ، وبنيانهم من عظامها ؛ ويجففون من لحمها ما يدخرونه لشتائهم ، فأكثر أكلهم وأكل بقية هم من تلك اللحمان رطباً ويابساً ، وهذا النوع من البقر الغالب عليه حمرة الحدق ، وسائر البقر تنفر وتهرب من هذا البقر ، ورأيت بأصبهان وقم^(٥) منها ما في أنوفها حلق الحديد والصنفر ، قد خزمت فيها الحبال ، وخطمت بها كما يفعل بالجمال البخت ، وكذلك بالري رأيت ثوراً منها

(١) في بعض النسخ : وأنها أحياناً ناطقة . (٢) في بعض النسخ : نوع من الجحوس من دفته .

(٣) » » : يبول كما يبول الخيل .

قد عدا نحو ثور من غير هذا النوع ، فلما رآه قد قصده قام فزعا من هذا الجنس .

وليس في سائر انواع البقر ما يأوي المياه والجزائر والبحيرات إلا البقر المعروف الحبشية التي تكون ببلاد مصر واعمالها ، وبثيرة تنيس ودمياط وما اتصل بتلك الديار ، وأما الجواميس فإنها بالثغر الشامي تجر^(١) أكبر ما يكون من العجل ، في أنوفها حلق الحديد والصفير على ما ذكرنا من البقر ، وكذلك منها ببلاد أنطاكية ، وأكثر ذلك ببلاد السند والهند وطبرستان ، وقرون تلك البقر أكبر من قرون هذه الجواميس التي بأرض الاسلام ، وطول القرن منها نحو الذراع والذراعين وكذلك الجواميس كثيرة بأرض العراق مما يلي طفوف الكوفة^(٢) والبصرة والبطائح وما اتصل بهذه الديار ، والناس يذكرون عنقاء مغرب ويصورون العنقاء في الحمامات وغيرها ، ولم أجد احداً في هذه الممالك ممن شاهده أو سمى الي خبره ذكر أنه رآها ، ولست أدري كيف ذلك ، ولعله اسم لا مسمى له ! .

تفسير لقب ملك الزنج : ولنرجع الآن الى أخبار الزنج واخبار ملوكها : فأما تفسير اسم ملك الزنج - الذي هو وقلبي - فمعنى ذلك ابن الرب الكبير ؛ لأنه اختاره لملكهم والعدل فيهم^(٣) ، فمتى جار الملك عليهم في حكمه وتحاد عن الحق قتلوه وحرموا عقبه الملك ، ويزعمون أنه اذا فعل ذلك فقد بطل ان يكون ابن الرب الذي هو ملك السموات والارض ، ويسمون الخالق عز وجل ملكنجار^(٤) ، وتفسيره الرب الكبير ، والزنج أولو فصاحة في ألسنتهم ،

(١) في بعض النسخ : في بحر أكبر ما يكون من العجل . (٤) في بعض النسخ : ملكنجار .

(٢) » » : صفوف الكوفة .

(٣) » » : والعدل بينهم .

وفيهم خطباء بلغتهم ، يقف الرجل الزاهد منهم فيخطب على الخلق الكثير منهم ، ويرغبهم في القرب من بارئهم ، ويبعثهم على طاعته ، ويرهبهم من عقابه وصولته ، ويذكرهم من مضى من ملوكهم واسلافهم ، وليس لهم شريعة يرجعون اليها ، بل رسوم لملوكهم ، وانواع من السياسات يسوسون بها رعيتهم ، وأكلهم الموز ، وهو ببلادهم كثير ، وكذلك بأرض الهند ، والغالب على أقوات الزنج الذرة ، ونبت يقال له الكلاري يقلع من الارض : كالكمأة والراسن ، ومنه كثير ببلاد عدن وما اتصل بها من أرض اليمن ، ويشبه هذا الكلاري القلقاس الذي يكون بالشام ومصر ، ومن غذائهم أيضاً العسل واللحم ، ومن هويّ منهم شيئاً من نبات أو حيوان أو جماد يحده^(١) ، وجزائرهم في البحر لا تحصى كثرة ، وفيها النارجيل يعم أكله سائر الزنج ، ومن بعض تلك الجزائر جزيرة بينها وبين ساحل الزنج نحو من يوم أو يومين ، فيها خلأق من المسلمين يتوارثها ملوك من المسلمين ، يقال لها قنبلو^(٢) ، على حسب ما ذكرنا من أمرها في هذا الكتاب .

مساكن النوبة : وأما النوبة فافتقت فرقتين : فرقة في شرق النيل وغربيه ، وأناخت على شطبه ، فاتصلت ديارها بديار القبط من أرض مصر والصعيد من بلاد أسوان وغيرها ، واتسعت مساكن النوبة على شاطئ النيل مصعدة ، ولحقوا بقريب من أعاليه ، وبنوا دار مملكة ، وهي مدينة عظيمة تدعى دنقلة ، والفريق الآخر من النوبة يقال لهم علوة ، وبنوا مدينة عظيمة وسموها سرية .

قال المسعوري : وانتهيت في تصنيفي الى هذا الموضع من كتابنا هذا في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وثلثائة ، وكنت

(١) في بعض النسخ : عبده . (٢) في بعض النسخ : يقال لهم قنبلو ، ويتوارثها المسلمون .

بفسطاط مصر فأخبرت أن الملك في مدينة دنقلة للنوبة و كابل^(١) ،
ابن سرور ، وهو ملك ابن ملك ابن ملك فصاعدا ، وملكه يحتوي
على ماقرة وعلوة ، والبلد المتصل بمملكته بأرض أسوان يعرف
بمريس ، وإليه تضاف الريح^(٢) المريسية ، وعمل هذا الملك متصل
بأعمال مصر من أرض الصعيد ومدينة أسوان .

البجة : وأما البجة فإنها نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر ،
وتشعبوا فرقا ، وملكوا عليهم ملكا وفي أرضهم معادن الذهب ،
وهو التبر ، ومعادن الزمرد ، وتصل سراياهم ومناسرم على
النجيب إلى بلاد النوبة ، فيغيرون ويسبون ، وقد كانت النوبة
قبل ذلك أشد من البجة ، إلى أن قوي الاسلام وظهر وسكن
جماعة من المسلمين معدن الذهب وبلاد العلاقي وعيذاب ، وسكن في
تلك الديار خلق من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ،
فاشتدت شوكتهم ، وتزوجوا في البجة ؛ فهويت البجة بن صاهرها
من ربيعة ، وقويت ربيعة بالبجة على من ناوأها وجاورها من
قعطان وغيرهم من مضر بن نزار ممن سكن تلك الديار ، وصاحب
المعدن في وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - أبو مروان
بشر بن إسحاق^(٣) وهو من ربيعة ، يركب في ثلاثة آلاف من
ربيعة وأحلافها من مضر واليمن وثلثين ألف حراب على النجب من
البجة بالحجف البجاوية ، وهم الحداربية^(٤) ، وهم المسلمون ممن بين
سائر البجة ، وباقي البجة كفار يعبدون صنما لهم .

الحبش : وأما الحبشة فاسم مملكتهم كعب^(٥) ، وهي مدينة

(١) وفي نسخة : كبرى بن سرور . وفي نسخة أخرى : ليرني بن سدر .

(٢) في بعض النسخ : الزنج المريسية . (٤) في بعض النسخ : وهم الحدارب .

(٣) » » بشر بن مروان بن إسحاق . (٥) » » كمي .

عظيمة ، وهي دار مملكة النجاشي ، وللحبشة مدن كثيرة وعمائر واسعة ، يتصل ملك النجاشي بالبحر الحبشي ، ولهم ساحل لهم فيه مدن كثيرة ، وهو مقابل لبلاد اليمن ؛ فمن مدن الحبشة على الساحل الزيلع والدهلك وناصع ، وهذه مدن فيها خلق من المسلمين إلا أنهم في ذمة الحبشة وبين ساحل الحبشة ومدينة غلافقة^(١) - وهي ساحل زبيد من أرض اليمن - ثلاثة أيام عرض البحر بين الساحلين ، ومن هذا الموضع عَبَّرتِ الحبشة البحر حين ملكت اليمن في أيام ذي نواس ، وهو صاحب الأخدود المذكور في القرآن ، وصاحب زبيد في وقتنا هذا ابراهيم بن زياد صاحب الحرمل ومراكبه. تختلف إلى ساحل الحبشة ، وتركب فيها التجار بالأمته ، وبينهم مهادنة وهذا الموضع من البحر بين هذين الشطين - أعني ساحل اليمن ، وساحل الحبشة - أقل المواضع فيه عرضاً ، وهناك جزائر بين هذين الساحلين : منها جزيرة العقل ، يقال : إن فيها ماء يعرف بماء العقل ، يستسقي^(٢) منه أرباب المراكب ، ويفعل في اسرائح والذكاء فعلا جميلا ، وقد ذكر بعض الفلاسفة المتقدمين ما يفعله هذا الماء وما له من الخواص ، وذكر علة ذلك ، وقد أتينا على الخبر في كتابنا « أخبار الزمان » عند ذكرنا لأخبار المتطبين في تجاربهم وما كان من قضاياهم في علاجاتهم من سلف قبل ظهور الاسلام وغيرهم ممن اتصل بالملوك والخلفاء بعد ظهور الشرع ، وقد غلب ابن زياد على هذه الجزيرة ، وله في هذا الوقت رجال مرتبون فيها من أصحابه .

جزيرة سقطرة : وفي هذا البحر مما يلي بلاد عدن جزيرة تعرف

(٢) في بعض النسخ : تسقى .

(١) في بعض النسخ : علافة .

بسقطرة ، اليها يضاف الصبر السقطري ، ولا يوجد إلا فيها ، ولا يحمل إلا منها ، وقد كان أرسطاطاليس بن نقوماخس^(١) كتب الى الإسكندر بن فيلبس حين سار إلى الهند^(٢) في أمر هذه الجزيرة بوصيه بها ، وأن يبعث إليها جماعة من اليونانيين يسكنهم فيها من أجل الصبر السقطري الذي يقع في الأبارجات وغيرها ، فصير الإسكندر الى هذه الجزيرة خلقاً من اليونانيين أكثرهم من مدينة أرسطاطاليس ابن نقوماخس ، وهي مدينة اسطاغر^(٣) ، في المراكب بأهلهم في بحر القلزم ؛ فغلبوا على من كان بها من ملوك الهند ، وملكوا الجزيرة ، وكان للهند بها صنم عظيم ، فنقل ذلك الصنم في أخبار بطول ذكرها ، وتناسل من بالجزيرة من اليونانيين فيها ، ومضى الإسكندر فظهر المسيح فتنصر من كان بها الى هذا الوقت ، وليس في الدنيا - والله أعلم - موضع فيه قوم من اليونانيين يحفظون أنسابهم لم يَدْخُلهم في أنسابهم رومي ولاء غيرهم غير أهل هذه الجزيرة ، وهم في هذا الوقت قاوي إليهم بَوَارِجُ الهند الذين يقطعون على المسلمين في هذه البوارج ، وهي المراكب ، على من أراد الصين والهند وغيرها كما يقطع الروم في الشواني على المسلمين في البحر الرومي من ساحل الشام ومصر ، ويحمل من جزيرة سقطرة الصبر السقطري وغيره من العقاقير ، ولهذا الجزيرة أخبار عجيبة ، ولما فيها من خواص النبات والعقاقير قد أتينا على كثير من ذكرها فيما سلف من كتبنا .

بقية أجناس السودان : وأما غير هؤلاء من الحبشة الذين قدمنا

(٣) في بعض النسخ : اسطاغر .

(١) في بعض النسخ : تمر ياحين .

(٢) » » : الى الشام .

ذكرهم من أمعن في المغرب - مثل الزغاوة والكوكو والقراقر ومديدة ومريس والمبرس والملانة والقوماطي ودوية والقرمة^(١) - فلكل واحد من هؤلاء وغيرهم من أنواع الأحابش ملك ، ودار مملكة ، وقد أتينا على ذكر جميع أجناس السودان وأنواعهم ومساكنهم ومواضعها من الفلك ، ولأية علة تفلغلت شعورهم واسودت ألوانهم ، وغير ذلك من أخبارهم وأخبار ملوكهم وعجائب سيرهم وتشعبهم في أنسابهم ؛ في كتابنا « أخبار الزمان » في الفن الأول من جملة الثلاثين فناً ، ثم في الكتاب الأوسط مما لم نذكره في كتابنا « أخبار الزمان » من أخبارهم . وذكرنا في هذا الكتاب ما لا يسع ترك إبراده فيه ولا تعريفه منه .

قال المسعودي : وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما افتتح عمرو بن العاص مصر كتب إليه بمحاربة النوبة ، فنزام المسلمون ، فوجدوم يرمون الحدق وأبى عمرو بن العاص أن يصلحهم ، حتى صرف عن مصر ، ووليها عبد الله بن سعد ، فصالحهم على رؤوس من السبي معلومة ، مما يسبي هذا الملك الجاور للمسلمين من غيرهم من ممالك النوبة المقدم ذكرها فيما سلف من صدر هذا الباب المدعو بملك مريس وغيرها من أرض النوبة ، فصار ما قبض منه من السبي سنةً جارية في كل سنة إلى هذه الغاية يحمل إلى صاحب مصر ويدعى هذا السبي [في العربية]^(٢) بأرض مصر والنوبة بالبقط ، وعدد ذلك ثلثمائة رأس وخمس وستون رأساً ، وإراه ريسم على عدد أيام السنة ، هذا لبيت مال المسلمين بشرط الهدنة بينهم وبين النوبة ،

(١) في بعض النسخ : مثل الزغاوة والكركر والقراقر ومرفدة والمرويين والهنديين واللالة والقرماطين وزوية والعرمد .

(٢) هذه الكلمة لا توجد في إحدى النسخ .

وللامير بمصر غير ما ذكرنا من عدد السبي أربعون رأساً ، وخليفته
المقيم ببلاد اسوان المجاورة لارض النوبة ، وهو المتولي لقبض هذا
البقط ، وهو السبي ، عشرون رأساً غير الاربعين ، وللحاكم المقيم
بأسوان الذي يحضر مع أمير اسوان قبض البقط خمسة رؤوس غير
العشرين التي يقبضها الامير ، ولأثنى عشر شاهداً عدولاً من اهل
أسوان يحضرون مع الحاكم حين قبض البقط اثنا عشر رأساً من
السبي ، حسب ما جرى به الرسم في صدر الاسلام في بدء إيقاع
الهدنة بين المسلمين والنوبة ، والموضع الذي يتسلم فيه هذا البقط
ويحضره من سميناه وغيرهم من النوبة من ثقات الملك يعرف بالقصر ،
وهو على ستة أميال من مدينة اسوان بالقرب من جزيرة بلاق ،
وبلاق هذه مدينة في الموضع المعروف بالجنادل من الجبال والأحجار ،
وهذه المدينة في هذه الجزيرة يحيط بها ماء النيل كإحاطة ماء الفرات
بالمدين التي في الجزائر [الكائنة]^(١) بين رحبة مالك بن طوق ،
وهيت^(٢) ، وهي ناوسة وعانة والحديثة ، وفي مدينة بلاق خلق كثير
من الناس^(٣) ومنبر ونخل كثير في كلا الشطين ، وهذه المدينة اليها
تقتهى سفن النوبة وسفن المسلمين من بلاد مصر وأسوان ، ومدينة
أسوان يسكنها كثير من العرب من قحطان ونزار بن معد من
ربيعة^(٤) ومضر وخلق من قريش ، وأكثرهم ناقلة من الحجاز وغيره ،
والبلد كثير النخل خصيب كثير الخير 'تودع' النواة الارض فتنبت نخلة ،
ويؤكل من ثمرها بعد سنتين ، وليست تربتهم كثرة البصرة ولا الكوفة
ولا غيرها من أرض النخل ؛ لأن النخل بالبصرة لا ينبت من النوى

١ هذه الكلمة لا توجد في احدى النسخ .

(٢) في بعض النسخ : بين رحبة ملك بن طوق وبين الرسة وناوسة وعانة والحديثة - الفخ .

(٣) « » : من المسلمين . (٤) في بعض النسخ : ونزار بن ربيعة ومضر .

بل ينبت من الثال والفسيل ، وهو النخل الصغير ، وما يخرج من النواة فليس يثمر ولا يفلح ^(١) ، ولمن بأسوان من المسلمين ضياع كثيرة داخله بأرض النوبة يؤدون خراجها إلى ملك النوبة ، وابتيعت هذه الضياع من النوبة في صدر الزمان في دولة بني أمية وبني العباس ، وقد كان ملك النوبة استعدى المأمون حين دخل مصر على هؤلاء القوم بوفد أوفدهم إلى القسطنطينية ، ذكروا عنه أن ناساً من أهل مملكته وعبيده باعوا ضياعاً من ضياعهم ممن جاورهم من أهل أسوان وأنها ضياعه والقوم عبيده ولا أملاك لهم ، وإنما تملكهم على هذه الضياع تملك العبيد العاملين فيها ، فرد المأمون أمرهم إلى الحاكم بمدينة أسوان ومن بها من أهل العلم والشيخ ، وعلم من ابتاع هذه الضياع من أهل أسوان أنها ستززع من أيديهم ، فاحتالوا على ملك النوبة بأن تقدموا إلى من ابتاع منهم من أهل النوبة أنهم إذا حضروا حضرة الحاكم أن لا يقرؤا لملكهم ^(٢) بالعبودية ، وأن يقولوا : سبيلنا معاشر المسلمين سبيلكم مع ملككم تجب علينا طاعته وترك مخالفته ؛ فإن كنتم انتم عبيداً للملك وأموالكم له فنحن كذلك ، فلما جمع الحاكم بينهم وبين صاحب الملك أتوا بهذا الكلام للحاكم أو نحوه مما وقفوا عليه من هذا المعنى ، فمضى البيع لعدم إقرارهم بالرق لملكهم إلى هذا الوقت ، وتوارث الناس تلك الضياع بأرض النوبة من بلاد مَرِيس ، وصار النوبة أهل مملكة هذا الملك نوعين : نوع ممن وصفنا أحرار غير عبيد ، والنوع الآخر من أهل مملكته عبيد ، وهم من سكن النوبة في غير هذه البلاد المجاورة لأسوان ، وهي بلاد مَرِيس .

الزمرد وأنواعه : ومعدن الزمرد في عمل الصعيد الأعلى من أعمال مدينة قفط ^(٣) ، ومنها يخرج إلى هذا المعدن ، والموضع الذي فيه

(١) في بعض النسخ : ولا يفلح . (٢) في بعض النسخ : من أعمال مدينة قبط .

(٣) » » : للوكهم .

الزمرد يعرف بالخربة مفاوز وجبال ، والبجة تحمي هذا المكان المعروف بالخربة ، وإليها يؤدي الحفارات من يرد الى حفر الزمرد ، والزمرد الذي يقتلع من هذا المكان يتنوع أربعة أنواع : النوع الأول منها يعرف بالمر ، وهو أجودها وأعلاها ثمناً ، وهو شديد الخضرة كثير الماء ، تشبه خضرته بأشد ما يكون من السلق خضرة ، وهذا اللون غير كدر ولا ضارب الى السواد ، والنوع الثاني يدعى بالبحري ، ومعناه في هذه التسمية هو أن ملوك البحر من الهند والهند والزننج^(١) والصين ترغب في هذا النوع من الزمرد ، وتباهي في استعماله ولباسه في تيجانها وأكاليها وخواتيمها وأسورتها ، فسمي البحري لما ذكرنا ، وهو ثاني المر في الجودة وتشبه خضرته بالأول والماء كفراخ^(٢) ورق الآس الذي يظهر في أوائل أغصان الآس وأطرافه ، والنوع الثالث يعرف بالمغربي ، ومعناه في هذه التسمية وإضافتهم إياه الى المغرب هو ان ملوك المغرب من الإفرنجية والنوكرد^(٣) والأندلس والجلالقة والوشكند^(٤) والصقالبة والروس ، وإن كان أكثر هؤلاء الأمم متصلين بالجددي^(٥) وهو ما بين المشرق والمغرب على حسب ما ذكرنا من ديار ولد يافت بن نوح يتنافسون في هذا النوع من الزمرد كتنافس من ذكرنا من ملوك الهند والصين في النوع المعروف بالبحري ، والنوع الرابع هو المسمى بالأصم ، وهو أدنى الأنواع وأقلها ثمناً ؛ لقلة مائه وخضرته ، وهذا النوع يتفاوت في اللون من الخضرة في القلة والكثرة ، وجملة الوصف لهذه الأنواع الأربعة في الجودة والمبالغة في الثمن هو أكثرها ماء وأصفاها وأكثرها خضرة وأنقاها من السواد

(٤) في بعض النسخ : والوسكنس .

(٥) » » : بالجرى .

(١) في بعض النسخ : والرانج .

(٢) » » : كفداح ورق الآس .

(٣) » » : والنوكير .

والصفرة ، وغير ذلك من الألوان مع تعري هذا الجوهراً^(١) من النموثة ، فإذا سلم بما ذكرنا كان في نو ، غاية في الجودة ونهاية في الوصف ، وفي حجارتها ما يبلغ الخمسة المئائيل في الوزن ، الى أن ينتهي الى حد العدسة في المقدار ، فيدخل ذلك في النظم من الخائق وغيرها .

وآفات هذا الجوهرة كثيرة منها الريم ، والحجارة ، والعروق البيض التي تشوب هذا الجوهرة وتوجد فيه ، ولا تتاكر بين ذوي الدراية بهذا الجوهرة ومن عني بمعرفته أن الحيات والأفاعي وسائر أنواع الحيات من الثعابين وغيرها إذا أبصرت الزمرد الخالص سالت أحداقها ، وأن الملسوع إذا سقي من الزمرد الخالص ، وزن دانقين على الفور أمن على نفسه من أن يسري السم في جسده^(٢) ، ولا يوجد شيء من أنواع الحيات يقرب من معدنه وأرضه ، وهو حجر لين رخو ، يتكلس إذا ورد على النار^(٣) .

وقد كانت ملوك اليونانيين ومن تلام من ملوك الروم تعظم شأن هذا الجوهرة ، وتفضله على غيره من سائر الجواهر ؛ لما اجتمع فيه من الخواص العجيبة ، والمنافع الكثيرة ، ولخفته في الوزن دون سائر الجواهر المعدنية .

وأكثر ما يوجد من هذه الأنواع الأربعة العروق في الأرض ، وهو المتنافس فيه ، إذا سلم من الاعوجاج والثقب^(٤) ، واستقام سلكه ، واستطال ما استدار ، وأدناه ما ينحل في معدنه من التراب

(١) في بعض النسخ : مع تعري هذا النوع من النموثة . (٤) في بعض النسخ : والثقب .

(٢) » » : في جوفه .

(٣) » » : إذا ورد على الماس .

ويلتقط من الطين ، وقد يوجد على ظهر الأرض في هذا المعدن في وهاده وجباله وما انخفض وارتفع من أرضه نوعان منه وهما المغربي والأصم المقدم ذكرهما .

وقد يحمل من أرض الهند من بلاد سندان ، ونحو كناية^(١) من مملكة البلهرا صاحب المانكير المقدم ذكره فيما سلف من هذا الكتاب نوع من الزمرد يلحق بما وصفناه من النور والحضرة والشعاع ، إلا أنه حجر صلب أصلب مما وصفنا ، وأثقل مما ذكرنا ، ولا يفرق بين هذا النوع المحمول من أرض الهند وبين الأنواع الأربعة المقدم ذكرها إلا ذو دراية فطن أو ماهر فيه^(٢) ، وهذا النوع الهندي يعرفه اصحاب الجواهر بالمكنى ؛ لأنه يحمل من أرض الهند إلى بلاد عدن وغيرها من سواحل اليمن ، ويؤتى به مكة ، فاشتهر بهذا الاسم لما وصفنا ، وبأن بهذا النعت لما ذكرنا

وقد أتينا على مبسوط أخبار الجواهر الشفافة وغيرها ووصف معادنها على الشرح والايضاح في كتابنا « أخبار الزمان » ووجدت جماعة بصعيد مصر ، من ذوي الدراية - ممن اتصلت معرفته بهذا المعدن ، وعرف هذا النوع من الجواهر الذي هو الزمرد - يخبرون أن هذا الزمرد يكثر ويقل في فصول من السنة ؛ وفي قوة من مواد الهواء ، وهبوب نوع من الرياح الأربع ، وتقوى الحضرة فيه والشعاع النوري في أوائل الشهر والزيادة في نور القمر ، وكذلك وجدت في أخبار من عني بمعرفة أكثر المعادن من الجوهريه وغيرها ان الكبريت الابيض والاصفر وغيرها من انواع الكبريت يكثر في معدنه في السنة التي يكثر برقها ، وتشتد صواعقها ، على حسب ما أخبرنا به

(١) في بعض النسخ : من بلاد سندان وبحر كناية من مملكة البلهرا صاحب الناكور .

(٢) « : ار ماهر ظريف .

فيا سلف من هذا الكتاب عن الكافور في بلاد منصور^(١) وغيرها من أرض الهند أنه يكثر في السنة التي تكثر فيها الصواعق والرعود والبروق ، ولولا أن المكثار كحاطب ليل ، والايجاز لهة دالة ، ووحى صرح عن ضمير ، والبلاغة إيضاح بإيجاز لأسهبت في هذا الباب .

قوص وقفت من صعيد مصر : وبين هذا الموضع المعروف بالحرية الذي فيه معدن هذا النوع من الجوهر ، وهو الزمرد ، وبين ما اتصل به من العمارة وقرب منه من الديار ، مسيرة سبعة أيام وهي قفت وقوص وغيرها من صعيد مصر ، وقوص راكبة للنيل ، وبين النيل وقفت نحو من ميلين ، ولدينتي قفت وقوص أخبار عجيبة في بدء عمرانها وما كان في أيام الاقباط من أخبارها إلا أن مدينة قفت في هذا الوقت متداعية للخراب ، وقوص أعر ، والناس فيها أكثر .

وبوادي البجة المالكة لهذا المعدن تتصل ديارها بالعلاقي ، وهي معدن الذهب على حسب ما قدمنا في هذا الباب ، وبين العلاقي والنيل خمس عشرة مرحلة ، وماء أهل العلاقي ما انهل من السماء ، ولهم ماء من عين^(٢) يسيل في وسط العلاقي ، واقرب العمارة اليه مدينة أسوان ، ومنها يسمى^(٣) العلاقي ، والنوبة متصلة بتجارتهما وقوافلها بمدينة أسوان^(٤) ، وأهل أسوان مختلطون بالنوبة .

بلاد الواحات : قال المسعودي : وأما بلاد الواحات - وهي بين بلاد مصر والاسكندرية وصعيد مصر والمغرب وأرض الاحابش من النوبة وغيرهم - فقد ذكرنا جملا من اخبارها ، وكيفية العمران بها ،

(١) في بعض النسخ : من بلاد قيصورة .
 (٢) » » : ولهم معين يسيل .
 (٣) في بعض النسخ : ومنها يستمد العلاقي .
 (٤) » » » : والنوبة متصلة بتجارتهما وقوافلها بمدينة أسوان .

والخواص في أرضها ، فيما سلف من كتبنا ، وبها أرض شبية وزاجية
وعيون حامضة وغير ذلك من الطعوم ، وصاحب الواحات في وقتنا
هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - عبد الملك بن مروان وهو
رجل من لواتة ، إلا أنه مرواني المذهب ، ويركب في ألوف من الناس خيلا
ورجلا ونجبا ، وبينه وبين الاحابش نحو من ستة أيام ، وكذلك
بينه وبين سائر ما ذكرنا من العماثر هذا المقدار من المسافة ، وفي
أرضه خواص وعجائب ، وهو بلد قائم بنفسه ، غير متصل بغيره ،
ولا مفتقر إليه ، ويحمل من أرضه التمر والزبيب والأعناب ، وقد
رأيت صاحب هذا الرجل المقيم بالواحات بسباب الاخشيد محمد بن
طفيج ، وذلك سنة ثلاثين وثلاثمائة ، وسألته عن كثير من أخبار
بلادهم ، وما احتجت أن اعلمه من خواص أرضهم ، وكذلك كان
فعلي مع غيره في سائر الأوقات ممن لم أصل إلى بلادهم ، وأخبرني
هذا الرجل عما بأرضهم من الشب وانواع الزاج ، وما يحمل من
بلادهم ، وما بأرضهم من أنواع العيون الحامضة ، وغير ذلك من
المياه المختلفة الطعوم .

وقد ذكر صاحب المنطق ان بعض المواضع عيوناً حامضة يستعمل
ماؤها ، كاستعمال الخل ، وذكر المواضع التي تنبع منها العيون المرة ،
وان قوة مائها في المرارة لا يخالط شيئاً إلا مروره ، وان العلة في
اختلاف هذه الطعوم في المياه أن الأرضين مختلفة مثل مواضع الشب
والمواضع النارية والرمادية ، وذكر الأطمعة^(١) التي ببلاد صقلية المقدم
ذكرها إذا خالطت الماء أفادته طعوماً مختلفة على قدر اختلافها
وأعداد طعومها .

(١) كذا وردت في الأصل .

اعداد الطعوم : وأعداد الطعوم ثمانية : فأولها العذب ، والملح ،
والدسم ، والحلو ، والحامض ، والمر ، والقابض ، والحريف ، وقد تنازع
الناس فيما ذكرنا ؛ فمنهم من رأى ان اعدادها سبعة ، ومنهم من
ذهب الى انها ستة ، وأكثر من قال في اعدادها هو ما ذكرنا آنفاً
من أنها ثمانية ، وقد قال من سلف في قوى المياه أقاويل
مختلفة : فمن ذلك ان العذب مُغَدِّرٌ وان كان سخناً ؛ فإن استعمل
من داخل أو من خارج بقدر الحاجة اليه فإنه يقي الجسد ،
وان استعمل أكثر مما يحتاج اليه فإنه يرخي الأعضاء ويضعفها ، وأن
الماء البارد يشد الأعضاء ، ويقطع العطش ، وان الزيادة منه تخدر
الجسد وتقيته ، وان الماء الأجاج ينفع من سُدد الكبد والطحال ،
وان الماء الكبريتي ينفع الجراح والقروح العتيقة والحكة ، والبورقي
نافع للحكة والجرب ، وأما القاري فإنه نافع من أوجاع الصلب
والعصب ، وماء الحديد نافع من الاسترخاء في الاحشاء وما بطن من
الأوعية ، وماء النحاس نافع من الرطوبة والبله الكائنة في الجسد
والرأس ، وماء الجص يشنج المعدة ويقبضها ويكرشها ، وماء الزجاج
يجبس الدم ، وماء البحر نافع من البرص ، وقد ذكر جماعة انه ينفع
من الاخلاط الفاسدة اذا شرب منه اليسير مع دهن اللوز ، وله في
البصر اتعاب فظييع ، وان أصح المياه للأجساد الابيض البراق
الذي يخرج من جبال الطين من مشرق الشمس نحو مغربها ،
القابل بسرعة ما يرد اليه من الحر والبرد ، وللناس فيما ذكرنا كلام
كثير في انواع المياه واوصافها ومنافعها ومضارها ، وليس كتابنا هذا
موضعا له ، وانما تغفل بنا الكلام الى ذكرها ، وتشعب بنا القول
الى وصفها .

بلاد الأحابش : وكل ما ذكرنا من بلاد الأحابش ما كان من غربي اليمن وجدة والحجاز^(١) مما يلي بحر القلزم ، فبلاد قشفة لا خير في أرضها ، ولا شيء يحمل من ساحلها إلا ما وصفنا من الذبل والنمور وغيرها ، وكذلك ما عليه من ساحل الشعر وبلاد الأحقاف من ساحل حضرموت إلى عدن ، فبلد لا خصب لأهل فيه ، ولا يحمل من أرضهم في وقتنا إلا اللبان ويسمى الكندر ، وهذا البحر اتصاله بالقلزم وهو عن يمين بحر الهند وإن كان الماء متصلاً ، وليس في البحار ، وما ذكرنا من الخليجان مما احتوى عليه البحر الحبشي ، أصعب ولا أكثر حيالاً ، ولا أسهك رائحة ، ولا أقحط ، ولا أقل خيراً في بطنه وظهره من بحر القلزم ، وسائر البحر الحبشي تقطعه المراكب في إبان سيرها فيه بالليل والنهار ، إلا بحر القلزم ؛ فإن المركب تسير فيه بالنهار ، فإذا جن الليل أُرست في مواضع معروفة كالمراحل المشهورة ، والمنازل^(٢) المعروفة ؛ لكثرة جباله وظلمته ووحشته ، وليس هذا البحر مما اتصل به من بحر الهند والصين وغيره في شيء ، وهو بالضد من ذلك ؛ لأن بحر الهند والصين في قعره اللؤلؤ ، وفي جباله الجواهر ، ومعادن الذهب والفضة والرصاص القلعي ، وفي أفواه دوابه العاج ، وفي منابته الآبنوس ، والخيزران ، والقنا ، والبقم ، والساج ، والعود ، وأشجار الكافور ، والجوز ، والقرنفل ، والصندل ، والأفاويه ، والطيب ، والعنبر ، وطيوره البياعي البيض والخضر ، واحدها بنفة ، ثم الطواويس وأنواعها في صورها واختلافها في الصفر والكبر ومنها ما يكون كالنعامة كبراً ، وحشرات أرض الهند الزباد كالسنانير بأرض الإسلام كثيرة متخذة كالسنور ، وأكثر ما يخرج من ضروعها الطيب المعروف بلبن الزباد ، وهو نوع من الطيب عجيب ،

(١) في نسخة : والجار .

(٢) في نسخة : والمناقد المعروفة .

ثم ما يظهر في وقت من السنة من جباه الفيلة بأرض الهند ورؤوسها من العرق الذي هو كالمسك ، والهند تراعي ظهور هذا الطيب في الفصل من الزمان الذي يكون فيه ؛ فتأخذه وتجعله على بعض أدهانها الطيبة ، فيكون أغلى طيبها والمستطرف عندها ، والذي تستعمله ملوكها وخواصها لضروب من المنافع منها طيب الرائحة والتجمر الذي قد فاق على سائر الطيب عندهم ، وما يؤثر في الإنسان عند شمه إياه واستعماله من ظهور الشبق من الرجال والنساء والطلب للباه والاعتلام والطرب والنشاط والأريحية ، وكثير من فتاك الهند وشجعانهم يستعمل هذا الدهن عند اللقاء والحرب ؛ لأن ذلك عندهم مما يشجع القلب ، ويبقوي النفس ، ويبعثها على الاقدام ، وأكثر ما يظهر هذا النوع من العرق في جباه الفيلة في ذلك الفصل من السنة في حال اغتلامها وهيجانها ، وإذا كان ذلك منها هرب عنها سُوءاؤها ورُعَاتها ، ولا تفرق بين من تعرف وغيره من الناس ، وإذا وجد الفيل ما وصفنا سلك الأودية والجبال والفياض ، وندّ عن بلده ، وغاب عن وطنه ؛ فإذا قدم على النوشان الذي هو الكركدن هرب حينئذ من الفيل ، ولا يقيم في الموضع الذي هو فيه ؛ لأن الفيل عند ذلك بحال السكران لا يعقل ولا يميز بين الكركدن الذي كان يخافه قبل ذلك وغيره ؛ فإذا خرج عنه ذلك الفصل من السنة واسترجع عاد إلى بلاده على مسيرة شهر وأكثر من ذلك ، وهو في بقية من سكره ، فيبقى في ذلك المقدار الذي كان هيجانه فيه عليلًا ، ولا يكون ذلك إلا في الفحول من الفيلة وذوي الجراءة منها والاقدام ، وما ذكرنا من ظباء^(١) المسك وغير ذلك مما عنه أمسكنا من عجائبه وخيراته وفيما ذكرنا تنبيه على غيره . وللهند خطب طويل في ظهور هذا النوع من الطيب في هذه الحالة من الفيلة ، والفرق بينه وبين سائر أنواع الدواب وما يظهر من الفيل

(١) في نسخة : من طيب المسك .

من الجزع عند وروده المياه من الغدران والأنهار للشرب إذا كان الماء صافياً ، فإنه يشربه ويكدره ويمتنع من شربه حين صفائه ، وإن ذلك يوجد في أكثر الخيل إذا وردت الماء وكان صافياً ضربته بأيديها فكدرته فتشرب حينئذ ، وتوافق الخيل الفيلة في هذا المعنى دون سائر الحيوان ، وإن ذلك لمشاهدة صورها في الماء لصقالاته وصفائه ، ولعلها تقصد زوال ذلك عند كدر ما تضربه بأيديها ؛ لعدم ظهور الصور فيه في حال الكدر ، وإن الإبل الأغلب منها يفعل ذلك ، ولعمان غير ذلك بما وصفنا من أن ما عظم من الحيوان إذا رأى صورته منعكسة على صفاء الماء أعجبه لعظمها وحسنها وما بان به من حسن الهيئة عما دونه من أنواع الحيوان ، وليس شيء يفعل ذلك من الحيوان غير ما ذكرنا من الخيل والإبل والفيلة ، وإن الفيل - مع عظم جسمه ولطافة نفسه وخفة روحه وحسن تمييزه والتفرقة بين وليه وعدوه من الناطقين وغيرهم وقبوله الرياضة - يمتنع من الأنثى كما تمتنع النوق إذا لقحت . وليس شيء من الدواب يمتنع من السفاد من الإناث عند حملها إلا الفيلة والإبل ، وهذا باب إن نحن تقصيناها وذكرنا ما فيه طال به الكتاب ، وخرج عن حد الاختصار والإيجاز وقد أتينا على وصف جميع ذلك في كتابنا « أخبار الزمان » وغيره من كتبنا ، فلنذكر الآن أنواعاً من ولد يافث بن نوح ؛ إذ كنا قد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب كثيراً من ذكر الأمم مع اختلاف ألوانهم ، وتباينهم في ديارهم ، واختلافهم في أحوالهم ، إن شاء الله تعالى .

١٢٩ - ١٣٣ ذكر تنازع الناس في المد
والجزر وجوامع ما قيل في ذلك
المد ١٢٩

١٣٤ - ١٣٦ ذكر بحر الروم ووصف
ما قيل في طوله وعرضه

١٣٧ - ذكر بحر نيطنش وبحر مانطش
وخليج القسطنطينية

بحر نيطنش ١٣٧ خليج القسطنطينية ١٣٧

١٣٨ - ١٤٨ ذكر بحر الباب والابواب
والخزر وجرجان

بحر الاعاجم ١٣٨ - التين ١٣٩ - ١٤١ .
البحار ١٤١ - ١٤٣ . تكون البحار ١٤٣ -
١٤٧ . علامات وجود المياه ١٤٧ - ١٤٨

١٤٩ - ١٦٦ ذكر ملوك الصين والترك
واخبار الصين

انساب اهل الصين ١٤٩ - عيشرون ١٥١ -
عيشنان ١٥١ - حراكان ١٥١ توال ١٥٢ - ١٥٥ .
من عادات الصين ١٥٥ - ١٦٤ . مدينة حمدان
١٦٤ - حذاقة اهل الصين ١٦٥ - ١٦٦

١٦٧ - ١٩٧ ذكر جمل من الاخبار
عن البحار ، وما فيها وما حولها
من العجائب والامم

هيجان وركود بحر فارس وبحر الهند ١٦٧ -
الفوص على اللؤلؤ ١٦٨ - ١٧٢ . تأثير البيئة
١٧٢ - بحر كلاهبار ١٧٣ - بحر كوزنج
١٧٤ - بحر الصنف ١٧٤ - بحر الصين ١٧٥ -
١٧٨ . بلاد التبت ١٧٨ - ١٨٣ . بنو امية
بالاندلس ١٨٣ - ١٨٥ . ارض الحبشة والسودان
١٨٥ - بلاد المغرب ١٨٦ - ملوك العالم ١٨٧ -

٧٩ - حبيب النجار ٧٩ - اصحاب الاخدود
٨٠ - خالد العبسي ٨١ - رثاب انشي ٨٢ -
اسعد ابو كرب الحميري ٨٢ - قس بن ساعدة
الأيادي ٨٢ - امية بن ابي السلط الثقيفي ٨٤ -
٨٧ . ورقة بن نوفل ٨٧ - عداس مولى عتبة
ابن ربيعة ٨٨ - ابوقيس صرمة ٨٨ - ابو عامر
الارمني ٨٨ - عبدالله بن جحش الأسدي ٨٨ -
بجرا الرامب ٨٩ - ٩٠ .

٩١ - ١٠٠ ذكر جمل من اخبار الهند
وآرائها وبدء ممالكها وملوكها

البرامة ٩٣ - ٩٥ . الباهبود ٩٥ - الرد
٩٥ - زامان ٩٥ - دبشليم ٩٦ - بلهيت والشرنج
٩٦ - كورش ٩٧ - ارض الهند ٩٨ - وصف
بعض خصال الهند ٩٨ - عادات الهند ٩٩ - ١٠٠

١٠١ - ١١١ ذكر الأرض والبحار ،
ومبادئ الانهار والجبال والأقاليم
السبعة

الأرض ١٠١ - ١٠٣ . عن بطليموس
١٠٣ - ١٠٧ . شكل البحار ١٠٧ - مساحة
الأرض والكواكب ١٠٩ - ١١١

١١٢ - ١٢١ ذكر الاخبار عن انتقال
البحار وجمل من اخبار الانهار الكبار
النيل ١١٣ - ١١٦ . جيحون ١١٦ -
نهر جنجس ١١٧ - الفرات ١١٨ - نهر
دجلة ١١٩ - ١٢١

١٢٢ - ١٢٨ ذكر جمل من الاخبار
عن البحر الحبشي

بحر الهند ١٢٢ - ١٢٤ . التماسح ١٢٤ -
عود الى البحر الحبشي ١٢٥ - ١٢٨

٢٥٧ - ٢٦٠ ذكر ملوك الطوائف
وم بين الفرس الاولى والثانية
اصل ملوك الطوائف - ٢٥٧ ملوك الطوائف

٢٥٨

٢٦٠ - ٢٦٦ ذكر انساب فارس وما
قاله الناس في ذلك

تنازع الناس في الفرس وانسابهم ٢٦٠

٢٦٦ - ٣١٤ ذكر ملوك السامانية وهم
الفرس الثانية واخبارهم

اردشير بن بابك ٢٦٦ - وصايا اردشير
وكتبه ٢٧٢ - هرمز ، بهرام ٢٧٤ - بهرام بن
بهرام ٢٧٥ - ٢٧٨ . سابور ذو الاكتاف ٢٧٩ -
٢٨٦ بهرام ، يزدجرد ، بهرام جور ٢٨٦ -
٢٨٧ . يزدجرد بن بهرام ٢٨٨ . قباد ٢٨٩ . انوشيران
٢٩٠ - ٢٩٥ . انواع السياسات الملوكية ٢٩٥ -
هرمز بن انوشروان ٢٩٨ - ٣٠٥ . حروب
ذي قار ٣٠٦ - تدريب الفيلة ٣٠٨ - ملك
اردشير ٣٠٩ - ملك يزدجرد ٣١٠ - ثلاثون
ملكاً ٣١١ . اجناس الفرس ٣١٢

٣١٥ - ٣٢٤ ذكر ملوك اليونانيين
ولم من اخبارهم وما قاله الناس في
بدء انسابهم

تنازع الناس في اصل اليونان ٣١٥ - مساكن
يونان ٣١٦ - الاسكندر وذو انوشيرين ٣١٨ -
موت الاسكندر ٣٢٠ - ٣٢٤

٣٢٤ - ٣٣٢ ذكر جوامع من حروب
الاسكندر بارض الهند

٣٣٣ - ٣٤٠ ذكر ملوك اليونانيين
بعد الاسكندر

ملك الفروج ١٨٨ صاحب المولتان ١٨٩ - بلاد
المنصورة ١٨٩ - ١٩٢ . مملكة رمى ١٩٢ -
ملك الكان ١٩٤ - بعض عادات الهند
والصين ١٩٥

١٩٨ - ٢٣٧ ذكر جبل القبيخ (الفتح)
واخبار الامم

جبل القبيخ ١٩٨ - الايران ١٩٩ - طبرستان ،
جيدان ٢٠٠ - نهر برطاس ٢٠٣ - امة برطاس
٢٠٣ - مدينة البرغز ٢٠٤ - الروس واجناسهم
٢٠٥ - ٢٠٨ . اطام النيران ٢٠٨ - وصف
اليزاة ٢٠٩ - امة الابخاز ٢٢٦ - مملكة شكين
مملكة قبلة ، مملكة الموقان ٢٢٨ - ملوك العالم
٢٣٠ - ذكر ملوك السريانيين ولمع من اخبارهم
٢٣٠ - ٢٣١ . نهر الهرمند ٢٣١ - وصف شجر
عجيب ٢٣٢ - اهرميون ٢٣٥ - ما روي
وازور وخنجانس ٢٣٥

٢٣٧ - ٢٣٨ ذكر ملوك الموصل
ونينوى وهم الاثوريون ولمع من
اخبارهم وسيرهم

نينوى ، بسوس ، سيرم ٢٣٧

٢٣٨ - ٢٤٢ ذكر ملوك بابل وهم
ملوك النبط وغيرهم المعروفين
بالكلدانيين

غروز الجبار وبقية ملوك بابل ٢٤١ - ٣٣٨ .
الالوان ٢٤١

٣٤٣ - ٢٥٦ ذكر ملوك الفرس الاولى
وجمل من اخبارهم وسيرهم

اصل الفرس وامم ملوكهم ٢٤٣ - ٢٥٦

ونيلها وعجائبها واخبار ملوكها

مصر في القرآن ووصف مصر ٢٧٤ -
 نهر النيل ٢٧٥ - ٣٧٩ . لبة النطاس ٣٧٩ -
 مقاييس لمعرفة زيادة النيل ٣٨٠ - الفيوم ٣٨٢ -
 بين ابن طولون ورجل مصر ٣٨٣ - الاهرام
 ٣٨٧ - بين يهودي ونصراني ٣٩٢ - عجائب
 مصر ونيلها ٣٩٤ - جملة من ملوك مصر ٣٩٦ -
 كتابة على البرابي ٣٩٩ - عدة ملوك مصر ٤٠٦

٤١٠ - ٤٢١ ذكر اخبار الاسكندرية
وبنائها وملوكها وعجائبها

اخبار الاسكندرية ٤١٠ - ٤١٥ . المسال
 ٤١٥ - منارة الاسكندرية ٤١٦ - سر بناء
 المنارة ٤٢٠

٤٢٦ - ٤٥٣ ذكر السودان وانسابهم
واختلاف اجناسهم وانواعهم

ولد كوش ٤٢٢ - الزرافة ٤٢٣ - وقليمي
 ملك الزنج ٤٢٤ - صيد الفيلة ٤٢٥ - لعب
 الشطرنج ومقامرة الهندبه ٤٢٦ - الزبرق ٤٢٧ -
 عناية المنصور بالفيلة ٤٣١ - البقر والجواميس
 ٤٣٥ - تفسير لقب ملك الزنج ٤٣٦ - مساكن
 النوبة ٤٣٧ - البجة ٤٣٨ - جزيرة سقطرة
 ٤٣٩ - بقية اجناس السودان ٤٤٠ - ٤٤٣ .
 الزمرد وانواعه ٤٤٣ - ٤٤٧ - قوص وقفت
 من صعيد مصر ٤٤٧ - بلاد الواحات ٤٤٧ -
 اعداد الطموم ٤٤٩ - بلاد الاحباش ٤٥٠

بطليموس ٣٣٣ - فلوس ٣٣٤ - قلبطرة
 ٣٣٦ - عدد ملوك اليونانيين ٣٣٩

٣٤٠ - ٣٤٩ ذكر ملوك الروم وما
قاله الناس في انسابهم وعدد ملوكهم
وتاريخ سنينهم

تنازع الناس في نسب الروم ٣٤٠ -
 ساطوخاس واغسطس قيصر ٣٤١ - طيباريوس،
 قلوديس، واتباع المسيح ٣٤٣ - ٣٤٦ . طيطش
 واسباسيانوس ٣٤٦ - بعض ملوك الروم ٣٤٦ -
 دقيوس واصحاب الكهف ٣٤٧ - عدد ملوك
 الروم ٣٤٩

٣٥٠ - ٣٧١ ذكر ملوك الروم
المتنصرة وهم ملوك القسطنطينية
ولم من اخبارهم

قسطنطين ٣٤٩ - سبب تنصر قسطنطين
 ٣٥١ - ٣٥٤ . الموسيقى ٣٥٥ - بعض
 ملوكهم ٣٥٦ - ٣٦١ . يقظة اهل الكهف ٣٥٧
 ٣٦٢ - ٣٧٤ ذكر ملوك الروم بعد
 ظهور الاسلام

في عهد الدولة المروانية وفي عهد الدولة
 العباسية ٣٦٤ - الرشيد يحاصر هرقة ٣٦٦ -
 ٣٧١ . مدة ملك الروم ٣٧٣

٣٧٤ - ٤١٠ ذكر مصر واخبارها



المسعودی

معجم الذهب

وتمامه من الجوهرة

المعجم الأول